

سَمِيحُ فَرْجِ

ابن الشاطح

قطوف من أورد

أُسَامَةُ الْبَارِ

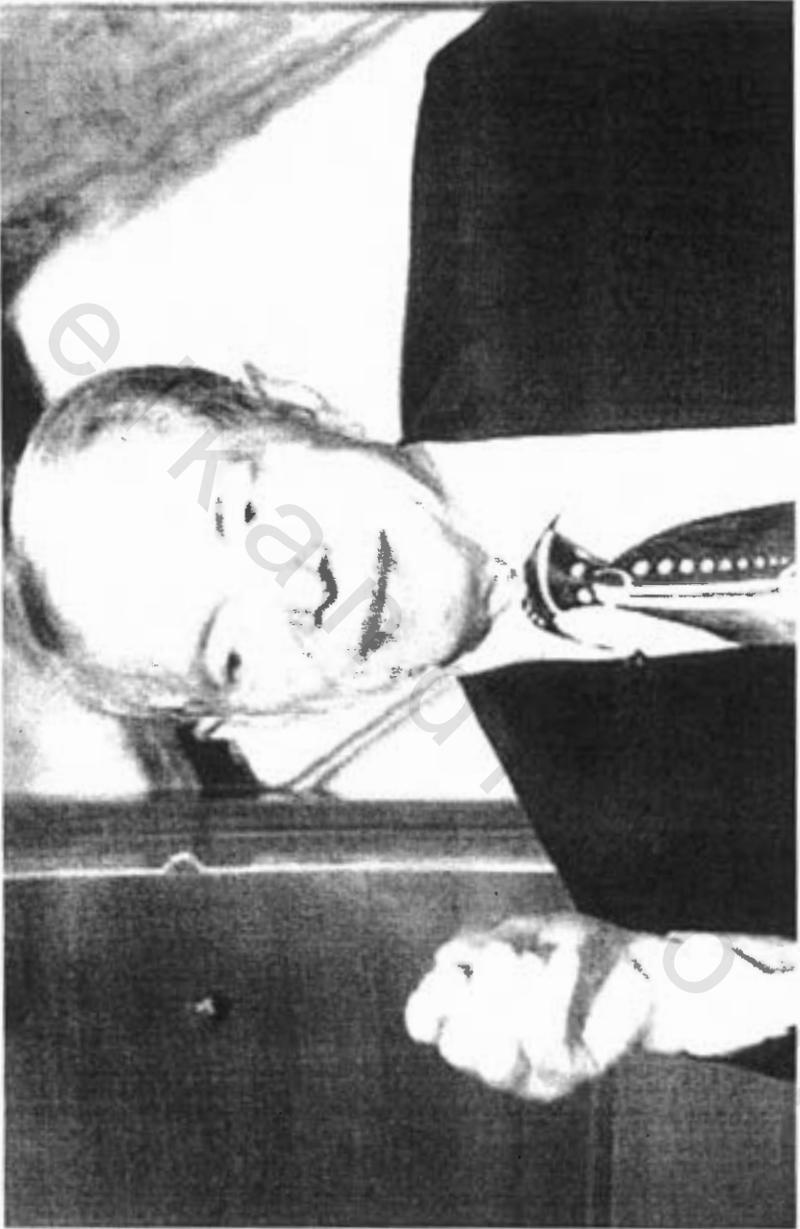
الاجتماعية والسياسية والعاطفية

نبيلة بعيد: اتجوزت «البار»

بمعرفة مبارك



مكتبة خزانة الأورد



يارب..

لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ..
ولا باليأس إذا فشلت ..
بل ذكرني بأن الفضل هو الخطوات التي تسبوا النجاح
يارب عاصني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة ..
وأن حباً لا ينقام هو أول وظائف الضعف ..
يارب إذا جردتني من نعمة لصحة دع لي الأمل
وإذا أهدتني إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار
وإذا أهدتني إلى الناس لي أعطني مقدرة العفو ..

يارب.. لا تنسى

أسامة الباز

الإهداء

إلى الأستاذة الدكتورة درية شرف الدين ابنة
الشاعر الدمياطي الكبير الراحل الأستاذ
عبد الحق شرف الدين الصديق الحميم للعالم
الجليل الشيخ السيد الباز والدكتور أسامة
الباز، والدنا المربي الفاضل والصحفي القديم
الأستاذ **ظاهر محمد فراج**، مهناً بمنصب
وزيرة الإعلام، والذي شرف كثيراً بها،
وشرفت دمياط بابنتها وفخرها الإعلامية
الرائدة

معالي الوزيرة الدكتورة درية شرف الدين



مقدمة الكتاب للمؤلف

رحل ومعه خزانة أسرار السياسة المصرية

أسامة الباز

عميد الدبلوماسية المصرية



الدكتور أسامة الباز

عاش عقوداً ثلاثة في دهاليز القصر الجمهورى إبان فترة حكم الرئيس الأسبق حسنى مبارك، وتوفي فجر السبت (١٤ سبتمبر ٢٠١٣ عن عمر يناهز (٨٢) عاماً، هو المستشار السياسى لمبارك، وهو شقيق عالم الجيولوجيا في وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» الدكتور فاروق الباز، والأهم أنه خزينة أسرار الرئيس الأسبق مبارك، وربما هو الخزانة الأهم لأسرار رؤساء وقادة الشرق الأوسط.

عمل مستشارًا بمركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية بمؤسسة الأهرام، ومديرًا لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشؤون الخارجية، ثم مقررًا للجنة الشؤون الخارجية المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، ومديرًا للمعهد الدبلوماسي، ومديرًا لمكتب نائب رئيس الجمهورية، ثم مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشؤون السياسية ووكيل أول وزارة الخارجية.

لم يتم يومًا لحزب أو جماعة، وبرغم منصبه الحساس في دائرة الحكم المصري، لم يكن من عاشقى الأضواء أو الظهور المكثف، عرف عنه الهدوء والاتجاه نحو الإصلاح التدريجي، وكانت له عدة آراء فيما يتعلق بالتورث أو الطوارئ، ألف كتاب «مصر والقرن الحادى والعشرين»، وأدرك منذ البداية حساسية منصبه كمستشار وحيد للرئيس، فعمل على إحداث التوازن دون ميل إلى أقصى-اليمين ولا أقصى-اليسار، ما استرو السياسة الخارجية المصرية، الذى شيعت جنازته يوم السبت (١٤ سبتمبر ٢٠١٣) من مسجد النزهة بمدينة نصر حاملاً معه خزانة أسرار وزنها ٣٠ عامًا، صفحات تطوى برحيله.

ولد الدكتور أسامة الباز بقرية طوخ الأقلام، وهى إحدى قرى محافظة الدقهلية عام (١٩٣١م)، حصل على ليسانس الحقوق عام (١٩٥٤)، ودكتوراه فى القانون العام من أمريكا عام (١٩٦٢)، بدأ حياته العملية بالعمل وكيلاً للنياحة، ثم عين بوزارة الخارجية سكرتيراً ثانياً عام (١٩٥٨م)، ووكيلاً للمعهد الدبلوماسى، ثم مستشاراً سياسياً لوزير الخارجية، ويعد أصغر من حصل على درجة سفير عام (١٩٧٥م).

تولى أسامة الباز الملف الفلسطينى -الإسرائيلى لفترة طويلة، وشارك فى مفاوضات اتفاقية كامب ديفيد بين مصر- وإسرائيل، وشارك أيضاً فى صياغة اتفاقية السلام عام (١٩٧٩)، وهو أحد الذين اشتهروا فى الحياة السياسية المصرية طوال العقود الثلاثة الماضية بمستويها الرسمى والشعبى، فقد عمل مستشاراً سياسياً للرئيس الأسبق حسنى مبارك منذ فترة طويلة، ويبدو أنه كان حريصاً على التمسك بهذا المنصب، وفتحها لحساسيته، حيث مثل له صيغة متوازنة فى اقتراجه من الحكم دون تحمل مسؤولية محددة حتى أنه أطلق عليه «خزانة الأسرار»، و«عميد الدبلوماسية المصرية».

عُرف عن الدكتور أسامة الباز مشاركته فى الندوات الفكرية والثقافية، ولديه

اهتمامات مختلفة ، وكان لهذه العوامل دور هام حيث إنها خلقت نوعاً من الاقتراب، وأزالت الاغتراب بينه وبين الكثيرين، لا سيما أن خطابه الإصلاحى بدأ أمام معظم النخب المصرية متطوراً عن شخصيات متعددة قريبة من النظام، وعليه كان السؤال الحاضر الغائب «لماذا لم تر واه لأهمية الإصلاح والتغيير طريقها للتطبيق طوال السنوات الماضية ، باعتباره المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك وأحد المقربين منه؟

إن أسامة الباز واحد من الشخصيات التى دار حولها انقسام فى الشارع المصرى، فهو فى نظر بعض الأوساط من «الحرس القديم» الذى يرى بقاءه قريباً من السلطة مرهوناً بعدم تغيير الأوضاع الراهنة، وأن أى إصلاح يجب خروجه من كنف وآليات ووسائل النظام نفسه، فى حين يرى البعض أن اجتهاداته فى بعض قضايا الإصلاح فضفاضة ومحالة وجوهاً يمكن تفسيرها بطرق متباينة، وفى هذه الحدود يمكن القول: إنه مع الإصلاح وضد التغيير.

أما فى نظر أوساط أخرى فيُعتبر من المطالبين بالإصلاح والتغيير فى الوقت نفسه، ومع أنه من الذين رفضوا فكرة تعديل الدستور أو بعض مواد ورأى تأجيلها، وصف تعديل المادة بأنها الأبرز والأهم فى مسيرة الإصلاح السياسى، وتوقع خطوات أكثر تصوراً فى هذا المجال فى المرحلة المقبلة، واعتبر أسامة الباز أن إصلاح نظام اختيار رئيس الجمهورية سيؤدى إلى نقلة سياسية كبيرة فى مصر. لها تداعياتها وتأثيراتها فى الجوانب كافة، وأكد أن خطوات التعديل تثبت جدية سياسيات الإصلاح الديمقراطى فى مصر.

على خلاف بعض المسؤولين فى النظام السابق، فقد انتقد الباز الدعوات التى تطالب بتعطيل مسيرة الإصلاح السياسى لحين اكتمال برامج الإصلاح الاقتصادى، وأوضح أن عملية الإصلاح تتم على مسارات متوازنة ووفقاً لرؤية متكاملة، كما نفى أية ضغوط خارجية لتعديل الدستور، وقال: إنها جاءت من رؤية خاصة ورغبة من مبارك، حتى إنه ذهب فى أوائل مارس ٢٠٠٥م إلى أن قانون الطوارئ لا يمثل قيداً على ممارسة المواطن العادى حقوقه السياسية، وأكد أنه لانية لإلغائه.

إخلاص الباز للرئيس الأسبق مبارك أوقعه فى بعض المطبات، ففى الخامس من نوفمبر (٢٠٠٢) قال: إن الرئيس مبارك «لن يرشح نفسه فى انتخابات الرئاسة القادمة»،

وأكد الباز ترحيب بتوسيع المشاركة السياسية، وعدم حصرها في عدد محدود، وأشار إلى أن الرئيس وقتها - لا يفكر في توريث الحكم لابنه، وفي اليوم التالي (٦ من نوفمبر ٢٠٠٢) قال بعبارة التوائية: «إن الرئيس مبارك لا ينوى تحديد حكمه مدى الحياة»، وأوضح أنه من المبكر جدًا قول: ما إن كان سيخوض الانتخابات، ونفى قيام الرئيس بتهيئة «جمال مبارك» لتسلم السلطة، وأن جمال بالذات لا يعد نفسه لتسلم السلطة أو أى شيء من هذا القبيل.

رغم الخلاف والاتفاق حول مواقفه السياسية إلا أن الباز كان يخطب بمكانة رفيعة بين مؤيديه ومعارضيه، بل وفي أوساط معارضى الرئيس الأسبق مبارك الأشداء.

يقول السيد عمرو موسى رئيس لجنة الخمسين لإعداد الدستور الجديد عن أسامة الباز: «إنهما عاشا معًا لسنوات في مجال يمس مصالح البلاد العليا، وكان خير دبلوماسى يجيد فنون المهنة وقواعدها، ويعلمها للأجيال الشابة جيلًا بعد جيل.

يضيف عمرو موسى: أذكر لأسامة الباز يرحمه الله أمورًا كثيرة لا حصر لها، يكفى منها أنه كان مفاوضًا صلبًا، بل كان المفوض الأساسى مع إسرائيل في مفاوضات شاقة، أسفرت عن استرداد الأراضى المصرية المحتلة، بجانب دوره في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية.

يقول عنه محمد كامل عمرو وزير الخارجية السابق: «إن مصر فقدت واحدًا من أفضل أبنائها، ورجلًا من الطراز الأول».

ووصفه سامى شرف: بأنه كان صديقًا وافيًا وابنًا غالبًا.

ويؤكد الدكتور مصطفى الفقى الكاتب والمفكر السياسى عن الدكتور أسامة الباز: أنه كان يمتلك قدرات هائلة وقوى كبيرة، مشيرًا إلى أنه كان رجلًا لطيفًا ومتواضعًا ومهذبًا، مضيفًا إلى أن أسامة الباز كان لا يتطلع للحصول على أعلى المناصب أثناء توليه منصب المستشار السياسى لرئيس الجمهورية.

وقال الدكتور بطرس غالى:

إن الدكتور أسامة الباز قدم إسهامات جلييلة لمصر، ودافع بكل قوة عن الحقوق

المصرية والعربية بكل المحافل إيمانًا بان العرب «رعاة سلام»، وأشار إلى أن أسامة الباز خاض معارك دبلوماسية في مفاوضات السلام مع إسرائيل، وكان واحدًا ممن قدموا رؤى وأفكارًا حول المواقف الدولية لصالح الحق العربى والفلسطيني، وأضاف غالى: «لقد تشاركنا وعملنا سويًا من أجل صنع وبناء السلام في أدق المراحل الاقتصادية والسياسية التي مرت بها مصر».

ويقول الكاتب الصحفي نبيل عمر: إن أسامة الباز مفكر دبلوماسى مهم، ولعب دورًا هامًا لكسب نقاط من إسرائيل لصالح مصر في اتفاقية كامب ديفيد الأولى، حين كان مستشارًا للرئيس «أنور السادات».

أما زوجته الإعلامية أميمة تمام فقالت:

إن زوجها الراحل الدكتور أسامة الباز كان على يقين من ترنح نظام مبارك في السنوات الأخيرة التي سبقت ثورة يناير، موضحة أنه احتجب عن العمل السياسي، لأنه توقع سقوط النظام وصعود الإخوان المسلمين إلى الحكم، مشيرة إلى أنه لفت نظر النظام الأسبق إلى مخاوفه منذ عام (٢٠٠٥م)، لكن أحدًا لم يستمع إليه على حد تعبيرها!

وأضافت: «كان متابعا جيدًا للأحداث السياسية، وكان يتعجب مما يراه، ورفضه التعليق على الأحداث، أو إجراء أحاديث صحفية، كان نابعا من حزنه الشديد على مصر وبعد صعود «الإخوان» إلى الحكم قال: «إن مؤسسة (الإخوان) لن تستمر طويلا، لكنه للأسف الشديد لم يشهد هذه اللحظة، لأنه دخل في غيبوبة قبل ثورة (٣٠ يونيو)».



الدكتور أسامة الباز يشجعني على كتابة تاريخ دمياط:

أذكر وأنا أجلس إلى جوار العزيز الأستاذ الدكتور أسامة الباز في مؤتمر كبير حضره وفود من العالم العربي والإسلامي في أكاديمية الخط العربي، كان الدكتور الباز رئيساً شرفياً للمؤتمر وأنا مديراً له على المنصة، وقدمت له قبل أن يبدأ المؤتمر مجموعة من مؤلفاتي التاريخية كإهداء منها: كتاب قطوف من حياة الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق، وكتاب قطوف من حياة الدكتور عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، وهما يعرضان معاً لقصة حياة القطبين الدمياطيين الكبارين وتاريخهما من دمياط إلى القاهرة إلى العالمية، ولاحظت الإعجاب الشديد من الدكتور أسامة وهو يتصفح الكتابين على المنصة، ويشجعني على الاستمرار في كتابة تاريخ دمياط، وإبراز مسيرة كل دمياطى شهير في الشعر والأدب والسياسة والثقافة والرياضة لدرجة أنه أشار لي باسم ثلاثة أبطال في ميادينها وهم من الرياضيين وأنه لا ينبغي إهمال تاريخهم المشرف وهم: بطل رفع الأثقال العالمى مختار حسين، وبطل المانش العالمى عبد المنعم عبده، والكابتن رفعت الفناجيلي أعظم مدافع في العالم في إحدى الدورات الأولمبية لكرة القدم، والثلاثة دمياطية، وقال لي الدكتور أسامة الباز: هذا على سبيل المثال، لكنه لم ينس في نفس الوقت أن يلفت نظري إلى ضرورة إلقاء الضوء على التاريخ القديم لكل هؤلاء النجوم: الدكتور الزيات والدكتورة بنت الشاطئ والآخرين وهو ما لاحظته بالفعل، وقال لي: أنت تفعل ذلك، وأنا معجب تماماً بأسلوبك وجهادك الواضح في مؤلفاتك، ليكون الكتاب وثيقة تاريخية هامة تتداولها الأجيال، وشجعني رحمه الله بأن أستمّر في كتابة تاريخ دمياط وكواكبه ونجومه جميعاً في كل الميادين والمجالات المختلفة، مؤكداً لي أن هذا سيكون بمثابة العلم الذى يتفجع به.

مذكرات أسامة الباز:

كان هذا الوقت في التسعينيات والسماء ملبدة بالغيوم وتكثر الرياح والعواصف في حياة هذا النجم السياسى البارع الرائع المهذب المؤدب المحترم أسامة الباز، ولاحظت أنه أصبح شارداً تماماً، وهو يتأمل مؤلفى الخاص عن الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأشهر، والذي كان يرتبط معه، كما قال لي بصلات وثيقة، وكان الزيات يعتبره بلدياته من دمياط لما لاحظته عليه من اهتمام بالدمياطية وتاريخهم، وكان الدكتور

أسامة الباز يحترم الدكتور الزيات لدرجة كبيرة، ويعتبره أستاذًا له في الدبلوماسية والخارجية والعمل السياسي بشكل عام، ولم ينس أن ينهني لصلة المصاهرة بينه وبين الدكتور طه حسين أيضًا عندما أكد لي أن الثقافة لا تنفصل عن السياسة، وأن السياسة في حد ذاتها ثقافة، وضحك من قلبه وهو يتذكر مقولة للدكتور محمد حسن الزيات بصفته دمياطيًا، قالها أمامه في أحد المحافل السياسية الدولية الكبرى وأعقبها ضجة وضحك، وتصفيق من الجميع عقب ترجمة هذه الجملة من العربية التي كان يحرص الزيات على التحدث بها إلى اللغات الأجنبية المختلفة وأبرزها الإنجليزية والفرنسية.

هو الكلام عليه جمرک!!

كان المؤتمر يناقش قضية القرار رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م من الأمم المتحدة الذي يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة، وتلاعبت به إسرائيل لتؤكد أنه يقول: الانسحاب من أراضي محتلة فقط! وهنا انبرى الدكتور محمد حسن الزيات كما أوضح لي الدكتور أسامة الباز، وبأعلى صوته يقول ردًا على هذا الادعاء الكاذب من جانب إسرائيل ما يقولوا اللي يقولوه: هو الكلام عليه جمرک!!

وضجت قاعة المؤتمر بالضحك، وشرح لهم الدكتور الزيات أنه من دمياط وهم شطار ويتعاملون مع اليهود منذ قديم الزمان، وهم أصدقاء من بينهم في مصيف رأس البر، وكانت هذه هي لغة أهل دمياط مع اليهود وغيرهم، ولذلك يقولون دائمًا: إن اليهود لم يقدروا في العالم كله على الدمايطة، واستطرد الدكتور الزيات يقول ضاحكًا:

«وأنا أقول الآن للإسرائيليين: قولوا لي انتم عاوزينه، ودعوني أرد عليكم: هو

الكلام عليه جمرک!!»

تحتست وقلت للدكتور أسامة الباز:

بالفعل أنا أكتب تاريخ دمياط الآن منذ أقدم العصور وبنفس الطريقة التي تفضلها من الألف إلى الياء ويتوسع في سرد الحقائق التاريخية في السيرة الذاتية، وأوضحت له رحمه الله على سبيل المثال: دعني أذكر لك أن والدكم العالم الجليل الشيخ السيد الباز كان صديقًا لوالدي وجددي المرحومين، والدي الأستاذ طاهر فراج، وجددي الشيخ محمد فراج، أثناء فترة وجوده بدمياط كأستاذ بالمعهد الديني، ووضح أن

الدكتور أسامة الباز لم يكن يعرف أن الذى يحدثه حتى هذه اللحظة هو دمياطى حتى النخاع بكل الوفاء لدمياط والمفاجأة هو معرفته التامة كما شرح لى رحمه الله لوالدى وجدى وكيف أنه كان يذهب مع والده إلى الصالون الأدبى والثقافى فى مقهى معبد ويسعد كثيرا بالمشاهير من الشيوخ والعلماء والأدباء والمثقفين من أهل دمياط. وعرف فى هذا الصالون الشاعر محمد الأسمر والشاعر الغياتى والشاعر البدرى محمددين، وكانت له علاقة زمالة بولديه بمدرسة دمياط الثانوية، وتعرف لأول مرة على الشاعر طاهر أبو فاشا، وكان أصغرهم سناً، وأستاذاً له بنفس المدرسة، وأنه تعرف هناك أيضاً على أصدقاء لوالده أمثال: الشاعر الأستاذ عبد الحق شرف الدين، وشقيقه الأستاذ مأمون شرف الدين، وأنه يعرف نجله الدبلوماسى الآن عادل شرف الدين من أيام دمياط، وأنه زامل الشاعر فاروق شوشة الفالح البارع الموهوب منذ صغره فى مدرسة دمياط الثانوية، ولم ينس حتى الآن الفصل الذى كان يجلس فيه أو فناء المدرسة، وأن من الأصدقاء المقربين منه جداً فى ذلك الوقت زميله السفير عبد الرؤوف الريدى، وفجأة ضحك الدكتور أسامة وهو يقول لى:

احنا اتكلمنا بما فيه الكفاية، هو الكلام عليه جمر ك!؟

وبدأ المؤتمر وأنا أغلى فى داخلى، لقد كنت أريد أن أعلن له رغبتى الملحة فى كتابة مذكراته! هذه فرصة كبرى لا بد من اغتنامها وأنا جالس معه على المنصة.

إننى أعتبر مذكرات هذا الرجل الموسوعة المحترم تاريخياً وسياسياً صاحب المواقف التاريخية المعروفة والشهيرة خاصة عقب انتصارنا فى حرب ١٩٧٣ م، واتفاقية كامب دايفيد الذى وقعها السادات مع كارتر وبيجين، ومن أعضاء الوفد أسامة الباز «رحمه الله» صاحب الآراء القوية لصالح مصر الغالية بعد المؤتمر الذى بدأ بمشادة بينى وبين أحد السادة الحضور عندما قدمت من على المنصة الدكتور أسامة الباز قائلاً: إننى أشرف بأن أقدم لكم السيد مستشار السيد رئيس الجمهورية، الذى تشرف دمياط وأنا بأنه من أبنائها وأعترز كثيراً بالدمياطى الأشهر الدكتور أسامة الباز.

وهنا وقف أستاذ فاضل فى لهجة حاسمة يقول:

لا - يا أخى الدكتور أسامة الباز ليس دمياطيًا ، إنه بلدياتي من المنصورة، هذه عملية نشل بحسن نية أو بسوء نية ، الله أعلم، لكن واضح أن الأخ الذى يقدم للمؤتمر على المنصة منحاز إلى دمياط، وأرجو أن يبدأ أستاذنا الدكتور أسامة الباز فى البداية بتأكيد أنه من الدقهلية! وضحك الدكتور أسامة ، وضحك الحضور، ووجدت نفسى اندفع بالكلام وأستاذن فى المقاطعة لأقول:

يا أخى هل نسيت الكاتب الكبير أنيس منصور وهو يستولى كل يوم على مشاهير دمياط أمثال الدكتور زكى نجيب محمود ، والدكتور عبد الرحمن بدوى ، والدكتور رفعت المحجوب، والدكتور محمود حافظ ، والفنان سعد أردش ، والفنان سراج منير، والفنان رياض السنباطي، والفنانة سهير البابلي ، وغيرهم ، ويقول عنهم: إنهم بلدياته من المنصورة، ولولا الدكتورة عائشة عبد الرحمن نسبت إلى شاطىء دمياط ، وأصبحت بنت الشاطىء وهذا الشاطىء لأخذها أيضًا الأستاذ أنيس منصور ، ونسبها للدقهلية! إن الدكتور أسامة الباز هو ابن دمياط، ربما جاء من الدقهلية فى طفولته ، لكنه عاش أخصب فترة فى حياته - فترة صباه وشبابه ومراهقته فى دمياط - تعلم فى مدارسها الابتدائية والأميرية والثانوية ، وكان الطالب المثالى الأول نجم أوائل الطلبة ، وأحد الرموز فى الحياة الطلابية على مستوى مصر ، ثم أنه هزم مدرسة المنصورة الثانوية وهو فى فريق مدرسة دمياط الثانوية فى الثقافة وفى التوجيهية ضمن فريق أوائل الطلبة ، بل كان رئيس هذا الفريق ، وهو الطالب المثالى أيضًا على مصر كلها ، وهو يتنمى إلى مدرسة دمياط الثانوية..!

تصفيق حاد للدكتور أسامة الباز فى المؤتمر:

كانت المفاجأة أن وقف الرجل المهذب الدكتور أسامة الباز على الفور ليفك هذا الاشتباك بين دمياط والمنصورة على شخصه، ويعلن احترامه وتقديره لها معًا، وأيدنى أن فترة شبابه كانت فى دمياط، وأنه بالفعل ولد خارج هذه المدينة العزيزة والغالية عالية، لكن لا ينس دراسته بمدرسة دمياط الأميرية ومدرسة دمياط الثانوية التى زامل فيها : الدكتور يوسف إدريس ، والوزير حسب الله الكفراوى، والسفير عبد الرؤوف الريدى، والإذاعى الشاعر فاروق شوشة على سبيل المثال وليس الحصر.

وأن دمياط بالفعل عزيزة عليه وعلى أسرته وعلى والده رحمه الله بصفة خاصة حيث

ارتبط بهذه المدينة التاريخية العريقة، وأن دمياط له فيها أحلى الذكريات المليئة بالمواقف التي يتذكرها الآن بكل الحنين في أن تعود، لم أنس أصدقائي بدمياط، لم أنس حتى حبي الأول في دمياط، كانت زميلتي في مدرسة اللوزى الثانوية للبنات، وهي مدرسة مجاورة لمدرستي الثانوية بنين، كان بيننا الاحترام الكامل، تحركنا مشاعر الأدب الجم والأخلاق الحميدة، كنا جيلاً محترماً، وكان أبي شيخاً جليلاً بالمعهد الدينى بدمياط أعمل له ألف حساب، أما المنصورة فهي بالفعل مسقط رأسى ولها كل التقدير عندي، وأشكركم جميعاً على كل حال، اشتعلت القاعة منذ البداية هكذا بفريقين من دمياط والمنصورة كلاهما يسعى للفوز بنسب العزيز الغالى الدكتور أسامة الباز إلى محافظته، ولم ينس الدكتور أسامة هذه المرة أيضاً أن يقول أمام الجميع مقولة أهل دمياط الخالدة: هو الكلام عليه جمر ك19 عقب المؤتمر كانت معى زوجتى، وسألنى الدكتور أسامة: واضح أنها دمياطية، على الفور قلت له: نعم بكل تأكيد.

قال: الدمايطة لا يتزوجون في أغلب الأحوال إلا بنات دمياط.

كانت أمى رحمها الله تقول لنا لى ولأخواتى الذكور: البنت الدمايطة لىس لها أى مثيل على مستوى البلد - مصر كلها - تعيش فقط لزوجها وأولادها وبيتها، هذا فى المقام الأول، ثم بعد ذلك هى وش السعد على زوجها، وتحفظ له ميزانية البيت، وشاعة أن الدمايطة بخلاء كاذبة، البيت الدمايطى مستور باستمرار، معمول حساب للأكل والشرب والدواء والملبس وكل شىء، حتى نهاية الأسبوع يسرع الزوج وزوجته إلى رأس البر للاستحمام من شقاء الأسبوع كله..!

الدكتور أسامة الباز يستفسر عن:

- البط الدمايطي.
- الصيادية بالسّمك الوقار.
- الصيادية الكدّابة..!

توجه الدكتور أسامة الباز بالسؤال إلى زوجتى:

يا ترى إيه أخبار البط الدمايطي؟ واستطرد يقول: كانت أكلة مفضلة عندنا وعندى

أنا شخصيًا ، وكنا نذهب لسوق الجمعة نشترى قفص بط دمياطى بجنيه واحد..!
تصوري!

قالت له زوجتي:

والله شيء يشرفنا لو حضرتك قبلت دعوتنا على الغذاء بط دمياطي، سأصنعه لك
بنفسى كدمياطية أتقنت هذا ، وتعلمته من أمي، ضحك الدكتور أسامة الباز وهو يقول:

«ياريت ، بس أجيب الوقت منين..! نفسى بالفعل أعيش فى دمياط لمدة شهر كامل،
أتذكر كل شيء فى ماضى الأيام الجميلة فى دمياط ورأس البر»، واستطرد قائلاً:
«طيب وأخبار السمك الصيادية أيه؟»

وهنا ضحكت مع زوجتى والجالسين، قلت أنا وزوجتى فى نفس واحد: ما زال
السمك الصيادية الأكلة المفضلة على مائدة الدمايطة!

قال أسامة الباز: أعرف ذلك بكل تأكيد.. أكلة ليس لها أى مثيل!

لكن وجدنا الدكتور أسامة يسأل عن أكلة الصيادية الكذّابة!

قال ضاحكًا: طيب والصيادية الكذّابة!

ردت زوجتى على الفور: وهل حضرتك تعرف أسرار هذه الأكلة؟

قال: نعم بكل تأكيد، كانت عبارة عن فول أخضر. يتم وضعه فى الأرز الأحمر بدل

من السمك! ولقد اعتبروها الصيادية الكذّابة لأنها ليس بالسمك إياه!

وتذكر الدكتور أسامة الباز:

الصيادية بالسمك القاروس والوقار والبورى ممتعة، كنت أحبها جدًا، وأيضًا
الصيادية الكذّابة كانت متعة أيضًا، وأنا بنفسى كنت أذهب لمحل مخللات شهير بالمدينة
على ما أتذكر اسمه «اللفات»، أشتري منه بخمس مليات كوكتيل من الطرشي، كان قريبًا
من منزلنا - نحن كنا نقطن فى منطقة سوق القلل والسوق الخضار فى ذلك الوقت - وهى
من المناطق الشهيرة التاريخية فى دمياط حتى الآن.. كما عرفت.

العودة ثانية إلى مذكرات الدكتور أسامة الباز:

كان شاغلي الأكبر هو التحدث مع الدكتور أسامة الباز في موضوع مذكراته.. كنت ألاحظ حالة الهم والغم والقرف واضحة على الدكتور أسامة، مزاجه السياسي غير معتدل، يرى البلد في طريقها إلى المجهول، وهو بحاسته وموهبته وقيمه السياسية وخبراته الطويلة يعاني من أوضاع قادمة لا محال في البلاد في غاية الخطورة..!

مسلسل التورث بدأت أولى حلقاته مكشوفة أمام الجميع، وواضحة للجميع، ظهور الدكتور أسامة الباز على المسرح السياسي في مصر أصبح منعقدًا، تراقصت علامات استفهام كثيرة حول الدكتور أسامة الباز..؟ كيف ولماذا هو بعيد عن ممارسة عمله السياسي؟

يا ترى إيه المسألة وإيه دخل جمال مبارك هذا النبات الغريب الساعى لحكم مصر في موقف الدكتور أسامة الباز..؟!

فجأة غاب البطل الدبلوماسي رفيع المستوى عن مسرح الأحداث الملتهبة في مصر..!

ولا أدري لماذا وكيف تصورتها النهاية في قصة هذا العالم والخبير السياسي المهذب والرائع والبارع المستشار السياسي للرئيس الدكتور أسامة الباز!

ومن أجل ذلك قلت في نفسي: حان وقت التنفيس عن النفس كما يقولون: لا بد أن يدلل الدكتور أسامة بشهادة للتاريخ، وتشجعت، وقلت له في نفس اليوم: «ياريت يا دكتور أكتب مذكراتك مثل ما كتبت للدكتور الزيات وغيره، وفجأة تكهرب الموقف؟!»

لاحظت أن الدكتور أسامة الباز يتألم من شيء ما..!

قلت له على الفور: هل ضايقتك في شيء بشأن كلامي عن مذكراتك؟

قال الرجل المهذب: «لا والله - أنا بكل تأكيد سأفعل ذلك - لكن لا أدري في أي وقت، عموماً الوقت غير مناسب الآن، والظروف لا تسمح بذلك كما أرى» واستطرد يقول بأدب جم وهدوء تام:

«اصبر على شوية، وسوف أعطيك أكثر مما تطلب في الوقت المناسب»، قلت بسرعة:

«وأنا أعتز بذلك تمامًا، وربنا يبارك في عمر سيادتك ويجعل القادم في مصر كله خيرًا إن شاء الله».

وفجأة أيضًا تكهرب الجو مرة أخرى، لكن هذه المرة أسرع يقول في حسم: مش باين..!

كانت هذه الجملة الأخيرة التي نظقت بها تعبيرات وجه الدكتور أسامة قبل لسانه، هي الحقيقة كما كان يراها ويعيش فيها ويتأملها وحده، أغلب المصريين لم يكن أحدًا منهم يفكر بنفس تفكير هذا الرجل، الذي يعيش في مطبخ الأحداث السياسية، ويرى كل شيء بمنظار السياسي المحنك، البعيد النظر..!

كان يرى مخاطر كثيرة من حول المصريين، وكان يدرك تمامًا أن السياسية لعبة قذرة! يارسها البعض بشرف، والبعض الآخر بدون شرف، وبالطبع هو من الفريق الأول..!

لكن ماذا يفعل مع الفريق الثاني الذي كان يعد نفسه لجولة حاسمة تعيد البلاد إلى الخلف وإلى التقهقر وإلى التخلف وإلى النكسة! فريق اشتم كل مصري قريب من الأحداث السياسية في مصر في السنوات الأخيرة من التسعينيات وما بعدها روائح التوريث الكريه والمكروهة والكريهة، وبدأ يبرز نجم «جيمي» أو جمال مبارك!

ويتهى عهد المستشار السياسي لعدة رؤساء مصريين الدكتور أسامة الباز

كان الدكتور أسامة الباز حسن النية في كل تصرفاته، كل شيء عنده بحساب، حافظ على كبريائه وكرامته عندما لاحظ حالة من الفوضى على المسرح السياسي، انسحب في هدوء دون أن يفصح حتى عن الأسباب، لكن بشكل غير مباشر أيضًا عبر عن موقفه عندما ظهر في ميدان التحرير فجأة إبان ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١ م، هذا معناه أنه نعم مؤيد للثورة على النظام، والتصدي لحالة الفوضى السياسية، وكل من هب ودب أصبح «جيمي»، ومثله أى «جيمي» يعمل بالسياسة، وتحول رجال الأعمال إلى سياسيين لصالح مصالحهم ومراكزهم وبإصرار كل شيء كان آيلًا للسقوط في النظام المصرى في عهد مبارك، الذى سقط بالفعل من أعلى أدوار هذا النظام منذ سنوات ظهر فيها «جيمي»..! عندما أسلم له أبوه كل شيء في حكم مصر علنًا، وبغير العلن، كانت لعبة رخيصة ودنيئة

وكان مصر. عزبة تباع وتشتري ، تشرف على ذلك بكل تأكيد وترسخه تصالح «جيمي» الرئيس القادم السيدة سوزان التي تمت أن تصبح الملكة الأم مثلها مثل الملكة السابقة لمصر «نازلي» أم فاروق ملك مصر المخلوع..!

هذا كله كان يراه الشعب المصرى البطل والشديد الذكاء ، وهو يقترب من قمة الأحداث بالثورة على مبارك وعلى مسلسل التوريث ، ومأساة الدكتور أسامة الباز أنه كان يرى عذابات مصر عن قرب ، وهو الإنسان المرهف الحس الصادق الأمين، وأن الساحة تخلو «لجيمي» دلوعة أمه سوزان!

تحمل أسامة الباز ما لم يتحملة بشر. ، وعلامات الاستفهام تتراقص أمامه بشدة.. إلى أين مصر تسير..؟ كان أهم علامة!

الزلازل قادم لا شك - عصر. مبارك كله يحتج عليه المصريون الشرفاء، وظهر بركان غضب المصريين ، وكانت الثورة التي تنبأ بها أستاذ مبارك التلميذ البليد..!

كان الدكتور أسامة الباز أستاذه بتكليف من السادات عندما اختاره نائباً له، وكان الباز المستشار السياسى البارز الفالح الناجح المتفوق المتألق، لكن التلميذ لم يصن نعمة وجود أستاذه الذى يلقيه الدروس الخصوصية فى السياسة وفنون ممارستها، وانحاز إلى جانب «جيمي» الابن الذى كان مثل الدبة التى قتلت صاحبها، تسبب «جيمي» وأمه فى انهيار عصر ونظام استمر لمدة ثلاثين عامًا فى مصر ، ولم يرد مبارك أن يترك «العزبة» أفقد مصر. ، دون أن يمنحها «لجيمي» - الذى لم يعجبه وجود الأستاذ الدكتور الباز ، ليكون لجنة السياسات ويعتلى المنبر السياسى ، ويقدم مشاهدته على المسرح السياسى أيضًا ، كل هذا زاد من آلام أسامة الباز ، الذى كان يفكر فى حال مصر، وما وصلت إليه من تدهور سياسى واضح عندما نزل ميدان التحرير يعبر عن تأييده للشوار بوضوح ومخاطرة ، فقد تفشل الثورة ، وهنا يصبح أسامة الباز عدوًا للنظام الحاكم جيمي ووالده ، لكن الثورة اقتلعتها تمامًا ، وظهر أسامة الباز فى الميدان فى اليوم السابع من فبراير بكل البطولة والجرأة ، لأن ظهوره كان قبل سقوط النظام، ويسجل موقفًا تاريخيًا شامخًا لم يظهر عقب سقوط مبارك إنما قبل السقوط، لم يشمت فى الرئيس ولا زوجة الرئيس ولا ابن الرئيس الذين سقطوا سقوطاً مدويًا، ولعل أسامة الباز فى نفس الوقت كان يتأمل المشهد السياسى

الذى تنبأ به من قبل ، بأن الناس سوف تثور ضد النظام ، الفقير يسود ، الظلام موجود ، والثراء الفاحش ، ونهب الشعب ، وأطاع «جيمي» في الحكم ، ومسلسل التوريث وراثته العفنة!

لم يكن الدكتور أسامة الباز مؤيداً لهذا التوريث على الإطلاق...! فقط هو كان يقوم بتعليم جمال مبارك الثقافة السياسية ، ويجعله ملماً بأصولها ومفاهيمها ، لكن رافضاً تماماً لأن يصبح الرئيس القادم لمصر ، وكان يؤكد في كل مناسبة يدور فيها مثل هذا الكلام عن التوريث : أنه من الصعب جداً أن يحدث ذلك ، ولم ينفع ولن يجدى في مصر . ، والدكتور أسامة الباز كان يقول في مثل هذه الأوقات : لكم دينكم ولى دين...! يقصد كل شيخ وله طريقة ، وطريقته تختلف عن طريقة جمال مبارك وأبوه الرئيس مبارك ، والشلل المحيطة بها ، وكل هذا ليس من المقبول له ، وأوضح الباز أيضاً أنه يختلف تماماً عن فكر هذه الشلل المحيطة بالقصر الحاكم!

وكان يؤكد في نفس الوقت للمقربين جداً منه أن الإخوان المسلمين يتربصون ويراقبون بدقة للسطو على الحكم في أقرب وقت ، وأنهم أذكاء ، وسوف يتسللون إلى حيث توجد طبقات الشعب الكادحة لكسب تأييدهم ، وأن الثورة القادمة لصالح الإخوان ، وهذا هو الخطر الأعظم والبالغ...! كان أول من تنبأ بسطو الإخوان على الحكم ، أسامة الباز فرقة أهوال التفكير في سلامة مصر . وصالح أبنائها الفقراء ، وداهمه المرض المفاجئ اللعين ، وامثل له رغم مقاومته له ، لكن في النهاية خضع خضوعاً تاماً ، وتغير حاله من حال إلى حال...!

أدخلوه المستشفى في الفاتح من سبتمبر ٢٠١٣م ليموت في يوم السبت الرابع عشر من نفس الشهر ، ومن قبل عام ١٩٩٥ في شهر أكتوبر بالتحديد كان يلزم له إجراء عملية قلب منهك من السياسة ومتاعبها ولا بد من تغيير أربعة شرايين مسدودين ، وبالفعل أجرى العملية بسلام ، ولم يرد أن يخبر ابنه الوحيد «باسل» قبل العملية بها خوفاً من زعله...! لكن الموت كان سيأخذه منا أثناء محاولة اغتيال مبارك في «أديس أبابا» ، ونجاه الله عزَّ وجل صاحب القرار الوحيد الذى لا يأتى إلا بإذنه ، فقد شاءت إرادة الله أن تنقذ الدكتور أسامة الباز من الموت المحقق ، لكن الدكتور أسامة لم ينس تلك اللحظات

الرهية المهيبة الصعبة ، وكان يحمد الله في كل وقت، خاصة عندما يسمع صوت ابنه «باسل» «باسل الباز» ابن الدكتور أسامة كان روحه وحياة قلبه ونور عينيه ، كما كان يقول عنه ، كان يحبه حباً جماً قطعة من روحه ، ولم يحب في الحياة كلها هذا الحب إلا للسيدة الفضلى والدته التي كانت تضعه دائماً في المرتبة الأولى عندها ، وتقول له باستمرار : قلبي وعقلي داعين لك يا ابني ، روح رينا يحبب فيك خلقه ، وكانت هذه الكلمات أحب الكلمات لأسامة الباز قيلت له في حياته ، أما والده فقد تعلم منه أسامة الباز الشموخ وحب العلم والدين والثقافة.

قال لي الوزير الأسبق حسب الله الكفراوي : لم أنس يوماً ذهبت فيه إلى منزل صديقي العزيز الغالي الدكتور أسامة الباز في كوبري القبة عند السيدة والدته حيث أغراني أن يكون اللقاء عندها لمناقشة بعض الأمور السياسية ، وكنت قد اتخذت قراراً بالاستقالة ، والدكتور أسامة الباز هو زميلي في مدرسة دمياط الثانوية ، وكان اللقاء معه في منزل ست الحباب أحسن ترضية لي ، يرحمها الله ، ومن المعروف أنها توفيت عام ٢٠٠٢ بعد أن أدت رسالتها كاملة نحو أبنائها وزوجها الجليل الراحل والدهم ، كانت صديقة لوالدة الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، وهما معاً من أعظم سيدات القرن العشرين ، كانت أم أسامة كما كان يناديها البعض تميل كثيراً لابنها الأكبر أسامة ، لم تكن تفرق في المعاملة بينه وبين أخواته ، إنها هي تدعو لهم جميعاً في كل وقت.

الكتاب حافل بقطوف من رحلة حياة وعمر الأستاذ الدكتور العزيز الغالي أسامة الباز ولقد حرصت أن أتبع حياته الأولى في مسقط رأسه دمياط ، ودراسته في مدارسها الابتدائية والأميرية والثانوية ، وكيف ربطت الوشائج بينه وبين علماء دمياط أثناء وجود والده أستاذاً بالمعهد الديني بدمياط ، كان رفيقه ، يعرفه على العلماء ، ويذهب به إلى الصالونات الأدبية والثقافية المنتشرة في دمياط في ذلك الوقت ، وسيجد القارئ العزيز في هذا الكتاب الكثير عن مشيخة العلماء بدمياط منذ أقدم العصور ، وهي المدينة التي وفد إليها عالم الأزهر الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز ، كذلك سيتعرف القراء على زملاء وأصدقاء هذا العالم الأزهرى الشيخ السيد الباز في دمياط ، مثل الشيخ محمد فراج العالم الجليل جدنا صاحب مدرسة «فراج» الهداية التي أسست في نهاية القرن

التاسع عشر-، وتولاها بعد ذلك والدنا المرحوم الشاعر والأديب والصحفي والمربي الجليل الأستاذ طاهر محمد فراج، كذلك بعض القطوف من أوراق الشاعر الدمياطى الكبير الأستاذ عبد الحق شرف الدين والد الوزيرة الإعلامية الدكتور درية شرف الدين - الصديق الحميم للشيخ السيد الباز، والذي كان يحب أن يسمع أشعاره، ويجد سعادة في ذلك، وفي نفس الوقت كان الشيخ السيد الباز صديقاً في دمياط للمربي الفاضل الجليل الأستاذ مأمون شرف الدين شقيق الأستاذ عبد الحق شرف الدين وعم درية شرف الدين، وكانت مجموعة بارزة في دمياط في الزمن الجميل الذى شهدته مع والده وأسرته الدبلوماسى الكبير الدكتور أسامة الباز - عاش أسامة في دمياط قريباً من الحركة الأدبية والثقافية، واستفاد كثيراً من النخبة أصدقاء وزملاء والده عالم الأزهر الجليل وحب الناس له، واستتعرف على مدرسة دمياط الثانوية للبنين التى درس بها الدكتور أسامة الباز وعاش فيها أحلى أيام حياته كما كان يؤكد للجميع، وأعجب أسامة الباز بمشاهير دمياط وأعلامها من الوزراء والأدباء والشعراء وغيرهم، ونال البطل الدمياطى رأفت المهجان «رفعت الجمال» احترامه وإعزازه وتقديره، وكان يتابع مسلسل التليفزيونى بشغف لأنه كان يعرفه شخصياً في دمياط.

وكان الدكتور أسامة الباز يسخر من النكت التى تطلق على الدمايطة بكل الافتراء ويؤكد أهل دمياط شطار وليس هؤلاء البخلاء على الإطلاق، ياريت كل مصر- مثل الدمايطة الذين عشت معهم وبينهم، وأعرفهم جيداً، والجميل أن أسامة الباز في آخر سنوات حياته رأى أن يزور دمياط، ويذهب مع السفير عبد الرؤوف الريدى إلى مدرسة دمياط الثانوية وهما معاً من زملاء الدراسة بها، ومعها الوزير حسب الله الكفراوى، والأديب الدكتور يوسف إدريس، والشاعر الإذاعى فاروق شوشة، وكان أسامة الباز أسعد إنسان وهو يذهب إلى الفصول التى درس بها يتلقى العلم في مدرسة دمياط الثانوية، والشئ الذى لا يعرفه كثيرون أن عشق أسامة الباز للخط العربى وفنونه كان عن طريق الشيخ الجليل محمد محمد عمر أستاذ الدين والخط العربى بالمعهد الدينى، وصديق والده وصاحب مدرسة عمر بعد ذلك، حتى أصبح أسامة الباز من رواد هذا الخط العربى يحضر- مهرجاناته ومؤتمراته، ويصبح رئيساً شرفياً لجمعيته، ويمنحه فنان الخط العربى

مسعد خضير شهادات متعددة من التقدير، ويتم تكريمه كثيرًا، واهتمامات أسامة الباز بالفنون والثقافة شعرًا وأدبًا كان جنبًا إلى جنب مع منصبه الحساس مستشارًا للرئيس الجمهورية يرسم سياسات الدولة ويوجه الرؤساء، وفي أوج نشاطه السياسي خاصة مع السادات في القدس وكامب دافيد، اعتذر عن قبول منصب وزير الخارجية، كان يرى أن يخدم مصر أكثر من خلال منصبه كمستشار رئيس الجمهورية السياسي، ويتيح له مساحة واسعة من التحرك السياسي والاجتماعي، ويتغلغل داخل المجتمع أكثر وهو الذي عاش حياته بين الناس بكل الحب.

وستتعرف على حكاية «جيمي» وأقول نجم الدكتور أسامة الباز.

ويمناسبتها ستعرض لأبو الأنوار، الذي تسبب في موت أم كلثوم! والعلاقة بين «جيمي» وجيجي وأسامة الباز وأم كلثوم، والألم الذي لحق بهما! وسنقترب كثيرًا من كواليس السياسة ودور أسامة الباز في أخطر أحداثها إن أسامة الباز كان:

المايسترو الذي لا يتكرر وشخصية فريدة وأسطورة نجاح، وكان في نفس الوقت بسيطًا متواضعًا في التعامل مع كل الناس، ومترفًا شريفًا، كان أسامة الباز أيقونة الدبلوماسية والمحبة الشعبية، كان اسمه يكفيه، وأعماله تحميه، كان الداهية السياسي العنيد، والمفاوض الصعب لصالح مصر، وصفوه بأنه صانع الملوك وراكب المترو، وقال عنه مبارك «المخلوع»، افتقدت حكمته وتوجيهه بعد اعتزاله السياسة..! كان رجل دولة من طراز نادر، وهو راهب الدبلوماسية، بل كان في وقت من الأوقات أشهر دبلوماسي في مصر.. وكان الصندوق الأسود ولأهم أحداث السياسة المصرية، واعتبر رمزًا مهمًا للوطنية المصرية والعربية، وهو رجل من قصر- الرئاسة يسير على قدميه في الشارع، يستقل مترو الأنفاق أو يستوقف تاكسيًا!

ولذلك كانت مصر- كلها في وداعه، وظهر نجوم السياسة والسلطة والمجتمع في وداعه يوم وارى جثمانه إلى مشواه الأخير، وتحديث زوجته بنت الأصول العريقة الإعلامية المصرية الكبيرة السيدة أميمة تمام، وقالت: إن رفضه «للتوريث» تسبب في استبعاده من الرئاسة! كما فتحت الكثير من خزائن أسراره.

بكل الاحترام والإعزاز تذكره.. ويكل الوفاء والتقدير والعرفان تتحدث عنه.

وخرجت جريدة الوطن الغراء تكشف أسرار ١٧ عامًا في حياة أسامة الباز عن طريق زوجته السيدة الفضلى أميمة تمام التي أكدت أنه توقع صعود الإخوان وسقوطهم سريعًا ، وأنه وصف الفريق أول عبد الفتاح السيسي بأنه محارب «الساموراي» ، وأعلنت أنها تفكر في إعداد كتاب ذكرياتها مع رحلة زواج مع أسامة الباز الأب والأخ والصديق وكل شيء ، كان هذا الكلام في الجزء الأول من كتابنا بين يديك عزيزي القارئ .. عزيزتي القارئة .

●● والآن نذهب إلى الجزء الثاني الذي لا بد من التعرض لما فيه ، لأنه كان مشار أحاديث كثيرة حول زواج قيل أنه تم بين هذا العملاق السياسي الكبير أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد التي أعلنت بنفسها في مصر. وخارجها عن طريق الصحف والمجلات أنها تزوجت من أسامة الباز ، واستمر هذا الزواج تسع سنوات كاملة ، وأنه كان زواج الحب بعيدًا عن السياسة!

وقبل الخوض أكثر في هذا الجزء الثاني ، نعرض للحياة الخاصة للرؤساء والملوك وكبار المسؤولين بأدق تفاصيلها ، لأنها تستهدف الكثير ، وهي مادة بشرية ، ولذلك يحرص المسؤول على إحاطتها بسياج من السرية والتكتم الشديدين! ونعرض لمقولة «تولستوي»: لن تستطيع معرفة حقيقة أى امرأة ، إلا بعد أن تتأكد أنهم أغلقوا عليك باب قبرك بإحكام!!!

وأقول: إن الدكتور أسامة الباز رجل دولة وأسرّة من الطراز الأول ، فكيف ولماذا تم هذا الزواج بينه وبين الفنانة الشهيرة ؟ وأين الحقيقة الغائبة حتى هذه اللحظة في قصة هذا الزواج؟!

وأسامة الباز في حياته أحب زميلته الطالبة بمدرسة اللوزى الثانوية للبنات ، كانت معه في برامج أوائل الطلبة والطالبات تمثلان دمياط وهي إحدى بنات الأسر العريقة في دمياط ، كان يحترم فيها العلم والخلق ومكاتها في الأسرة الكبيرة الأشهر في دمياط ، هكذا أخبرني أحد الأصدقاء من جيله في دمياط ، متع الله بالصحة والعافية ، ولولا أنه غادر دمياط بعد حصوله على التوجيهية لكلية الحقوق لتزوجها على الفور ، كان بينهما كل المودة والاحترام ، وليس الحب بلغة هذا الزمان ، وأحب أسامة الباز شجرة الدر ، وكليوباترا - هما امرأتان أحبهما كثيرًا لمنزلتهما في التاريخ - وبالتالي فإن الحب الحقيقي في حياة

أسامة الباز كان لفتاة دمياط وشجرة الدر وكليوباترا ، ويأتى أى حب بعد ذلك أقل كثيرًا من حبه للسيدة والدته التى كان يقبل يديها ويطلب دعائها ، ونعرض للحكمة التى تقول: ما ضاعت أمة على طريق الحياة .. إلا وكان السبب فى ضياعها .. كأس .. ووتر .. وامرأة!

وأن النساء أيضًا يحكمن العالم ، ونشير إلى قصة كريستين كيلر التى أطاحت بوزير الحرب البريطانى ، وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها..! وحكاية فاروق وكاميليا - وهى قصة غرام هزت عرش مصر - ..! وكانت جميلة وفنانة تعتبر إحدى جميلات السينما المصرية .. وستظل قصتها مع ملك البلاد فاروق ومصر عها للغز .. تمثل حديثًا وجدلاً لا ينقطع..!

وقصة الفنانة برلتى عبد الحميد، ولماذا اختارت أن تتزوج من المشير عبد الحكيم عامر ، وفى الجزء الثانى الهام نكشف عن زواج نبيلة عبيد وأسامة الباز بأقوال نبيلة عبيد نفسها ، وكل كلمة موثقة تمامًا، لأن الأمر حساس للغاية ، وأنا نفسى فى حيرة من الأمر ، وحتى الآن أقول: ما حقيقة هذا الزواج؟

أعرف تمامًا سعى الطبيب الأشهر فى المخ والأعصاب لنيل رضا نبيلة عبيد، وقصة الحب الشائعة بينهما فى وقت بعيد من الزمان، وحكاية وزير الثقافة الأسبق البعيد عن وزارة الثقافة فى الزمن الحالى ، كان يسعى أيضًا للحب مع نبيلة عبيد، وغيره وغيره وغيره! لكن أنا هنا أعرض لشيء محدد قائم عندى على إحساس ما نشر- فى بعض الصحف والمجلات على لسان نبيلة عبيد من أنها تريد أن تحب وتتزوج وتنجب أولادًا..!

أقول تحديدًا: بناء على هذه الوثائق المنشورة هنا فى الكتاب: يا عزيزتى نبيلة عبيد، وتعرفين كم أقدرك، وعلاقتى القديمة بك كصحفى أجرى معك عشرات اللقاءات الصحفية :

ما هو تاريخ زواجك من الدكتور أسامة الباز ؟

وهل كان زواجًا عرفيًا أو زواجًا رسميًا على سنة الله ورسوله؟

أرجوك انشرى وثيقة الزواج بالحقيقة.. لأنها مسألة تتراقص بشأنها علامات

الاستفهام بقوة؟؟؟؟

الزواج حلال..

لكن إخفاء الحقيقة الكاملة في زواجك من أسامة الباز هو الخطأ..! لأن أسامة الباز شخصية كبيرة وعزيزة ومؤثرة وهامة جداً في حياة المصريين ، بل والعرب، بل والتاريخ، والحب ليس عيباً ، وإذا كان أسامة الباز تزوجك بالفعل ، فأشهرى لنا يا سيدتى وثيقة الزواج..! وأسامة الباز لم يرتكب والعياز بالله ما يغضب الله ، هو أحب في هذه الحالة وتزوج، وأنت كذلك فعلت نفس الشيء ، لم يرتكب أحدهما أى خطأ - فقط نريد الحقيقة خاصة أن الأمر شائع بين الناس، ولأسامة الباز زوجة فاضلة، شخصية عامّة، ومذيعة تليفزيونية شهيرة ، ونجله الوحيد المهذب المحترم صاحب المنصب الرفيع، وشقيقه العالم الكبير الدكتور فاروق الباز ، ومن حق هؤلاء وأنا معهم ، لأن الدكتور أسامة الباز كان صديقاً لي ، ووالده صديقاً لوالدى وجدى فى دمياط ، من فضلك يا مدام نبيلة أو بلبله كما نناديك من الزمن البعيد اجعلينا نقف على الحقيقة الغائبة فى قصة زواجك من أسامة الباز ، لأنه وأنت أيضاً من الشخصيات العامة الكبيرة ، ومن حق الناس التعرف على هذه الحقيقة الغائبة!

وأكرر : متى تحديداً تم هذا الزواج؟

لقد كنت فى لقاء معك عام ١٩٩٤م نشرته لك فى ملحق الأنباء بالكويت، قلت فيه:
أحلم بالزواج والبيت المليء بالأطفال..!

فى عام ٢٠٠٠ نشرت مجلة الكواكب:

زواج نبيلة عبيد.. التفاصيل الكاملة!

بالطبع لم يكن زواجك من الدكتور أسامة الباز ، وإنما من رجل آخر..!

وفى عام ٢٠١٢ تحت عنوان «نبيلة عبيد وعشاقها»، وجهت لك نداء بضرورة الإفصاح عن حقيقة زواجك من أسامة الباز كما تقول الشائعات حتى الآن! وكان ذلك فى جريدة صوت الأمة الغراء .

وتحت عنوان الفنانة والسياسي..

نشرت مجلة الإذاعة والتلفزيون فى ٢١ من سبتمبر ٢٠١٣ تحت هذا العنوان: لأول

مرة .. نبيلة عبيد تعترف:

التجوزت أسامة الباز بموافقة مبارك!..

ونشرت مجلة كلام الناس تحت عنوان:

نبيلة عبيد وأسامة الباز «القصة الكاملة» - كان ذلك في أكتوبر ٢٠١٣، وفي سبتمبر ٢٠١٣ أيضًا عادت مجلة الإذاعة والتليفزيون لتنشر تحت عنوان في بيت نجمة مصر. الأولى .. أسرار تنشر لأول مرة عن الزواج الأسطوري! وأقول لنبيلة عبيد أى زواج أسطوري هذا الذى لا نعرف عنه شيئًا .. يا ست نبيلة الدكتور أسامة الباز فى رحاب ربه الآن، ولن ينهض من قبره رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته ليقول والله العظيم ما كان زواجًا أسطوريًا على الإطلاق!.. وهذه هي الحقيقة كاملة!..

وتداولت فى الأوساط الفنية والسياسية أن قصة إحسان عبد القدوس الراقصة والسياسى، تروى أساسًا قصة نبيلة عبيد وأسامة الباز، حيث مثلت نجمة مصر. الأولى، كما يُعرف بطولة هذا الفيلم عن القصة، والشيء الذى يجب أن يعرفه الجميع أن الأستاذ إحسان عبد القدوس رحل عن الدنيا قبل أن ينطق أى إنسان بقصة حب وزواج نبيلة وأسامة! وعرفنا أيضًا من الشائعات أن أسامة الباز رفض أن يطلق نبيلة عبيد بناء على طلب الرئيس الأسبق مبارك! لأن هذا أمر شخصي!..

ثم تقول أخيرًا نبيلة عبيد:

تزوجت أسامة الباز تسع سنوات كاملة حب بلا سياسة، وكان الدكتور أسامة الباز اعتزل العمل السياسى ليتفرغ للحب!.. ما هذا الهراء!؟!

إن ما يقال يسيء إلى هذا الرجل العظيم!

ما معنى أن يتفرغ أسامة الباز فى هذه المرحلة من حياته التى شهدت تضحية السياسى واعتزاله السياسة لقصة حب مع ممثلة شهيرة مع احترامنا لها، وهو متزوج من إذاعية لامعة وتليفزيونية شهيرة، وما معنى أن يختار أسامة الباز الحب والغرام بديلًا لمنصبه كمستشار سياسى لرئيس الدولة منذ عهد السادات إلى عهد مبارك؟ إن ما تقوله نبيلة عبيد بأنها فوق السياسة وفوق شغف هذا الرجل المنهك سياسيًا أسامة الباز، ولأنه أحبها حبًا جمًّا يارسان معًا لعبة الحب والغرام بعيدًا عن لعبة السياسة! هو إساءة للرجل بكل المقاييس!..

مشيخة العلماء بدمياط منذ أقدم العصور

المدينة التي وفد إليها العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد
الدكتور

أسامة الباز

وقام بالتدريس فيها بالمعهد الديني

من أعلام دمياط في القرن الخامس عشر- فقيهان من آل «البهوتي» ومن علماء الدين والفقهاء واللغة، ترجم لها السخاوى في «الضوء اللامع» بإيجاز شديد: واحتجبت عنا آثارهما أو ضاعت.

أما الأول فهو «خليل إبراهيم البهوتي» المولود بدمياط عام ٤٣٢م، والثاني هو «عبد السلام موسى البهوتي» المولود بدمياط أيضًا «١٤٣١- ١٤٩١م»، ونشأ بها، وحفظ القرآن عند أبيه، إمام مسجد البدرى، ويقول السخاوى إنه.. «كتب بخطه شيئًا كثيرًا حبس جميعه على بنيه»، وتعرف في أواخر صفر سنة ٨٩٦هـ، ودفن بجوار الشيخ فاتح بترية الشرفاء بنى عجلان، وله من العمر نحو ستين عامًا.

ومن شيوخ الدين والفقهاء الذين عاشوا في القرن الثالث عشر الميلادي:

جلال الدين بن شاس شيخ المالكية، وصاحب كتاب «الجواهر الثمينة في المذهب»، ومات بدمياط مجاهدًا عام ١٢١٩م، والفرننج محاصرون لدمياط.

وأبو الحسين بن الجراح المتوفى بدمياط عام ١٢١٩م في أثناء حصار الفرننج أيضًا، وكان فاضلاً وأديباً شاعرًا، سمع الحديث بالأسكندرية، وحدث وسمع الناس عنه.

وعبد السلام الخراط «١١٧٥- ١٢٢٢م»، وقد رحل إلى بغداد، ففقه بها، ورجع إلى دمياط، فأقام بها قاضيًا ومدرسًا.

ومنهم عبد الواحد بن ظافر الدمياطى «٥٥٦- ٦١٣هـ»، وكان إمامًا فقيهاً متكلمًا، وشمس الدين محمد الدمياطى المتوفى عام ١٢٩٤م، وهو غير شمس الدين الدمياطى المتصوف الذى عاش في القرن السادس عشر، وترجم له بوضوح الشعرانى في طبقاته، وعبد السلام بن عبد الناصر المتوفى عام ١٢١٦م، وأبو القاسم ابن البورى الدمياطى المتوفى سنة ١٢٠٣م.

وقد أنجبت دمياط عددًا وافراً من الكتاب والأدباء والمؤلفين الأذكياء، ولم تكن الكتابة في الغالب مهنتهم، فمنهم العالم الدينى، ومنهم غير ذلك، ونذكر منهم العلماء الدينين:

الشيخ محمد الخضرى الدمياطى (١٧٩٨-١٨٧٠م):

وهو الإمام شمس الدين محمد بن مصطفى بن حسن الخضرى الدمياطى، الشافعي،

شيخ العلماء بدمياط، ولد في حدود عام ١٧٩٨م أيام احتلال جيوش نابليون لمصر، ودرس بالأزهر فترة، ثم عاد لبلده، واشتغل بصناعة الحرير وبيعه، ولكنه كان شغوفًا بالتأليف والتعليم والإرشاد، وتخرج على يديه عدد من أفاضل العلماء بدمياط، ومن كتبه: رسالة في تفسير مبادئ القرآن، وشرح لكتاب «اللمعة في حل الكواكب السبعة»، وشرح لكتاب «زاد المسافر»، وله في النحو حاشيته على شرح ابن عقيل، وشرح في الميراث، وكثير غيرها.

وقد تولى مشيخة العلماء بعده، ولد الشيخ عبد الحى الحضري.. الذى ظل في المشيخة حوالى الثلاثين عامًا، وبعد وفاته أعقبه في مشيخة العلماء ولده الشيخ عبد الرحمن الحضري، وظل بها أكثر من ثلاثين عامًا أيضًا، وفي عهده أنشئ النظام الحديث بمعهد دمياط، وفي نوفمبر ١٩٤٧م تولى مشيخة معهد دمياط الأستاذ الشيخ أحمد كامل عبد الرحمن الحضري، حفيد الحضري الكبير، وقد تولى مشيخة المعهد الدينى بدمياط عام ١٩٤٧م، وكان للشيخ عبد الحى الحضري المتوفى عام ١٣١١هـ عدة مؤلفات منها: رسالة في الإسراء والمعراج، وتعليقات على بعض الكتب الكبيرة، وللشيخ عبد الرحمن الحضري أبحاث كثيرة منها: «القول الصحيح في آيات المسيح»، ورسالة في ليلة القدر، وجزء كبير من تفسير القرآن أو رسالة في المولد، وتوفى رحمه الله في ٣٠ يونية ١٩٢٤م، وقد ولد الشيخ أحمد كامل الحضري بدمياط عام ١٩٠٢م، وانتسب إلى الأزهر عام ١٩٢١م، ونال شهادة العالمية بتفوق عام ١٩٢٦م وعين مدرسًا بمعهد دمياط سنة ١٩٢٨م، فمدرسًا بكلية الشريعة عام ١٩٣٨م، ثم عين شيخًا لمعهد دمياط في عام ١٩٤٧م، فأنشأ به قسمًا ثانويًا، ومن مؤلفاته:

التهذيب في علم الفقه، والنحو الحديث، ورسالة التوحيد، أيضًا الموارد الإسلامية، ونهاية المأرب، وله مقالات وأبحاث كثيرة، وأنجبت أسرة خفاجى أو خفاجة، كما كانت تكتب في الماضي البعيد عددًا من رجال الدين والفقه واللغة والأدب.

ونذكر اثنين من كبار الأعلام المحدثين وهما:

الدكتور على مصطفى مشرفة (١٨٩٨ - ١٩٥٠م):

ولد بدمياط في ١١ يولية ١٨٩٨م، وتلقى تعليمه الابتدائي بمدريستها الأميرية، ومن

قبلها بمدرسة الهداية الأولية (فراج) التي أسسها العالم الجليل الشيخ محمد فراج الحاصل على العالمية، وصاحب الصيت المدوي في حبه للدين والعلم، ونشر- ذلك في دمياط مسقط رأسه، وله فيها مكاتنه المرموقة، ثم انتقل مشرفة إلى مدرسة الكتبي الشهيرة باسم مدرسة «البنون والبنات» لصاحبها المربي الجليل الأستاذ أحمد الكتبي، وفي ذلك قصة طريفة نذكرها بإيجاز عندما جاء الأستاذ أحمد الكتبي لمقابلة الشيخ محمد فراج في مدرسته، وقال له: أرجوك يا شيخ محمد تعيرني التلميذ على مصطفى مشرفة غداً في المدرسة عندي، لأن المفتش سوف يحضر-، وأنا أريد أن يكون هذا التلميذ النابغة عندي - على سبيل السلفة!

وضحك جدي الشيخ محمد فراج، ووافق على الفور، كانت المسألة سهلة، وكلها من أجل العلم وإبراز النجباء فيه، لكن المفتش اكتشف اللعبة بذكاء!

عندما زار بالفعل مدرسة الكتبي، ووقف هذا التلميذ على مشرفة يجيب على أسئلته، وعلى الفور تذكر أنه في الأسبوع الماضي ناقش نفس التلميذ النجيب، وذهل من فرط تفوقه ونبوغه، وكان ذلك في مدرسة فراج، وكشف عن ذلك للأستاذ أحمد الكتبي صاحب وناظر مدرسة الكتبي، الذي اعترف له بما حدث، وأنه سوف يرسل التلميذ فور مغادرته مدرسته إلى مدرسة الشيخ محمد فراج مدرسة الهداية «فراج»، وأنه أخذه على سبيل السلفة فقط فخوراً بعلمه وتفوقه ونبوغه! وضحك المفتش وسامحه، لكن على سبيل العقاب لم يترك الأمر هكذا، والتلميذ مقيد في صفوف مدرسة فراج، فقرر أن يبقى على طول في مدرسة الكتبي، ليحرم جدي الشيخ محمد فراج من إعانة التلميذ النابغة على مصطفى مشرفة، فقد كان نظام محاسبة المدارس الأولية في ذلك الوقت من الزمان الجميل بالتلميذ، أي بالعدد، ونسبة ضئيلة للمعرفة، لأنهم جميعاً أي التلاميذ كانوا من النابغين المتفوقين الفالحين الصالحين.

هذه قصة كان الأستاذان الجليلان مأمون شرف الدين وشقيقه عبد الحق شرف الدين يتحدثان عنها في حديث ذو شجون، بكل الاحترام والفكاهة لأنها من أصدقاء الطرفين الكتبي وفراج، الجميل أن هذا التلميذ النابغة هو بعينه العالم الكبير الدكتور على مصطفى مشرفة، وكان العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز وهو صديق كل

هؤلاء أيضًا يتندر بها، ويذكرها في كل وقت، وكيف كان العلم وأهله، يرحمهم الله جميعًا. ونستمر في عرض مشوار مشرفة بإيجاز: تابع تعليمه الثانوي بالقاهرة، والتحق بمدرسة المعلمين العليا، وتخرج منها عام ١٩١٧ م، ولم يبلغ العشرين من عمره، ثم أرسل في بعثة إلى إنجلترا حيث حصل من جامعة لندن على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٢٣ م، ثم حصل على الدكتوراه في العلوم عام ١٩٢٤ م، ولما عاد إلى مصر عام ١٩٢٣ عين أستاذًا للرياضيات بمدرسة المعلمين العليا بمصر. ثم اختير أستاذًا للرياضة بجامعة القاهرة، وفي عام ١٩٣٦ م انتخب عميدًا لكلية العلوم بجامعة القاهرة، وقد ذاعت شهرته كعالم رياضي وكفلكي وباحث في نظريات النسبية والذرة والكم، واستطاع أن يضيف جديدًا إلى نظرية النسبية، ونظرية الكم، وأبحاث العلاقة بين المادة والإشعاع، ونشر أبحاثه الأولى في المجلة الفلسفية بإنجلترا، وفي مجموعة الأعمال الملكية بلندن «وفي عام ١٩٢٩ م أحدث نشره لبحثه الهام عن المادة والإشعاع رجة في الأوساط العلمية، وقد أعلن فيه أن المادة والإشعاع شيء واحد، وليست المادة سوى نوع من الإشعاع المتجمد، وكان مهتمًا في سنته الأخيرة بتعميم نظرية أينشتين الشهيرة، وبالأبحاث الذرية.

ومن اهتمامه بكل هذا، واشتغاله بالعلوم، كان من أنصار اللغة العربية، الذين عملوا على النهوض بها كلغة للعلم، كما عمل في نشر الثقافة العلمية المبسطة عن طريق المقالات والإذاعات والمحاضرات، وله في ذلك ما يزيد على ثمانين مقالة ومحاضرة، وأنتج لمصر والعالم خمسة وعشرين بحثًا، وله عدة مؤلفات علمية باللغة العربية.

وكان أيضًا أديبًا ومفكرًا، وفيلسوفًا يقرأ الشعر، ويعزف على الكمان، ويكتب المقالات الأدبية في الصحف والمجلات، وتوفي إلى رحمة الله بالقاهرة في ١٦ يناير ١٩٥٠ م، فنعته الأوساط العلمية في العالم أجمع وإينشتين نفسه.

لم يكن الشيخ السيد الباز موجودًا في دمياط أثناء حياة علي مصطفى مشرفة، ولكنه علم بحكايته من أصدقائه الشيوخ والعلماء وكان يقول: يارب أجد من أبنائي واحدًا مثل الدكتور علي مشرفة، ولم يكن يعرف أن ابنه الدكتور فاروق الباز هو عالم الجيولوجيا بوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) الآن في عام ٢٠١٣ م، وكان السساء قد استجابت له بالفعل.

الجميل أيضًا أن الدكتور أسامة الباز سألتني: هل قدمت للمكتبة.. شيئًا عن حياة

الدكتور على مشرفة..؟

قال ذلك وهو يتابع مؤلفاتي التاريخية وأبرزها عن علماء وأعلام دمياط، المدينة التي أحبها، وكان يؤكد أن أحلى أيام حياته كانت فيها، وفي إطار الوفاء الدائم منه لدمياط استفسر. منى عن ضرورة إلقاء الضوء أكثر عن هذا العالم الكبير الدكتور على مشرفة في عدة مؤلفات وليس في مؤلف واحد عنه، واقترح على تقسيم حياته إلى عدة أجزاء مجموعة من الكتب الصغيرة كل كتاب منها في زاوية على سبيل المثال:

كتاب السيرة الذاتية مبسطة، كتاب اهتمام بالعلوم وتفوقه وتألقه كتاب اهتمامه باللغة العربية والفنون والموسيقى جنباً إلى جنب - وعندما قلت له: لقد انتهيت بالفعل من كتابي الشامل عن حياة الدكتور على مشرفة، لم يتردد في القول، هذا جميل، ويجب أول ما يوزع يوزع على تلاميذ وطلاب المدارس في دمياط نموذجاً للطلاب الدمياطي المتفوق، يجب أن يكون باستمرار عندنا المثل الأعلى أمام الصغار كقدوة، نحن نحتاج لذلك في هذا الوقت من الزمن الذي نعيشه، افتقدنا المثل الأعلى - وهذه مسألة أراها في غاية الأهمية - الأجيال يجب باستمرار أن يتصدرها هذا المثل الأعلى، والمجتمع في أشد الاحتياج لهذا، ولو أدركت كل محافظة في مصر. معنى هذا، وتفهمت وجهة نظري لأمر كل محافظ بسد الفراغ الرهيب في مكتبات المدارس والكليات والجامعات الإقليمية، الناتج عن خلو هذه المكتبات من الرموز والأعلام في كل محافظة على حدة، حتى يتعرف الطلاب والكليات على المثل الأعلى باستمرار سواء كان ذلك في العلوم أو الفنون أو الشعر أو الأدب أو السياسة أو الثقافة وإلى غير ذلك في دمياط المدينة الساحلية الهادئة الجميلة التي عاش فيها الدكتور أسامة الباز بحكم عمل والده فضيلة المرحوم الشيخ السيد الباز من علماء الأزهر الشريف في المعهد الدينى بدمياط مع صفوة من العلماء المرموين منهم الشيخ محمد فراج، والشيخ محمد على عبد الرحمن والد الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطي»، وقد شهدت دمياط في مختلف العصور عدداً من شيوخ الدين والمتصوفة، الذين ذاع ذكركم، وكان لهم أتباع ومريدون، وكان بعضهم من أهل دمياط وأبنائها، كما كان البعض الآخر يقصدها من سائر المدن والأقاليم، وتتخذها رباطاً ومقاماً، وما يقال عن المتصوفة، يقال أيضاً عن نفر من شيوخ الدين والفقهاء واللغة الذين نبغوا من أهلها أو جاؤوا لاستيطانها،

وكان أقدم شيوخ في الدين بدمياط بعد الفتح الإسلامي ممن وصلنا شيء من أخبارهم، الشيخ «شطا بن الهاموك»، الذي استشهد بقرب دمياط عام ٦٤٢م أيام الفتح العربي لمصر. ودُفن بقرية شطا وما برح قبره هناك يزار إلى اليوم، وتقوم شهرته على تلك القصة المشهورة التي تدور حول إسلامه وانضمامه إلى الجيش العربي، وقد استشهد في القتال.

بكر بن سهيل الدمياطي:

وكذلك كان من أقدمهم بكر بن سهيل الدمياطي، الشيخ الراوى المحدث الذي عاش في القرن التاسع للميلاد، وقد مضى على الفتح العربي لمصر. نحو قرنين من الزمان، ولد عام ٨١١م في أيام خلافة المأمون، وتوفي بدمياط عام ٩٠٢م، وقد نيف على التسعين، وكان كثير الأسفار، تنقل بين مصر والشام والحجاز، ونسبت إليه الأحاديث التي تعلى من شأن دمياط والإقامة بها، والاستشهاد وفي أرضها، ومن الشيوخ الذين عاصروه في صباه: عبد الرحمن بن أبي جعفر الدمياطي، وكانت له مؤلفات، وتوفي عام ٢٢٦هـ - ٨٢٦م على ما رواه الأسيوطي.

فاتح الأسمر:

أما فاتح بن عثمان الأسمر التكروري المعروف بأبي المعاطي فقد نسب إلى دمياط، ولكنه لم يولد بها بل جاءها من مراكش حوالي عام ١٢٧٩م، وتوفي بها عام ١٢٩٦م ولا يزال ضريحه يزار إلى الآن في دمياط، وأمسى منذ نزوله وما برح، علماً من أشهر أعلامها، لا يذكر اسمه إلى مقروناً بدمياط، وخير من قدم وترجم «لفاتح» هو المؤرخ المقرئ، فقال في خطه: إنه قدم إلى دمياط على قدم التجديد، وسقى بها الماء في الأسواق احتساباً من غير أن يتناول من أحد شيئاً، ونزل أولاً في ظاهر الثغر، ولزم الصلاة مع الجماعة، وترك الناس جميعاً، ثم خرج إلى جزيرة تونة ببحيرة المنزلة، وكانت مدينة عامرة ثم خربت..!

فمكث بها نحو سبع سنين ورم مسجدها، ثم عاد إلى دمياط، وظل بها، إلى آخر حياته، لم يتركها إلا للحج، وكانت إقامته بجامع عمرو، في وكر بأسفل المنارة، حتى اشتهر هذا المسجد باسم جامع فاتح أو مسجد «أبي المعاطي» - وأخذ في ترميم هذا المسجد وتنظيفه بنفسه، وبلط صحته وسبك سطحه بالجبس، ورتب فيه إماماً، وكان

المسجد منذ خربت دمياط عام ١٥٠م لا يفتح يوم الجمعة، ثم تزوج آخر عمره بامرأتين يأتي إليهما أحياناً قليلة، وترك بعد موته ولدين ليس لهما قوت ليلة، ودفن بجوار الجامع، وضريحه هناك إلى اليوم.

وقد أسهب المقرئ في وصف صفاته وزهده وكرمه وإحسانه، وكان يقرأ في المصحف، ويطالع الكتب، ولم يره أحد يخط بيده شيئاً، ولم يعمل له سجادة قط، ولا أخذ على أحد عهداً، ولا لبس طاقية، ولا قال: أنا شيخ ولا أنا فقير..

الحافظ شرف الدين (١٢١٦ - ١٣٠٦م):

ويعد هذا العالم الفقيه الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي اسابع الهجري - من كبار الأعلام الحفاظ، والمؤلفين الثقات، الذين ذاع صيتهم في الشرق العربي، حتى لقد وردت سيرته في أكثر من عشر من أشهر المؤلفات العربية القديمة، وأطب المؤلفون في مديحه، وخلعوا عليه أجمل الصفات.

وهو الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الهمداني، الشافعي، ولد عام ١٢١٦م بجزيرة تونة ببحيرة المنزلة، وكانت حتى ذلك الوقت بلدة عامرة قريبة من تينس ودمياط، ثم خربت دمياط كسائر مدن المنزلة، وارتحل منها صبيّاً إلى دمياط، وكانت جيوش «جان دي برين» قد رحلت عنها، ونشأ بدمياط، وتعلم، وسمع بها دروس المذهب، ولما بلغ الثالثة والعشرين خرج من بلده ليجوب في مختلف المدن والمراكز والقرى، وكانت قرية البستان في دمياط من أشهر المناطق التي عاش فيها ويعتبرها بستاناً من الخضرة والثمار البانعات، ولفت نظره فيها صفاء المناخ وجودة التعامل وإخلاص الأيدي العاملة للأرض والدواب، وجاب بعد ذلك مختلف الأقطار العربية طلباً للعلم والتحصيل، وأقام بدمشق مدة يمارس التعليم، ثم سمع بحلب وحماة وسافر إلى العراق مرتين، حيث حدث وصنف الكتب، وعاش تسعين سنة قضاهما في التعليم والتأليف، ثم توفي بالقاهرة في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٧٠٥ هـ - ١٣٠٦م، ودفن بمقبرة باب النصر.

ومن مؤلفاته: المعجم في سفرين، وكتاب قبائل الخزرج، والأربعون المتباينة الإسناد في حديث أهل بغداد، وفضل الخيل، وكثير غيرها إذ يقول ابن شاعر الكتبي: «أنه حمل

على الطعائن عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة».



وإذا كنا قد تحدثنا عن الجذور مثل العالم الجليل الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز، نقول أيضاً بمناسبة الحديث عن العالم الفقيه الذي ذاع صيته في الشرق العربي وارتبط بدمياط، وهو الشيخ الجليل الحافظ شرف الدين، نشير إلى العلاقة الوثيقة التي ربطت آل شرف الدين في البستان دمياط فروع وأغصان وثمار شرف الدين الكبير منذ مئات السنين حتى تحديداً نهاية القرن التاسع عشر- وبدايات القرن العشرين، ونوضحها بأن هناك علاقة وطيدة بين آل شرف الدين وأسرة العالم الشيخ السيد الباز.

حيث ربطت صلوات وثيقة بين الأستاذين الجليلين عبد الحق شرف الدين ومأمون شرف الدين وهما من كبار أهل العلم والدين والشعر والأدب في دمياط، مع الشيخ السيد الباز والد الدكتور أسامة الباز، وهى صلوات أدركها أهل المنزلة الرفيعة في دمياط مثل جدنا العالم الجليل الشيخ محمد فراج ووالدنا الجليل الأديب والشاعر ورجل العلم البارز والصحفى الأستاذ طاهر محمد فراج، وارتبط جدى ووالدى فى نفس الوقت بنفس الصلوات الوثيقة محمد العالم الجليل الشيخ السيد الباز ومع الأستاذين العزيزين عبد الحق شرف الدين ومأمون شرف الدين، والأول هو والد المديعة الشهيرة الدكتورة درية شرف الدين التى أصبحت وزيرة أيضاً، كما أسلفنا فى الإهداء وغيره من الكلام. وتلك هي الجذور

والشاعر والأديب عبد الحق شرف الدين ولد بقرية البستان حاملاً لقب الشيخ الجليل الحافظ شرف الدين فى عام ١٨٩٧ م ميلادية - فى دمياط والده هو العالم الشيخ على شرف الدين الحاصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩١٨ م مع جدنا الشيخ محمد محمد فراج - تخرج فى كلية دار العلوم سنة ١٩١٨ م وهى السنة نفسها التى حصل فيها والده على شهادة العالمية وربطته قبل أن يأتى إلى دمياط الشيخ السيد الباز صداقة وطيدة استمرت فى دمياط.



العالم الجليل الشيخ محمد محمد فراج
صاحب وناظر مدرسة «فراج» الهداية
«جد المؤلف»

كان الدكتور أسامة الباز يذهب إليها يتعلم فيها القرآن الكريم
أثناء فصل الصيف على يد صاحبها الشيخ محمد فراج
الصديق الحميم لوالده



صورة لتلميذات مدرسة الهداية فراج، وفيها يقف الشيخ محمد يقف محمد فراج على يساره بالصورة وخليفته الأستاذ طاهر فراج ابنه الأكبر



الراحل الأستاذ ظاهر محمد فراج

والد المؤلف

وصاحب المدرسة ومديرها بعد ذلك حتى وفاته في ١٥ من مايو عام ١٩٦٣م

ديوان الشاعر والأديب
عبد الحق شرف الدين



أحاسيس الحياة

في ديوانه أحاسيس الحياة:

راقه اجتهادها وكمالها مشجعاً لها ، وداعياً لها بالتوفيق .
قصيدة الشاعر الكبير عبد الحق شرف الدين في ابنته
الحبيبة درية شرف الدين ، التي أصبحت بدعواته وزيرة
الإعلام في جمهورية مصر العربية عام ٢٠١٣ - ٢٠١٤ م .

درية شرف الدين

لدرية المجد تلقاه دوما	حباها الإله نساء ونعمى
وعاشت بخير طوال الحياة	تفوق اللدات ذكاء وفهما
من النبل صيغت فكانت مثالا	لخلق كريم على الفضل نما
فكم من عويص تطامن لما	تبدت بلسب يحل المهما
وكم من دروس تعاصت	بفضل نجابتها لا تعمى
ويعجبنى البر ألقاه فيها	إذا ما رزنت بوعدك ألما
هنالك ألقى الحنان الرفيع	وفیضا من البر ألقاه جما
تطيع الإله وتبغى رضاه	وفرض الصلاة تؤديه حتما
فيارب أبلغ فتاتي المراد	وأسبغ عليها النعيم الأعما

قلتها في ابنتي درية ، وقد راقني اجتهادها وكمالها مشجعاً لها ، وداعياً لها بالتوفيق .



الدكتورة دينة شرف الدين وزيرة الإعلام

قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ عبد الحق شرف الدين في
رثاء والدنا المرحوم الأستاذ طاهر محمد فراج .. صديقه
الحميم تحت عنوان «نجم أفل» ، قالها عام ١٩٦٣م في تأثر
شديد عقب وفاة والدنا .. يرحمهما الله.

نجم أفل

رحم الله طاهراً وأثابه
سار لله طاهراً مشرق الصفحة
تتلقاه الملائك العُرب بالبشر
في فراديس جنة قد أعدت
مهرجان على السماء وفي الأرض
كان والله في البرِ هماما
كان والله في الحياة سراجا
كان والله في الرجال أريبا
قد عرانا الوجيب يوم سمعنا
ما ظننا فجيعة في حسام
أى ثكل أصابنا يوم أبنا
هالنا الرزء مفجعاً ومخيفا
نذرف الدمع ساكبا وسخينا
ثم أبنا إلى الصواب حزاناً

قد دعاه إلهه فأجابه
يحدو إلى الكريم ركابه
وتُنهى إلى المتقين إيابه
لمنيب يظل يلقي طلابه
نحيب يشيع فينا عذابه
يألف الخير مخلصا في صلابه
مشرق النور لا يضل صحابه
يستبيننا إذا سمعنا خطابه
إن وعكا من السقام أصابه
ظل يُسنى فرنده وقرابه
نتلقى من النعى مصابه
وبقينا بحسرة وصبابه
أرأيت الآتى يُدى عابه
حين قفر الحياة أبدى سرا به

يا صديقى من القديم ومن كا
أترانى مقصرا فى رثاء
إن دأبى على الزمان وفاء
ليس من عاش ناسيا فضل خدن
أيها الراحل الذى كان جبي
ناسها الآن فيهمو من تراه
ليس يهوى سوى الوقعة والختل
ما أردت البقاء فيهم طويلا
عدت لله تبتغى دار خلد
نظر الله تربة صرت فيها
ن على الود يستعيد حسابه
حين ريب المنون أزجى حرابه
سأوفيه حقه ونصابه
بخليق بأن يساوى ذبابه
قد تركت الحياة وهى دعابه
يحمل الضغن ويزرى بالقرا به
ويؤلى مكاييدا وخلابه
فتركت الغوى ينسى متابه
وأمان لمن أعز كتابه
وسقتها من النعيم سحابه

* اطلع الدكتور أسامة الباز على هذه القصيدة في الدنا وترحم عليه كثيرا فقد كان يعرفه ويتذكر لقاءات معه في وكالة

محرم بجوار «مسجد البحر».

ذكرى الأربعين :

دمعة وفاء

دمعة وفاء جرى بها قلم الشاعر الديمياطى الأستاذ أحمد
عبد المجيد بمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيل رجل العلم
«الديمياطى الأستاذ عبد الحق شرف الدين»
«ولآل شرف الدين» على دمياط فضل المعلم.. ولهم عليها حق الوفاء
.. وأنا أهدي هذه القصيدة المفاجأة إلى آل شرف الدين الأعزاء»..

مضى يجريه من أجرى السحابا
ومن أجرى المسومة العربا
قضاء قد قضاه الله فينا
وفسق اللوح سجله كتابا
وحق قد دعا الحق إليه
وعبد الحق للحق استجابا
قد احتلب المنى من كل شطر
فأفرغ أشطر الدهر احتلابا
وقد هدى الصراط بخير سعى
عليه يقابل اختم المجابا

أعبد الحق كم لك من جهاد
وكم علمتنا الرأى الصوابا
فنم بعد الجهاد قرير العين
ودعنا وحدنا نلقى الصعابا
إذا ما السيف جاهد في مضاء
وحقق ما ابتغى سكى القرابا

أرى الأحباب والأصحاب خفوا
من الدنيا وخلوها خرابا
(ولا ينبيك عن خلق الليالي
كمن فقد الأعبة والصحابا)

بغيرهم قد التأت علينا
 هي الدنيا ومن أنباك عنها
 (ومن يفترب بالدنيا فإني
 جنيت بروضها وردًا وشوكا
 (ويبقى الناس مختلفين فيها)
 لكل مذهب يسعى إليه
 فكم فيها غبى قد تذاكى
 وكم من قاصد ذمًا فأنى
 تحيرنى أمور الناس فيها
 لكل رأيه «وأبو سناء»
 قضاها طالبًا علمًا ومالًا
 ويبنى المرء من هذين ملكا
 وخير الناس من قد عاش بينى
 غدوا نحو الأمانى من فراغ
 أمانًا لئلى خافوا عليهم
 وأن يبقى لهم صفو الليالى
 وفرق بين من أراضى المعالى

فلا ندرى من الخطأ الصوابا
 وهى ملئت نعيما أو عذابا
 لبست بها فأبليت الثيابا)
 وذقت بكأسها شهذا وصابا)
 فلا صدقا عرفت ولا كذابا
 ويأخذ ما يشاء له ركابا
 وكم فيها ذكى قد تغابى
 وكم من قاصد مدحا فغابا
 وترهقنى فأضطرب اضطرابا
 عرفنا عنده الرأى الصوابا
 وما أسناهما عندى طلابا
 إذا ما لم يكن ملك اغتصابا
 على دنياه أوسعها رحابا
 وراحوا بعد أن ملثوا الوطابا
 وألا يتركوا غرتى سنابا
 مخافة أن يكدر أو يشايا
 ومن أراضى الطعام أو الشرابا

تجر وراءها سبعاً سناًبا
مض جشم الشعب الصعابا
وراح لأجله يزرع الشبابا
ملى حين يرفع مستجابا
يخفف عن كذنته العزابا
يكاد يعيدها سبعاً صعابا
ويحسن حسبة ويرى صوابا
أنىلا سقت فيهم أم سراًبا
بها ملكوا المرافق والرقابا
محجرة وأكبأداً صلابا
ومن أكل الفقير فلا عقابا
أشد من الزمان عليه نابا
ينازعه الحشاشة والإهابا
ولست تحسن للبر انتدابا
ولا لتجارة السوء اكتسابا
إذا جوعتها انتشرت ذئابا

وكان كمن رأى سبعاً سناًبا
ويحفظ شعر شوقى فى غلابا
غلابا راح شوقى فيه يدعو
«شباب النيل إن لكم لصوتاً
«فهزوا العرش بالدعوات حتى
«أمن حرب البسوس إلى غلابا
«وهل فى القوم يوسف يتقيها
«عبادك رب قد جاعوا بمصر
«حنانك واهد للحسنى تجاراً
«ورقق للفقير بها قلوباً»
«أمن أكل اليتيم له عقابا
«أصيب من التجار بكل ضار
«يكاد إذا غذاه أو كساه
«وتسمع رحمة فى كل نادٍ
«ولم أر مثل سوق الخير كسباً
«ولا كأولئك البؤساء شاء

وأحذرنا لما يأتى ارتقابا

لهذا كان أحصفنا اتجاهها

ولم نحسب له أبداً حساباً
ترى هل تقبل الدنيا المتأبياً؟!
أكيل لها الملامة والعبابا
فلا خطأ عرفت ولا صوابا
عرفنا عنده الرأي الصوابا

وعى العلم أغرقه وخابا
لو أنك منك أدركت العبابا
هواه مثل ما صحب الكتابا
عليهم كان أصوبهم جوابا
بيأنا مستساعاً مستطابا
رثى فيه الأجنة والصحابا
أذاب فؤاده فيه فذابا
وأسكبه فينسكب انسكابا

من العينين ينصب انصبابا
ولا انتسبوك في النعى انتسابا

لقد حسب الحساب له بحذق
وتبنا بعد أن ذنبا ولكن
أرى الدنيا هي الدنيا فمالي
وأمر الناس مختلف عليها
لكل رأيه وأبو «صلاح»

هو البحر الذي لو عام فيه
له عمق على الشط فأنى
وما صحب امرأ مهما سباه
وفي العلماء إن يطرح سؤال
وفي الأدباء خذ مارق منه
وشعراً كان من نبع مصفى
بكى فيه وأبكانا بشجو
فمن يرثيه؟ كيف أذيب قلبي

وقالوا قد ذرفت عليه دمعا
وما ذكروك في القربى إليه

* صلاح .. هو الابن الغالي للأستاذ عبد الحق شرف الدين .. وعمل نقيباً للمحاميين بدمياط ورئيساً لأحد الأحزاب السياسية وهو الحزب الوطني ، وقد استقال منه قبل نهايته ، متعه الله بالصحة والعافية.

وعند الله يحتسب احتسابا
ولا أخشى به أبدا عقابا
فإن لنا بقلبيننا اقترابا
من (الباستان) فيه نسا وطابا
على جث الحق ولا يجابي
وما جحد الحقوق ولا استرابا
وشب عليه عنصرهم وشابا
إذا لم ينكر الحق الشبابة؟
من الفرعين هل أضحت سرايا؟
وفي سرائه ذقنا الرضايا
كثوسا اترعت مرًا وصابا
لنعيش كل ما يجرى إهابا
ونبكيه إذا ما الشئوم نابا
وما والله أحصن منه غابا

يذوب جوى إذا هو عنك غابا
إذا بلع المنى وإليك آبا
أقبله وأستاف الترابا

فقلت لهم بكائي من وفائي
وما أرجو به أبدا ثوابا
إذا لم يكن لي فيه قربي
(عبد الحق) يعرفنا غراسا
وعاش نصير حق لا يجابي
لنا حق كما لله حق
وإن الحق يعرفه ذووه
وهل لشبابنا إنكار حق
وتربطنا أوأصر محكمات
وفي (البلد الأمين) معًا نشأتنا
وفي ضرائه في المهيم ذقنا
وكننا عنده فرسى رهان
فنضحكه إذا ما اليمن وافي
وكان لنا من (الباستان) غاب

فيا إقلىم آبائي فؤادي
ويغتنم السلامة من جسواه
نذرت لأسجدن على حصاه

كأسياف الوغى سكنت قرابا
وأوثقهم رباطًا وانجذابا

به ولاجله كنا جميعًا
ومن ذا كنت أقربهم إليه

لأسكب فيه وجداني انسكابا
فقد صار الرحيل إليه قابا
مضوا للخلد واستبقوا الركابا

وإذا أرثيه من قلبى فيأي
وأرثى فيه إذ أرثيه نفسي
وأرثى فيه أحبابًا عزازًا

صلينا في غيابهم العزابا
إذا لم نستطع لهم خطابا
فخذ في مغانيها الثوابا

أخى (الأستاذ) بلغهم بأنا
وخطبهم بلوعتنا عليهم
ويهتك المشاب إلى حماهم

الشاعر أحمد أحمد عبد المجيد

الرابع من شهر ديسمبر عام ١٩٧٥

ونشرت القصيدة في جريدة أخبار دمياط



هذه القصيدة أعطيتها للعزيز الصديق الراحل الكبير الدكتور أسامة الباز ضمن مجموعة من أرشيفي الخاص الموجود في منزلي بالقاهرة ومنزلي بدمياط ومنزلي برأس البر.. وقد كان قارئًا مولعًا بحبًا لأخبار دمياط حيث كان والده العالم الجليل الشيخ السيد الباز الأستاذ بالمعهد الديني بدمياط حريصًا على اقتناء أعدادها، وكانت سعادة الدكتور أسامة الباز بالغة وأنا أسلمه بعض النسخ منها، ولم أنس أنه رحمه الله طلب مني الإطلاع على هذا الأرشيف الخاص الذي أملكه عن تاريخ دمياط كله، ووعدني بزيارتي لقضاء بعض الوقت في الإطلاع عليه في منزلي بالقاهرة.

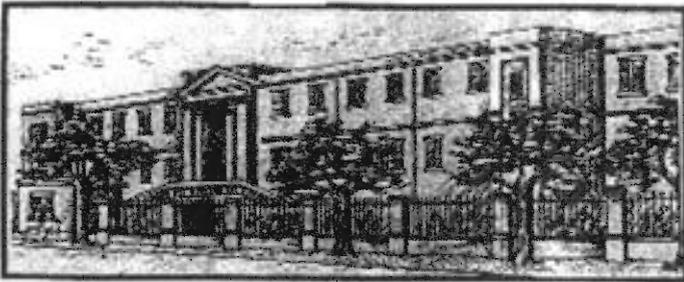
مدرسة دمياط الثانوية للبنين
التي درس بها الدكتور أسامة الباز وعاش في دمياط
أحلى أيام عمره كما كان يؤكد

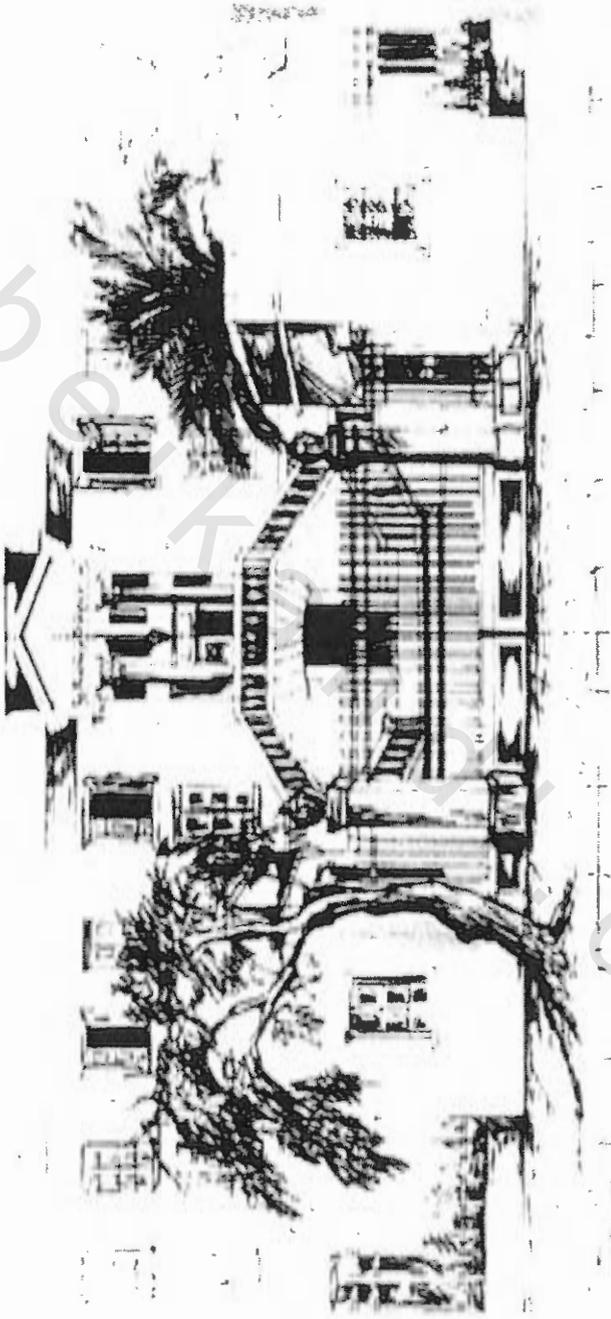
١٩٣٦ - ١٩٨٦



كتاب تذكاري
بمناسبة الاحتفال
باليوبيل الذهبي

مدرسة دمياط الثانوية العسكرية





هذه اللوحة بريشة الفنان سمير نصار رسمها في عام ١٩٦٤ حينما كان مدرسا بالقرية .
وقد وعد الفنان بأهداء عديّة قبة لأول من يكشف الاختلاف الجوهري الذي حدث لمواجهة
القرية خلال هذه الفترة ، والذي يتضح من خلال مقارنة اللوحة بالأصل .

على مدى نصف قرن من الزمان حفل بالعديد من الأحداث شهدتها مدرسة دمياط الثانوية العسكرية ، حيث تخرج منها من الشخصيات ما أثرى الوطن في مصر والعالم العربي، بل والعالم أجمع في شتى مجالات العلم والمعرفة، وأسهم أبناء الأقليم خريجو المدرسة في بناء شخصية المواطن المصري، ودعم مسيرة التطور في العصر الحديث.

واليوم تحتفل المدرسة مع أبنائها بذكرى العيد الخمسيني لإنشائها ، فقد اهتمت بدعوة أبنائها للحضور والمشاركة في هذا اليوم العظيم من تاريخها.

ولقد حرصت اللجنة المنظمة للاحتفال على تسجيل تراث المدرسة وتاريخها في كتاب يحوى العديد من الموضوعات تشكل موسوعة تسجيلية ، ويمثل أعلام الخريجين المحور الأساسي فيه.

ولقد كان اختيار اللجنة لتسجيل أعلام الخريجين اختياراً موضوعياً روعى فيه اختيار الجوانب النوعية للتخصصات المختلفة ، وذلك حسب ما توافرها من معلومات ووثائق. واللجنة إذ تهدي جهودها في هذا الكتاب إلى المدرسة الأم لترجو الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير أمتنا.

أسرة
مدرسة دمياط الثانوية العسكرية*
م ١٩٨٦



إنه لشرف لي أن أكون محافظاً لدمياط، وقت احتفالها بالعيد الذهبي للمدرسة الثانوية العسكرية (١٩٣٦ - ١٩٨٦)، وهذا المعهد التعليمي العريق كان منارة للنور والعلم خلال هذه المرحلة الطويلة، امتدت آثاره إلى أرجاء المحافظة ريفها وحضرها، وامتدت إلى المحافظات المجاورة، وتخرج منها أعلام في العلم والثقافة والأدب والتكنولوجيا تعزز بهم مصر ومحافظة دمياط.

وما زالت المدرسة الثانوية العسكرية شامخة راسخة تؤدي دورها في النهضة الحديثة لمحافظة دمياط بفضل رجال قائمين على إدارتها ومسيرتها وتطويرها لتخريج أجيال قادرة على البناء والتقدم.

وإننى أدعو الله العلى القدير أن يستمر عطاء هذه المدرسة متزايداً ومتصاعداً دعماً لمسيرة محافظة دمياط الجديدة بعد افتتاح الميناء.

والله ولى التوفيق ...

أحمد أحمد جويلي
محافظ دمياط



يروى التاريخ كثيرًا من عبقرية بعض المدن، وعبقرية بعض الحضارات، بما يتأتى لها من مجمل إنجازات شعوبها في إطار حركة محدودة بزمن وبيئة وظروف معينة، كما تساق الروايات العديدة عن عبقرية عصر أو زمن بعينه، ويختلط مع كل ذلك الحديث عن العباقرة والأبطال، هل العبقرى أو البطل هو الذى يصنع ظروف البطولة وبمواصفاتها، أم أن تلك الظروف هى التى تصنعه وتتوجه رمزًا لها.

ونحن قد ننتفهم بسهولة دور الأبطال الفاعل في

التاريخ، والعلاقة المتبادلة بينهم وبين ظروف العصر، وتفاعلات الزمن وتطوراته، ولكننا نتردد قليلاً أو كثيراً أمام فكرة أن المكان - وهو الجهاد الذى لا يعى - يستطيع أن يلعب دورًا في تشكيل مصائر ساكنيه أو المتعاملين معه، ولكن أليس الانتماء إلى الوطن، وما يخلقه من عصبية وفداء وبذل للدم رخيصة في سبيله، نوع من العبقرية، أليست مدارج الطفولة ومراتع الصبا التى تشكل الوجدان، وتستثير الأمانى والأحلام، وتؤلف القلوب، نوع من العبقرية.

وذلك في اعتقادى هو ما نحتفل به هذا العام، عبقرية المدرسة التى ما أن قيل لأبنائها: هل تذكرون، حتى تدايعت السنون وهاجت الذكريات، والتمس كل مقعده وزميله وأستاذه ودفاتره وعلومه، ويتجدد الولاء، وتتدفق الآمال والحميم حلما يغسل الكثير من الآلام والمنغصات التى تعترض الطريق هنا وهناك، ويمنح المزيد من الطاقة الدافعة للتقدم، وليس فى ظنى سبب أجل من ذلك يمكن أن نحتفل به.

طوبى لنا جميعًا.. وأخلص الآمال لأبنائنا الصاعدين لتناغم عبقرياتهم مع عبقرية المدرسة والوطن فى كيان واحد شامخ.

زكى إبراهيم حامد

مدير عام التربية والتعليم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرَ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف: ٩٨)

لست أدرى . كيف أبدأ حديثي عن مدرسة دمياط الثانوية العسكرية الآن، وقد شرفت بإدارتها؟

هل أتكلم عن الدور البارز الذي تقوم به في دمياط الآن؟

أم أتكلم عن الخريجين منها الذين وصلوا بجهدهم، وجهادهم، وإيمانهم بالله والوطن إلى أعلى المناصب أمثال الدكتور أسامة الباز والسفير عبد الرؤوف الريدى والقيب الحبيب محمد عبد الوهاب شبانة.

إننى أكاد أرى التاريخ يطل علينا من عليائه وفي كلتا يديه تجربة تؤكد أن الثمار البانعة تأتي من بذرة جيدة مباركة، وأرض خصبة ويد طاهرة تتعهد البذرة في مهدها ثم ترعى النبات حتى يثمر.

إن مدرسة دمياط الثانوية العسكرية، هى الأرض الخصبة الطاهرة التى احتضنت أبناء دمياط وتعهد المعلمون بها هؤلاء الأبناء.

وما هى ذى مصر كلها تجنى الثمار.

فهنيئاً لمصر بأبنائها الشرفاء الذين تخرجوا من مدرسة دمياط الثانوية العسكرية، وإننى لسعيد حقاً أن أكون مديراً لهذه المدرسة العديدة، التى يتحدى بنائها الزمن والتى احتفظت بشبابها طوال نصف قرن من الزمان تعطى لمصر أطيب الثمار وأرقى العقول الذين أثبتوا وجودهم فى كل مكان.

أقول للمدرسة : لقد أنجبت رجالاً عظماء فى زمن عز فيه الرجال.

منهم الوزراء الذين أعطوا لمصر عامة ولدمياط خاصة عطاء بلا حدود.

منهم الصحفيون، ومنهم الشعراء والمحافظون ورجال الإعلام ورجال الأمن والأمان، ونشرت العلم فى أوقات ساد فيها الظلام.

فكنت وما زلت - أيتها الدار - منازًا للمياط وما جاورها.

وأقول لأبنائي في المدرسة شباب اليوم:

إن زوارنا اليوم هم طلاب المدرسة بالأمس، وهم زهرة مصر وخيرة رجالها الآن،
فهل تحققون أملي وأمل آبائكم، وأمل مصر كلها فيكم فتحذوا حذو طلاب المدرسة
بالأمس، عطاء اليوم.

إن المستقبل يفتح ذراعيه لكم فاعملوا لغدكم، فالمستقبل مشرق، ومصر تأمل فيكم
خير الأمل، فشقوا طريقكم على بركة الله.

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

(آل عمران : ٨)

عطية الديب
مدير المدرسة



الدكتور أسامة السيد الباز الطالب النابغ
بمدرسة دمياط الثانوية، وأحد خريجيها العظام المشاهير

السادة نظار وبتيرى المدرسة طوال نصف قرن (الأساتذة)



مهيد امين ابراهيم
١٩٤٠ - ١٩٣٩



أحمد سابق
١٩٣٩ - ١٩٣٨



حسن الجندي
١٩٣٨ - ١٩٣٦



مصطفى البدروى
١٩٤٢



مصطفى خيرى
١٩٤٢



أحمد زكى
١٩٤٠ - ١٩٤٢



علي هانى
١٩٤٤ - ١٩٤٦



جلال ياقوت
١٩٤٢ - ١٩٤٤



مامون نجا
١٩٤٢ - ١٩٤٣



زيدان أبو الماز
١٩٥٠ - ١٩٥١



محمود أمين
١٩٤٨ - ١٩٥٠



عبد المزيّر السيد
١٩٤٨ - ١٩٤٦



عبد القبي خليل
١٩٥٦ - ١٩٥٦



أحمد غزام
١٩٥٢ - ١٩٥٦



عبد المجيد المسبي
١٩٥١ - ١٩٥٢



عبد المجيد سيف الدين
١٩٦٦ - ١٩٦٦



وتيسع توما
١٩٥٩ - ١٩٦٠



محمد عبده نصر
١٩٥٦ - ١٩٥٩



مصطفى كامل عبد الحم
١٩٦٧ - ١٩٧٠



عبد الرحمن نفلة
١٩٦٧ - ١٩٦٥



توفيق أبو السيد
١٩٦٥ - ١٩٦٢



يحيى توفيق
١٩٧٢ - ١٩٧٢



محمد كامل أحمد جلال
١٩٧٢ - ١٩٧١



محمد محمد الحجال
١٩٧١ - ١٩٧٠



محمد كيبال أحمد بريكة
١٩٧٨ - ١٩٨٢



محمد محمد زغدان
١٩٧٢ - ١٩٧٨

تحية واجبة

يطيب لى فى ذكرى إنشاء هذه المدرسة العريقة أن أهنيء دمياط وشعبها ، وأهنيء كل من عمل بها طالبا أو مدرسا أو قائداً أو عاملاً ، داعياً الله لهم بالتوفيق فى خدمة وطنهم والنهوض به حتى يصل إلى المكان المرموق الذى يتطلع إليه الجميع ، والحقيقة أن ذلك الاحتفال يستثير الذكريات والخواطر الغالية ، ويعود بنا إلى عام ١٨٨٨م حين أنشئت أول مدرسة ابتدائية حكومية فى دمياط ، أو «المدرسة الميري» كما كان يعرفها الناس ، ولما كان اللحاق بتلك المدرسة الأميرية يقتضى إمام التلميذ بمبادئ القراءة والحساب ، وهو فى سن تتراوح بين السابعة والعاشر ، فقد لزم أن تغذى من تلاميذ المدارس الأولية والكتاتيب التى كانت منتشرة فى هذا العهد بدمياط ، والتى كان الدمياطيون يقصدونها لتعليم أبنائهم قبل أن يلتحقوا بهم الأبء ، أو يرسلوا إلى المدرسة الأميرية ، وقليل ما هم . ولا ينكر فضل هذه المدارس الأولية فى تعليم الأطفال بدمياط ، وأذكر ما سمعته من المرحوم والذى من أن سعد باشا زغلول زار هذه المدارس فى عام ١٩٠٧م ، وذلك تقديراً لما كانت تقوم به المدارس الأهلية من رسالة التعليم فى دمياط بتاريخها وبأبنائها الأعلام الذين برزوا بعد ذلك فى الحياة العامة ، وكان منهم أسماء أصبحت نجومًا فى سماء العمل والعلم ، وفى مقدمتهم الدكتور على مصطفى مشرفة والدكتور أسامة الباز .

أما عن مدرستنا التى نحتفل اليوم بيوبيلها الذهبى ، والتى أنشئت عام ١٩٣٦م لمواكبة التوسع والإقبال على التعليم فى دمياط ، فيكفى أن نذكر أن من أبنائها الأحياء الذين ندعو الله أن يبارك فى أعمارهم : الأديب الأستاذ يوسف إدريس ، والأستاذ ضياء الدين داود الذى كان عضواً باللجنة التنفيذية العليا وهو الآن من نجوم المحاماة ، واللواء طبيب الدكتور فؤاد العزبى المدير السابق لمستشفى المعادى للقوات المسلحة ، ثم لا ننسى فى هذه العجالة أن نذكر بالفضل المرحوم محمد حمدى عاشور الذى كان له دوره الكبير على مستوى الجمهورية عامة ، ودمياط خاصة ، وكذلك العزيز الأستاذ عبد الوهاب شبانة وتلك تحية واجبة فى ذكرى غالبية لمعهد عريق .

زكريا محمد الحزاوي

صاحب ورئيس تحرير

جريدة أخبار دمياط

الحب هو الدستور

ثمان سنوات عشت بين حنايا أضلعتها، تضمنا في رفق وحنان، ونحن نتقل بين جدرانها، ونحصل منها كل عام على جواز مرور من مرحلة إلى أخرى، وفي كل عام جديد يلتقى زملاء ويتفرق آخرون، وكنا في نهاية كل عام نكتب على جدرانها (إلى لقاء أيتها العزيزة)، وما أن حصلنا على شهادة التوجيهية من مدرسة دمياط الثانوية عام ١٩٥٠م، وتفرق بنا السبيل إلى مراحل أخرى من التعليم شدتنا إليها في عطلة نصف العام، وتجمع عدد منا في فناء المدرسة الرحب، ونظمنا حفل سمر متواضع، لكن هذا التجمع كان حافظاً لنا على أن نتفق مع الزملاء الموجودين في المدرسة على الالتقاء في يوم آخر من العام التالي نقدم فيه نشاطاً مشتركاً، وكان ذلك، كان يوماً حافلاً بالحيوية والنشاط والذكريات الغالية.

هكذا كانت دمياط الثانوية، وهكذا كانت علاقتنا بها، البيت، والمستدى، ومركز الإشعاع، والبوتقة التي انصهرت فيها كل طاقاتنا، ومنارة العلم في المحافظة، لم تكن دمياط الثانوية مجرد حجرات نتلقى فيها العلم، أو معامل نجرى فيها التجارب، أو أساتذة يفرغون ما عندهم من معلومات ثم ينتهي الأمر، لقد كان الحب هو الدستور الذي يسود أروقتها، في حجرات المدرسة طلبة يجنون أساتذتهم، ويقدرون بذهم، وأساتذة يجنون أخوتهم الطلبة، يكتشفون الموهبة، ويتعهدونها بالرعاية والصقل، ولعلني أذكر في هذه المناسبة أننا كنا في جماعة الخطابة نعد للاحتفال بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، فأبلغنا أستاذنا الشاعر أحمد عبد المجيد، أن طالبا في الصف الأول الثانوى سيلقى قصيدة من تأليفه في هذه المناسبة، وأشفقنا مع الأستاذ المشرف على المناسبة وعلى الطالب حديث العهد بالشعر - فلم نكن نسمع عنه - وفي يوم الاحتفال تصفح الأستاذ أحمد عبد المجيد البرنامج، فلم يجد اسم الطالب، فثار وأصر على أن يكتب اسمه، وأن يكون مسك ختام الاحتفال، وألقى الطالب فاروق شوشة قصيدة هزت القاعة، ونالت الإعجاب لسبيين: الأول - أنها كانت جديدة وصادقة، والثاني - لصغر سنه وإجادته الإلقاء، وهكذا أصبح فاروق شوشة شاعر دمياط الثانوية المدرسة التي تزامنا فيها أنا والدكتور أسامة الباز

والسفير عبد الرؤوف الريدي.

لقد كانت دمياط الثانوية تروج بالنشاط، فهذه صالحتها يمارس فيها التدريب على العقلة والمتوازيين والحصان، وغيرها في أيام الشتاء، وقرب نهاية العام يقام فيها حفل رياضي تمثيلي موسيقي تترقبه دمياط كلها، وإذا كان لي أن أذكر أحد نجوم المسرح في الأربعينيات فأنتى أذكر الطالب إسماعيل البدرى الموهوب في عزف الناي، ولولا اعتزاله العزف منذ سنوات لصار عازف الناي الأول في مصر بلا منازع.

وهذا المدرج الرئيسى يشهد الندوات والمناظرات التى كان يشارك الأساتذة والطلبة فيها فى موضوعات تهم المجتمع، وكان يحضرها عدد كبير من المهتمين بالقضايا العامة.

لقد كان للساعات السبع التى كنا نقضيها يومياً فى المدرسة طيلة السنوات الخمس - سنوات المرحلة الثانوية - ثمار وفيرة، من صداقات توطدت بين الطلبة بعضهم البعض، وبين الطلبة والأساتذة، ونشاطات متعددة تتفاعل مع المجتمع فتأثر به، والأكثر أنها تؤثر فيه، وكذا اكتشاف للمواهب وإفساح المجال لها للتعبير عن ذاتها، وإلى جانب ذلك روح الانتفاء للمكان، وقبل ذلك للوطن.

الذكريات كثيرة، ولا يزال لها فى نفوسنا وقع مميز نتذكره عندما يلتقى بعضنا البعض، ولعل فرصاً أخرى تسنح للحديث عنها.

محمد عبد الوهاب شبانة
عضو مجلس الشعب

* عبد الوهاب شبانة : مفكر سياسى من الطراز الرفيع، كان أميناً للشباب بدمياط، وأميناً للاتحاد الاشتراكى العربى، وعضواً بمجلس الشعب، وأخيراً نقيباً للمعلمين بدمياط.

الاحتفال بالعيد الخمسينى لمدرسة دمياط الثانوية حكاية التعليم فى دمياط

رشحت الطبيعة دمياط بموقعها الممتاز للقيام بدور حضارى فى تاريخ المنطقة. إن البلاد التى تقع على مصبات الأنهار مرشحة دائماً لأن تكون مراكز تجارية وملاحية. فهى آخر أرض تتركها السفائن وهى تغادر أرض الوطن كما أنها أول أرض تحط به رحالها فى عودتها وهى تتعامل معها - بطبيع الحال - فى رحلة الخروج وفى رحلة العودة.

وكذلك كانت دمياط - منذ كانت - ميناء نهرياً تتوافد عليه السفائن من موانئ شرق بحر الروم (البحر المتوسط) وشماله قاصدة مصر، وباب مصر يومئذ دمياط فكانت السفن تحمل إليها عروض التجارة المختلفة: التبغ والطباق والحريز الخام والفحم والزيوت والصابون وفواكه الشام وأخشاب الأناضول.. إلى آخر ماكانت تحمله هذه السفائن إلى دمياط لتعود منها محملة بالأرز والملح والقمح والمنسوجات التى اشتهرت بها دمياط منذ عهود قديمة.

ولم تكن هذه السفائن تتبادل مع دمياط هذه العروض التجارية وحسب، بل كانت تنقل مع ذلك العادات والتقاليد والمهارات المختلفة وبعض المفردات اللغوية التى كان يحملها التجار والملاحون، وحدثت هجرات متعاقبة نرى أثرها فى الأسر والبيوتات التى تدميط منذ زمن طويل.. وقد أحدث هذا بطريقة تلقائية عملية لقاح فكرى فتفاعلت الثقافات والتقت الحضارات على أرض دمياط وانعكس هذا كله على دمياط رواجاً وازدهاراً ورفاهة وعمراناً، فكانت دمياط بحق عاصمة من عواصم التجارة والصناعة والمعرفة.

وفى مثل هذه البيئة تجدد المعرفة طريقها إلى عقول الناس بأكثر وسيلة. فكانت الكنائس مدارس يقوم بالتعليم فيها آباء الكنيسة، ثم كانت المساجد مدارس يتلحق فيها طلاب المعرفة حول الشيوخ.. وانتشرت الكتابات لحفظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة وربما الحساب الذى كان يتصعد إلى ماكان يعرف بالجنزير. وازدهرت المدرسة المتبوية، وكان يقوم بإنشائها وإدارتها والتدريس فى أكثر الأحيان - كان يقوم بذلك رجال من أمثال: الشيخ على عمر، والشيخ محمد فراج والأستاذ أحمد الكتبى وعلى العربى والحزاوين على ومحمد.

كانت هذه منافذ المعرفة في دمياط في تلك الأيام ، وكان الأعيان يلحقون أبناءهم بالمدرسة المتبولية (معهد دمياط الديني فيما بعد) ، وكان التعليم في المدرسة المتبولية لا يقف عند حد معين أو مرحلة معينة ، فهي دراسات حرة مفتوحة ، فكانت المدرسة المتبولية تمنح إجازة العالمية . فالطالب يقرأ المتون والشروح على الشيخ حتى إذا وصل إلى مرحلة النضج ، منحه الشيخ الإجازة وبهذه الإجازة قد يصبح صاحب عمود يجلس إليه ويتحلق حوله الطلاب .

وظل هذا النظام معمولاً به 'لى سنة ١٨٩٦ - عندما جاء الشيخ محمد عبده إلى دمياط على رأسى لجنة لتصفية هذا النظام القديم ، ووضع نظام جديد ، فامتحن اللجنة علماء دمياط ، ومنحتهم أجازات العالمية . ورفض كبار علماء دمياط ذلك وكبر عليهم أن يمتحنوا أمام هذه اللجنة ، وهم لا يقلون عن أعضائها إن لم يزيدوا عنهم ، ولهذا بقوا بدون شهادات إلى أن لحقوا برهم . . ولكن يجب أن نسجل هنا أن عدم حصولهم على أجازات العالمية من هذه اللجنة لم يتقص من أقدارهم في دمياط ، بل لعلها زادت من تقدير الناس لهم باعتبارهم معارضة أحرارًا يتميزون بالجرأة أمام الأستاذ الإمام .

ومهما يك من شيء فقد صفى هذا النظام الذى كان قائما ووضع نظام جديد يقف بالتعليم في المدرسة المتبولية عند المرحلة الابتدائية تحت اسم (معهد دمياط الديني) .

وفي أواخر عهد المدرسة المتبولية حدث في تاريخ الحركة العلمية في دمياط حدث هام ، ففي عام ١٨٨٨ دخل التعليم المدني دمياط ، وأنشئت المدرسة الأميرية الابتدائية فتحول إليها أبناء الأعيان من المياسير الذين كانوا يستطيعون دفع الصاردف المدرسية ، وكانت تبلغ ستة جنيهات ، وستة جنيهات في تلك الأيام مبلغ لا يستهان به ، ولا يستطيع إلا المياسير والمساتير من الناس .

وكان أبناء دمياط يدرسون بالمدرسة الأميرية بدمياط . ويؤدون امتحان الابتدائية في المنصورة ، وكان الدمياطيون يعانون من مواصلة التعلم بعد المرحلة الابتدائية فكانوا يرحلون وراء التعليم الثانوى والمدارس الثانوية بعواصم المحافظات والمديريات ، وكان هذا يرهقهم نفسياً ومادياً .

وانفجرت هذه الأزمة في عام ١٩٣٦ عندما أنشئت المدرسة الثانوية التى نحتفل بعيدها الخمسينى في هذه الايام .

ظاهر أبو فاشا

أول دفعة تخرجت في المدرسة

حقيقة كانت من أجل الأيام ، تلك الحقبة التي قضيتها طالبا بالسنة الخامسة (علمي) بمدرسة دمياط الثانوية وذلك في العام المدرسى ١٩٤٠/٣٩ حيث تخرجت أول دفعة من هذه المدرسة.

وكانت قد بدأت الدراسة بها في سبتمبر ١٩٣٦م بعد ان حضر- إلى دمياط في ١٢ أغسطس (حضرة صاحب العزة) الأستاذ محمد العشماوى (بك) وكيل (وزارة المعارف) وذلك لبحث إنشاء قسم ثانوى بدمياط ، واجتمع بحضرات محمد أحمد (بك) محافظ دمياط والأستاذين ناظر الثانوية بالمنصورة وناظر ابتدائية دمياط ، وعبد الفتاح اللوزى بك وحسين البدرى بك عضوى الشيوخ والنواب في ذلك الوقت ومعهم ليف من أبناء دمياط، وقد نشرت جريدة الأهرام في صدر صفحتها الأولى ما دار في هذا الاجتماع ومعه صورة للحاضرين.

في العام الاول افتتح فصلان أحدهما للسنة الأولى والثانى للثانية ، ثم أفتتح في العامين التاليين فصل للثالثة ، فالرابعة ، حتى كان افتتاح فصل الفرقة الخامسة مع بداية العام الدراسى ٤٠/٣٩ ، وكنت أنا ضمن ٢٢ طالبا في هذا الفصل الذى مثل أبناؤه أول دفعة من المدرسة في الشهادة الثانوية.

ومعذرة اذ أتناول الموضوع بالتواريخ والأرقام والأسماء أيضا فربما كان لهذا هدف ونتيجة سوف تكون عجيبة في نظر أساتذة المدرسة وطلبتها اليوم . ذلك أن الفرقة الخامسة لم يكن بها في ذلك العام سوى ٢٢ طالبا فقط ليس فيهم من دمياط سوى ستة طلاب (بمعنى حوالى الربع) والباقون كانوا أخوة المدرسين الغرباء أو أبناؤهم أو أبناء موظفين يعملون في دمياط .. أما الطلاب (الدمايطة) فكان معى منهم : أحمد طاهر عوض خليل ، وجمال الدين عبد الرازق ، وعبد الفتاح الجمل ، وكبال ناشد بشارة . ومحمد أحمد قطارية ، . كما كان معنا حسن كامل زاهر الذى توفي بعد بداية العام بقليل .. وهؤلاء جميعا ولباقى زملاء أكن شتى الذكريات .

فمن ذكرياتي في مجال الاستعارة من المكتبة مثلا أن أحمد طاهر خليل استعار كتب طرطوف، وفاروق الأول، ومزيد من قصص شكسبير، وأخى جمال استعار القصة الإنجليزية (كلب آل بسكر فيلز) وعبد الفتاح الجمل * استعار (صبح الأعشى ج ٢) ومحمد قطاره (رواية هرناني وصبح الأعشى ج ١)، أما أنا فاستعرت مجموعة الرسالة لعام ٣٨ وقادة الفكر لظه حسين.

وكان ناظر مدرستنا هو الأستاذ محمد أمين إبراهيم، أما المدرسون فكانوا حوالي ٢٠ مدرسًا (ويشرفني كثيرًا أن أذكر هنا الأسياء):

في اللغة العربية: السيد على وعبد الحق شرف الدين ومحمد انشربيني والسيد الشافعي وفي اللغة الإنجليزية والمواد الاجتماعية: مستر هودجسون ومعوض جاد وعثمان عبد العزيز وأحمد البري وممدوح أباطة وعبه الحلیم عبد المقصود وفي اللغة الفرنسية: مسيو بوير وفهمي نجيب، وفي التاريخ والجغرافيا: بانوب عبده وكامل اسطفانوس وفي الرياضة: عبد الحميد منصور ومحمد حنظر وعبد الجليل حسن وفي العلوم: صلاح سعيد ومحمد إسماعيل خفاجي وعزمي ويصا.

والرسم: عبد الحميد صالح .. وكان الإداريون: على توفيق أمين المعمل وعلى صحصح السكرتير ومحمد عبد الوهاب أمين التوريدات .

وكانوا جميعا من غير أبناء دمياط، عدا اثنين هما: الأستاذ عبد الحق شرف الدين ومحمد خفاجي .. وليتأمل هذا مدرسو المدرسة وطلبتها اليوم .. وليقارنوا ما شاءوا.

وكانت المدرسة قد بنيت عام ٣٤ على أحدث طراز ومشملة على كل المرافق، نحن في الدور الأول منها والمدرسة الابتدائية القديمة في الثاني، وفناؤها وسع غاية السعة، ولك أن تتصوره قبل استغلال أجزاء كبيرة منه في بناء المدرسة الإعدادية، ومبنى المديرية، ومتحف العلوم، والإدارة التعليمية .. إلخ، وقد أتاحت هذا مع قلة عدد التلاميذ ومع الصلات الطيبة التي تجمعهم وتجمع بينهم وبين أساتذتهم، أتاحت هذا فرصة طيبة لشتى ألوان النشاط الثقافي والرياضي والاجتماعي وغيره، فعلى ما أذكر كنت عضواً في جماعة

* عبد الفتاح الجمل، أصبح الكاتب الصحفي والأديب الكبير على مستوى الجمهورية وبرز في جريدتي الجمهورية والمساء.

الخطابة والمحاضرات والمناظرات، وفي جماعة الفلاحة حيث خصص لكل عضو بها حوض سعة ٣ × ٥ أمتار في أحد جوانب الفناء يمارس فيه هواية البدر ورعاية النبات والمتعة به حين يبرز من الأرض فيزدهر وينمو، وكان لكل منا لافتة مثبتت على أرضه ومازلت أحتفظ بلافتى من أيام أن كنت أحد (ملاك الاراضى الزراعية !!) . . كما كنت عضوا في جماعة التحنيط (حفظ الأرناب والطيور والضفادع والثعابين . . الخ) . واشتركت في جماعة التمثيل وأقمنا حفلنا السنوى في ١٨ مارس ١٩٤٠ على مسرح سينما اللبان ومما قدمناه ليلتها رواية (المأمون) التي تصور الصراع على الحكم بينه وبين أخيه الأمين (ولا يزال عندى البرنامج المطبوع للحفل) . . إلخ ثم كنا إذا ما انتهينا من أنشطتنا نمضى باقى أوقات فراغنا نلعب كرة السلة والبنج وبنج وغيرهما .

أما الدراسة فكانت جادة ومثمرة وساعد على ذلك قلة التلاميذ في الفصول . وأذكر أن الخواجة الانجليزي عمل لنا في أواخر العام امتحان تجريبية . . كانت النهاية الكبرى في هذه اللغة ٤٠ درجة والصغرى ١٦ وكان حظى أن أنال أعلى درجة ، ولا تضحك فلقد كانت الدرجة التي نلتها هي ٢١ لكنها كانت على أيامنا شيئا كبيراً حتى أن الخواجة هنأتني بها وغبطني الزملاء عليها .

وبعد.. فإننى وقد عشت في هذه المدرسة فترة لا أنساها طالبا، ثم مدرسا، أحس بحنين جارف إلى ذكرى تلك الأيام، وإلى أساتذتى الذين كانوا يعتبروننا أبناء لهم وأخوة، وإلى زملائى الذين لا أدرى أين معظمهم اليوم، ثم عاد إلى الأبناء الذين عشت معهم بعد ذلك سبع سنوات معلماً وأبا حانياً، وعاشوا معى أبناء بررة وقد تركوا بصماتهم النقية على صفحات حياتي.

سعد الدين عبد الرازق

خريج أول دفعة من المدرسة ١٩٤٠

مدير قصر الثقافة السابق

كاتب وصحفى وشاعر

الدكتور أسامة الباز

في زيارة لمدرسة دمياط الثانوية يوم ٢٠٠٩/٣/١ بدمياط

كان الدكتور أسامة الباز رحمه الله عاشقاً للزمن الماضي الجميل، وارتبط كثيراً بنجوم ومشاهير هذا الزمن، وحكاياته أيضاً وهو هذا التلميذ الصغير والطالب بمدارس دمياط الابتدائية والثانوية ومدرسة المرحوم الأستاذ شطا العزبي* التي أصبحت فيما بعد مدرسة المعالي، وقبيل اليوم الأول من مارس سنة ٢٠٠٩م اقترح عليه صديقه وزميله الدبلوماسي الكبير السفير عبد الرؤوف الريدي زيارة مدرسته القديمة في دمياط، والتجول فيها وفي مصيف رأس البر الذي كان يعشقه، ورحب الدكتور أسامة بذلك جداً، واتجهوا معاً إلى دمياط مسقط رأس السفير الريدي في عزبة البرج، واستقبلها المحافظ النشط الذي يحب هذا الماضي الجميل أيضاً الدكتور محمد فتحى البرادعى، ورحب بهما في دمياط في ندوة ثقافية أقيمت في داخل الكوبرى الثقافى على نهر النيل بدمياط، ثم ذهب الدكتور أسامة الباز مع صديقه السفير الريدي وزميله أيضاً في المدرسة الثانوية المفكر السياسى عبد الوهاب شبانة، وفي الطريق إلى المدرسة في شارع البحر كما يطلق عليه أهل دمياط، كان الدكتور أسامة الباز ينظر بشغف هائل وسعادة بالغة واضحة في تقاسيم وجهه إلى شاطئ دمياط وشوارع دمياط الجانبية، والناس في دمياط، والحارات الضيقة والمساجد والمآذن الشهيرة ومسجد البحر الذى كان يصلى فيه مع والده، واستفسر عن مدفع الإفطار الذى كان موضوعاً على النهر، ويفطر الدمايطه عليه في رمضان وقت آذان المغرب، وأنه كان ينتظره بفارغ الصبر، وكان الدكتور أسامة الباز عاشقاً للزمن الماضي الجميل بحق.

بمجرد أن نزل من السيارة التي كانت تقله ومعه السفير عبد الرؤوف الريدي بعد أن توقفت أمام بوابة مدرسة دمياط الثانوية للبنين نظر بعينيه، وقلبه وبحواسه إلى المبنى الذى أسس عام ١٩٣٦م، وأخذ يتأمله، وكأنها يسترجع شريط ذكريات لأيام مر عليها حوالى ٥٣ عاماً عندما بدأ حياته التعليمية في المدرسة، ومكث فيها خمس سنوات هي فترة المرحلة الثانوية وقتها.

* أكد ذلك الأستاذ عصمت صيادية زميل الدراسة مع الدكتور أسامة الباز ومدرسة شطا العزبي من المدارس الخاصة في ذلك الوقت.

عندما دخل من بوابة المدرسة أخذ يتأملها طويلا وارتفاعا وشكلا، ولاحظ أنه قد استقطع فيها جزءان الأول أصبح مبنى مديرية التربية والتعليم، والآخر أقيم فيه للأسف مبنى الإدارة التعليمية لدمياط، وكان كل من المكانين حديقة فيها زهور وخضراوات ومناحل وحظائر لتربية بعض الحيوانات الأليفة التي كان يدرسها الطلاب، سواء في المرحلة الابتدائية أو الثانوية.

وبعد خطوات من مدخل المدرسة من البوابة الحديدية، ألقى نظرة شاملة إلى المبنى الذي ما يزال يحتفظ بأصالته، ولفت نظره أنه قد بنى فوق السطح القديم بعض الحجرات - وإن كانت ليست في مستوى المباني القديمة، وسأل عنها، فقيل له أنها إضافات على المبنى القديم الذي بنى أصلا في عام ١٩٣٦ م.

في المبنى الأصلي .. كانت فصول المدرسة الثانوية تشغل حجرات الدور الأول العلوي، وبالطبع حجرة واسعة لناظر المدرسة هي الأولى من الدور على اليمين، وأمامها غرفة السكرتارية الإدارية، وبجوار غرفة السكرتارية غرفة بعض الإداريين، وفي نهاية الدور من جهة اليمين قاعة واسعة هي حجرة الرسم والتي يدرس فيها حصص الرسم، ومن جهة اليسار في المقابل مدرج صغير للعلوم، وبجواره حجرة للمدرسين.

أيام وجود الدكتور أسامة كان في المدرسة فقط فصلان كل من السنوات الأربعة الأولى من الملحة الثانوية، وفصل واحد لسنة خامسة أولى، ولم يكن بمصر قد وجد فصل للسنة الخامسة (رياضة) وكان الراغبون في هذا الفرع يذهبون إلى المنصورة أو القاهرة أو الإسكندرية.

الدور الأرضي : يوجد في هذا الدور معمل كبير للعلوم فيه (بنشات) وأجهزة علمية كثيرة، وفي جناح منه طيور وحيوانات محنطة بعضها من جهود الطلبة، مثل ضفادع محنطة أو أرانب أو طيور.

وفي الدور الأرضي قاعتان للتربية الفنية، زودت، وزينت أيضا بلوحات من إنتاج الطلبة، وكذلك عمل بعض التماثيل البدائية.

وفي الدور الأرضي يوجد مطعم المدرسة الذي كان يعد فيه وجبة غذاء مطهية يوميا (يقدم فيها أنواع من السمك واللحوم وغيرها) بالإضافة إلى الفاكهة الموسمية.. وكانت

هذه الوجبات تقدم في بداية فسحة الظهرية التي تصل إلى حوالي ساعة ، وفيها يمارس النشاط الرياضي .. أما الرياضة فكانت تشغل مبنين في نهاية الفناء من الجهة الغربية ، ولا ينسى الطلبة صالة (الجمزيم) التي تشتمل على أكثر من حصان خشبي وأكثر من عقلة ، وأكثر من متوازين.

في الدور الأول العلوى استقبل الدكتور أسامة الباز مدير المدرسة (شباب من خريجي المدرسة السابقين) ومجموعة من قيادات المدرسة ومدرسيها.

قبل أن ينهى جولته حرص على زيارة بعض الحجرات هي فصول حاليا ودخل أول حجرة أمام مكتب الناظر، وأشار أنه كان يجلس في الصف الأول أمام السبورة ليركز مع الأستاذ، وكان عدد الطلبة في هذا الفصل على ما يذكر حوالي ٢٥ طالبا، وكان من سنة رابعة ثانوى، ثم بعد خطوات تذكر أنه كان في سنة خامسة ثانوى أولى في الحجرة المجاورة لمعاونى الناظر، وكانت الفصل الوحيد (خامسة أولى) في محافظة دمياط.

هذا وقد ودع الدكتور أسامة الباز والسفير عبد الرؤوف الريدى ، ومعهما نقيب المعلمين عبد الوهاب شبانة وابن المدرسة ، ودعهم أغلب أساتذة المدرسة، ومجموعة من اتحاد طلاب المدرسة.



الدكتور أسامة الباز يوقع على كلمته في سجل مدرسته القديمة دمياط الثانوية للبنين عندما
زارها واستعاد ذكرياته فيها منذ أكثر من نصف قرن من الزمان



حوار بين الثلاثي السياسى الدكتور أسامة الباز مستشار رئيس الجمهورية السياسى والسفير عبد الرؤوف الريدى والأستاذ عبد الوهاب شبانة داخل مكتب مدير المدرسة فى الوقت الحديث - واللقاء فى يوم ١/٣/٢٠٠٩ - هؤلاء الثلاثة كانوا طلابا فى أوج الشباب ومرحلة الصبا وهم من النجباء الفالخين.

نجحوا وتفوقوا وحفروا أسماءهم فى سجل التاريخ السياسى لمصر الغالية



المفكر السياسي عبد الوهاب شبانة يتجاذب أطراف الحديث مع زميله في مدرسة دمياط الثانوية الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للسيد رئيس الجمهورية ربما عن ذكريات تلك الفترة ، ويبدو في الصورة في منتصفها السفير عبد الرؤوف الريدى منهمكًا في كتابة كلمته في سجل الزيارات بالمدرسة عندما زارها هؤلاء الأقطاب الثلاثة في ١/٣/٢٠٠٩



الرئيس السادات وعبد الوهاب شبانة زميل الدراسة في المدرسة الثانوية بدمياط مع الدكتور
أسامة الباز والسفير عبد الرؤوف الريدي
(يعرض على الرئيس إنتاج مصنع الأخشاب الذي أقيم في الستينيات في فارسكور بدمياط)



صورة أخرى للرئيس السادات وهو يتسم مع عبد الوهاب شبانة المفكر السياسي الكبير
زميل الدكتور أسامة الباز في مدرسة دمياط الثانوية

بمناسبة سفر عبد الوهاب في وفد نقابة المعلمين لمؤتمر المعلمين العرب في عام ١٩٧١م



زميل الدراسة مع الدكتور أسامة الباز في مدرسة دمياط الثانوية المفكر السياسي عبد الوهاب
شبانة في صورة تجمعه مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» و لسيد على صبرى
رئيس الوزراء واللواء محمود طلعت محافظ دمياط

أسامة الباز

أبريل ٢٠٠٩

تكريم الدكتور أسامة الباز في دمياط



خدم الدكتور محمد فتحى البرادعى محافظ دمياط درع مكتبة مبارك إلى الدكتور أسامة الباز تكريماً له وتقديراً لتاريخه السياسي والديبلوماسي الحافل على مستوى مصر والمنطقة كلها جاء ذلك عندما استضافت دمياط مع السفير عبد الرؤوف الريدى رئيس مجلس إدارة مكتبة مبارك لعمامة بالقاهرة والدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للميد الرئيس ثلثي هذه الزيارة من جانب الدكتور أسامة الباز في إطار الرغبة في زيارة المدينة التي قضى بها فترة من عمره وتلقى تعليمه في مدرسة دمياط الثانوية مع رفاق عمره ومنهم السفير الريدى الذى لسطحبه إلى فرع مكتبة مبارك بدمياط حيث تم عقد لقاء فكري مع الجيل الجديد من شباب وروك المكتبة وقد رحب به الدكتور محمد فتحى البرادعى محافظ دمياط في بداية اللقاء الذى يعد أول تشغيل تجريبى لكويري دمياط التاريخي تمهيدا لإفتتاحه كمركز ثقافي حضاري يجمع بين أسئلة وعرفاة لتاريخ ومعاصرة الحاضر بكل تكتياته الحديثة .

حضر اللقاء جمع كبير من المثقفين والسياسيين بدمياط رغم سوء الأحوال الجوية ثم قام الدكتور أسامة الباز في اليوم التالي بزيارة مدرسته القديمة مدرسة دمياط الثانوية العسكرية حالياً والتقى بطلابها وهيئة التدريس بها ولما بدأ بما شاهده من إنجازات كبيرة غيرت وجه دمياط تغيراً حضارياً كبيراً وأعرب عن تامله لتشييد مستشفى مصر عمارة ودمياط خاصة لما لاحظته من نبوغ وثقافة الجيل الجديد من الشباب .

الدكتور أسامة الباز عاشق الزمن الماضى الجميل



أعلام دمياط الذين أعجب بهم الدكتور أسامة الباز



قطوف من مذكرات



سيبرفراج

دار الفكر الحديث

اعلام دبيط

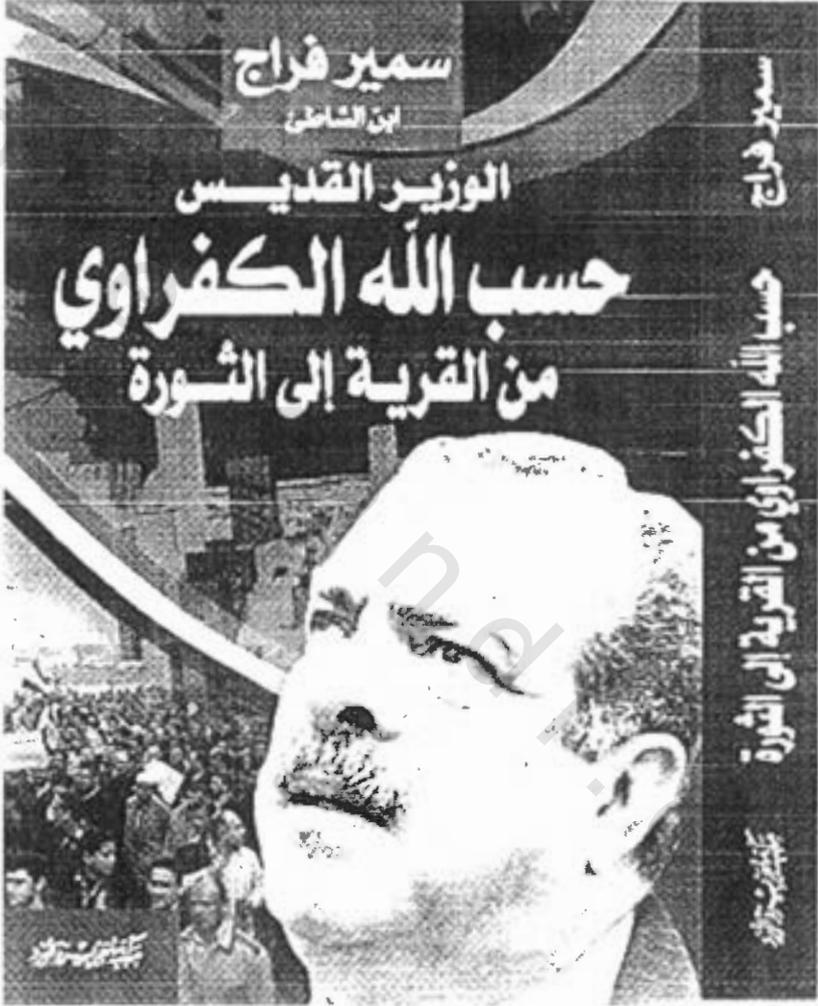
٦

قطوف من مجلة سيدة نساء العالم
واعائشة عبد الرحمن
" بنت شاطئ رسياط "



سمير حراج
ابن الشاطئ

الهيئة العامة للتحرير والنشر - القطيف - إقليم شرق الدمام القطيف - أ. س. 51311





السفير عبد الرؤوف الريدي



في واشنطن تعرف السفير الريدي على الساحة الأمريكية بتفاعلاتها سواء على مستوى الإدارة أو على مستوى الكونجرس، والدور الكاسح للإعلام وقوى الضغط، وعندما عاد لمصر وجذبه العمل التطوعي إلى عالم جديد آخر بعيداً عن العمل الحكومي في مجال الثقافة والسياسة الخارجية، استولت عليه فكرة تقديم رحلة العمر منذ بدايتها، ولم يكتف بتسجيل الأحداث الكبرى التي عاشتها مصر، وكان في قلبها أثناء مشواره، ولكنه كتب أيضاً رأيه وخلاصة تجربته ليتعرف عليها أبناء مصر وهم يبحثون عن طريقهم إلى المستقبل.

تفتحت مدارك الريدي في بقعة عبقرية على أرض مصر، ملتقى النيل بالبحر المتوسط، حيث تشكل وجدانه، ثم تفتحت مداركه السياسية في لحظة تاريخية فارقة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وبدء مرحلة جحديدة في الكفاح الوطني والصراع العربي - الإسرائيلي - أخذته اهتماماته السياسية بعد دراسته الجامعية إلى الالتحاق بعالم الدبلوماسية، وأصبح عضواً في بعثة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك في منتصف الخمسينيات، فانفتح أمامه عالم جديد، وشاهد المنظمة الدولية في أزهى عصورها وهي تتعامل مع أزمة السويس والعدوان الثلاثي ودورها في إرغام الدول الثلاث المعتدية (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل) على الانسحاب من مصر.

كان في وفد مصر المصاحب للرئيس عبد الناصر إلى مؤتمر قمة الدول غير المنتحازة، عندما كانت حركة عدم الانحياز تمثل ضمير العالم، ثم عمل مع وزراء خارجية مصر في الستينات والسبعينات أثناء حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣، وشارك في دبلوماسية السلام، كما كان في وفد مصر الذى صاحب الرئيس السادات إلى مؤتمر كامب دافيد عام ١٩٧٨م.

شغل في أوائل الثمانينات منصب سفير مصر في باكستان، وشهد هناك بداية الأزمة الأفغانية، ثم منصب المندوب الدائم لمصر لدى الأمم المتحدة في جنيف، ثم اختاره الرئيس مبارك ليكون سفيراً لمصر في واشنطن حيث بقى لثمانية أعوام (١٩٨٤م - ١٩٩٢م) في فترة مليئة بالأحداث تعاقب فيها على البيت الأبيض كل من الرئيس ريغان والرئيس بوش «الأب»





الشاعر الإذاعي الكبير فاروق شوشة زميل الدراسة في مدرسة دمياط الثانوية للبنين
مع الدكتور أسامة الباز



رأفت الهجان



البطل المصرى ابن دمياط الذى نال إعجاب وتقدير واحترام
الدكتور أسامة الباز

جاءت قصة حياة الشاب المصرى الفذ «رأفت الهجان»، وهو الاسم الذى اختاره له الأستاذ صالح مرسى سواء فى الكتاب الذى صدر تحت اسم «كنت جاسوسًا فى إسرائيل» - رأفت الهجان»، والذى أصدرته دار أبو لولو للطباعة والنشر أو فى المسلسل التلفزيونى الذى تابعناه على مدى عدة سنوات وخاصة فى شهر رمضان تحت اسم «رأفت الهجان»، جاءت قصة هذا الشاب المصرى الفذ فى وقت دقيق تمر به مصر والأمة العربية والإسلامية فى صراعها مع الكيان الصهيونى، جاءت فى وقت نشهد فيه تصاعدًا مستمرًا فى الهيمنة الصهيونية والأمريكية فى المنطقة، وتراجعًا مستمرًا من الدول العربية فى مواجهة الكيان الصهيونى، جاءت فى وقت نشهد فيه المفاوضات العرب يذهبون إلى مدريد وواشنطن وموسكو ليطلبوا الحل السلمى بأى ثمن، ومع ذلك ترفض إسرائيل وبتعالى استكبارها وتتعالى نبرة استفزازها سواء على مستوى تصريحات قادتها أو على مستوى ممارساتها البشعة ضد الشعب الفلسطينى فى الداخل المحتل أو فى عدوانها المستمر على الشعب اللبنانى أو محاولاتها الدؤوبة لتخريب الواقع الاجتماعى المصرى من خلال شبكات التجسس الإسرائيلى التى تكتشف بين يوم وآخر فى مصر أو تصدير الإيدز والمخدرات إلى شباب مصر، أو محاولات زرع الفتنة الطائفية فى ربوع مصر المسلمة التى يتسمى مسلموها وأقباطها إلى نمط حضارى واحد وهو الحضارة الإسلامية، وكل هذا لأن إسرائيل تدرك وتعرف أن مصر بتقلها السكانى والتاريخى والحضارى هى العقبة الكبرى أمام الحلم الإسرائيلى فى قيام إمبراطورية يهودية من النيل إلى الفرات.

نعم جاءت تفاصيل حياة هذا الشاب المصرى الفذ من خلال كتاب الأستاذ صالح مرسى أو من خلال المسلسل التلفزيونى لتعيد إلى الأذهان العديد من الحقائق التى حاول البعض تغييبها فى حمى الدعوى إلى السلام مع الكيان الصهيونى، وهذه الحقائق التى أكدتها قصة حياة هذا الشاب، والتى أدركها كل من قرأ الكتاب أو شاهد المسلسل كثيرة ومتنوعة منها:

- أن الإنسان المصرى إنسان كفاء، وفذ ومخلص، وقادر على أداء أدق وأصعب المهام فى ظل أعقد وأصعب الظروف، فها هو الإنسان المصرى متمثلًا فى رأفت الهجان يستطيع أن يخترق المجتمع الإسرائيلى، ويقيم شبكة واسعة داخل هذا المجتمع تضمن

شخصيات مدنية وعسكرية بعضها برتبة الجنرال ، ويتصرف بحكمة وذكاء وكفاءة منقطعة النظر، بل ويضع رأسه فوق كفه دائماً من أجل وطنه «مصر» خلال فترة طويلة تقترب من الـ ٢٠ عامًا (١٩٥٤ م - ١٩٧٤ م)، ويستطيع في تلك الفترة أن يقدم لمصر خدمات جليلة، وأن يحقق إنجازاً رائعاً على كل مستوى، وهذا الإنسان المصرى ما هو إلا نموذجاً لباقي الأجهزة والمؤسسات المصرية المدنية منها والعسكرية، وأن عدم الاستفادة بجهود هذه الأجهزة كان أمراً خارجاً عن إرادتها بسبب إهمال هذه الجهود عن تقصير أو إهدارها عن عمد من قبل القيادة السياسية.

- أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع ضعيف من الداخل ومفكك ومليء بالمتناقضات، وأن الأجهزة والمؤسسات الإسرائيلية أجهزة عديمة الكفاءة أو في أقل الأحوال أقل كفاءة من مثيلاتها المصرية، وإلا لما أمكن لعملية رأفت الهجان أن تنجح هذا النجاح الباهر على كل مستوى.

- إن إسرائيلى هى العدو الأول والخطر الأكبر على مصر أمس واليوم وغداً، وأن هذه الحقيقة أكدتها تفاصيل كتاب ومسلسل رأفت الهجان، ولعل هذه الحقيقة من أفضل ما جاء فى الكتاب والمسلسل لأنها ردت ومن خلال كتاب اعتمدته المخابرات المصرية وراجعته، وكذلك وافقت عليه وزارة الإعلام المصرية من خلال السماح بعرضه فى مسلسل فى التلفزيون المصرى ردت على أقاويل البعض بشأن إنهاء العداء مع إسرائيل وإمكانية التعايش السلمى معها.

قد يبدو للبعض أن من قبيل إجهاد المعانى استنتاج مثل هذه الاستنتاجات السابقة أو ما سوف يلحقها من استنتاجات اعتماداً على حقائق وردت فى كتاب منشور أو وردت فى مسلسل تلفزيونى وهذا بالطبع ليس صحيحاً، لأننا هنا نعتمد على قصة حقيقية فى قصة رأفت الهجان، ونعتمد على كتاب راجعته المخابرات العامة المصرية حرقاً حرقاً، ونعتمد على مسلسل تقول مقدمته: إنه من ملفات المخابرات العامة، ويجب أن نأخذ فى اعتبارنا هنا أن القانون المصرى لا يبيح نقل أو نشر أى شيء من ملفات المخابرات العامة المصرية إلا بعد الحصول على إذن كتابى منها، أى أن الكتاب الذى أصدرته دار أبوللو للنشر، وكذا المسلسل قد خضع لمراجعة دقيقة من المخابرات العامة المصرية، وأن المؤلف

الأستاذ صالح مرسى قد حصل على إذن كتابي بالموافقة على ذلك من المخابرات العامة المصرية ، وهذا بالطبع يعطى الكتاب والمسلسل مصداقية كاملة لأننا بالطبع نثق في صدق المؤلف وصدق المخابرات العامة المصرية وصدق وزارة الإعلام المصرية، بل ونحیی كل من أسهم في هذا الجهد الوطنى العظیم الذى أبرز ملحمة إنسان مصرى ، وأبرز ملحمة رجال المخابرات العامة المصرية فى مواجهة عدونا التاريخى (إسرائيل)

زى ما أنت عملت اللى عليك إحنا عملنا اللى علينا!!

من أقوال السيد نديم هاشم أحد رجال المخابرات المصرية ص ٨٨٨ من كتاب رأفت الهجان - الطبعة السادسة أبريل ١٩٩٠ الأعمال الكاملة - صالح مرسى - دار أبو اللو للنشر..

من أهم الإنجازات التى حققها رأفت الهجان وحققتها المخابرات العامة المصرية تلك المعلومات الهامة والتفصيلية التى حصل عليها رأفت الهجان فى عام ١٩٦٧م، ولنترك أنفسنا أمام سطور كتاب صالح مرسى - رأفت الهجان - ص ٨٧٥ - الطبعة السادسة.

«فى تلك الأيام نشط رأفت الهجان نشاطاً محموداً، وتدفق سيل التقارير والبرقيات يحمل إلى الوطن أدق أسرار المرحلة، وما كان يتم هناك على الجانب الآخر، حتى لقد خشى البعض عليه لكثرة ما أبرق إلى العديد من عواصم أوروبا، فلقد كان هذا يشكل خطراً حقيقياً، كان رأفت الهجان واثقاً من النصر ثقة لا حدود لها، أرسل ذات مرة يقول: «.....إنهم هنا فى حالة رعب حقيقى، بل إن بعضهم يجلس فى انتظار وصول المصريين بين يوم وآخر».

عندما أعلنت مصر عن قبولها بسحب قوات الطوارئ الدولية أرسل رأفت الهجان يقول:

«إن قرار الحرب أصبح مؤكداً، ليس هناك أى احتمال للتأويل أو التراجع!»

** ملاحظة :

التزامنا فى النقل عن صالح مرسى هنا أن يكون النقل حرفياً بما فيه علامات التعجب

والأقواس وحتى النقاط ، وسوف نفعل نفس الشيء في كل ما نقله عن صالح مرسى فيما بعد.. انتهت الملاحظة .. أما تعليقنا فهو أن كلام رأفت المهجان هنا واضح لا غموض فيه، وهو أن سحب قوات الطوارئ الدولية معناه أن قرار الحرب أصبح مؤكدًا، وكلام رأفت المهجان نفسه يقول إنه ليس هناك أى احتمال للتأويل أو التراجع!«.

وفي الحقيقة فإن هذه نقطة هامة ينبغي الالتفات إليها جيدًا والتفكير فيها، فحقيقة أن طلب عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية معناه الحرب هى حقيقة بديهية ولا يختلف عليها اثنان ، والجميع كان يدرك وقتها أن مثل هذا القرار يعنى الحرب بالضرورة ولا شيء غير الحرب.

ولنكمل الآن نقل سطور كتاب رأفت المهجان فى صفحة ٨٧٦:

«كانت الدنيا كلها تلهث وراء الأحداث ، كذلك كان رأفت المهجان يلهث خلفها، إلى أن كان اليوم الأخير من مايو عام ١٩٦٧م».

.....

.....

ففى هذا اليوم دق جرس التليفون فى مكتب بإحدى الشركات المصرية فى عاصمة أوروبية .. رفع الموظف المسؤول سماعه التليفون ، فجاء صوت يسأل ، بلغة تلك الدولة عن أنسة تدعى «مارى لويز» .. ولم يصدق الموظف أذنه ، كان معنى السؤال عن مارى لويز» أن المتحدث هو رأفت المهجان الذى وصل دون موعد سابق، وكان معناه أيضًا أنه يطلب لقاء عاجلاً وبأسرع ما يمكن.

كان اللقاء فى مثل هذا الوقت الذى تتصاعد فيه الأحداث بصورة خطيرة، وبالتالي تتصاعد فيه النشاط السرى إلى ذروة لا تدع مجالاً للقاء آمن تمامًا.. وعلى هذا لم يكن هناك مفر من إجراء حديث طويل حول الأنسة «مارى لويز» حديث وضعت فيه خطة مركبة تمامًا.. فى لقاء يتم بعد منتصف الليل بساعة، فى مكان يندر أن يلتقى فيه إنسان بإنسان!

تم اللقاء فى الساعة الأولى من اليوم الأول من شهر يونيه عام ١٩٦٧م ، وكان رأفت المهجان يحمل تقريرًا على أكبر قدر من الخطورة والأهمية.. كان التقرير يحدد - بدقة بالغة -

أن الهجوم الإسرائيلي قد تحدد مواعده في صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو بالطيران المنخفض ، وأنه سيستهدف - أول ما يستهدف وفي أول ضربة له - جميع المطارات الحربية المصرية بلا استثناء ، بما فيها مطار القاهرة الدولي

شفع الفتى تقريره المكتوب بتقرير شفهي وصف فيه الحالة داخل إسرائيل بأنها وصلت إلى حد الهستيريا ، وأن طبول الحرب تدق هناك بعنف.. سلم الفتى تقريره واثقا مطمئنا ، وعاد إلى إسرائيل ، بينما طار التقرير بعد ساعات جد قليلة إلى مصر !
كان التقرير المكتوب مشفوعا بمصدره الذي استقى منه الفتى معلوماته .

ويكمل صالح مرسى قائلا: «لسنا ندرى ما هي الحكمة في اعتراض جهاز المخابرات المصري على ذكر هذا المصدر الإسرائيلي الذي لا يرقى الشك إلى معلوماته، خاصة وأنه انتقل - مع رأفت الهجان - إلى العالم الآخر منذ سنوات!»

ويعلق صالح مرسى قائلا: «وعلى كل ، لم يكن التقرير غامضا ، لم يكن في حاجة إلى تحليل أو تأويل ، كما أنه لم يكن التقرير الوحيد الذي وصل إلى مصر يحمل نفس المعلومات بنفس التوقيت .. وهكذا والكلام مازال لصالح مرسى.. وضعت تحت يد القيادة السياسية المصرية كل المعلومات الواردة والتي كانت كل منها تزيد الأخرى وتؤكد لها.. ولقد قامت القيادة السياسية المصرية بواجبها ، وأبلغت المسؤولين عن موعد الهجوم بكل تفاصيله، وفي إسرائيل كان الفتى يفرك كفيه سعادة ظن الذين رأوه هناك أنه سعيد بالحرب لأنهم سيتغلبون على المصريين، دون أن يعلموا أن مصدر سعاده هو يقينه الذي لا يقبل الشك، من انتصار وطنه لم لا؟ ألم يعط هذا الوطن كل ما احتاج إليه من معلومات عن العدو وجيش العدو؟!

ويكمل صالح مرسى «وجاء صباح اليوم الخامس من يونيو. وذهب الفتى إلى مكتبه وأنباء الحرب تملأ الأسماع، لكنه كان موقتا من النصر، قال رأفت الهجان بعد أسابيع ثلاثة من هذا اليوم، قال وهو يصرخ والدمع يملأ عينيه: إنه جلس في مكتبه بالشركة في انتظار ذلك الضابط المصري الذي سيغزو تل أبيب ، كى يرحب به! لكن الأنباء جاءت بعد ساعات قليلة العدد، كى تطعنه في مكان القلب تماما!!

** انتهى كلام صالح مرسى ، بسطوره ، وحروفه وفواصله وعلامات تعجبه، بل

ونقطه وفواصله.. من ص ٨٧٦ إلى ص ٨٧٨ - كتاب «رأفت الهجان» صالح مرسي .
 الطبعة السادسة - أبريل ١٩٩٠م - دار أبو لولو للنشر والتوزيع ، وهذه الوقائع التي تقول
 ببساطة : إن رأفت الهجان قد أكد أن الحرب حتمية بعد طلب مصر سحب قوات
 الطوارئ الدولية ، وأن رأفت الهجان قد زود المخابرات المصرية بتفاصيل وموعد الهجوم
 الإسرائيلي ، وأن هذا الأمر قد أكدته مصادر أخرى ، وأن جهاز المخابرات المصرية قد
 وضع هذه المعلومات أمام القيادة السياسية ، ومع ذلك ، ورغم ذلك تم تنفيذ الخطة
 الإسرائيلية بحذافيرها ، والمعنى الوحيد الذي يفسر كل هذا هو الخيانة لأنه مع معلومات
 بهذه الدقة لا وجه للحديث عن إهمال أو تقصير ، لأنه مهما كان الإهمال والتقصير فلن
 يصل إلى هذه الدرجة ، ويبدو أن صالح مرسي قد أحس بهذا الأمر وهالته بشاعة المسألة
 ، فأراد أن يلتمس للقيادة السياسية عذراً ، فأضاف من عنده أن تلك القيادة السياسية
 قامت بواجبها وأبلغت المسؤولين عن موعد الهجوم بكل تفاصيله ، لأنه من البديهي أن
 صالح مرسي أو جهاز المخابرات المصرية لم يكن يتجسس على القيادة السياسية ليعرف ما
 إن كانت قد قامت بواجبها ، وأبلغت المسؤولين ، كما أن صالح مرسي أو جهاز
 المخابرات المصرية العامة لم يكن يملك أن يسأل تلك القيادة السياسية : هل قامت
 بواجبها أم لا؟ فالطبعي والبديهي أن جهاز المخابرات العامة ينتهي دوره تماماً بعد إبلاغ
 القيادة السياسية بالمعلومات التي حصل عليها وبرأيه فيها ، وبعد ذلك فإنه لا دخل له في
 الطريقة التي تنصرف بها القيادة السياسية في تلك المعلومات ، وعلى أي حال فإن إقحام
 صالح مرسي نفسه في القول بأن تلك القيادة السياسية قد قامت بواجبها في إبلاغ
 المسؤولين بذلك يدل دلالة واضحة على أن الحقيقة العارية قد تماثلت بين يدى صالح
 مرسي فهالته بشاعتها ، فأراد أن يقفز عليها بحملة إنشائية من قبيل «قامت بواجبها
 فأبلغت المسؤولين» ، ولم يقل لنا صالح مرسي من هم هؤلاء المسؤولين ، ولعل غموض
 الجملة ولجوء صالح مرسي إلى كلمة المسؤولين بدلاً من القيادة العسكرية مثلاً أو بدلاً من
 قوله: إن عبد الناصر جمع هيئة الأركان مثلاً للتدبير في الأمر أو أمرهم بإخلاء المطارات
 مثلاً ، أو تنبيهه عليهم بعدم وجود الطائرات رابضة على الممرات في ذلك الوقت المحدد أو
 غيرها يدل على أن جملة صالح مرسي لم تكن إلا رد فعل لحجم الحقيقة الفظيعة التي تمثلت

بين يديه عندما اطل على هذه المعلومات.

على أى حال فإن السيد نديم هاشم - أحد رجال المخابرات العامة المصرية الأكفاء، كان أكثر دقة عندما علق على ذلك في حوار مع رأفت الهجان والمنشور في ص ٨٨٧، قال: رأفت الهجان: إيه اللي حصل؟! ولم يستطع أن يمنع الدمع الذي عاد مدارًا ثم قال: وليه؟! صوته ممزق وأنفاسه لاهثة وأستلته كالرصاص «إزاي!» كان الآن يواجه نديها كمن فقد عقله «فهمنى يا سيد نديم أنا هاتجنن»، ربت نديم على كتفه: «طب اهدى شويه!» «أهدى إزاي»، سحق نديم سيجارته، وهم بالاستدارة نحو الفتى الذي هتف: «أنت هادي؟!» «عارف تهدي؟! قادر تهدي؟! ثم يضيف رأفت الهجان: «ده أنا إديتكم إسرائيل في أيديكم!» «أنا مش باعت لكم إنهم هايضربوا يوم ٥ يونيو؟! انتو باعتيني هناك ليه؟! «وما دامت الحكاية ما فيهاش فائدة إيه لزمته وجودى هناك؟!»

ثم توسل الفتى بصوت مختنق: طب إيه اللي «حصل؟!»، ورد نديم قائلاً: «زى ما أنت عملت اللي عليك إحنا عملنا اللي علينا» (ص ٨٨٨).

وإجابة السيد نديم هاشم هنا واضحة، فرأفت الهجان عمل اللي عليه والمخابرات المصرية عملت اللي عليها، وبديهي أن يثور هنا سؤال: ترى من هو الذى أهدر هذا الجهد سواء عن إهمال أو تقصير أو خيانة؟! على أى حال، فالسيد نديم احترم نفسه، وترك لنا الاستنتاج.

ولكن النظرة الفاحصة لأستلة رأفت الهجان في هذا الجزء وهى من طراز: «إيه اللي حصل»، «وليه?!» «وإزاي» «وفهمنى يا سيد نديم أنا حاتجنن.. أهدى إزاي؟ إنت هادي؟ عارف تهدي؟ قادر تهدي؟! «أنا مش باعت لكم أنهم حايضربوا يوم ٥ يونيو؟! «أنتو باعتنى هناك ليه?!» «ما دامت الحكاية ما فيهاش فائدة إيه لزمته وجودى هناك?!» «طب إيه اللي حصل».

النظرة الفاحصة لتلك الأسئلة تعطى الانطباع بأن الأمر فوق مستوى تصور رأفت الهجان، وأنه أمر غير قابل للتفسير، وأن هناك شيء غامض، وهذا يعنى أن رأفت الهجان لم يكن يحس أن المسألة مجرد إهمال أو تقصير لأنه لو كانت كذلك لكان من السهل عليه أن يتفهم هذا، أما كونه لم يستطع فهم ما حدث وأن يلقى في وجه السيد نديم أمثال هذه

الأسئلة تعني أنه كان يدرك أن المسألة أكبر من مجرد تقصير وأوسع من مجرد إهمال. على أي حال فإن صالح مرسى نفسه بالضرورة قد أحس بهذا، وربما أقحم جملة «وقامت القيادة السياسية بواجبها، وأبلغت المسؤولين»، ربما أقحمها إقحامًا ليشير بأصابع الاتهام إليها بطريقة غير مباشرة، أو ليجعلنا نفكر في مدى مسؤولية هذه القيادة السياسية، ومن أي نوع كانت هذه المسؤولية، ومما يؤكد هذا الانطباع أن صالح مرسى أجرى على لسان سيرينا أهاروني في إطار حديثها مع رأفت الهجان قبل رحيله من إسرائيل «أن العصابة تختفل بضخامة الأسلاب» فدمدم رأفت الهجان في ضيق من لا يريد أن يطرق الموضوع «لأنهم على الضفة الأخرى أغبياء!» قالت سيرينا «أو مغلوبين على أمرهم!!».



أسامة الباز



رأفت الهجان

* رأفت الهجان أو رفعت الجمال الاسم الحقيقي أكبر سنًا من الدكتور أسامة الباز بحوالي خمس سنوات ومع ذلك كما أخبرني الدكتور أسامة الباز كان يلتقيان في رأس البر باستمرار وهما معًا من العاشقين لهذا المصيف في دمياط.. ويحضران الحفلات والمسرحيات التي كانت تقام وتعرض في رأس البر.

الدمياطى شاطر .. وليس بخيلاً..!

يا ريت كل مصر مثل الدمايطة الذين أعرفهم جيداً

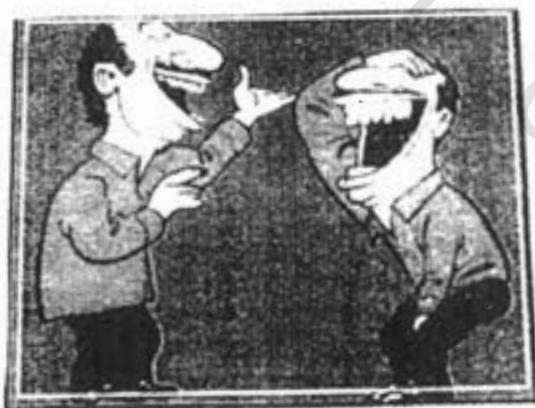
(أسامة الباز)



تتعشى ولا تنام خفيف .. تشرب شاي ولا منتاش كييف ..؟

النكت على الدمايطة

التابعى وأبو العربى والصعيدى بينتوا علينا .. كاهمه فيه واحد



من منا نحن الدمايطة لم يواجه خارج حدود دمياط بوابل من النكت اللاذعة لمجرد أننا دمايطة .. لدرجة أننا لا نجد من رد غير أن هذه النكت التي تنهال علينا وتوصمنا بالبخل نرد قائلين في خجل بأن البخل يعنى حرص فقط لا أكثر ولا أقل ومنا من -ييجح ويرد - دى شطارة وبعضنا يهرب من الموقف قائلا : هذه النكت تقال على ناس زمان ومالنا حاليا بالبخل .. وهؤلاء من الناس أهل زمان كانوا في منتهى الكرم.

من بين النكت التي تقال علينا نحن الدمايطة لو صف شدة البخل الذى فاق اليهود وانتصر عليهم نكتة اليهودى الذى طلب من الدمايطة غداء بأقل التكاليف بقرش واحد أخذ الدمايطة القرش اشترى بطيخة بنصف قرش ووضع الباقي في جيبه وعاد إلى اليهودى أعطاه البطيخة ونصحه بأن يتغذى بنصفها ويتعشى بالنصف الآخر ثم يتسلى طوال الليل باللب ، ولا مانع من أن يجمع القشر ويجرقة للتدفئة أما قشر البطيخة غداء وعشاء لحمار اليهودى.

ماذا يعنى هذا الاسكتش الكوميدي الذى تجسد في مسرحية أيام الحركة الثقافية الوطنية باسم أغنية على الممر كتبها على سالم قبل أن يصبح صديقاً للصهاينة أى بخل فيها هل كان الدمايطة مطلوباً منا أن يقول لليهودى وحماره: (عيب تشتري أكل وأنت غريب لآ! تفضل معايا على البيت).

أم الهدف إظهار شطارة الدمايطة في التجارة .. أم أنها سمسرة .. على فكرة نهاية الاسكتش الكوميدي أن اليهودى أقسم ألا يعود ثانية إلى دمياط .

نتنقل لنكتة أخرى تقول الحاج تابعى الدمايطة زار صديقه البورسعيدى أبو العربى الذى قام باستضافته على أحسن وجه - أكل زى ما تقول ... وقبل أن يغادر الحاج تابعى بورسعيد شد على يد أبو العربى ، وقال له: والنبي تزورنا ... مرت الأيام وهبط أبو العربى وزوجته لدمايطة ذهب لمنزل صديقه التابعى ... وراح أبو العربى ينادى وينادى ، بينما التابعى ينظر من خلف الشباك لدرجة أن لمح أبو العربى ، فقال له غاضباً: يا تابعى رد دا ربنارد على موسى يا سيدى ، فإذا بالتابعى يفتح الشباك بقوة ويقول بصوت عالى : موسى كان لواحد مش معاه مراته.

طبعاً النكتة دي وارد بورسعيد، وعلى أى حال إذا كان الهدف من ورائها: إظهار المنافسة بين محافظتين تجاريتين فخير وبركة ولهذا أراد الدمايطة إظهار عكس ذلك أثناء فترة التهجير، فهل يوجد بيت بدمياط لم يقم بواجبه نحو شعب بورسعيد...؟ إذن النكتة قيلت قبل هذه الفترة: بزمان .

طبعاً سيقول البعض: إننا نبرر لصالح الدمايطى، ولهذا يرددون نكتة: أو عدة نكت أخرى من بينها علاقة: الدمايطى بأهل بيته هو... اسمع يا: سيدى:
التابعى أمر زوجته بسلق بيضتين فقط للفتار ذهبت الزوجة، بينما هو صعد للسطوح فانزلت:.. قدمه وسقط على الأرض وهو يردد لزوجه أن تكتفى ببيضة واحدة فقط ما دام هو فى عداد الموتى!

عندما نسمع هذه النكت نحن الدمايطة بسرعة نرد قائلين: أهم ما فى النكتة أن التابعى رجل عادل يسوى بين الرجل والمرأة فيخصها: بيضة مثله مثل الرجل تماماً..!
الهجوم بالنكت علينا شديد اقرأ ما يردونه: دمايطى نزل يستحم، فتعرض للغرق شاهده آخر فقال له الآخر: (أطلعك وأخذ ريال): فرد الدمايطى: بق بق بريزه كفاية.

هذه النكتة تروى بطريقة أخرى وهى أن التابعى خرج هو وزوجه للفسحة على الكوبرى الجديد طبعاً لا يوجد أماكن للتنزه بدمياط، وبينما الزوجة تحضن زراع التابعى: فقالت له بحنان ودلع: والنبي اللى زرتة يا حاج عوزاك تشتري لى: فستان جديد...!
انتفض التابعى وخلص زراعه منها وهو يردد: لأ لأ... لأ، فإذا بالزوجة تكشف عن قوتها وتدفع التابعى فيسقط فى النيل، إلا أنها تشعر بالندم فتنادى على المارة، وترصد ريع جنيه لمن يخرج التابعى من النيل... فإذا بالتابعى يصرخ ويقول.. بريزه بس .

الهجوم علينا بالنكت قاس فكيف نرد...؟

زوجة التابعى احتالت على التابعى لكى يشتري لها خاتم ذهب ماذا فعلت... فى عز الليل والتابعى نايم بطريقة ما بلاش نكشفها.. حضته ثم انفزعت بصوت منها ونهضت جالسة ومن خلفها التابعى: يردد خير اللهم اجعله خير فإذا بها تقول: خير يا حاج كنت

بحلم إنك واخذنى فى حضنك .. فقال التابعى : تعالى يا حبيبتى فى حضنى ، فإذا بها تقول: وبستى فى خدى ، فرد التابعى بقبلة فوق خدها ، وواصلت الزوجة تروى حلمها فقالت بعد القبلة : ووضعت إيدك يا حاج فى جيبك ، وطلعتلى منه علبه جميلة وفتحتها لى وقدمت لى خاتم ذهب جميل كان وش : السعد عليك .

فإذا بالتابعى يرفع يده وينهال على وجهها وهو يقول فوقى من : الكوايس دى بقه . هل وصلنا إلى هذا الحد من : الهجوم والمؤكد والثابت أن علاقة : التابعى - أى تابعى بزوجته علاقة : جيدة لم تصل للضرب فلماذا هذا الهجوم النكتى ... ؟

هل وصل بنا الأمر نحن الدمايطة عندما نبكى بعين واحدة لتوفير دموع العين الثانية حتى الصعايدة الذين اشتهروا حتى خارج حدود مصر بالنكت عليهم ودى حاجة ثانية - مارسوا الهجوم النكتى علينا ... اسمع يا سيدى التابعى زار صديقه الصعیدی الذى تمام يكرامه آخر كرم ... المهم حب الصعیدی يزور دمياط وتوجه للتابعى الذى فتح له الباب وأجلسه بعكس ما فعله مع أبو العربى ... جلس التابعى بالقرب من الصعیدی الذى بدأ يقول : كيفيك يا خوى؟

نظر التابعى وسرعان ما أبعد وجهه فما كان من الصعیدی الذى ظن أن التابعى لا يعرفه إلا وخلق ما فوق رأسه ، ثم قال للتابعى : واه عرفتنى يا خوى ؟ فقال التابعى : لا .

خلع الصعیدی الجلباب ووقف : باللباس الداخلى الصعیدی عارفينه وهو يردد للتابعى : عرفتنى يا خوى ؟ فإذا بالتابعى يؤكد له والله لو حتى انسلخت من جلدك فلن أعرفك .



هذه النكات .. كان الدكتور أسامة الباز يستمع إليها من كثيرين .. وهو يؤكد لهم الدمايطة شطار .. وليسوا بخلاء على الإطلاق وهم أهل كرم ، وأشهد بذلك لأننى عشت معهم وبينهم سنوات فى دمياط .. أحلى أيام عمرى كلها .

وياريت كل أبناء مصر .. مثل الدمايطة .. إنهم نموذج لمجتمع متكامل واع .

الصالونات الأدبية والمقاهى الثقافية التى كان يحضرها
الدكتور أسامة الباز فى دمياط

سَمِيحُ قُرَّاجٍ
أهنته الطائفة

لمفاهي الإرساء والثقافية*

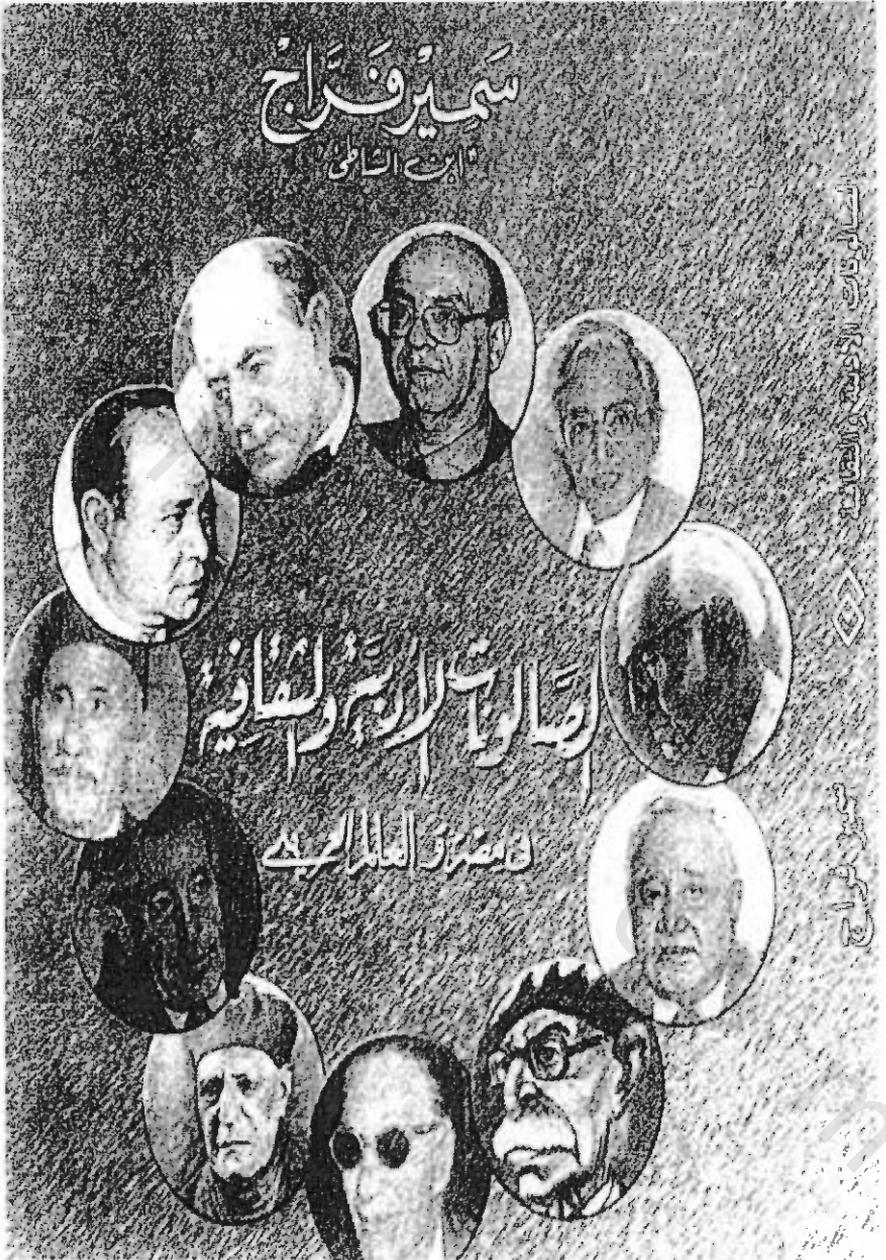
في مصر والعالم العربي



* كان الدكتور أسامة الباز يحضر معظم الندوات والصالونات الأدبية والثقافية في المقاهي بدمياط مثل مقهى «شاهين» بسوق الحسبة القريبة من منزلهم في ذلك الوقت، وكان يحضر بصحبة والده في مقهى «معد»، يستمتع بمناقشات وأشعار كتاب الأدباء والشعراء.

المقاهى الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربى هى ذلك التاريخ الحى والمسجل
بيوتات هامة جاءت على لسان كل أديب وكاتب ومثقف جلس على المقهى ويؤكد المؤلف
الأستاذ سمير فراج «ابن الشاطىء» أن نجيب محفوظ أحد أشهر المشاهير فى الأدب والفكر
والثقافة والسياسة والفن والصحافة، الذين جلسوا على المقاهى التاريخية فى مصر
وحولها هكذا إلى تاريخية ومعظم هذه المقاهى تحولت إلى صالونات فنية وثقافية شهيرة
شهرة روادها، وأبرز أدبائها نجيب محفوظ وهو من أكبر وأهم الأدباء الذين شهدتهم
الثقافة العربية على مر العصور، فقد كانت حياته نموذجاً للإخلاص والتفانى فى الكتابة
والإبداع، وكانت حصيلته سنوات عمله، هو ذلك الهرم الرابع الذى أثرى المكتبة العربية،
ورسخت به فناً جديداً هو فن الرواية وأهم ما يمثله نجيب محفوظ أنه لم يكن كاتب مصر
وحدها، ولكنه كان أديبا لكل العرب.

وتميزت مدينة دمياط بكثرة المقاهى التى كان يتبارى فيها الأدباء والشعراء بقصائدهم
وأشعارهم ويحضرها كبار الأدباء والشعراء وأصحاب العزة والمقام الرفيع، ومنهم
العمالقة الشاعر الأسمر والشاعر الغاياتي والشاعر الصيرفي وشاعر العامية البدري
محمد بن، وطاهر أبو فاشا وغيرهم من هؤلاء الدمايطة البارزين بمواهبهم الأدبية
والشعرية، واشتهرت دمياط بأنها المدينة الشاعرة منذ قديم الزمان.





«ابن الشاطي»

حظيت الصالونات الأدبية والثقافية في مصر والعالم العربي بكل الاهتمام، وسجلها التاريخ في وثائقه، ويعتبر العقاد ومي زيادة ومحمد زكي عبد القادر في مقدمة الأسماء الشهيرة التي انعقدت عندها تلك الصالونات، لكنها قديمة قدم التاريخ نفسه، ووجدت منذ مئات السنين، ومن ينسى صالون عائشة التيمورية والصالونات القديمة جدًا في أنحاء مصر المحروسة، ولعل من أبرزها تلك الصالونات الحافلة بالمناقشات الأدبية والثقافية والصحفية والعلمية والتي تعتبر من أهم القطوف العطرة في تاريخ مدينة كدمياط على سبيل المثال.

وكان الدكتور أسامة الباز حريصًا وهو في مهد شبابه، وما زال يتلقى العلم بمدارس دمياط الابتدائية والثانوية أن يحضر - مع والده الشيخ السيد الباز هذه الصالونات التي يحضرها ويواظب عليها خاصة التي كانت منتشرة في ربوع المدينة، وكثيرًا ما كان يصاحبه فيها الشيخ محمد علي عبد الرحمن والدكتورة عائشة عبد الرحمن بن الشاطي، وكان زميلًا له في المعهد الديني بدمياط، والشيخ محمد محمد عمر أستاذ الخط العربي وصفوة من كبار العلماء والأدباء والشعراء وأهل العلم والدين.. وكانت هذه الصالونات تلقي كل الاحترام والتقدير من كل أبناء دمياط.

أسامة الباز..

المفاوض العنيد فى كامب دافيد

بعد الدراسة فى دمياط .. ثم فى كلية الحقوق ثم حصوله على الماجستير والدكتوراه يصبح هذا القطب السياسى البارز، وتتعدد مناصبه ي وزارة الخارجية، ويصبح فى النهاية المستشار السياسى لرئيس الجمهورية



سكن فى
المعادى ثم
انتقل إلى
القاهرة الجديدة
ونزوح ثلاث نساء



فى القاهرة
عشق الفول
والطعمية
عند التوكسى
ونجف.. وفى
بوسطن اختار
حلقات الجصل
وكوب اللبن



لمتلك سيارة
غير مكيفة
وثلاثة
مكاتب
أحدها فى
الرئاسة
تتكلم فيها
الخطاب
والصندوق
المملوءة
بالملفات



دخل
أسامة
فلك
السلطة
من باب
التأليب
العام



اختاره
السادات
لكتابة
خطاب
الكنيست
قبل أن
يصبح
المستشار
السياسى
لمبارك

قصة المفاوض العنيد فى كامب ديفيد

الذى فاهض كارتر.. وترك السادات ليشاهد أفلام فريد الأطرش



كان مهموماً بالقضية الفلسطينية والصورة له
مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات

(السياسي الخطاط) الدكتور أسامة الباز من رواد الخط العربي.

يقول فنان الخط العربي الكبير خضير البورسعيدى:

معرفتى بالدكتور أسامة الباز تعود لسنة ١٩٦٩م - كنت ظهرت فى التلفزيون، وبزغ نجمى فى الخط العربى، فأرسل لى الدكتور أسامة يريد أن يكتب اسمه عن طريق الأستاذ محمد خيرت مدير عام فى وزارة الخارجية، وطلب منى أن أتفضل بكتابة اسمه فقط «أسامة الباز» دون ما يسبقه من كلمة «دكتور»..! ورجانى بذلك، وبالفعل نفذت لسيادته رغبته، وكتبت «أسامة الباز»، وأرسلته له الاسم.. ثم جاء لى نفس الرسول، وأخبرنى بأن الدكتور أسامة يريد أن يتعرف على لاهتمامه الشديد، وولعه بالخط العربى، فرحبت بذلك، وقله له: أهلاً وسهلاً يشرفنا فى أى وقت يريدته تحت أمره.

ويستطرد الفنان خضير البورسعيدى: من الأشياء الغريبة أن الدكتور أسامة الباز حضر بالفعل إلى مبنى التلفزيون، وسأل عنى أمن التلفزيون، فطلبوا منه أن ينتظر حتى يتم الاتصال بى، ويخبرونى بذلك، ولم يتعرفوا على الشخص، المهم الواقف أمامهم وأنه الدكتور أسامة الباز - وقالوا لى: يوجد ضيف فى انتظارك فى استقبال التلفزيون بالدور الأرضى باب رقم (٤) - لم يقل لهم هذا الضيف من يكون هو، منتهى البساطة والتواضع الجلم، ويضيف الفنان الكبير خضير البورسعيدى:

أنا نزلت على الفور لاستقباله، وفوجئت بأنه الدكتور أسامة الباز، وكنت فى حيرة شديدة، وتراقصت أمامى علامة استفاهية ضخمة، هل لم يعرف أمن التلفزيون الشخصية الهامة التى تقف أمامهم!؟

عندما قلت ذلك لهم معتذراً للدكتور أسامة، وأنه كان يجب أن يعرفوا ذلك، فوجئت بهذا الإنسان الجميل المتواضع يقول: لا.. لا.. لا توبخهم على ذلك، هم فعلوا الصبح، ولا بد من أن أكون مثل كل الناس، وبنفس أسلوب استقبال الضيوف، هذا حقهم

* الفنان مسعد خضير البورسعيدى: نقيب الخطاطين ورائدهم الآن فى مصر والعالم العربى، والذى كان مقرّباً جداً

من الدكتور أسامة الباز، وربط بينها الخط العربى.

وواجههم في نفس الوقت، وفوجئت برغبة الدكتور أسامة باصطحابي معه إلى مبنى وزارة الخارجية، وكان مقرها في ذلك الوقت من الزمن في ميدان التحرير، وليس المبنى القائم الآن بجوار التلفزيون، واقترح أن نقطع المسافة معاً سيراً على الأقدام من التلفزيون للخارجية بالتحرير، وقال لي: إنه جاء أيضاً دون أن يستقل سيارته أو سيارة الوزارة، وأدركت من اللحظة الأولى والهولة الأولى أنني أمام شخصية محترمة جداً، لها حضورها وبريقها الخاص وحقيقة كنت سعيداً جداً جداً بمعرفته.

أصبحت أمتع منذ ذلك اليوم بصداقة وطيدة مع الأستاذ الدكتور أسامة الباز جمع بيننا فن الخط العربي، كان عاشقاً له، يمارسه ويبدع فيه ولكنه كان يؤكد لي: أنت مثل الدبلوماسي البارع في الخارجية - تمارس فنون الخط العربي بذكاء، وأنا أستمتع بما تكتبه من الخطوط العربية بمختلف أنواعها على شاشة التلفزيون، وأنا من اليوم تلميذك في جامعة فنون الخط العربي قلت له: يا دكتور أسامة، هذا شرف عظيم ما بعده شرف، أنت فنان تمارس الدبلوماسية بالخط العربي، وأعجبه هذا التعبير جداً، فضحك من قلبه، وعقب على ذلك قائلاً وبسرعة: وأنت تمارس الخط العربي بفن العمل الدبلوماسي في الخارجية، وضحكت مع سيادته وازدادت صلتى به، فوجئت به يقول: أريد أن أتعلم الخط العربي الأصيل بكل فنونه، من أجل هذا حضرت إليك في التلفزيون تقديراً لفن هذا الخط العربي، من الآن سوف أتلقى دروساً فيه عنديك، هل تمانع..!

ووجدت نفسى أمام هذا العملاق الدبلوماسي الأشهر وهو يجلس يتابع فنون الخط العربي من حركة يدي التي تكتب ويتأملني بدقة وأنا أكتب الحرف والجملة بالخط العربي باهتمام شديد، وبدأ الدكتور أسامة الباز يتعلم فنون الخط العربي عن قرب..!

يأتى عندي في مقرى الدائم - يحاول باستمرار أن يتعلم الجديد في فن الخط العربي، وكان كثيراً ما يجب أن يطلق عليه لقب «السياسى والخطاط» - وتوجد مقالات كثيرة أشارت إلى ذلك بالفعل، في الصحف والمجلات في الداخل والخارج، وأنا أحتفظ ببعض هذه المقالات التي أشارت إليه في ذلك، وكنت أدخرها له، كما كانت رغبته أن يكون له ملفاً خاصاً بالخط العربي تحت عنوان: السياسى الخطاط، كذلك وافق على أن يتولى رئاسة المؤتمرات والندوات التي تعقدها الجمعية المصرية العامة للخط العربي التي أشرف برئاستها، ومهما كانت مشاغله وهمومه وارتباطاته السياسية كان حريصاً على حضورها، ولم يتخلف يوماً، بل أنى في بعض الأوقات كنت أحدد موعد المهرجان أو الندوة أو

المعرض على حضور ارتباطاته هو .. لأنه كان يتألم كثيراً عندما يتخلف عن أى ندوة أو معرض للخط العربى ، كان شديد الوفاء لهذا الخط العربى الذى يعتبره هذا الجزء الهام من التراث الإسلامى المصرى والعربى فى كل مكان فى العالم، وأنه أرقى الفنون فى التاريخ كله، كان يقوم بين وقت وآخر بزيارتى فى مقرى الدائم بالجمالية بالحسين - ليتعرف على الجديد فى فنون الخط، ويجلس يحاورنى ، ويقف يتأمل لوحاتى فى فنون الخط بإعجاب شديد، وكانت سعادته كل عام فى مؤتمرات التكريم أثناء الاحتفالات بعيد الخط العربى، كان يتحلى بروح الود والاحترام لنا كمارسين محترفين لكتابة الخط العربى ، ويشجعنا ويبارك خطواتنا ، ويحل مشاكلنا فى صمت ودون صخب أو إعلان ، وكنا قد اجتمعنا فى الجمعية المصرية العامة للخط العربى ، وقررنا منحه العضوية الشرفية فى نفس الوقت، ويقوم بنفسه بتكريم كل الأجيال من المهوبين الذين يحاولون أن يكونوا شيئاً فى فنون الخط العربى إلى الرواد الكبار الذين حققوا الكثير من النجاح والتفوق والتألق فى هذا الفن الرفيع الخط العربى بمختلف أنواعه، كان الدكتور أسامة الباز شخصية تبهر الجميع، متواضعاً غير متكلف كما نرى ذلك عند البعض من صغار المسؤولين أيضاً..!

لكنه وهو الكبير قيمة ومكانة ، وفى موقع المسؤولية الكبرى شديد التواضع لا يجب أى اهتمام غير عادى به عندما يكون فى زيارتنا أو فى مؤتمراتنا ، ويطلب منى معاملته كإنسان عادى جداً يهتم بفنون الخط، لا غير ، وكنت فى الواقع أتردد فى ذلك كثيراً ، فكيف لى أن أتعامل مع شخص غير عادى مثله وشهرته الدولية على مستوى العالم أجمع على أنه رجل السياسة المصرية ، صاحب المكانة المرموقة - بهذا الشكل الذى يريده - وكنت أجد حرجاً شديداً ، وأنا أحاول أن ألبى له ذلك - لكنه كان يبدو سعيداً أن يكون هذا الإنسان العادى..!

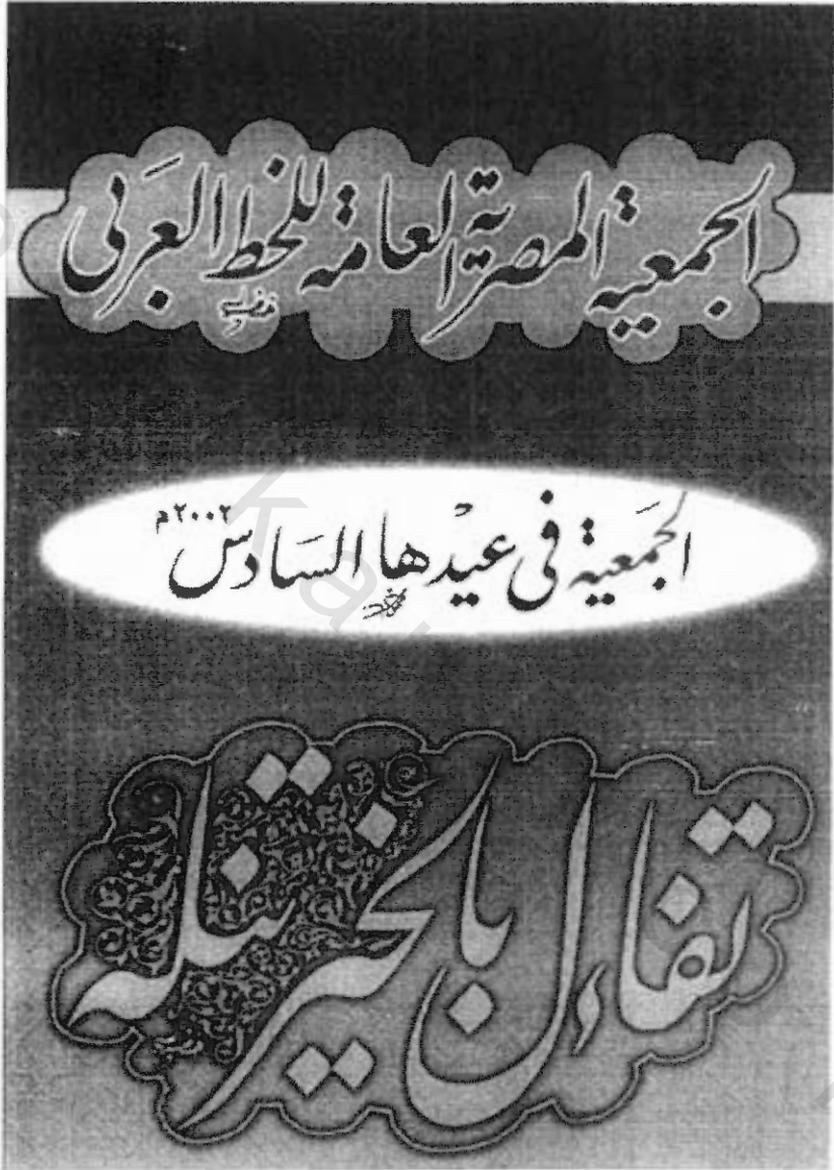
أذكر مرة أنه كان قادماً لى فى زيارة لمعرض لى وندوة ومؤتمر عام فى احتفالية كبرى للخط العربى - وقمت على الفور بإبلاغ قسم شرطة الجمالية الملاصق لى بأن السيد المستشار السياسى للسيد رئيس الجمهورية سوف يشرفنا فى مقر الجمعية، وتحدثت مع المأمور بشأن رعاية المكان أمنياً فى وجود هذه الشخصية السياسية الكبيرة ، وأحس الدكتور أسامة الباز بهذه الرعاية الكبيرة وبالاهتمامات غير العادية أمنياً وإذا به يعاتبنى على ذلك ، وأنه لم يطلب منى هذا ولا يطلبه فى أى موقع يتعامل فيه مع الآخرين سواء كان هذا فى مؤتمر أو ندوة أو احتفالية ثقافياً أو فنياً أو سياسياً.



فنان الخط العربي الكبير .. خضير البورسعيدي

والعهد إلى روح العزيز الغالي
 للفكر ساذج الكثور أسامة الباز
 علمت من أضي للديستاف سحر فرج ابن الشاطي أن
 بعد كتاباً عن الرجل الكبير الكثور أسامة الباز صدقنا
 البار باخط العزك وفنونه، والرئيس الشرفي للجمعية المصرية
 العامة للخط العزك، والنزي شرفابه ولعاملاً للهدى
 العزكي ومن ضمنه الخط العزك، ورئيساً شرفياً للهدى ومؤتمروه
 فانتز الفرصة في صدر الهدى الكثر لنزي الكثر سيعبرمها للغاية
 حياة الهدى المهدوه الفناء الشقف والسياسي المحترم، ويسر
 فهدوا كبراً عن السياسي الفناء، والفناء السياسي، والهدى
 الكثر المحترم. رحم الله فقيدنا صاحب الحكمة المرموقة والنزلة الرفيعة
 صاحب العبقرية السياسية والثقافة الفنية وللهدى
 الكثور أسامة الباز

خضير البورسعيدي



* كان الدكتور أسامة الباز الرئيس الشرفي لها .. ويحرص على حضور ندواتها ومعارضها في الداخل والخارج.

كَلِمَاتٌ عَلَيْكَ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ
كَلِمَاتٌ عَلَيْكَ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ

قَوْلُكَ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ
قَوْلُكَ يَا حَمْدُ يَا حَمْدُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أعياد الخط العربي

حرصت الجمعية في عيدها السنوي من عام ١٩٩٦ م على تكريم أئمة ورواد الخط العربي عرفانا منها بعطائهم على الأجيال وذلك بحضور كبار الشخصيات العامة المهتمة بفن الخط العربي ، وقامت بمنحهم الشهادات والمداليات مع إقامة معرض بحفل موسيقى .

وفي عيد عام ١٩٩٨ م كرمت الجمعة العديد من الشخصيات مشتملة على المديرين والمشرفين الفنيين بمدارس الخط على مستوى الجمهورية بمنحهم الشهادات والمداليات بصرف النظر على أنهم أعضاء في الجمعة أم لا .

وذلك بحضور السيد الدكتور أسامة الباز رئيس شرف الجمعية مستشار السيد رئيس الجمهورية وبحضور وكلاء وزارة التربية والتعليم وكبار رجال التعليم المهتمين بالخط العربي مع إقامة معرض وحفل موسيقى .

وفي عيد عام ١٩٩٩ م الذي حضره العديد من الشخصيات الرسمية ، وقامت الجمعية بتكريم الرواد من خطاطي الصحافة والشخصيات الصحفية المهتمة بشؤون فن الخط العربي وتكريم أوائل الطلاب على مستوى الجمهورية في دبلومي الخط والتخصص مع إقامة معرض وحفل موسيقى .



وفي بداية الألفية الثالثة في عيد عام ٢٠٠٠م كرمت الجمعية الفائزين في المسابقة الفنية على مستوى الجمهورية التي أقامتها الجمعية ، وكانت الجائزة الأولى ٥٠٠ جنيه، والثانية ٣٠٠ جنيه، والثالثة ٢٠٠ جنيه، والرابعة ١٠٠ جنيه ، ومن الخامسة إلى العشرين ٥٠ جنيه، وقد ساهم رئيس الجمعية بمبلغ ١٠٠٠ جنيه من جيبه الخاص في هذه الجوائز، وقامت الجمعية بمنح شهادات تقدير وميداليات تذكيرية لأوائل دبلومی الخط العربي، وقد صحب الاحتفال معرض فني وحفل موسيقي.

وفي عيد الخط ٢٠٠١ وزعت جائزة خضير بورسعيدى والتي أعلن عنها إذ فاز كل من الأول في الدبلوماسيين بجائزة ٥٠٠ جنيه لكل منها وأيضا قدمت الجمعية شهادات تقدير وميداليات تذكيرية للعشرة الأوائل ، كما كرمت الجمعية بعض نجوم الخط والمهتمين به ، وصاحب العيد معرض خطي وحفل موسيقي.

وفي هذا العام ٢٠٠٢ يسعد الجمعية أن تقوم بتكريم الأستاذة والصحفيين وهم:

أولا : المرحومين : قدرى عبد القادر وسيد عبد القادر.

والأستاذين : سعد سليمان وحسن يوسف.

ثانيا : الضيوف: الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى والأستاذ محمد التميمي.

ثالثا : الدكاترة : كمال الجويلي - جمال الغيطاني - مصطفى عبد الرحيم - سمير فراج "ابن الشاطيء".

رابعا: الأستاذة : إبراهيم بيكاسو - حسن صالح الخولى - أحمد الجابرى - صبحى الشارونى - أمير الرفاعى - مرسى عبد المعتمد.

خامسا : شيخ الخطاطين المصريين : محمد إبراهيم محمود.

سادسا: أوائل دبلومی الخط العربي.

سابعًا: وختامه مسك ، تكريم الدكتور أسامة الباز رئيس شرف الجمعية حفظه الله ورعاه وسدد على طريق الخير خطاه، المثل والنموذج الأعلى لنا جميعًا.

يَا عَالَمِ الْكَسْبِ

يَا خَالِقَ اللُّوحِ وَصَلِّمْ وَأَشْرُقْ وَقَسِّمْ أَرْحَمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

وَأَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ

كن للظلم حونا وللظالم حوصا

وان عاقبتهم قبيحا
وان عاقبتهم قبيحا
وان عاقبتهم قبيحا

عجبت لمن ظلم نفسه نصف عمره



في احتفالات ومهرجانات ومعارض الخط العربي يظهر الدكتور أسامة دائم



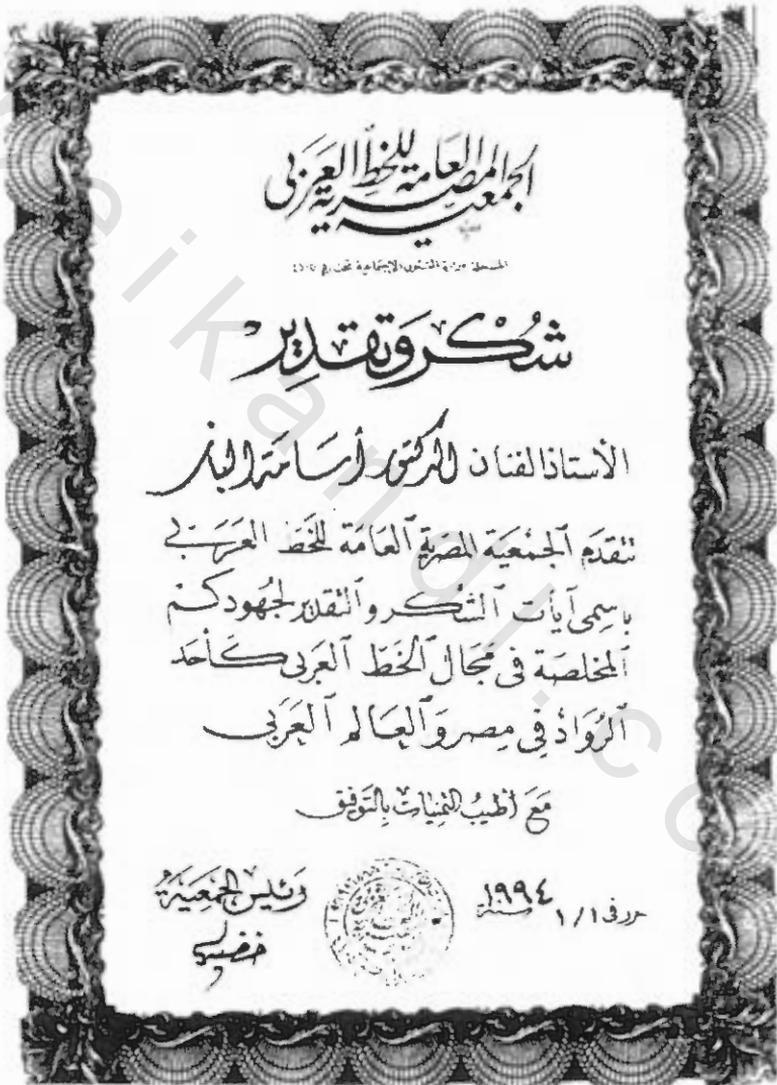
الدكتور أسامة الباز يتابع ومشاهد ويوزع شهادات التقدير بنفسه في معارض واحتفالات الخط العربي مع خضير البورسعيدى



الدكتور أسامة الباز والفنان خضير البورسعيدى
«الشهير» وفي الصورة العليا يظهر معها على المنصة
الكاتب الصحفى سمير فراج ابن الشاطىء «المؤلف»



تكرم الدكتور أسامة الباز في مهرجانات وأعياد
الخط العربي





الكاتب الصحفي - المؤلف - سمير فراج ابن الشاطي يتسلم جائزته من الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي لرئيس الجمهورية ، ويجواره الفنان البورسعيدى سيد الملاح وعبرى الخط العربى مسعد خضير فى أحد احتفالات ومهرجانات الخط العربى



الدكتور أسامة الباز والكاتب سمير فراج ابن الشاطىء والفنان خضير البورسعيدى على المنصة الرئيسية للاحتفال بأحد أعياد الخط العربى السنوية التى حضرها الدكتور أسامة الباز على مدار سنوات طوال ، وكان يحرص على ذلك



الدكتور أسامة الباز يلقي كلمته خلال الاحتفال وبجواره الفنان خضير
البورسعيدى والكاتب الصحفى والأديب سمير فراج «ابن الشاطئ»



الخط العربى يحتفل بعيد الثالث .. مع أسامة الباز

د. أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية كان ضيف احتفال الجمعية
المصرية للخط العربى بعيدها الثالث والذى تناول بالمناقشة أثر الكمبيوتر فى هذا الفن
العريق وتراثه التليد وانعكاس هذا الأثر على شكل الخط فى الأعمال التليفزيونية
أكد د. أسامة أن الكمبيوتر برىء من تدهور فن الخط العربى لأنه خزانة معلومات،
أما تطوير الخط فهو مهمتنا نحن وبأيدينا.



الدكتور أسامة الباز وصداقة وطيدة ربطت بفنان الخط العربي الشهير
خضير البورسعيدى والصورة لهما معًا



الدكتور أسامة الباز يقبله أحد المهتمين بفنون الخط العربي
في إحدى المناسبات الخاصة به



الدكتور أسامة الباز مبتسماً يتابع أحد معارض عبقرى الخط العربي
خضير البورسعيدى وهو فى قمة سعادته بفنون الخط العربي

جيمى يتسبب فى أفول نجم الدكتور أسامة الباز
وجيچى تتسبب فى موت كوكب الشرق أم كلثوم!!
قصة جيمى وأبو الأنوار!! فى عهدي السادات ومبارك!!

هل كان السادات ضعيفاً أمام زوجته جيهان؟

كانت الفترة التى جاءت عقب رحيل الزعيم «جمال عبد الناصر» ، وهى الفترة التى حكم فيها الرئيس «السادات» ، واستمرت على مدار إحدى عشرة سنة كانت فترة حافلة بأحداث ثقال، فترة مضت بمصر إلى طريق آخر تمامًا ، كان يقتضى تغيير الأشخاص والرموز والسياسات..

بدأت فترة حكم «السادات» بتغيير كل رموز الحكم والذين كانوا يدينون بالولاء لفترة حكم «عبد الناصر» ، وحوكموا فيما عرف بقضية مراكز القوى ، ثم جاء قرار طرد الخبراء السوفيت من مصر ، وتفجرت حرب أكتوبر بين مصر وإسرائيل وبعدها بدأت مفاوضات فك الاشتباك، والتى كانت مقدمة لمعاهدة «كامب ديفيد» لإقامة سلام منفرد بين مصر وإسرائيل ، وما أدى إلى مقاطعة عربية شاملة لمصر.

هذه الأحداث السياسية المتلاحقة صاحبها أحداث ماثلة على الجانب الاجتماعى والاقتصادى والنفسى ، فقد أخذت مصر بسياسة الانفتاح الاقتصادى وما أدى إليه من إعلاء للقيم المادية فى المجتمع على حساب تراجع القيم الأصيلة والتقاليد والانتهاء ، كما عرفت هذه الفترة ظهور قانون أحوال شخصية جديد وهو ما عرف باسم قانون «جيهان» ، ثم اصطدم نظام «السادات» بكل رموز المعارضة السياسية ، وأودع الجميع السجنون فيما عد بأنه البداية الحقيقية التى انتهت بمصرع السادات فى السادس من أكتوبر عام ١٩٨١م.

هذه الأحداث التى شهدتها فترة حكم «السادات» على الصعيدين السياسى والاجتماعى كانت محورًا لكثير من الدراسات والتحليلات، وكان هناك سؤال يثار على

الدوام ، سؤال كان يردده العامة قبل الخاصة ، وربما كان هذا السؤال بمثابة ضغط على طبيعة المصرى المحبة للفكاهة فأطلق نكاته .

أما السؤال فكان : هل حكمت «جيهان السادات» مصر ؟ وما هو دورها في كل هذه الأحداث ؟ هل كان «السادات» «العبوة» في يدها؟ وكانت من خلاله تصدر ما تشاء من قرارات؟

كانت النكتة السائدة أو المنتشرة في هذا الوقت : أن «جيهان» طلبت من «السادات» أن ينزل إلى الأسواق متخفياً ليدرس أحوال الرعية، فأطاع «السادات»، وعندما سأل أحد البائعين عن سعر إحدى السلع التي يبيعها ، طلب منه ما يزيد عن تسعيرتها ، فلما طالبه السادات بالبيع بالتسعيرة الجبيرة سبه البائع ، وعندئذ ذهب «السادات» إلى «جيهان» شاكياً مؤنباً لها على مشورتها ، ومرة أخرى تطلب منه أن ينزل إلى نفس البائع ، ولكن في موكبه الرئاسى وبين حاشيته ، ومرة أخرى يطيع «السادات» ما تأمره به «جيهان» ، وعندما يسأل البائع عن سعر السلعة يقول له البائع ساخراً : «ألم أخبرك به من قبل ثم يسبه مرة أخرى»!

هذه الطرفة كان المصريون يتندرون بها إحساساً منهم بان «جيهان» تتدخل في كل كبيرة وصغيرة ، وأنها تكاد تقبض على السلطة بأناملها الرقيقة بينما يخشى «السادات» أن يقول لها: «لا»، لكن إلى أى مدى كان هذا حقيقياً؟

عندما قابل «أنور السادات» «جيهان» لأول مرة في منزل صديقه «حسن عزت» في السويس ، كانت «جيهان» في السادسة عشرة من عمرها ، جميلة ، حلوة ، ذات جاذبية وحيوية متدفقة ، كانت هذه الملامح كافية لجذب انتباه «السادات» ببشرته السمراء إليها ، ففكر على الفور في الزواج منها رغم أنه كان متزوجاً من ابنة عمدة بلدته السيدة «إقبال ماضي» ، والتي كانت لـ «السادات» منها ثلاث بنات هن : «رقية» ، وراوية ، وكاميليا» .

أما «جيهان» فقد أعجبها في «السادات» ما كانت تسمعه عن بطولاته ووطنيته ، وأنه مطلوب على الدوام من البوليس بسبب انشغاله بقضايا وطنه ، المهم أن زواجها منه قد تم على الرغم مما قيل لها عن شكله ومظهره ، ولعل هذا يعطينا انطباعاً عن مدى قوة شخصيتها وعزيمتها ، وهو ما أظهرته الأيام بعد ذلك حيث تولى زوجها زمام السلطة .

لقد بدأت سيطرة «جيهان» على زوجها والتدخل المباشر في حكم مصر مبكرًا، وقبل أن يصبح «السادات» رئيسًا للجمهورية.

كان «السادات» قد تولى منصب رئيس الجمهورية، وبينما كان «جمال عبد الناصر» في رحلة علاج .«روسيا» أعجبت «جيهان» بفيلا بالمهرم ملك اللواء «الموجي»، وطلبت «جيهان» الحصول على هذه الفيلا، لكن صاحبها اللواء «الموجي» رفض مغادرتها، لكن «السادات» الضعيف أمام إصرار زوجته، أصدر قرارًا بوضع اللواء «الموجي» وأملأه تحت الحراسة إرضاء لـ«جيهان»، كاد هذا السلوك المبكر من «السادات» انصياعًا لأوامر زوجته أن يطيح بمنصب نائب الرئيس وذلك عندما علم «عبد الناصر» بما حدث.

بعد تولى الرئيس السادات الحكم كان تدخل «جيهان» في أسلوب الحكم سافرًا، بل إنها أقامت لنفسها مكتبًا يضارع مكتب الرئيس نفسه، وتحولت يومًا بعد يوم إلى مصدر لكل السياسات التي تدار بها مصر في الداخل والخارج، وكان هذا في حد ذاته مصدر حنق وسخرية الكثيرين، وسوف نورد بعضًا من الروايات التي تظهر المدى التي آلت إليه أمور الحكم في مصر من جراء تدخل السيدة الأولى «جيهان صفوت رؤوف» في كل صغيرة وكبيرة حتى كانت النهاية المأساوية التي نعرفها جميعًا.

أخذ «السادات» بمشورة «جيهان» عندما دفعته لاعتقال مجموعة «على صبري» (مراكز القوى)، وكان السادات ينوى فقط إبعادهم عن الحكم، وعندما أصبحت «جيهان» رئيسة للمجلس الشعبى لمحافظة المنوفية - رغم رفض «السادات» - طلبت من محافظها أن يقيم تمثالًا للرئيس «السادات» في أحد ميادين المحافظة، لكن المحافظ طلب أن يستأذن الرئيس أولاً قبل القيام بذلك، إلا أن المحافظ أقبل في نفس اليوم.

مرة أخرى، وعند تشكيل الحزب الوطنى برئاسة «السادات»، وكان هناك اجتماع برئاسة «السادات» مع قيادات الحزب الوطنى بالمقر الرئيسى للحزب بكورنيش النيل، عندما تلفت «السادات» باحثًا عن «جيهان» إلا أنها تأخرت في الحضور لوجودها في استراحة القناطر وأنها تريد أن يحضر- «السادات» وقيادات الحزب إلى القناطر، ولم يكن أمام «السادات» سوى تنفيذ ما أمرت به «جيهان»..!

ولعل قصة منح المطربة «صباح» الجنسية المصرية بأمر السيدة «جيهان السادات»

تظهر بوضوح تام كيف كان «السادات» يخضع لزوجته حتى أصبحت هي الحاكم الفعلي لمصر. ولنترك أحداث هذه القصة تشهد بوقائع جاءت على لسان وزير الداخلية الأسبق «النبوي إسماعيل»، فهو يقول:

طلبت منى «جيهان السادات» أن أمنح الجنسية المصرية لمطربة لبنانية مشهورة «صباح»، وكنت غير مرتاح لهذا الطلب، حتى لا أفتح الباب لطلبات أخرى مماثلة وأيضاً حتى لا أفتح الباب للقبيل والقال.

فذكرت لها أنى سوف أتولى فحص الموضوع، ولم أحرك ساكناً، فاتصلت بى عدة مرات تستعجل البت فى هذا الموضوع، فأجبتها بأن هذا الأمر يتطلب العرض على الرئيس للحصول على موافقته، وأن حالة هذه الفنانة لا تدخل ضمن حدود اختصاصى فى منح الجنسية فى حين أنها فى الحقيقة كانت تدخل فى اختصاصى ويمكن منحها لها بقرار منى كوزير للداخلية.

فطلبت السيدة «جيهان» عرض هذا الموضوع على الرئيس فى أقرب فرصة فوعدها بذلك، وبعد فترة طلبنى السادات للقاءه فى القناطر الخيرية، فاتصلت بى «جيهان» تليفونياً، وقالت لى: أنها قد علمت أن السيد الرئيس طلبنى لمقابلته، وترجو ألا أنسى أن أعرض موضوع هذه الجنسية عليه، فوعدها بذلك.

وعند مقابلة الرئيس «السادات» ذكرت له أن هناك طلباً مقدماً من إحدى الفنانات لطلب الجنسية، وإننى أرى عدم فتح الباب لمثل هذه الأمور، ولم أذكر له أن حرمه قد أوصت على هذا الطلب فوافقنى على وجهة نظرى بحفظ الموضوع وعدم الاستجابة للطلب.

وحين عدت إلى مكتبى اتصل بى مكتب «جيهان السادات» وسألنى عما إذا كنت قد ذكرت عرض موضوع منح الجنسية على السيد الرئيس، فأجبتة بأننى قد توليت عرضه، وطلب الرئيس إرجاء البت فيه.

وبعد دقائق سمعت نداء من المحطة اللاسلكية الموجودة على مكتبى باستعداد ركب «جيهان السادات» للتحرك من الجيزة للقناطر، وكانت الساعة الثالثة مساءً عندما تلقيت من إدارة اللاسلكى إشارة بوصولها فعلاً للقناطر، وبعد فترة وجيزة طلبنى الرئيس

«السادات» تليفونيًا، وقال لي: «أنت كنت عرضت على النهاردة طلب منح الجنسية، وقررنا إرجاء البت فيه، وأنا أرى أنه ليس هناك ما يمنع من منح هذه الجنسية، ومثل هذه الفئانة تؤيد مصر في المواقف الوطنية والأعياد القومية..».

تعكس هذه القصة مدى الضعف الذى كان عليه الرئيس «السادات» أمام زوجته، وقد يتساءل المرء.. لماذا؟.. هل كان ذلك يعود لقوة شخصية «جيهان» وطموحها الشديد للتسلط والنفوذ؟ أم تراه راجعًا لجاذبية جنسية كانت سيدة مصر الأولى تتمتع بها، وكان «السادات» ضعيفًا أمامها، كما كان «بيرون» الرئيس الأرجنتيني ضعيفًا أمام «إيزابيلا»؟ حقًا قد تعترينا الحيرة ولا يمكننا ببساطة أن نقف على السبب الحقيقي بسهولة فقد كان هذا الأمر خاصًا للغاية.

ولعل أكثر ما شغل الناس وترك بصمات واضحة عميقة في المجتمع المصرى ما أصدرته «جيهان» وعرف باسمها من قانون للأحوال الشخصية جاء في مجموعته منحازًا للمرأة على حساب الأسرة ومصالحها، بل إن بعض بنوده يتعارض بصراحة مع ما جاء بالشرعية الإسلامية وما تنص عليه.

لقد استطاعت «جيهان» أن تؤثر على زوجها «السادات»، وتدفعه لإصدار هذا القانون في غيبة مجلس الشعب، وكان المجلس في إجازة رسمية تنتهى بعد أيام ثلاثة، لكن صدر القانون بقرار جمهورى قبل انعقاد المجلس خشية اعتراض أحد الأعضاء عليه، ومن المعروف أن القرارات الجمهورية تصدر في غيبة مجلس الشعب عندما تكون هناك ضرورة قصوى التى جعلت «السادات» يعجل بإصدار هذا القانون قبل أن يناقشه مجلس الشعب وقبل انعقاد المجلس بثلاثة أيام فقط؟ إلا إذا كانت هذه الضرورة تتعلق بأمر من سيدة الباب العالى «جيهان السادات»!..

كان كل من اقترب من مؤسسة الحكم خلال فترة حكم «السادات» يدرك بوضوح تام كيف أصبح لـ «جيهان» اليد العليا في كل شيء في مصر، بل إن الأمر وصل إلى درجة محاربة كل من ظنت السيدة «جيهان» أنه يضع رأسه برأسها، فهى السيدة الأولى والحاكمة بأمرها ولها المجد والصولجان، فكيف يجرؤ كائن من كان على الوقوف على قدم المساواة معها؟ أو أن يجرؤ على أن يقول لها لا؟!.

وهناك قضيتان تينان هذا المدى الذى وصلت إليه «جيهان» من انفتاح الذات إلى درجة قاتلة وخطيرة، كانت قضيتها الأولى مع سيدة الغناء العربى «أم كلثوم» والثانية مع الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس جامعة عين شمس!!

لم تكن «أم كلثوم» شخصية فنية بارزة فحسب، بل إنها كذلك كانت - وما تزال - تملك شعبية جارفة من المحيط إلى الخليج، وكان البعض يعتبرها لسان الثورة والسلاح السرى لـ «عبد الناصر»، وفوق ذلك كان للسيدة «أم كلثوم» مواقفها الوطنية والقومية التى تبلورت مع ظهور الثورة ومواقفها مع كل التحديات التى واجهت مصر خلال فترة الخمسينيات والستينيات خاصة تلك الفترة التى تلت نكسة عام ١٩٦٧ م.

بعد رحيل «جمال عبد الناصر» فى سبتمبر عام ١٩٧٠ م تصورت السيدة «أم كلثوم» أنها لا تزال تحظى بنفس المكانة التى كانت عليها فى حياة «عبد الناصر»، ولم تكن تدرك نوايا السيدة الأولى، وأنها لا ترضى أن تكون هناك سيدة أخرى تماثلها بروزًا ولمعانًا، وأن الخنق أو الحقد قد تفاعل داخلها للدرجة أنها باتت تتحين الفرصة لتضع «أم كلثوم» فى حجم ترضى هى - أى «جيهان» - عنه وفى الوقت نفسه يشبع غرورها.

ولقد حانت الفرصة، كان هناك اجتماع يضم «السادات» و«جيهان»، وعندما حضرت «أم كلثوم» خاطبت «السادات» مرحبة به كعادتها وكعدها به، فقالت له: «أهلا يا أبو الأنوار»، كان هذا تدليلاً لـ «السادات» اعتادت عليه «أم كلثوم»، ولم يكن يثير عصبية أو ثورة «جيهان السادات» فيها مضى، أما الآن فقد تفتحت شهيتها للسلطة والتسلط.

وهكذا لم تطق «جيهان» تدليل «أم كلثوم» لـ «السادات» فثارت ثورة شديدة ونظرت بحدة إلى «أم كلثوم»، وقال لها: «إيه ده.. الزمى حدودك.. أنت تتحدثين إلى السيد الرئيس «أنور السادات» رئيس الجمهورية».

كان هذا بداية الصدام بين «جيهان» و«أم كلثوم»، وعلى أثره تم تقويض مشروع «أم كلثوم» الخيرى والذى عرف باسم «دار أم كلثوم للخير»، ورفع الجميع أيديهم عنه إرضاءً لغضب «جيهان»، بل إن «جيهان» خططت لمشروع جديد عرف باسم «الوفاء والأمل» حل محل مشروع «أم كلثوم»، وورث كل ما له من أرض وأموال، وكان هذا فى حد ذاته جرحًا عميقًا وحادًا أصاب «أم كلثوم» وعجل بوفاها فى أول فبراير عام ١٩٧٥ م.

كانت القضية الثانية والتي تعكس تضخم الذات عند «جيهان السادات» وما صاحب ذلك من رغبة سادية في التسلط على الآخرين وإذلالهم والنيل من كرامتهم ما حدث مع الدكتورة «سعاد أبو السعود» أمينة التنظيم النسائي وزوجها الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس جامعة عين شمس.

كانت الدكتورة «سعاد أبو السعود» أمينة المرأة أو ما عرف بالتنظيم النسائي، سيدة نشيطة بذلت مجهودات كبيرة في جميع المحافظات للارتفاع بشأن المرأة والنهوض بها، والحقيقة أن العطاء والنشاط الذي بذلته الدكتورة «سعاد» قوبل برضا تام من جميع المسؤولين على مستوى المحافظات، فكانت تقام الاحتفالات والندوات أينما حلت، وهذا حقق لها شعبية كبيرة، كان من الطبيعي بعد ذلك أن يحدث الصدام بينها وبين «جيهان السادات»، وحمل تعليقاتها في البداية طبيعة هذا الصدام وحجمه، فقد علقت «جيهان» على ما تقوم به الدكتورة «سعاد» بقولها: «هي بنت أبو السعود فأكرة نفسها إنها بتحكّم مصر».

تصاعدت الخلافات بعد ذلك حيث إن «جيهان السادات» كانت لا تقبل إطلاقاً أن تتساوى مع أحد، فهي تشعر بأنها ملكة مصر وحاكمتها الفعلية، وحدث أن استعملت الدكتورة «سعاد» سيارة زوجها الدكتور «عبد العزيز» وكانت السيارة من النوع «شيفروليه كابريس» سوداء اللون، وكانت هذه السيارة تماثل سيارة «جيهان السادات»، وقد أدى هذا في بعض الأحيان إلى اختلاط الأمر على الحرس أو المسؤولين في الاعتقاد بأن راكبة هذه السيارة هي نفسها «جيهان السادات»، أثار هذا الأمر حنق «جيهان» وغیظها وفجر غرورها وغيرتها معاً.

ثم جاءت قضية الدكتورة «نعمت هاشم» الصديقة الحميمة لـ «جيهان»، وكانت الدكتورة «نعمت» طبيبة وأستاذة طب الأطفال بالجامعة قد تحولت إلى مجلس تأديب عن طريق الدكتور «عبد العزيز سليمان» رئيس الجامعة، وذلك لإهانتها بعضاً من زملائها في الجامعة، وعندما اعترض الدكتور «عبد العزيز» على التجاوز عن تحويل الدكتورة «نعمت» إلى مجلس التأديب بطلب خاص من «جيهان» اعتبرت ذلك بمثابة إهانة لها، فكيف يرفض لها طلب، وهي الحاكمة بأمرها؟!!

بعد ذلك دخلت القضية في فصول درامية فقد تم إيقاف الدكتور «عبد العزيز سليمان» عن رئاسة الجامعة، وتحويله إلى المدعى الاشتراكي ومحكمة الجنايات والتحفظ على ممتلكاته وشقته وشقة ابنته الدكتورة «نانسي»، لقد بدا الأمر كما لو كان حملاً وصواعق قد عصفت بأسرة الدكتور «عبد العزيز سليمان»، فقط لأنه قال: «لا»، لمن بيده الأمر والحكم والسلطة.

تقول الدكتورة «سعاد أبو السعود»: «كانت جيهان تعتقد أنها قادرة على كل شيء، والجميع كان يلجأ إليها من رئيس الوزراء إلى الوزراء إلى المحافظين، وهذا ساعدها كثيراً على أن تصيح في يديها كل مقاليد الأمور».

المهم أن «السادات» رأى أن المحاكم والإيقاف عن العمل والتحفظ على ممتلكات الدكتور «عبد العزيز» يكفى وهو بمثابة شد أذنه، وهذا فيه الكفاية، لكن «جيهان» لا يكفيها هذا، بل تندفع في ثورة وتقول: «أبداً لازم أخرب بيته هو ومراته وعياله، وأمشيهم حافيين وأشحتهم وأدخله السجن وأخليه يتتحر».

لقد حصل الدكتور «عبد العزيز سليمان» على البراءة، وكان «السادات» قد لقي مصرعه، وأصبحت زوجته بلا سلطة ولا نفوذ، يقول الكاتب الصحفي «كمال عبد الرؤوف» في أخبار اليوم الصادرة في ١٦/١٠/١٩٨٢م عن حكم البراءة الذي حصل عليه دكتور «عبد العزيز»: «دوت قاعة محكمة الجنايات بالتصفيق والهتاف - بجيا العدل - عندما صدر الحكم ببراءة د. عبد العزيز سليمان، ونزلت الدموع من عيني العالم المصرى - د. عبد العزيز سليمان - وهو يسمع الحكم ببراءته من جميع التهم الموجهة إليه بعد أن مرغوا سمعته في الوحل سنين طويلة لأنه تجرأ وقال: «لا» لمن كانوا يعتقدون في يوم من الأيام أن أحداً لا يستطيع أن يقول لهم: «لا».

لقد كانت «جيهان السادات» امرأة جميلة واسعة الدهاء، ذات شخصية مهيمنة قاهرة، وقد شبهها الكثيرون بشجرة الدر، فكل منها له أصل تركي، وكل منها كانت الزوجة الثانية لزوجها، وكلاهما دفعت بزوجها إلى الاغتيال، لكن قد يبقى السؤال: كيف استطاعت «جيهان» أن تقهر إرادة «السادات» وسلطته إلى هذه الدرجة؟ ولماذا كان أمامها ضعيفاً إلى هذا الحد المهين؟

يقول الكاتب الصحفي «إبراهيم سعدة» وهو الكاتب المقرب لـ«السادات» وأسرته، كتب يقول عن «جيهان» - بعد موت «السادات» - يقول: «مشكلة السيدة «جيهان» أنها تصورت أن وضعها كزوجة لرئيس الجمهورية يعطيها الحق في أن يكون لها دور سياسي لا يقل أهمية وفاعلية عن الدور الذي يقوم به زوجها، وتأثير هذا الاقتناع فوجئنا بالسيدة «جيهان» تستغل موقعها - كزوجة لرئيس مصر - وتمارس ما تصورته حقًا من حقوقها، وتلعب دورًا أساسيًا أساء إلى زوجها أو أساء إلى شخصها وأعطى لخصوم السادات فرصة كبيرة لنقده والتشهير به، ولست في حاجة إلى ذكر نماذج من هذا التدخل الغريب الذي مارسه السيدة «جيهان» - في حياة الرئيس الراحل - أثار غضب ورفض الغالبية العظمى من المصريين وبالذات الذين أحبوا الرئيس السادات وأخلصوا له، وتمسكوا بقيادته وسياسته، فكلنا نتذكر ما فعلته السيدة جيهان في حياة زوجها الراحل، وكلنا أيدنا - همسًا - رفضنا لهذه التصرفات واعتراضنا - في جلساتنا الخاصة - على تدخلها الغريب فيما لا يحق لها التدخل فيه...!!



الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون» يتلقى «علقة» ساخنة من زوجته «هيلارى»!

لكن هناك سيدة أولى أخرى تفعل ما هو أغرب وأكثر إثارة من سيدة مصر التى كانت «جيهان السادات» ، هذه السيدة هى «هيلارى كلينتون» زوجة الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون».

هذا الرئيس هو أقوى رجل فى العالم لأنه حكم أقوى وأعنى دول العالم «الولايات المتحدة الأمريكية» ، هذه الدولة الإمبراطورية التى يعتبرها البعض رئيسة مجلس إدارة العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وحلف وارسو.

السيدة «هيلارى» لا تحكم الولايات المتحدة فقط بل وتضرب زوجها - أقوى رؤساء العالم - «بيل كلينتون» علقه ساخنة بين الحين والآخر، وكان الرئيس الوسيم يتلقى هذه «العلقة الثقيلة» قبل أن يصبح رئيسًا ثم تواصل الضرب المبرح بعد أن أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. ! هذا يحدث بالفعل، وهذه هى التفاصيل:

ولد الرئيس «كلينتون» فى ٩ من أغسطس عام ١٩٤٦ ، وكان أبوه قد لقي مصرعه فى حادث سيارة وهو عائد من «شيكاغو» إلى «أركنسو» مسقط رأس «كلينتون».

أما أمه فقد تزوجت من تاجر سيارات يدعى «روجر كلينتون» ، ومن الغريب أن «بيل كلينتون» الرئيس الأمريكى قد حمل اسم أبيه زوج أمه معًا، فاسم أبيه «جيفرسون بلاث» وهكذا أصبح اسم الرئيس «وليم جيفرسون كلينتون» ، لكن «كلينتون» لم يجد فى طفولته رعاية إلا من النساء ، خاصة أمه «فرجينيا» وجدته ، كانت أمه ممرضة لذلك ألحقته فى حضانه جدته وجدته.

عاش «كلينتون» حياة الفقر فى صغره وعانى كثيرًا من الحرمان، ولعل هذا ما جعله يشعر بمعاناة الطبقة المتوسطة من عامة الشعب الأمريكى، وعندما خاطب «كلينتون» هذه الطبقة بما عاشه وأحس به فى صغره اكتسب تأييدها، وكانت سببًا فى بلوغه مقعد البيت الأبيض بسرعة لم يكن يحلم بها.

لقد ظل «كلينتون» حاكمًا لولاية «أركنسو» مدة ١٢ عامًا وهى نفس المدة التى قضاها الجمهوريون فى حكم الولايات المتحدة، حتى جاء «كلينتون» وصعد بحزبه الديمقراطى

إلى سدة الحكم.

لقد تعلم «كليتون» في جورج تاون عام ١٩٦٨م، ويدين لأستاذاها «كارول كويجلي» بدين عظيم في بلورة أفكاره ومساعدته على الحصول على منحة دراسية من جامعة أكسفورد استمرت لعامين، ثم دخل بعد ذلك جامعة «بيل» حيث حصل منها على شهادته في الحقوق كما حصل منها على ما هو أعظم من ذلك «زوجته هيلاري».

زوجة الرئيس الأمريكي «هيلاري كليتون» ليست امرأة عادية، إنها امرأة قوية لها سطوة وسلطة، ويعرف الرأي العام الأمريكي ذلك، وعندما كان الرئيس الأمريكي يقود حملته الانتخابية رفضت «هيلاري» أن تحمل اسم زوجها، وبذل مهندسو الحملة الانتخابية مجهودًا كبيرًا لإقناع «هيلاري» لإبداء قدر من الرضوخ لأن الناخبين سيقولون: إن الرئيس لا يسيطر على بيته لا يتوقع منه أحد أن يسيطر على أمور دولة.

وعندما فاز «كليتون» في انتخابات الرئاسة كان أول شيء فعله بعد فوزه هو أن توجه إلى زوجته «هيلاري»، ومدت الأخيرة يدها في جيب تايورها وأخرجت أول خطاب سياسى سوف يلقيه على الشعب الأمريكى بعد فوزه، ثم توجه «كليتون» إلى المنصة لإلقاء الخطاب.

كان ما فعلته «هيلاري» عندئذ له مغزى ومعنى كبير، فهى تقول للشعب الأمريكى: إن أى قرارات سوف يصدرها الرئيس الجديد سوف تخرج من جيب زوجته..!

والحقيقة أن «كليتون» - نفسه - لا ينجل أو يخفى هذه السيطرة والسطوة التى تتمتع بها زوجته، وهو لا يبذل أى محاولة لحجب ضعفه أمام زوجته، بل إنه صرح أخيراً بقول: «إن الشعب الأمريكى سيتقبل وجود امرأة فى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض - مكتب الرئيس - كرئيسة للولايات المتحدة بدرجة أكبر من تقبله لما يوصف بتدخل زوجته «هيلاري» حاليًا فى شؤون الرئاسة». ولعل السؤال الذى يفرض نفسه.. لماذا؟

بداية - وكما قلنا - إن «هيلاري» ليست بالمرأة العادية، فهى امرأة قوية جميلة ذات شخصية مسيطرة، وفوق هذا كله هى واحدة من أكبر عشرة محامين فى الولايات المتحدة كلها، وترتيبها الثالث فى قائمة المحاميات الأكثر كسبًا للفلوس، فهى تكسب ما يساوى ١٦٠ ألف دولار فى العام.

وعندما تقابلت «هيلاري» مع «كليتون» تفرغ هو للجانب السياسى الذى لا يجيد فى الدنيا غيره - إذا تجاهلنا هوايته فى النفخ على آلة الساكسفون - لقد استمر الحال بينهما حتى قبل أن يفوز «كليتون» برئاسة الولايات المتحدة، وكان هو مجرد سياسى مغمور لا يكسب «عشر» ما تكسبه هى بعد أن أصبحت محامية لامعة.

لا شك أن هذا الجانب المادى أو المالى فى علاقتها كان له تأثير فيما تفرضه «هيلاري» على زوجها من سلطة و سطوة ، لكن هناك جانبًا آخر.

لقد أدركت «هيلاري» بإحساس المرأة حاجة «كليتون» إلى الشعور بدور الأم، وكانت لأم «كليتون» هيمنة كبيرة فى نشأته وتأثير كبير عليه، وقد استطاعت «هيلاري» أن تسيطر على زوجها من خلال دفعه لمعيشة مناخ وجود الأم فى البيت ، ثم إنها قد وجدت فيه رغبة كبيرة فى الطموح وأكبر قدر ممكن فى نفس الوقت من الرضوخ الزوجي، زوج مطيع وسياسى طامع طامح.

إنه زوج مطيع خاضع وهو لا ينكر ذلك، إنه يؤكد للجميع بان مكتب «هيلاري» سيكون مجاورًا لمكتبه - وهى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا الأمر فى تاريخ البيت الأبيض - ويستطرد «كليتون» قائلاً: «إنها - أى «هيلاري» - سوف تحضر اجتماعات مجلس الوزراء عندما يكون لديها ما تطرحه» ، ثم يقول: إنه من الغباء - ولم يقل من الرضوخ - أن تكون أمامه مثل تلك الإمكانيّة والموهبة ويجرم البلاد منها «إننى أريدها أن تساعدني»، هكذا يقول «بيل كليتون».

ويصل مدى ضعف الرئيس الأمريكى وخضوعه أمام زوجته إلى بُعد غريب، فعندما تأهل «كليتون» للبيت الأبيض وبدأ فى تشكيل الحكومة اختار ثلاث وزيرات - سيدات جميعهن - وهن محاميات وزميلات لـ «هيلاري» من أصغر عشرة وزراء هم مجموع حكومة الولايات المتحدة - أكبر دول العالم - وعندما بدأ يفتش على من يتولى منصب المدعى العام الأمريكى وهو منصب حساس جدًا لم يجد أفضل من أعز صديقات زوجته لهذا المنصب، لكن هذا خلق أزمة لـ «كليتون» ، فصديقة زوجته متهمّة بأنها شغلت عندها شخصين من «بيرو» دون أن يحصل على إذن عمل، كما أنها لم تدفع عنهما تأمينات، لكن رغم هذه الأزمة فإنه لا يضعها فى حسابه من أجل عيون زوجته التى تؤكد أنها تحرك

الرئيس بالريموت كنترول، وأن خيوط إدارة أمريكا والعالم كله في يدها وحدها.
كل هذا مقبول ويحدث في أغلب دول العالم، فمعظم رؤساء العالم وملوكه يتعاملون
بمنطق الدكتور «جيكل» ومستر «هايد»، وأغلبهم مصاب بالتشيزوفرنيا أو الانفصام في
الشخصية، فهم أسود على شعبوهم وهم كالنعام مع زوجاتهم.





في حضرة «الست»

أهم كل يوم





السيدة سوزان .. قيل أنها لم تقبل لابنها جمال لقب
"جيمي" من الدكتور أسامة الباز..!



ما هو سر "جيمي" في اعتزال الدكتور "الأستاذ" أسامة الباز

للسياسة..!؟



عندما تتراقص علامات الاستفهام
في قصة "جيمي" مع أستاذه
الدكتور أسامة الباز .. وهل تسبب
مسلسل التوريث في اعتزال الرجل
المهذب الدكتور الباز للحياة
السياسية كلها..؟
داخل صفحات الكتاب نعثر بقدر
المستطاع عن الإجابات..

أسامة الباز.. ملف شخصي جدًّا

لم تبعأ السيدة زاهية أبو العطا حمودة بمكالمة القصر الجمهوري التي تستدعي ابنها لمقابلة عاجلة مع الرئيس قائلة: «أسامة نائم من شدة التعب ولن أوقظه مهما كان السبب».

أسامة.. هو أسامة الباز.. ابنها الثاني في قائمة طويلة تضم تسعة أولاد وبنات نجحت في تربيتهم وتعليمهم وتوصيلهم إلى مناصب رفيعة في الداخل والخارج.. لتكون نموذجاً للأم المصرية العنيدة التي ترسم أحلامها بريشة مغموسة في حبر سواد عيون أولادها. حصل على الثانوية العامة في دمياط.. حيث نقل والده الشيخ والمعلم الأزهرى إلى هناك.. ودرس الحقوق في القاهرة.. وتخرج فيها وكيلًا لنيابة قصر النيل.. لكنه.. سرعان ما ترك سلك القضاء بعد أن كاد يقتل من مجرم يحقق معه، هاجمه بسلاح أبيض.. وعبر عن الواقعة في قصة قصيرة نشرها في روز اليوسف بعنوان «رأيت الله»

انتقل أسامة الباز إلى الخارجية ليعمل في إدارة الأبحاث السياسية.. مما قرّبه من رئاسة الجمهورية في وقت صعد فيه نجم جمال عبد الناصر.. ولم يمر قرار تأميم القناة دون أن يشارك أسامة الباز في دراسة آثاره القانونية.. لكننا.. لم نسمع عنه إلا بعد وصول أنور السادات إلى السلطة.

عرفته في عام ١٩٧٤م حين نشرت أول حوار يجريه في الصحافة بعد أن اختير مسؤولاً عن العلاقات الخارجية في منظمة الشباب الاشتراكي.. وحسب ما عرفت من السفير هانى خلاف دفعته في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وزوج شقيقته، فإنه ظل يحتفظ بنسخة من «روز اليوسف» التي نشرت فيها الحوار.

لكن.. الضوء بدأ في مطاردته بعد أن شارك في مباحثات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.. وخلال تلك المباحثات الصعبة لم يتخل عن تشدده إلى حد أن الرئيس الأمريكى جيمى كارتر تصور أنه سيقتل السادات.. فراح يمشى هدهدًا بجانب الكوخ الذى يسكنه السادات متنصتًا عليه.. لكنه.. وجدته يشاهد فيلمًا غنائيًا لفريد الأطرش جاء به من القاهرة.. حسب ما سمعت من أسامة الباز نفسه فيما بعد.

قبل ذلك بأربع سنوات اختاره السادات ليكون معلمًا ومرشدًا سياسيًا لثابته حسنى

مبارك قائلا: «أريد أن تضع ما تعلمت في هارفارد داخل برشامة يشرها الرئيس القادم لمصر».. في إشارة إلى الثمانى سنوات (١٩٥٨م-١٩٦٦م) التى قضاها دارسا للدكتوراه فى أهم جامعة أمريكية.. الجامعة التى يتخرج فيها أشهر صناع السياسة فى العالم.. وآخرهم باراك أوباما.

لكن.. ما لفت النظر أن السادات لم يفكر فى اختيار أسامة الباز وزيراً للخارجية.. وفضل أن يظل دوره مؤثراً فى الكواليس.. ليواصل مبارك نفس السياسة.. فى لغز لم يحله أحد.

لقد كان أسامة الباز مسؤولاً عن أهم الملفات الخارجية (إسرائيل والولايات المتحدة) والداخلية (تشكيل الحكومة والإعلام والوحدة الوطنية والاتصالات مع القوى المختلفة) دون أن يتغير لقبه.. المستشار السياسى للرئيس بدرجة وكيل أول وزارة الخارجية.. لنجد الرجل الذى يختار الوزراء ورؤساء الحكومات ومديرى الجامعات فى آخر طاבור البروتوكول الرئاسى.

على أن ذلك لم يشعره إلا بمزيد من الحرية والبساطة والثقة فى النفس.. فكان يركب سيارته «ريجاتا» البيضاء دون حراسة.. ويركب المترو ليصل إلى شقته الصغيرة الضيقة فى منطقة المعادى الجديدة قبل أن يشتري ابنه باسل فيلا محدودة المساحة فى القاهرة الجديدة.. ويتمشى بمفرده فى ميدان التحرير ليصل إلى مكتبه القريب من مسجد عمر مكرم.. والمكتب كان من قبل المقر القديم لوزارة الخارجية قبل أن تنتقل إلى مبناها الجديد على النيل بعد ماسبيرو.

فى منتصف الثمانينيات سافرت معه هو والدكتور بطرس بطرس غالى إلى عاصمة أفريقية لحضور مؤتمر تشارك فيه مصر هناك.. وما أن وصلنا إلى الفندق فى انتظار حقائبنا حتى جاء السفير ليزف إلينا خبر سرقة الحقائب من المطار بسبب حالة الانفلات الأمنى التى تسود البلاد.. لكن.. الخبر الجيد أن حقائبنا فى طريقها إلى سوق «الحرامية» لبيع ما فيها من ثياب.. واقترح السفير أن نبادر بشرائها فوراً.. وهو ما حدث.

كانت حقيبة بطرس غالى كبيرة فيها ثلاث «بدل» مستوردة من بيوت أزياء شهيرة فى فرنسا.. بجانب الأحذية والقمصان والكرافات اللازمة لها.. فكان عليه أن يدفع ١٥٠٠

دولار بينما لم يكن في حقيبة أسامة الباز سوى عدد محدود من الملابس الضرورية.. فلم يدفع أكثر من ١٠٠ دولار فالتفت إلى بطرس غالى قائلا: «ادفع يا دكتور ثمن عدم تواضعك».

وذات مرة سافرت معه إلى مدينة الجزائر في محاولة جادة منه لإعادة العلاقات معها.. بعد أن قطعت بسبب معاهدة كامب ديفيد.. كان مقررا أن نعود إلى القاهرة في نفس اليوم.. ولكن.. المسئولين الجزائريين طلبوا أن نبقى يوما آخر.. على أننا لم نكن نحمل من الثياب إلا التي نرتديها.. فكان أن تمشيننا معا من فندق «إليتي» في قلب العاصمة إلى شارع «ديدوش مراد» لشراء ما يلزمنا من ثياب نقضى بها الليل ونستعملها في الغد.. ودخل أسامة الباز إلى المتاجر الشعبية.. ولم ندفع أكثر من عشرة دولارات في كل ما اشترينا.

تزوج أسامة الباز أول مرة من زميلته في الخارجية الدبلوماسية مها فهمى في عام ١٩٧٠م.. ويبدو أنه تأثر بالسنوات التي عاشها في الولايات المتحدة.. فقرر ألا يجرمها من حياتها العملية.. ولو اضطر كل منهما أن يعيش في مكان منفصل.. كما أنه لم يقف عائقا أمام سفرها إلى الخارج لتولى منصب في إحدى سفاراتنا.. وبعد نحو خمس سنوات أنجبا ابنهما الوحيد باسل الذى عاش مع والدته متنقلا في كل العواصم التي عملت فيها.. ليتابعه يوما بيوم.. ولعل هذه الحياة المتنوعة العملية جعلت من باسل شخصا يعتمد على نفسه.. ليصبح فيما بعد من أكثر رجال الأعمال نضجا وفهما وتطورا.. وما أن التقى بفريدة محمد فريد خميس حتى تزوجا وتحمل مسؤوليتها دون تردد.

كان حفل الزواج في فندق ماريوت.. ونشرت الصحف صوراً للشخصيات العامة التي حضرته.. ولكن.. الصحف تحدثت عن مها فهمى كأنها لا تزال زوجة أسامة الباز.. ولم تذكر أنها انفصلا.. وأنه تزوج من المذيعة التلفزيونية أميمة تمام.. فاتصل بى طالبا تصحيح الخطأ الذى وقعت فيه الصحف لترضية زوجته الثانية التي غضبت مما قرأت.

قبل ذلك في عام ١٩٩٧م كنت قد نشرت قضية «فضيحة على النيل» التي كان متورطا فيها عبدالعزيز الإبراهيمى شقيق الزوجة الأخيرة للملك فهد وخال أصغر أولاده.. عبدالعزيز.. ووجدت نفسى أتعرض إلى حملة تشهير حادة مولة من الثرى السعودى مالك فندق ميرديان القاهرة.. ووصلت الحملة إلى حد تهديد عائلتى دون أن

أشعر باطمئنان عليها رغم اتصالى برئيس الحكومة كمال الجنزورى ووزير الإعلام صفوت الشريف ووزير الداخلية حسن الألفى.. فقررت أن أنشر تفاصيل القضية فى كتاب يحمل نفس العنوان «فضيحة على النيل».

فى اليوم التالى لنشر الكتاب.. طلب منى أسامة الباز أن ألقاه فى مكتبه برئاسة الجمهورية وكانت المرة الأولى التى أدخل فيها المكتب.. فقد تعودت أن ألقاه فى مكتب ميدان التحرير.

منذ اللحظة الأولى للقاء.. بدأ أسامة الباز شخصا آخر غير الصديق الذى تعودت على التحدث معه بصراحة وسهولة.. لم يكن من الصعب معرفة السبب.. فالحوار منقول مباشرة إلى الرئيس.. صوت وصورة.

قال أسامة الباز فى حدة: «إن الكتاب الذى نشرته بالأمس سبب أزمة سياسية مع الملك فهد.. لذلك قرر الرئيس رفع قضية ضدك بتهمة إهانة حاكم دولة صديقة».. فأجبت فى هدوء: «شرف لى أن يقاضينى الرئيس لكن.. لا تنسى أنكم بذلك ترسخون لسابقة خطيرة قد يستغلها حكام آخرون مثل نتانياهو.. أليس هو بحكم المعاهدة المصرية الإسرائيلية رئيس دولة صديقة انتهت حالة العداء معها؟»

وأضفت: لقد تعلمنا منك ألا تفاوض إلا بأوراق ضغط تحت يد المفاوض.. والكتاب الذى أصدرته هو ورقة ضغط لتحقيق مطلبى الوحيد.. هو حماية عائلتى بعد أن تخاذلت جميعا فى حمايتها.. الكتاب ليس مهما لنا.. المهم حمايتنا.. ولن أقبل بأقل من تعهد مباشر من مبارك بهذه الحماية دون ذلك افعلوا ما يحلوا لكم».

وأشهد أن مبارك استجاب إلى طلبى.. وتعهد بألا يمس أحد فردا فى عائلتى.. بل أكثر من ذلك حدث أن شنت «روز اليوسف» حملة شديدة ضد وزير الداخلية حسن الألفى.. حرصت كل رجالة للتشهير بنا والسعى للإضرار بكل من شارك فيها.. وفوجئت بأسامة الباز يطلب منى أن أصحبه لعشاء لم أدع إليه فى الرئاسة على شرف الرئيس السنغالى فى ذلك الوقت عبده ضيوف.. وقبل أن أدخل قاعة العشاء وجدت نفسى أمام مبارك فى صالون ملحق بالقاعة.. قال لى فى حدة لا تخلو من نصيحة: «رسالة الهجوم على الألفى وصلت.. ما كتب يكفى لأننى لن أقبل أن يتطوع أحد رجاله ويمسك

وشكرت الرئيس دون أن أدخل قاعة العشاء.. فالرسالة كانت خالية من الطعام.. لم يشأ مبارك أن يكرر ما سبق أن تعرض له رئيس تحرير «الوفد» ساعتها جمال بدوى.. عندما تطوع البعض بضربه وهو في طريقه إلى بيته بعد أن مس مبارك في إحدى مقالاته.

لكن.. مبارك لم يقبل بأن ننشر حوارات سياسية يعبر فيها محمد حسنين هيكل عن رأيه بصراحة أو قعتنا هو وأنا في مشاكل مباشرة مع مبارك.. إلى حد أن مبارك تصور أن هيكل كون تنظيميا في الصحافة لمساندته والهجوم على النظام.. وهنا تدخل أسامة الباز الذى عمل في فترة من حياته مع هيكل قائلا: «إن هيكل هو كبير مهنة الصحافة ويشعر كل من في المهنة بذلك.. لكن.. لا تنظيم ولا يجزنون».. وسكت مبارك غير مصدق لتفسير مستشاره السياسى.

بقى أسامة الباز في مكانه ومكانته حتى ظهر جمال مبارك على السطح.. وفي رحلة إلى واشنطن في عام ٢٠٠٤ كانت نهاية قوة أسامة الباز.. كان في الرحلة عدد من الشخصيات القريبة من الوريث.. عبد المنعم سعيد وأسامة الغزالي حرب ومنى ذو الفقار وحسام بدر اوى.. وتابعت الرحلة ساعة بساعة.. وفي لقاء جرى بين جمال مبارك والجالية المصرية في فندق ريتز كارلتون واشنطن.. نادى أسامة الباز جمال مبارك باسم التذليل «جيمى».. وكان ذلك كفيلا بأن يختفى أسامة الباز من الحياة العامة مكتفيا بالتدريس في المعهد الدبلوماسى.

وفي تلك الأيام سألته عن مذكراته.. فرفض رفضا قاطعا أن يكتبها، مضيفا أنه سيرحل وكل ما شهد من أسرار سيرحل معه.. مكتفيا بأن ينشر كتيبات يستفيد منها طلبة المعهد الدبلوماسى فقط.

وبزيادة مرض الزهايمر عليه، أصبح ينسى أرقام خزنة أوراقه وملفاته.. واستدعى الأمر أن يأتي خبراء من المخبرات العامة لفتحها.. ولم يستمر على هذه الحالة طويلا.. وبقى في البيت إلى أن قرر الرحيل في هدوء وصمت (*).



آخر صورة للدكتور أسامة الباز من ميدان التحرير



السادات وأسامة الباز وكارتر في كامب ديفيد

أسامة الباز مع السادات في القدس وكامب دافيد!

كوايس السياسة ودور الدكتور أسامة الباز فيها

في أخطر الأحداث التاريخية بداية من زيارة السادات للقدس ومفاوضات كامب دافيد

في كتابه القيم رحلة العمر:

السفير عبد الرؤوف الريدي يتحدث بقطوف من ذكرياته عن زلزال الرئيس السادات في القدس في رحلته التي رافقه فيها الدكتور أسامة الباز.. والأحداث السياسية التي أحاطت به في كامب دافيد وهي أحداث تاريخية .
السادات ومؤسسة الخارجية ومن أهم أفرادها .

كان أسامة الباز فيها لاعباً رئيسياً ومستشاراً نافذاً ، واعتذر عن قبول منصب وزير الخارجية، وفي الواقع لم يأخذ حقه من التكريم في مصر وحتى دمياط المدينة التي أحبها وزار مدرسته الثانوية بها في سنوات عمره الأخيرة.. وكأنه يودعها مع وداعه للحياة السياسية كلها، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته.

وفي هذا الكتاب أطلب من السيد محافظ دمياط فوراً إطلاق اسم الدكتور أسامة الباز على أحد أكبر ميادينها أو شوارعها .. لأن دمياط هي المدينة التي عاش فيها وأحبها حباً جماً.

* الكتاب صادر عن الدار الموقرة نهضة مصر ، ونظراً لوفاء هذه الدار والمؤلف السفير الريدي وأنا للراحل العالي العزيز الدكتور أسامة الباز.. استفدنا كثيراً مما جاء في هذا الكتاب القيم وجعل الله ذلك في ميزان حسناتنا يوم القيامة.. مكتبة نهضة مصر الناشرة والمؤلف العزيز السفير الريدي.. وأنا



هذا الكتاب يفرد صفحات للإشادة بالسياسى اللامع الدكتور أسامة الباز، ويحاول صديقه وزميل عمره السفير العزيز عبد الرؤوف الريدى بكل الوفاء له أن يبرز مواقف هذا الرجل فى أصعب فترات التاريخ المصرى المعاصر .. ونحن نأخذ منه بعض القطوف عن ذلك لنشاركه الوفاء لهذا الإنسان العزيز الغالى علينا جميعاً الدكتور أسامة الباز

الزلال

الرئيس السادات في القدس ١٩٧٧.

ما هي إلا أيام بعد عودتنا من رحلة المغرب حتى عاشت المنطقة زلزال مبادرة الرئيس السادات . . . وجاءت البداية في الخطاب الذي ألقاه الرئيس السادات في مجلس الشعب يوم ٩ من نوفمبر ١٩٧٧م والذي ذكر فيه أنه مستعد أن يذهب إلى آخر الدنيا من أجل تحقيق السلام في المنطقة . . . بل وأن يذهب إلى الكنيست الإسرائيلي ذاته . . . وكان ياسر عرفات موجوداً في هذه الجلسة . . . وما إن ألقى الرئيس السادات هذا الخطاب حتى أصبح موضوع زيارة القدس هو الشغل الشاغل للإذاعات ومحطات التلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام العربية والعالمية . . . وتلقف وولتر كرونكايت الذي كان آنذاك أشهر المعلقين السياسيين الأمريكيين في التلفزيون الأمريكي هذه المناسبة ، وأجرى لقاء متوازيًا مع السادات ومع بيجن . . . وفي هذه المقابلة أكد السادات فعلاً أنه مستعد للذهاب إلى إسرائيل وإلقاء خطاب في الكنيست وذلك إذا تلقى دعوة من قادة إسرائيل ، فما كان من بيجن إلا أن أعلن على الهواء أنه سيوجه هذه الدعوة بالفعل ، ومنذ تلك اللحظة أصبحت زيارة السادات هي الشغل الشاغل في مصر وعواصم العالم . . . وأصبح موقف وزير الخارجية الذي امتنع عن الذهاب إلى مكتبه منذ خطاب الرئيس السادات محل تساؤل الجميع . . . وأصبح الكل يتحدث عن معارضة وزير الخارجية لقرار الرئيس السادات . . . وأنه يعتزم الاستقالة من منصبه .

كان مكتب إسماعيل فهمي في المبنى الأصلي لوزارة الخارجية الواقع في ميدان التحرير على مشارف كوبري قصر النيل ، وكان محمد رياض وزير الدولة للشؤون الخارجية في نفس المبنى ويشغلان غرفتين متقابلتين ، وكانت الصلة بيني وبين الرجلين صلة وثيقة منذ عملت معهما في نيويورك قبل أكثر من عشرين عامًا . وبينما لزم إسماعيل فهمي بيته بعد خطاب الرئيس السادات الذي أعلن فيه مبادرته ، كان محمد رياض في مكتبه . . . فذهبت

إليه وإذا به هو الذى يبادرنى بالسؤال : ما الذى تعتقد أنه دفع الرئيس السادات لاتخاذ هذا القرار؟ . . . فأجبتُه بأننى أعتقد فعلاً أن السادات يريد أن ينهى هذا الصراع، ويتصور أنه يمثل هذه الخطوة الكبيرة والتي تبدو أنها قفزة في المجهول سينجح في تحقيق ما يريد ولا بد أنه يعتقد أن مجيء بيجن للحكم سيدفع بإسرائيل في الأغلب إلى الحرب انتقاماً من حرب أكتوبر، وأن هذه الخطوة الكبيرة التي سيقوم بها يمكن أن تجهض قرار الحرب الإسرائيلي بينما يرى أن مفاوضات عقد مؤتمر جنيف تراوح مكانها. لم يبد على محمد رياض أنه قد اقتنع بما قلت وأخذ يتحدث عن أن الأمور كانت تسير جيداً في اتجاه عقد مؤتمر جنيف . . . وذكر أن العالم العربي سينقسم ولن يكون هناك تأييد عربي لخطوة السادات .

لم يكن محمد رياض وحده الذى يريد أن يعرف الدافع الذى جعل الرئيس السادات يأخذ قراره الخطير بالذهاب إلى القدس . . . كان الإسرائيليون والأمريكيون يريدون أن يعرفوا . . . ولعل أغرب ما يقال في هذا الشأن أن من الأسباب الرئيسية التي جعلت السادات يأخذ هذا القرار ما لمس في هذه الحقبة من الجانب الأمريكي من موافقته على أن يمثل الجانب العربي وفد عربي واحد واستعداده أيضاً لإعادة الاتحاد السوفيتي للعملية السياسية بعد أن كان كيسنجر قد نجح في استبعاده . . .

كان السادات يريد أن يتحرك في عملية السلام ويحصل على نتائج سريعة كما لم تكن لديه ثقة في جدوى دخول الاتحاد السوفيتي مرة أخرى في عملية السلام . . . ولعل ما كان قد رآه من دبلوماسية إدارة كارتر واستعدادها للتجاوب مع السوفيت وموافقتها على فكرة الوفد العربي الموحد قد دفعه إلى التحرك تجاه التعامل مباشرة مع الإسرائيليين وبالتالي عدم إبلاغ الجانب الأمريكي عن لقاءات حسن التهامي مع ديان كما كان السادات يعتقد أن تمثيل العرب بوفد موحد سيجعل القضايا المصرية مادة للتفاوض بواسطة الوفد العربي الموحد ويقيد إرادته وحرته في الحركة والمناورة لاستعادة أرض مصر .

سارت الأمور بإيقاع سريع للغاية وأعلن عن سفر السفير حسن كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية إلى إسرائيل للإعداد للزيارة، كما أعلن عن موعد الزيارة وأن الرئيس السادات سيؤدى صلاة عيد الأضحى في المسجد الأقصى أثناء زيارته .

بينما سار الإعداد لزيارة الرئيس السادات إلى القدس وسط جو إعلامي محموم في

الخارج والداخل ، كان يسود وزارة الخارجية جو من الوجوم والترقب ، وكانت الأخبار قد جاءت بأن إسماعيل فهمى قد قدم بالفعل استقالته من منصبه كوزير للخارجية ، وما إن تلقى الرئيس استقالة إسماعيل فهمى حتى قام "نائب الرئيس" حسنى مبارك بناء على تكليف من الرئيس السادات باستدعاء محمد رياض وإبلاغه بتعيينه وزيراً للخارجية إلا أن محمد رياض بدلاً من أن يغادر مكتب نائب الرئيس وقد أصبح وزيراً للخارجية فإنه غادر هذا المكتب ليذاع بعد ذلك أنه أعفى من منصبه كوزير دولة للشؤون الخارجية . . . وأعلن أنه رفض المنصب وبالتالي فقد أعفى أيضاً من المنصب الذى كان يشغله أى منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية، ولقد كان الإعلان عن استقالة وزير الخارجية وعن رفض وزير الدولة للشؤون الخارجية أن يشغل هذا المنصب ثم قرار إعفائه من منصب وزير الدولة . . . موضع تركيز وسائل الإعلام العالمية . . . فقد جاءت هذه الأنباء لتعلن للعالم أن هناك معارضة فى داخل مصر لقرار الرئيس السادات بزيارة القدس ، وأن هذه المعارضة تأتى من مؤسسة الخارجية ات ابتداء .

ولقد تحدثت مع محمد رياض عدة مرات بعد تركه للخارجية حول ما حدث أثناء لقائه مع نائب الرئيس مبارك عندما استدعاه لإبلاغه قرار تعيينه وزيراً للخارجية فأخبرنى بأن نائب الرئيس بدأ الحديث معه طالباً إليه أن يستعد للسفر مع الرئيس السادات إلى إسرائيل ، وعندئذ بدأ رياض يتساءل عن موضوع زيارة الرئيس ، ومبدئياً الشكوك حول ما يمكن أن تؤدى إليه من مضاعفات ، فاعتبر نائب الرئيس أن هذا التساؤل بمثابة رفض للمنصب فأنتهى المقابلة ، وغادر محمد رياض اللقاء فاقداً للمنصبين ، منصب وزير الخارجية الذى كان فى متناول يده ومنصب وزير الدولة للشؤون الخارجية الذى كان يشغله .

والواقع أننى احترمت فى إسماعيل فهمى استقالته من منصبه حيث لم يكن مقتنعاً بالخطوة التى اتخذها الرئيس السادات ، وكان واثقاً من أنها ستؤدى إلى انقسام شديد فى العالم العربى ، وهو ما حدث بالفعل .

طلبت إسماعيل فهمى فى التليفون وذكرت له أننى أود زيارته فرحب . . . فتوجهت إليه فى منزله . كان ذلك بعد يومين اثنين من تقديمه للاستقالة ، وقبل قيام السادات

بزيارته لإسرائيل ذهبت إليه في شقته على النيل بجوار فندق ماريوت . . . واستقبلني استقبالاً بشوشاً ، وكان في روح معنوية عالية ، وكان يتوقع أن يكون لقرار السادات ردود فعل معارضة في مصر وفي العالم العربي ، وأنه لم يشأ أن يتحمل مسؤولية تنفيذ سياسة يرى أنها خاطئة وستكون نتائجها سلبية ولن تلقى تأييداً من الشعب .

وباستقالة إسماعيل فهمي واستقالة محمد رياض أصبح منصب وزير الخارجية شاغراً . . . فبادر السادات بتعيين الدكتور بطرس بطرس غالى وزير دولة لشؤون الخارجية وكان قد عينه قبل ذلك ببطرس بطرس غالى وزيراً للدولة بمجلس الوزراء ، وانتقل بطرس غالى إلى مبنى الخارجية واستقر في الغرفة التى كان يشغلها محمد رياض ، وبدأ في ممارسة عمله باعتباره المسؤول الأول عن وزارة الخارجية ، وكان أول ما فعله هو مصاحبة الرئيس السادات في زيارته للقدس .

كانت زيارة السادات للقدس هى اللحظة الدرامية التى أنهت المشوار السياسى لكل من إسماعيل فهمي ومحمد رياض ، ورغم أن الأخير عمل لبعض الوقت مستشاراً للأمين العام لجامعة الدول العربية ثم مشرفاً عليها بعد نقلها إلى تونس تنفيذاً لقرارات المقاطعة العربية لمصر .

إسماعيل فهمي:

جاءت نهاية الحياة السياسية لكل من إسماعيل فهمي ومحمد رياض على نفس النسق الذى سارت عليه حياتهما الوظيفية والسيامية من قبل ، فقد كان الاثنان دائماً معاً ، وكانا في شبابهما يلقبان بأتهما (أولاد فوزي) باعتبار أن المرحوم الدكتور محمود فوزي كان يستعين بهما دائماً منذ تعرفه عليهما في بداية عملهما معه في بعثة مصر الدائمة لدى الأمم المتحدة بنيويورك في عام ١٩٤٩-١٩٥٠ .

استقال إسماعيل فهمي من منصبه كوزير للخارجية في ٥ من نوفمبر ١٩٧٧ . . . وكان في قمة لياقته الصحية والنفسية ، وكان عمره آنذاك لا يتعدى الخامسة والخمسين (وكان محمد رياض يصغره بعام واحد) فأنتهت حياته السياسية قبل الأوان ، وقد رحل إسماعيل فهمي عن عالمنا عام ١٩٩٧م أى بعد أن ترك الخارجية بعشرين عامًا ، وقد شغل منصب وزير الخارجية في أكتوبر ١٩٧٣م أثناء الحرب . . . وكان قبلها وزيراً للسياحة

لعدة شهور ، وكان بداية ارتفاع نجمه السياسى فى الندوة الشهيرة التى عقدتها جريدة الأهرام عام ١٩٧٣م حول حالة اللاحرب واللاسلم فى الشرق الأوسط التى انتقد فيها موقف الاتحاد السوفيتى ، والتى لفتت نظر الرئيس السادات إليه .

وبالرغم من الجزاء الإدارى الذى وقعه الدكتور مراد غالب وزير الخارجية آنذاك على إسماعيل فهمى فإن السادات كان سعيداً بما قاله إسماعيل فهمى فى الندوة ، لما تضمنه من نقد لموقف السوفيت لتخاذلهم فى إمداد مصر بما تريده من سلاح ، وقد رشحه الرئيس السادات عقب ذلك بوقت قصير ليكون سفيراً فى ألمانيا الغربية ، وعندما ذهب لمقابله للاستئذان فى السفر طلب إليه ألا يسافر ، ثم ضمه إلى التشكيل الوزارى الذى كان على الأبواب كوزير للسياحة ، ومن خلال موقعه كعضو فى الوزارة أصبح لديه اتصال مباشر مع رئيس الجمهورية ، ولم يكن هذا الاتصال أساساً حول السياحة بل حول السياسة الخارجية ، وأسلوب التعامل مع الأزمة ، وكان وزير الخارجية آنذاك هو الدكتور الزيات ، ولم تكن آراؤهما على وفاق ، وعندما بدأت الحرب فى أكتوبر كان إسماعيل فهمى فى فيينا فى مهمة دبلوماسية ، فعاد على الفور عن طريق ليبيا ، وذهب إلى وزارة الخارجية كوزير خارجية بالنيابة ، وأخذ يدير أعمال الوزارة فى فترة الحرب بينما كان وزير الخارجية الدكتور الزيات فى نيويورك كما سبق القول ، ثم عينه الرئيس السادات وزيراً للخارجية فى أواخر حرب أكتوبر ، وأوفده لمقابلة الرئيس نيكسون فى واشنطن بينما كان الزيات لا يزال فى نيويورك ، وقد قام بهذه المهمة خير قيام ، وتوصل إلى اتفاق مع نيكسون وكيسنجر حول وقف إطلاق النار وبدء مسيرة كيسنجر فى المنطقة بعد ذلك ، وبعد لقائه مع الرئيس نيكسون صحبه الرئيس وأوصله حتى باب سيارته وهو تقليد غير مألوف وخاصة أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كانت مقطوعة .

كان إسماعيل فهمى دائب الحركة فى السياسة الخارجية . . . تجلس معه فتجده إما عملياً لخطاب يرسله الرئيس إلى أحد من الرؤساء مثل بريجنيف أو نيكسون . . . أو تجده عملياً لمذكرة لإرسالها إلى الرئيس السادات . . . أو مجتمعاً مع مجموعة من الصحفيين ، كان العمل هوايته ، ولم تكن له فى الواقع هوايات أخرى ، وكان فى ذلك يشبه محمود رياض ويختلف عن الدكتور فوزى الذى كان يهوى العمل اليدوى ويزرع حديقة منزله فى نزلة

السيان بنفسه .

ولأن العمل كان هو الذى يملأ عليه حياته فإن الأعوام العشرين التى مرت عليه بعد أن استقال وإلى أن رحل عن عالمنا كانت أعواماً ثقيلة عليه . . . وهو ما كان يلاحظه محبوه الكثيرون عندما كانوا يزورونه ، وفي هذه الفترة كتب إسماعيل فهمى مذكراته عن هذه الحقبة ، وعن أسباب استقالته في كتابه الهام (التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط) ، الذى نشرته دار الشروق . . ويعتبر كتابه من أهم كتب التاريخ الدبلوماسى المصرى ، ولقى تقديراً كبيراً في الداخل والخارج .

عرفت إسماعيل فهمى منذ بداية عمله في نيويورك في سبتمبر ١٩٥٥ ، وقد ربطتنى به صلة وثيقة سواء أثناء العمل في نيويورك أو في الديوان العام بوزارة الخارجية بعد ذلك وعندما أصبح محمود رياض وزيراً للخارجية عينه مديراً لإدارة الهيئات الدولية رغم أنه لم يكن قد حصل بعد على درجة وزير مفوض التى كانت أقل درجة يمكن أن يعين فيها مدير إدارة . . وكان المستشار إسماعيل فهمى رغم ذلك هو أقوى المديرين وأقربهم إلى وزير الخارجية .

ولقد لعب إسماعيل فهمى دوراً هاماً في إنشاء الوكالة الدولية للطاقة النووية حيث كان وهو لا يزال دبلوماسياً في درجة سكرتير أول يقوم بتمثيل مصر في اللجان التحضيرية التى أنشأت الوكالة ، وكان عضواً أول مجلس للمحافظين في هذه الوكالة التى أدارها لإثنى عشر عاماً الدكتور محمد البرادعى أقرب مساعدي إسماعيل فهمى في الفترة التى شغل فيها منصب وزير الخارجية ، كما لعب إسماعيل فهمى دوراً هاماً في مفاوضات نزع السلاح في الأمم المتحدة وهى اللجنة المعنية بنزع السلاح وعدم انتشار الأسلحة النووية ، وكانت الأوراق والمقترحات التى قدمها إسماعيل فهمى أثناء المفاوضات التى جرت لعقد اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية من بين أهم الأسس التى بنيت عليها هذه المعاهدة .

وأذكر لإسماعيل فهمى موقفه قبيل وأثناء حرب ١٩٦٧ م . فقد كان منذ البداية متشككاً ومتخوفاً من الخطوات المتسارعة التى اتخذت والتى أدت في النهاية إلى اندلاع الحرب وما جلبته من نتائج كارثية . . .

رحم الله إسماعيل فهمي رحمة واسعة، ويحزنى أن الأجيال الحديثة لا تذكر الكثير عنه . . . وإسماعيل فهمي هو والد السفير نبيل فهمي* الذي عمل سفيرًا ممتازًا لمصر في واشنطن لتسع سنوات . . . وهو حاليًا مشارك بقوة في المجتمع المدني بمقالاته وإسهاماته الفكرية .

محمد رياض:

عرفت محمد رياض في نفس اليوم الذي تعرفت فيه على إسماعيل فهمي أى في بعثة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك في ستمبر ١٩٥٥، وقد توثقت صلتى به عبر مشوار الخارجية، ولم تقطع هذه الصلة أبدا طوال حياته . . . وكانت آخر مرة رأيته فيها عام ١٩٨٢ عندما كان يعالج في مستشفى بمدينة لوبلانا عاصمة سلوفينيا التي كانت آنذاك جزءاً من يوغوسلافيا.

كان محمد رياض أيضا محبًا للعمل، والعمل يملأ عليه حياته، وكان يجب أن يكون محبوبًا من الناس، وكانت قدرته على التواصل مع الناس لإنشاء علاقات الصداقة قدرة فذة . . . كان بشوشًا وكرهًا وأنيقًا وينفق كل ما لديه على مظهره ومسكنه وملبسه، وكان دائم الاستقبال في منزله للأصدقاء ولأقرانه من البعثات الأخرى وكان محبًا للحياة الاجتماعية ومقبلا على الحياة بصفة عامة، وقد أحبه واعتمد عليه كل الرؤساء الذين عمل معهم، ولقد كان من حسن حظي أنني تعرفت على كلا الرجلين وتوثقت صلتى بكل منهما منذ بداية عملي في الخارجية . . . ولقد تعلمت منها الكثير . . . كان محمد رياض قريبا دائما من رؤسائه الذين أحبوه . . . فكان يلزم الدكتور فوزى وزير الخارجية منذ لحظة وصوله لنيويورك لحضور دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة ويبقى معه ويحضر- مقابلاته التي يعقدها مع وزراء الخارجية الآخرين، وكان أقرب أعضاء البعثة للسفير عمر لطفى المندوب الدائم، وبقيت صلته قوية به حتى بعد أن ترك عمر لطفى منصب المندوب الدائم وأصبح أمينًا عامًا مساعدًا بالأمانة العامة للأمم المتحدة، وكان أقرب الناس إلى محمود رياض وقت أن كان محمود رياض مندوبًا دائمًا، وعمل معه في مكتبه وهو وزير للخارجية، ولعب دورا هامًا عندما أصبح مديرًا لمكتب الوزير، وخاصة في

تلك الفترة الهامة التي جرت فيها اتصالات مكثفة بين وزير الخارجية محمود رياض وروجرز وزير خارجية الولايات المتحدة أثناء رئاسة الرئيس نيكسون، وفي الفترة الهامة التي أعقبت قبول مبادرة روجرز في منتصف ١٩٧٠ م، وبدء وقف إطلاق النار، وقد أثنى الأستاذ هيكل الذي كان وزيراً للخارجية بالنيابة على أدائه خاصة في فترة تحريك بطاريات الصواريخ ثناءً كبيراً حيث كان هو رئيس فريق الخارجية الذي تابع هذه الأحداث، كما كان هو محور الاتصال مع السفير جونار يارنج مبعوث السكرتير العام طبقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

وبعد أن ترك محمد رياض منصبه كوزير دولة للشؤون الخارجية تلقفه محمود رياض ليعمل معه في الجامعة العربية، وعينه مستشاراً مشرفاً على مكتبه، ثم أصبح أميناً عاماً مساعداً ومسؤولاً عن مكتب الأمين العام، وبعد أن استقال محمود رياض من منصبه كأمين عام لجامعة الدول العربية نتيجة لقرار مؤتمر القمة العربي مقاطعة مصر عام ١٩٧٩ م، وانتقلت الجامعة العربية إلى تونس، عينت مصر محمد رياض مسؤولاً عن الجامعة في القاهرة، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. رحم الله إسماعيل فهمي ومحمد رياض اللذين بدءا المشوار في خدمة الدبلوماسية المصرية معا وتألقا فيها ثم خبا نجمهما معا في لحظة واحدة.

السادان في القدس

جاءت إجازة عيد الأضحى في نوفمبر ١٩٧٧ م، وقد أعلن الرئيس السادات أنه في أثناء هذه الإجازة سيقوم بزيارة إسرائيل وسيلقى خطابه المنتظر في الكنيست وسيصلي في المسجد الأقصى في يوم عيد الأضحى المبارك.

من ناحيتي كنت وعائلتي نعتزم أن نذهب لقضاء إجازة العيد في جزيرة الوكيل الواقعة في نهر النيل فرع رشيد قرب مدينة دسوق في كفر الشيخ بمنزل أسرة زوجتي فريدة وفي المنزل الذي بناه جدها حافظ الوكيل في جزيرة أمنة بأشجار الفاكهة وحتى يمكن الوصول إلى هذه الجزيرة كان يتعين علينا أن نترك السيارة أمام مدينة فوه لنركب المعدية التي تأخذنا إلى الجزيرة... ولم تكن هناك كهرباء... مما جعل الحياة هناك أقرب إلى البدائية الجميلة... إلا أن ذلك كان يعنى أنني لن أستطيع أن أشاهد خطاب الرئيس

السادات في الكنيست على التلفزيون ، ولم يكن أمامي بالتالي سوى أن أذهب إلى مقهى عام في دسوق لمشاهدة خطاب الرئيس السادات في التلفزيون ووقائع زيارته لإسرائيل ، وذلك بعد أن أودى صلاة عيد الأضحى في مسجد سيدى إبراهيم الدسوقى .

نزل السادات على سلم الطائرة واثق الخطى . . . وأخذ يصافح المستقبلين الذين اصطفوا لاستقباله ، وكانوا جميعاً من قادة إسرائيل وزعمائها ، ويتبادل معهم بعض العبارات ، بينما تملأ الابتسامة وجهه . . . كانت لحظة تاريخية شاهدها العالم كله على الهواء وتعلقت بها أنفاس مئات ملايين البشر . . . وحتى الآن وأنا أكتب هذه المذكرات بعد هذا الحدث الهائل بما يزيد على ثلاثين عاماً . . . فإن الكثيرين وأنا منهم مازالوا يذكرون هذه اللحظة ، ويتذكرون أين كانوا عندما رأوا هذا المشهد التاريخي على شاشات التلفزيون . . . كنت أرقب الناس في المقهى بدسوق وهم ملتفون حول شاشات التلفزيون وفي حالة من الذهول .

كثيراً ما توصف رحلة الرئيس السادات للقدس بأنها كانت زلزلاً ، وأعتقد أن هذا وصف سليم ، لأن هذه الزيارة زلزلت المواقف والمشاعر التي كانت سائدة لدى الطرفين فضلاً عما أحدثته على مستوى العالم .

أما في مصر فكانت ردود الفعل متباينة . . . كانت غالبية الشعب مع الرئيس ، وهو ما ظهر في استقباله عند عودته ، ولكن هناك أيضاً من عارضوه خاصة النخبة المثقفة ، أما في الخارجية فكان هناك انقسام في الرأي بين أعضاء الوزارة . . . هناك من رأى أن الرئيس السادات قام بقفزة في الظلام في خطوة درامية غير محسوبة العواقب ، وستضعف من موقف مصر في مواجهة إسرائيل خاصة مع ما سببته من انتقاد حاد ومعارضة وانقسام في العالم العربى ، وهناك من رأى أن الرئيس السادات قام بخطوة رائعة وبمبادرة شدت أنظار العالم وتأييده للتوصل إلى حل لهذا الصراع الذى طال أمده ، وكلف مصر الكثير واستنزف طاقتها ، وقد رأى بعض هؤلاء أن الوزيرين إسماعيل فهمى ومحمد رياض قد تعجلا في حكمهما على الخطوة التي قام بها الرئيس .

بطرس بطرس غالى رئيساً للدبلوماسية المصرية:

أصبح بطرس غالى وزير دولة للشؤون الخارجية ، بل أصبح من الناحية العملية هو

وزير الخارجية ، وكنت أعرفه وسبق أن قابلته عدة مرات في إطار عمله السابق كأستاذ جامعة وكـرئيس تحرير لمجلة (السياسة الدولية) ، والتقيت به أثناء فترة عملي في جنيف حيث تزامننا كأعضاء في وفد مصر لدى مؤتمر الخبراء للقانون الدولي الإنساني الذي عقدته اللجنة الدولية للصليب الأحمر لتطوير اتفاقيات جنيف ، التقينا عدة مرات في بيت الصديق المشترك الدكتور جورج أبى صعب أستاذ القانون الدولي بمعهد الدراسات الدولية العليا بجنيف ، ثم اخترته بعدها ليكون أستاذاً مشرفاً على رسالة الدكتوراه التي كنت أعتزم كتابتها ، والتي أخذتني دوامة العمل فلم أكتبها ، وهو أستاذ يجه ويحترمه تلاميذه ، ومعروف عنه أنه يؤدي واجبه على أكمل وجه ؟ وقد كان يبدو لي دائماً وكأنه مصرى من طراز أجنبى أو غربى ليس فقط في حياته الخاصة ولكن أيضاً في انتمائه الفكرية .

من أول ما فعله بطرس غالى بعد عودته من زيارة القدس التي صاحب فيها الرئيس السادات أن قام بتشكيل مجموعة عمل تتولى الإعداد للاجتماع التمهيدى لمؤتمر جنيف للسلام الذي اتفق الرئيس السادات وبيجن على عقده بالقاهرة ، وقد رأس مجموعة العمل وكيل الخارجية السفير الدكتور أحمد عثمان - أما المجموعة نفسها فقد تشكلت من مدير التخطيط السياسى عبدالرؤف الريدى ، ومدير الإدارة القانونية الدكتور نبيل العربي ، ومدير الهيئات الدولية عمرو موسى ، ومدير المعلومات أحمد الزنط ، والمستشار الدكتور حسين حسونة ، والمستشار الدكتور محمد البرادعي . . . أما أسامة لباز الذي رافق الرئيس في رحلته كما رافقه بطرس غالى فقد ظل في مكتبه مديراً لمكتب وزير الخارجية دون أن يكون هناك وزير للخارجية ، إلا أن وضع أسامة الباز أخذ يكتسب - أكثر من أى وقت مضى - أهمية كبيرة ، فهو فى الوزارة مدير لمكتب الوزير ، وفى الرئاسة هو مستشار للرئيس ، وقد حافظ أسامة على وضعه فى المؤسستين طوال الوقت .

كان اتفاق السادات وبيجن على عقد هذا الاجتماع التمهيدى مفاجأة للولايات المتحدة ، فلقد جاءت البرقيات من سفيرنا فى واشنطن آنذاك الدكتور أشرف غربال مشيرة إلى أن المسؤولين فى إدارة الرئيس كارتر أخذوا على حين غرة بإعلان السادات وبيجن ، ولذلك فقد طلب الرئيس كارتر إرجاء عقد الاجتماع لفترة أسبوعين حتى يتسنى

لهم تقييم الموقف وتحديد أسلوب تحركهم . . . وأصبح واضحًا أن هناك نوعًا من الضيق في واشنطن بسبب انتقال زمام المبادرة في عملية السلام من يد الوسيط الأمريكي إلى أيدي طرفي النزاع .

في نفس الوقت أصبح علينا نحن في وزارة الخارجية أن نعد للاجتماع التمهيدي لمؤتمر السلام . . . أما رئاسة مجموعة العمل فقد انتقلت من الدكتور أحمد عثمان إلى الدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة الذي جرى استدعاؤه من نيويورك للقاهرة لرئاسة هذه المجموعة وليكون ممثل مصر في الاجتماع التمهيدي، وقد ضم الدكتور عصمت لعمل اللجنة كل من المرحوم صلاح هنداوى وأحمد أبو الغيط وزير الخارجية حاليًا اللذين سبق أن عملا معه في البعثة الدائمة لدى الأمم المتحدة بنيويورك، وعهد إليهما بمهمة الأمانة العامة للجنة .

أما أحمد عثمان فقد كان سعيدًا أن مهمة رئاسة مجموعة العمل قد انزاحت عن كاهله، كان أحمد عثمان معروفًا بنظرياته وأفكاره الخاصة عن الصهيونية وعن إسرائيل، وكان توجه الرئيس السادات نحو عقد اتفاق سلام مع إسرائيل يضعه في تناقض حاد بين معتقداته الخاصة وواجباته الوظيفية كوكيل لوزارة الخارجية ومسؤول عن تنفيذ سياسة الدولة، وفي هذه الحالة سياسة الرئيس السادات، كما كان أحمد عثمان يشعر بما كنا نشعر نحن في مجموعة العمل بالغبرة في هذا المناخ الجديد في وزارة الخارجية وخاصة بعد خروج رفيقى دربه في الوزارة إسما عيل فهمى ومحمد رياض .

بدأ الدكتور عصمت عبد المجيد اجتماعه معنا في مجموعة العمل بأن أبلغنا عن الحديث الذي جرى بينه وبين الرئيس السادات عقب استدعائه من نيويورك وحضوره للقاهرة لرئاسة مجموعة العمل، وكان واضحًا أنه شخصيًا مقتنع ومؤيد لمبادرة الرئيس السادات، ويرى أنه لكى تحرر مصر أرضها عليها أن تستعيد زمام المبادرة السياسية في يدها ولا تجعلها رهناً في أيدي الآخرين.

تحددت مهمتنا في إطار اللجنة أو مجموعة العمل في أن نعمل على صياغة موقف مصر

في مؤتمر السلام الذي كان من المفروض أنه سينعقد في جنيف للتوصل إلى حل شامل لأزمة الشرق الأوسط طبقا لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨، وبدأت إدارة البحوث والتخطيط السياسى فى إعداد أوراق العمل التى طلب منها إعدادها للتحضير لانعقاد المؤتمر .

إلا أن الإعداد لم يقتصر على الجانب الموضوعى بل شمل أيضا الجانب الإجرائى ، وأهم عناصره تحديد من ستوجه إليهم الدعوة لحضور الاجتماع ، وكان من الواضح أن الدعوة متوجهة بالضرورة إلى الدول أطراف الصراع والدولتين الأعظم (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) والأمين العام للأمم المتحدة ، ولم يكن هناك أى خلاف بيننا على ضرورة توجيه الدعوة إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أننا كنا نتوقع الاعتراض القوى الذى سنقبله من الجانبين الإسرائيلى والأمريكى بالنسبة لدعوة المنظمة ، وذلك فى ضوء الاتفاق المكتوب بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ عهد إدارة الرئيس فورد والذى ينص على عدم دخول الولايات المتحدة فى حوار مع منظمة التحرير إلا بعد قبولها لقرار ٢٤٢ وهو القرار الذى لم تقبله المنظمة .

قمنا بإعداد خطاب الدعوة الذى سيوجه إلى ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير، وجاء المرحوم الدكتور أحمد صدقى الدجاني إلى الصالون الكبير المجاور لمكتب وزير الدولة للشؤون الخارجية بمقر الوزارة فى قصر التحرير وتسلم هذا الخطاب من الدكتور أسامة الباز، حضرت واقعة تسليم خطاب الدعوة ، لذا كان من العجيب بعد ذلك ما ذكره لى الدكتور الدجاني عن أن ياسر عرفات قال له يوماً: إن هذه الدعوة لم تصل إليه قط!

تحدد موعد عقد الاجتماع التمهيدى يوم ١٥ من ديسمبر ١٩٧٧ م، واختير فندق مينا هاوس مقراً لعقد الاجتماع ، وذلك لكونه يقع فى أطراف القاهرة ويسهل السيطرة عليه أمنياً .

كانت القاهرة قد بدأت بالفعل تعيش أجواء جديدة ساهمت فى صنعها تلك الحملة الضارية التى انطلقت من العواصم العربية بإدانة التحرك المصرى وإدانة الرئيس السادات شخصياً . . . و صدر من ليبيا بيان طرابلس الذى وقعته كل من ليبيا والجزائر وسوريا

والعراق ، والذي أعلن تشكيل جبهة الصمود والتصدي ، والذي تهجم على الرئيس السادات شخصيا وعلى مبادرته ، وقد رد الرئيس السادات على هذا البيان بقطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول الأربع.

ذهبت مساء يوم ١٣ من ديسمبر إلى فندق مينا هاوس حيث كان علينا أن نقيم هناك أثناء فترة المؤتمر وكان الجو ممطرا ، وبصاحبي المرحوم الصديق أحمد الزنت ، وأقمت في الغرفة رقم ٨٠٩ ، وهالني كم الصحفيين الإسرائيليين والأجانب الذين جاؤوا لتغطية المؤتمر . . . وكانت تلك أول مرة أرى فيها إسرائيليين على أرض مصرية ، كانت مشاعري آنذاك متضاربة ، فأنا أنتمى إلى هذا الجيل الذي عاش قضية الصراع مع إسرائيل بكل وجدانه . . . ولم يكن هذا الصراع بالنسبة لجيلنا مجرد موضوع نمارس العمل فيه كدبلوماسيين أو كموظفين ، ولكنه كان أكبر من ذلك ؟ كان قضية قومية عشناها بكل مشاعرنا وعواطفنا .

أما عن مشاعر الوفد المصرى الذى كلف بتمثيل مصر فى مباحثات مينا هاوس فكنا نشعر أن قدر مصر الآن معلق بين السماء والأرض ، وأن الحروب والأحداث التى خاضتها عبر ثلاثين عامًا قد دفعت بها إلى هذه اللحظة الفاصلة . . . إلا أنه بالرغم من هذه المشاعر ، فقد كنا نشعر أيضًا بأن مصر الآن أحوج ما تكون إلى أبنائها ليقفوا معها ولا يتخلون عنها مهما كان إحساسهم بالمرارة ، ومهما كان رأيهم فى مبادرة الرئيس وزيارته لإسرائيل ومجيء الإسرائيليين للقاهرة . . .

اجتمع الوفد المصرى فى صباح يوم (١٤/١٢) برئاسة الدكتور عصمت الذى أبلغنا أنه التقى فى الليلة السابقة مع الوفد الإسرائيلى ، وقدم لهم النقاط الأربع التى نرى أن يتكون منها جدول أعمال مؤتمر جنيف ، وهى الانسحاب الكامل من الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧ م ، والمشكلة الفلسطينية بكافة جوانبها على أساس إقرار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، وترتيبات الأمن لجميع الأطراف ، وإنهاء حالة الحرب .

إلا أن الإسرائيليين تقدموا باقتراح مضاد ، وهو أن يتكون جدول الأعمال من بند واحد فقط ينص على عقد معاهدات سلام بين إسرائيل وجيرانها من الدول العربية ، ولقد حاول المستشار القانونى روزين فى هذا الاجتماع أن يسلم الدكتور عصمت مشروع

معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، وقد رفض د. عصمت استلام هذا المشروع باعتبار أن اجتماع مينا هاوس هو اجتماع تمهيدى للإعداد لمؤتمر جنيف، ولأنه كان يعلم من خلال قراءته لملف المباحثات السابقة مع الجانب الأمريكي أن الإسرائيليين قد أعدوا مشروع معاهدة تتضمن بقاء المستوطنات الإسرائيلية في سيناء^(١) أما بالنسبة لرئاسة المؤتمر فقد اقترح الإسرائيليون أن تكون الرئاسة لمصر وإسرائيل بالتناوب، وهو ما لم يقبله، وهكذا فمن الواضح أن موافقنا متناقضة بصورة جذرية مع الوفد الإسرائيلي منذ اللحظة الأولى.

واصلنا اجتماعات مجموعة العمل المصرية بعد الظهر، بينما كان الدكتور عصمت مجتمعًا بالوفد الإسرائيلي والوفد الأمريكي... ثم جاء د. عصمت وطلب إلينا أن نحضر إلى غرفته لتتعرف على الوفد الإسرائيلي والوفد الأمريكي اللذين كان مجتمعًا بهما، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أصافح فيها الوفد الإسرائيلي... بل المرة الأولى التي أصافح فيها أي إسرائيلي على الإطلاق.

في اليوم التالي (١٥ / ١٢) انعقد الاجتماع الأول وحضرته الولايات المتحدة بالإضافة إلى مصر وإسرائيل... ورأس الدكتور عصمت الوفد المصري، كما رأس إيلياهو بن اليسار الوفد الإسرائيلي، ورأس روي آثرتون الوفد الأمريكي، وحضر الجنرال سيلاسفيو قائد قوات الأمم المتحدة الترويحي في المنطقة ممثلًا للأمين العام للأمم المتحدة... ورأس مصر الاجتماعات بعد أن رفضت أن تشاركها إسرائيل في التناوب على رئاستها. وفي الجلسة الأولى، ورغم غياب الوفد الفلسطيني فقد ترك مقعده خاليا وأمامه لافتة (فلسطين)، كما تم رفع العلم الفلسطيني مع بقية أعلام الدول المدعوة، ثم أنزل مع أعلام الدول الأخرى التي لم تشارك في المؤتمر^(٢).

تم الاتفاق على تشكيل لجنة فرعية لوضع جدول أعمال متفق عليه من الجانبين لمؤتمر

(١) عصمت عبد المجيد، زمن الانكسار والانتصار - دار الشروق، ص ١٥٨.

(٢) د. عصمت عبد المجيد. المرجع السابق، ص ١٦٠. راجع أيضا مقالات أحمد أبو الغيط في الأهرام، نوفمبر ٢٠١٠، (شاهد على السلام) وخاصة الحلقة الثانية بتاريخ ١٧ نوفمبر ٢٠١٠م.

السلام ، وتم تعيين كل من السفير نبيل العربي مدير الإدارة القانونية وعبد الرؤوف الريدى ممثلين لمصر في هذه اللجنة الفرعية ، أما إسرائيل فقد مثلها ماير روزين المستشار القانوني للخارجية الإسرائيلية ، والذي أصبح فيما بعد سفيراً لإسرائيل في واشنطن في الفترة التي عملت فيها سفيراً لمصر هناك ، وقد عقدنا عدة اجتماعات تبين منها استحالة التوصل إلى اتفاق حول جدول الأعمال ، وكانت المشكلة الفلسطينية هى أساس الخلاف سواء من حيث الموضوع أو من حيث من الذى يمثل الجانب الفلسطينى ..

حدث فى يوم من أيام اجتماعات اللجنة أن تأخر روزين عن الموعد الذى كان محدداً للاجتماع . . وعندما وصل ذكر أن سبب التأخير يرجع إلى أن الوفد الإسرائيلى ذهب إلى خان الخليل فى زيارة سياحية . . . وأن أصحاب المحلات هناك وأهل المنطقة بصفة عامة استقبلوهم استقبالاً حاراً . . . وكانوا يقدمون إليهم الشاي والمشروبات ويرفضون أخذ ثمن الأشياء التى اشتروها وأن ذلك هو ما أخرهم عن موعد الاجتماع .

لم يسفر مؤتمر مينا هاوس عن أى اتفاق ، وتمثلت قيمته الحقيقية فى أنه كان أول مناسبة يتعود فيها المصريون على لقاء الإسرائيليين ، وإقناع الإسرائيليين بتصميم مصر على السير فى عملية السلام ، والواقع أن الرئيس السادات لم يكن راغباً أصلاً فى عقد مؤتمر جنيف للسلام فهذا المؤتمر يشارك الاتحاد السوفيتى فى رئاسته مع الولايات المتحدة وهو لم يكن راغباً أصلاً فى أن يكون للاتحاد السوفيتى أى دور إلى جانب الولايات المتحدة . . . وهو لم يكن متحمساً للاتفاق الذى عقده فانس وجروميكو وزيرا خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قبيل قيامه بمبادرته لعقد مؤتمر جنيف ، كما كان الرئيس السادات يرفض فكرة الوفد العربى الموحد التى كانت تريدها سوريا للتفاوض مع إسرائيل فى المؤتمر لأنه كان يعتقد أن ذلك من شأنه أن يضع قيلاً على حركته فى التفاوض والمناورة .

كان يداخلنى طوال الوقت ونحن فى مينا هاوس شعور غامض حزين . . . فيبينها كنت أرى الإسرائيليين يتجولون فى حدائق مينا هاوس فإن الأنباء كانت تتوالى عن تدهور العلاقات بين مصر والدول العربية ، وبدأت سلسلة قطع الدول العربية العلاقات مع مصر وسحب السفراء العرب من القاهرة . . . وكنت كلما دخلت إلى فندق مينا هاوس أسمع قطعة موسيقية حزينة ، وكانت هذه القطعة تتكرر دائماً . . . ومازال هذا الشعور

يداهمنى وأتذكر هذه النعمة الحزينة حتى الآن فى المناسبات التى أذهب فيها إلى مينا هاوس .

انتهى اجتماع مينا هاوس دون اتفاق وقبل انفضاض الاجتماع أعلن عن لقاء يعقد فى الإسمايلية بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيجن يوم ٢٥ ديسمبر أى يوم ميلاد السيد المسيح ، وهو يوم يوافق أيضا عيد ميلاد الرئيس السادات ، وتقرر أن الذى سيحضر هذا المؤتمر من الخارجية هم بطرس غالى وعصمت عبد المجيد وأسامة الباز وقد عقدنا اجتماعات طوال اليوم السابق ، واتفقنا على أن يكون موقف الوفد المصرى هو الانسحاب الكامل إلى خطوط ١٩٦٧ ، وحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، وإزالة المستوطنات ، مع إمكانية مشاركة الأمم المتحدة فى إدارة الأراضى الفلسطينية المحتلة أثناء فترة انتقالية .

تزامن موعد اجتماع الإسمايلية مع الإعلان عن تعيين وزير خارجية جديد هو السفير محمد إبراهيم كامل سفير مصر فى بون (عاصمة ألمانيا الغربية آنذاك) وكان محمد إبراهيم كامل موجودا بالقاهرة بمناسبة زيارة يقوم بها مستشار ألمانيا الغربية هيلموت شميت ، ولم يعلم محمد إبراهيم كامل بتعيينه وزيرا للخارجية إلا عندما عاد إلى المنزل فوجد جمعا من أقرانه وأصدقائه فى المنزل قد حضروا لتهنئته بعد أن أذيع الخبر فى نشرات الأنباء ، دون أن يكون هو قد أبلغ بهذا التعيين ، وقد اقترح الرئيس السادات أن يودى محمد إبراهيم كامل اليمين بالإسمايلية فى وجود بيجن إلا أن محمد إبراهيم كامل رفض ذلك ، وكان ذلك هو بداية مسلسل الخلاف فى بين الرئيس السادات ووزير خارجيته محمد إبراهيم كامل الذى انتهى باستقالته بعد أقل من عام، تم حلف انيمين بالطريقة المعتادة على أية حال ولكن فى الإسمايلية حيث كان يقيم الرئيس .

فى اجتماع الإسمايلية عرض بيجن مشروعه الخاص بالحكم الذاتى (الفلسطينيين العرب) كما كان يسمى الفلسطينين فى الضفة والقطاع ، كما عرض مشروعه الخاص بالانسحاب من مصر مع الاحتفاظ بالمستوطنات التى كانت موجودة فى منطقة رفح وعلى ساحل خليج العقبة بين إيالات وشم الشيخ .

وقد تسبب عرض بيجن لمشروعه فى مناقشات حادة بينه وبين الدكتور عصمت عبد

المجيد عضو الوفد المصاحب للرئيس السادات خاصة عندما حاول بيجن الاستناد إلى كتابات بعض أساتذة القانون الدولي في تبرير الاحتفاظ بمستوطنات إسرائيلية في سيناء وحرمان الفلسطينيين من حق تقرير المصير ، وقد أوضح الدكتور عصمت في رده على بيجن أن القانون الدولي لا يسمح بضم أراضى دولة لدولة أخرى وأن من حق الشعب الفلسطيني أن يقرر مصيره مثله في ذلك مثل كل الشعوب . . وقد جاءت المشاحنة بين بيجن والدكتور عصمت لتضاعف من شعور الجانب الإسرائيلي بأن وزارة الخارجية المصرية تأخذ مواقف متشددة . . الأمر الذى جعل الخارجية المصرية هدفًا لانتقادات بيجن المستمرة والذى كان يلقبنا بـ (عصابة الخارجية) ويتهمنا بأننا نسير في خط مناقض للخط الذى يسير فيه الرئيس السادات .

خلف اجتماع الإسماعيلية أجواء سلبية . . خاصة أن بيجن أفصح عن شخصيته المتزمتة والمتسمة بالغرور والصلف . . ولم يلق مشروعه من الجانب المصرى إلا الاستهجان فضلًا عن أنه أكد مخاوفنا من أن الجانب الإسرائيلى لم يتخل عن أطماعه فى الأراضى المصرية والفلسطينية وعن تصميمه على إبقاء الشعب الفلسطينى تحت الهيمنة الإسرائيلىة ، ولم تفلح مبادرة الرئيس السادات وذهابه للقدس فى كسر-روح الغطرسة الإسرائيلىة ، أما الشيء الوحيد الذى تم الاتفاق عليه فى اجتماع الإسماعيلية فكان تشكيل لجتين ، لجنة سياسية تجتمع فى القدس ، ولجنة عسكرية تجتمع فى القاهرة.

بدأنا بعد اجتماع الإسماعيلية فى مجموعة العمل برئاسة د . عصمت عبد المجيد الاستعداد للقاء اللجنة السياسية فى القدس . . وقد طلب إلى أن أشرح عضوًا من إدارة التخطيط للمشاركة فى اجتماعات اللجنة العسكرية التى ستجتمع فى القاهرة فرشحت الزميل المستشار إيهاب وهبة . . وكان عائدًا من عمله فى سفارتنا فى واشنطن وانضم للإدارة وأصبح نائب المدير ، وهو دبلوماسى قدير تولى مناصب هامة فى الداخل والخارج بما فى ذلك منصب مساعد وزير الخارجية للشؤون العربية.

كان مجرد التفكير فى أننى سأذهب لإسرائيل بمثابة كابوس فظيع . . وبدا هذا الشعور واضحًا على . . وأصبحت مهمومًا بمجرد التفكير فى أننى سأركب الطائرة وأذهب لإسرائيل ، وأحيانًا تمنيت وأنا أقود سيارتى بين الوزارة فى التحرير والمنزل فى

مصر الجديدة لو أن حادثاً وقع لي . . . ليحول بيني وبين هذه المهمة الكثيرة ، ولكن سرعان ما يأتيني بعد ذلك الشعور الآخر وهو شعور الواجب . . . وأقول لنفسى كيف تفكر فى وسيلة تعفيك من هذه المهمة عندما يناديك واجب الوطن . . . هكذا كنت أعيش كما يعيش غيرى من زملائى حالة المشاعر المتناقضة بين ما هو شخصى وما هو واجب وطنى . . .

ثم جاءت اللحظة التى لم يكن منها مفر وهى لحظة ركوب الطائرة ذهاباً إلى القدس يوم ١٦ يناير ١٩٧٨ م بعد الظهر، وكان محمد إبراهيم كامل على رأس الوفد . . . وكانت تلك هى مهمته الأولى التى يسافر فيها خارج مصر منذ تعيينه وزيراً للخارجية . لم تستغرق الرحلة أكثر من خمسين دقيقة . . . حتى وجدنا أنفسنا فى مطار بن جوريون . . . (محمد إبراهيم كامل ويطرس غالى وعصمت عبد المجيد وأسامة الباز وعبد الرؤوف الريدى ونبيل العربى وأحمد الزنط وأحمد ماهر السيد مدير مكتب وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل وعمرو موسى وصلاح هنداوى وأحمد أبو الغيط (الذى كان أصغر أعضاء الوفد) وكان موسى ديان وزير خارجية إسرائيل فى انتظارنا على باب الطائرة . . . وخلفه جمع كبير من الصحافة والإعلام . . . وكاميرات التلفزيون ، وذهب محمد إبراهيم كامل مع ديان إلى المكان المخصص لإلقاء البيانات على الصحافة . . . وهنا شعرت بأن أزمة على وشك الحدوث ، حيث كنت قد اطلعت مسبقاً على البيان المعد الذى سيلقيه وزير الخارجية عند وصوله للمطار، وكنت قد لاحظت أنه بيان قوى فى التعبير عن مواقفنا . . . وخاصة بالنسبة للقدس التى كنا نشعر بوجود اتخاذ موقف قوى إزاءها بسبب انعقاد الاجتماع فى هذه المدينة .

أخرج محمد إبراهيم كامل الورقة من جيبه . . . وأخذ يقرأ البيان الذى جاء به أنه لن يكون هناك سلام ما لم تنسحب إسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة وعلى رأسها القدس . . . كنت أتوقع أن يرد ديان على هذا البيان . . . إلا أنه لم يرد واكتفى ببعض العبارات التقليدية ، وانطلق الركب تحت جناح الظلام . . . وكان يرافقتى رئيس قسم فى إدارة الشرق الأوسط الذى سبق له أن عمل قنصلاً عاماً لإسرائيل فى إسطنبول . . .

وصلنا إلى فندق هيلتون . . . فوجدت الناس فى الفندق وقد تجمعوا لاستقبالنا

بالتصفيق والتهليل... وصعدنا إلى غرفنا، وكانت غرفتي تجاور غرفة الصديق المرحوم أحمد الزنط مدير إدارة المعلومات آنذاك... ووجدت في الغرفة مجموعة من الكتيبات التي تتحدث عن مواجهة إسرائيل السياسية، وكان من بينها كتاب عن منظمة التحرير الفلسطينية وكيف أنها تشكل خطراً مميّثاً لإسرائيل، ثم فوجئت بأحمد الزنط يطرق باب غرفتي، ويخبرني أن هناك صحفياً إسرائيلياً اسمه شلومو اتصل به في غرفته ويريد منه موعداً للقائه في صباح اليوم التالي... وسألني أحمد عن رأيي في الموضوع... فقلت له: بالطبع لا تقبله.. فتلك رحلة في غاية الحساسية، وما زالت أبعادها في عالم الغيب.. واقتنع أحمد، ولكن في اليوم التالي تبين أن الموضوع كله كان نوعاً من الدعاية، وأن الذي اتصل بالزنط هو عمرو موسى ومعه أسامة الباز!!...

في صباح اليوم التالي غادرت أنا والزنط غرفتنا متوجهين إلى قاعة الاجتماع، وأخذنا المصعد الذي كان به أيضاً عضو الوفد الأمريكي وليم كربي والذي كنت أعرفه من قبل أثناء عملنا معا في مؤتمر نزع السلاح بجنيف، وبينما بدأنا التحية والحديث إذا بالمصعد يتوقف فجأة... وبقينا في المصعد الذي كان مزدحماً حوالى نصف ساعة... وعندما وصلنا إلى الدور الأرضي وتوجهنا إلى حيث كان ينعقد الاجتماع فوجئنا بأن الجلسة قد انقضت^(١)... وأن الاجتماع استغرق وقتاً قصيراً... وأن المجتمعين قرروا تأجيله إلى وقت لاحق يتفق عليه.

وبينما اجتمع الوزراء الثلاثة - كامل وديان وفاس - في اجتماع مغلق بعد الاجتماع العلني، لم يكن هناك ما نفعله بعد ذلك سوى حضور مأدبة الغداء التي أقامها ديان على شرف الوفود في فندق الملك داود الذي ذكرني بحادث التفجير الضخم الذي قام به الإرهابيون اليهود عام ١٩٤٧م وترتب عليه موت عشرات الضباط والجنود البريطانيين الذين كانوا يتخذون من الفندق مقراً لهم.

(١) كان ذلك هو السبب في أن الصور التاريخية التي التقطت لجلسة اللجنة السياسية في القدس لم أكن أنا والمرحوم أحمد الزنط بها، كما يلاحظ في الصورة المنشورة مع مقال وزير الخارجية أحمد أبو الغيط «شاهد على السلام» - الحلقة الرابعة - عن اجتماع القدس، الأهرام ٢٠ نوفمبر ٢٠١٠

على مائدة الغداء، كان محمد إبراهيم كامل شارداً للذهن ومكتئباً وهي الحالة التي لازمته طوال رحلة القدس، ولم يشارك في الحديث إلا نادراً، أما بطرس غالي فكان يتبادل النكات مع ديان الذي أخذ يسرد نوادره من كيسنجر...

جلس بجوارى على اليمين في مأدبة الغداء أهارون باراك الذي أصبح فيما بعد رئيس محكمة العدل العليا، وعلى يسارى إيلي روبنشتاين مدير مكتب ديان والذي أصبح فيما بعد نائباً للسفير الإسرائيلي في واشنطن، ثم شغل منصب المدعى العام، ثم أصبح قاضياً في محكمة العدل العليا... وأخذ روبنشتاين يتحدث عن جمال الطبيعة في إسرائيل وأشار إلى منطقة الجليل فأشرت بدورى إلى أن قرى هذه المنطقة هي قرى عربية فأمن على ما قلت.. ثم أخذ يتحدث عن أن كلا من بيجن وديان يريدان أن يذهبا في التاريخ على أنها اللذان حققا السلام لإسرائيل، فذكرت له أنني أصدقه، ولكنها يريدان أن يذهبا في التاريخ أيضاً على أنها اللذان جلبا لإسرائيل الأراضى أيضاً.. وهما شيان متناقضان لأن السلام يتطلب التخلي عن الأرض التي تم احتلالها... ثم أشرت إلى مقترحاتهم ووصفتها بأنها مقترحات استعمارية، واستشهدت على ذلك بما كان قد ورد فيها من تفرقة بين أبناء الشعب المصرى (مصريون وعرب سيناء)، وهنا تدخل باراك في المناقشة مستغرباً أن تتضمن مقترحاتهم مثل هذه التفرقة، ثم أشار إلى أن علاج هذه النقطة لن يكون أمراً صعباً، وقد استمر الحوار مع روبنشتاين الذي كانت مواقفه متعنتة بينما كان باراك أقرب إلى الاعتدال.

في المساء كانت هناك مأدبة العشاء الكبيرة التي أقامها رئيس الوزراء بيجن على شرف وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل والوفد، وكان البروتوكول الإسرائيلى قد وزع أعضاء الوفد على موائد جلست عليها مجموعات من شخصيات المجتمع الإسرائيلى وذلك ترحيباً بالوفد المصرى بحيث لا يكون الترحيب مقتصرًا على الرسميين.. وكان الذى جلس إلى جانبي في هذا العشاء هو رئيس الجهان المركزى للمحاسبات الإسرائيلى.

وما إن انتهينا من تناول العشاء حتى وقف بيجن وأخذ في إلقاء بيانه.. الذى سرعان ما تحول من كلمة ترحيب إلى بيان سياسى.. طرح فيه مواقف إسرائيل أو مواقف بيجن التى كان قد أخذ يرددّها منذ مبادرة الرئيس السادات وخاصة رفض حق تقرير المصير

للشعب الفلسطيني باعتبار أن هذا الحق يؤدي إلى إنشاء دولة إرهابية في يهودا والسامرة (الاسم العبري للضفة الغربية) ، التي اعتبرها موثل الحضارة اليهودية ، والتمسك بضم القدس بدعوى أن القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل وعدم العودة إلى حدود ٦٧ على أساس الادعاء بأن حرب ٦٧ كانت حرباً دفاعية تسمح لإسرائيل أن تحتل جزءاً من الأراضي . . متجاهلاً بذلك أحكام ميثاق الأمم المتحدة ونص القرار ٢٤٢ الذي يؤكد عدم جواز الاستيلاء على أراض عن طريق الحرب ، هذا فضلاً عن أن إسرائيل هي التي بدأت بالعدوان .

كنت أفكر طوال الوقت في الوزير الجديد محمد إبراهيم كامل ، وهو يواجه أول اختبار له على الملأ وأمام كاميرات التلفزيون ، وكنت أعلم أن الخطاب الذي كان معداً له للاقائه في هذه المناسبة لم يأخذ في الحسبان أن يبجن سيلقى خطاباً سياسياً . . كنت أشفق على الوزير الجديد الذي كنت أكن له إعزازاً خاصاً . . وما إن انتهى يبجن من خطابه حتى وقف محمد إبراهيم كامل للرد عليه . . وكان وجهه محتقناً كلون الدم . . وقف وألقى كلمة لم تستغرق أكثر من دقيقتين أو ثلاث دقائق . . ذكر فيها أنه جاء إلى هذه المناسبة التي كان من المفروض أن تكون مناسبة اجتماعية وليست اجتماعاً سياسياً . . إلا أنه فوجئ بهذا الخطاب السياسي . . وهو أمر مستغرب ولذا فإنه لن يرد عليه الآن ، وسيكون رده في اجتماع اللجنة السياسية ، وجلس الوزير الجديد دون أن يرفع كوبه لرد النخب الذي قدمه يبجن لضيفه . . وما إن جلس الوزير حتى دوت القاعة بالتصفيق من جانب أعضاء الوفد المصري والصحفيين المصريين ، وربما كان هناك أيضاً تصفيق من جانب بعض الإسرائيلين الذين لم تعجبهم طريقة يبجن .

في اليوم التالي تم ترتيب زيارة لنا لمعالم القدس . . وكان مرشدنا السياحي هو موسى أراد الذي أصبح بعد ذلك سفيراً لإسرائيل في واشنطن في نفس الفترة التي عملت فيها هناك بعد نقل ماثير روزين . . وكان شرحه هادئاً . . إلا أننا عندما وصلنا إلى مشارف المسجد الأقصى في مواجهة حائط المبكي . . فوجئنا بحارس يقف على مقربة من الحائط وفي يده وعاء كبير على شكل (قصة) وبه طاقات سوداء مصنوعة من الورق المقوى من المفروض أن يضعها الزوار على رؤوسهم . . وتقدم الحارس وقدم طاقة للكثور عصمت

الذى أخذها ثم أعادها مرة أخرى إلى الوعاء ، وكان ذلك ما فعلناه جميعا بعده واحداً واحداً . . . وبدا الغضب على وجه الحارس الذى أخذ يتمتم ببعض العبارات بالعبرية التى لم نفهمها على أية حال ، واستمر أراد فى شرحه إلى أن وصلنا إلى المسجد الأقصى - وصلينا هناك .

عدنا من رحلتنا السياحية ومكثنا فى غرفنا فى انتظار تعليقات وزير الخارجية حول الاجتماعات واللقاءات التى ستعقد بعد الظهر وفى المساء . . . وبينما نحن كذلك جاءنا الخبر الذى جعلنا نظير من الفرح ، وهو أن الرئيس السادات قرر قطع المفاوضات فى القدس واستدعاء الوفد للعودة للقاهرة على الفور . . . وما إن علمنا بهذا النبأ حتى سرت يننا جميعا حالة من الفرح العارم وصفها بطرس غالى فى مذكراته بأنها كانت حالة هستيرية وأخذ كل منا يسرع فى حزم أمتعته . . . والواقع أننا كنا سعداء بأن كابوسا قد انزاح عن صدورنا . . . فنحن لم نكن سعداء بالذهاب لإسرائيل . . . ولكننا ذهبنا أداء للواجب . . . تحرك الوفد مع هبوط الليل إلى المطار ، وانتظرنا فى المطار لساعات طويلة حتى مجيء الطائرة التى كانت قد ذهبت إلى القاهرة ولم تعد بعد . . . وفى هذه الأثناء كان محمد إبراهيم كامل مازال عابثا ولا يتكلم مع ديان الذى جاء لوداعه ، ولكن بطرس غالى قام بهذه المهمة . . . !

ويبقى السؤال : لماذا قرر الرئيس السادات قطع المفاوضات واستدعاء الوفد بالرغم من أن الولايات المتحدة كانت قد أرسلت وفداً كبيراً برئاسة وزير الخارجية سايروس فاس ، وكانت تلك من أولى المهام الدبلوماسية الكبيرة لوزير الخارجية الأمريكية الجديد سايروس فاس ؟

ولقد فسر الرئيس السادات قراره لمحمد إبراهيم كامل فى اليوم التالى عندما قابله فى القناطر الخيرية بأن قرار استدعاء الوفد جاء نتيجة لتصرفات وتصريحات بيجن وديان ، وأنه بعد تصريح ديان أثناء افتتاح اللجنة السياسية بأنه لا بد من تنازلات من الجانبين أحس السادات بالقلق ، وخشى أن يتورط محمد إبراهيم كامل فى بعض التنازلات . . . فرد عليه الوزير كامل : وما الذى يدعوك إلى هذا الخوف ؟! فأنا لا أملك التنازل عن شيء . . . كما أننى على اتصال مستمر بك فى كل خطوة وفى كل وقت . . . وفى اعتقادى أن السادات

اتخذ هذه الخطوة لوقعها الدرامي الإعلامي الذي كان شغوفاً به دائماً . . . خاصة أنه لم يكن يتوقع ولا يرغب في أن يقوم هذا الوفد بأية مفاوضات . . . فالرئيس السادات كان هو المفاوض الوحيد من الناحية العملية.

هكذا كان قرار سفر الوفد برئاسة وزير الخارجية وهكذا كان أيضاً قرار سحب الوفد.

كان حالنا ونحن في الطائرة عائدتين من القدس عكس ما كان عليه ونحن ذاهبون . عدنا ونحن نشعر بأن عبثاً ثقيلًا قد انزاح عن صدورنا رغم توجسنا مما سيأتي به المستقبل ورغم ما كنا عليه من إجهاد . . . ووصلنا إلى بيوتنا قرب الفجر . . . وفي اليوم التالي ذهبت إلى الوزارة والتقيت بزملائي في إدارة التخطيط السياسي الذين كانوا شغوفين لمعرفة ما حدث . . . وانتهى فصل وبدأ فصل جديد في رحلة الشهور العشرة التي امتدت منذ زيارة السادات إلى القدس في نوفمبر ١٩٧٧ حتى اتفاق كامب دافيد في سبتمبر ١٩٧٨ م.

في هذه الشهور العشرة كان بادياً لنا في الخارجية أن محمد إبراهيم كامل يمثل أكبر ضمان لنا في الدفاع عن المواقف المصرية الثابتة التي عشناها وتعودنا عليها وخاصة بالنسبة للقضية الفلسطينية . . . كان الفكر الذي يحكم مواقفنا هو أن يكون الحل الذي يتم التوصل إليه حلاً شاملاً وليس حلاً جزئياً أو اتفاقية تعالج الجانب المصري فقط ، كما كنا نعمل على الحفاظ على العلاقات العربية والحيلولة دون تدهورها . . . كان ذلك هو الذي يحكم تفكير الوزير كامل وتفكيرنا . . . وكنا نلمس من أحاديثنا معه مدى التوتر في العلاقة بينه وبين الرئيس السادات « وكان الرئيس السادات يتصور أننا نؤثر على محمد إبراهيم كامل ، وأخذ يسأل عن هذه المجموعة التي تعمل مع وزير خارجيته ، والواقع أننا كنا نعطي الرأي ولم تكن هناك أية محاولة من جانبنا للتأثير عليه ولم تكن هناك حاجة لذلك ، فلم يكن هناك أصلاً تناقض في أفكارنا وتوجهاتنا مع أفكاره وتوجهاته.

منذ توقيع الاتفاق الثاني للفصل بين القوات عام ١٩٧٥ أصبح واضحاً أن عين السادات منصبة أساساً على سيناء . . . وكانت المطاعم الإسرائيلية في سيناء ظاهرة للعيان ، كانوا يريدون إما الإبقاء على عدد من المستوطنات الإسرائيلية في سيناء أو اقتطاع جزء من سيناء . . . وكانت أحاديث ديان تدور في هذا الإطار . . . وكان ديان أكثر إيماناً بأهمية

سيناء وبقيمتها الاستراتيجية ، وذلك بعكس بيجن الذي كان معنيًا بالضفة الغربية باعتبارها الأرض التي قامت فيها مملكة داود وسليمان ولم يشر بيجن إليها إلا باسمها العبري (يهودا والسامرة) .

أما نحن في مجموعة العمل فكنا نعتبر أن استرجاع سيناء أمر مسلم به ولكننا كنا حريصين على ألا يكون هناك تفريط من جانبنا بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وألا تؤدي مبادرة السادات إلى انهيار الجبهة العربية ، وما لم يكن الاتفاق الذي توصل إليه اتفاقا شاملا لأصبحت هذه الجبهة عرضة للانقسامات والخلافات . . . وكان ذلك هو الخط الذي يتخذه محمد إبراهيم كامل . . . وبالتالي كان هناك تناقض رئيسي بين رؤية السادات ورؤية محمد إبراهيم كامل .

ويروي محمد إبراهيم كامل في مذكراته (السلام الضائع) القصة التالية عن لقاء له مع هيرمان أيلتس السفير الأمريكي بانقاهرة يوم ٦٥ يوليو ١٩٧٨ . يقول كامل : (سألتني أيلتس بطريقة عرضية عن رأيي في الموقف لو اضطرتنا الأحداث إلى تأجيل حل المشكلة الفلسطينية لمرحلة لاحقة وإجراء حل جزئي بيننا وبين إسرائيل حول سيناء . فقلت له : إن هذا مستحيل لأنه يهدم المبادرة التي تقوم على التسوية الشاملة للنزاع العربي الإسرائيلي ، وسيؤدي إلى عواقب وخيمة في المنطقة . فقال أيلتس : وماذا لو ارتأى الرئيس السادات أن الأفضل هو التوصل إلى ذلك مرحليا؟ فقلت : إن الأمر عندئذ سيكون واضحا بالنسبة لي . . . سأستقيل من الوزارة .

إلا أن السادات لم يكن مستعدًا لأن يضحى بمحمد إبراهيم كامل بسهولة ، لأن ذلك كان سيزيد موقفه حرجا بعد أن استقال كل من إسمايل فهمي ومحمد رياض احتجاجا على مبادرته . . . وهو لا يريد لوزير خارجية ثالث أن يستقيل . . . وكان يلجأ في التعامل مع محمد إبراهيم كامل أحيانا إلى محاولة إقناعه بوجهة نظره أو مداراته أو الالتفاف عليه . . . وعدم وضعه في الصورة تماما بالنسبة لاتصالاته مع الأمريكان والإسرائيليين . . . وكانت للسادات دائما قنواته الخلفية . . . ولم يكن السادات يأبه بالجبهة العربية التي كان يعلق محمد إبراهيم كامل عليها أهمية كبرى ؟ على العكس من ذلك كان السادات يعمل على تقليص تأثير هذه الجبهة بل واستفزازها في بعض الأحيان مثلما فعل عندما دعا وزير الدفاع

الإسرائيلي عزرا وايزمان لزيارة مصر أثناء وجود وزراء الخارجية العرب في القاهرة في تحد صارخ لما كان محمد إبراهيم كامل يحاول أن يحققه من استعادة العلاقات مع العرب .

في هذه الفترة دارت الاتصالات بين الأطراف الثلاثة : مصر وإسرائيل وأمريكا حول التوصل إلى صياغة متفق عليها حول إعلان مبادئ عن التسوية . . . وكان السفير روى أترتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط هو المكلف بهذه المهمة، وكان يتنقل بصورة مكوكية لهذا الغرض بين العواصم المختلفة، القاهرة - تل أبيب - واشنطن ولكن مهمة أترتون كانت مستحيلة التحقيق بسبب التناقض الجذري في المواقف، وأساساً بين مصر وإسرائيل، وشهدت هذه الفترة تصاعداً حاداً في حدة الخلاف بين الرئيس السادات وبيجن . . . وكان السادات يعمل على بث الفرقة بين أعضاء الفريق الإسرائيلي فكان يقرب وايزمان على حساب ديان، خاصة أن وايزمان كان شخصية منفتحة، بينما كان ديان دائماً متجهماً.

في أوائل شهر يوليو تقدمت الولايات المتحدة باقتراحها بعقد اجتماع ثلاثي في لندن يعقد على مستوى وزراء الخارجية . . . ثم تم تعديل مكان الاجتماع ليصبح قلعة ليدز في اسكتلندا .

اختار وزير الخارجية الفريق الذي سيصاحبه في اجتماع ليدز؟ أسامة الباز، الريدي، العربي، ماهر . . . وقد وضعت الرئاسة طائرة خاصة أفلتتنا إلى مطار لندن، ومن لندن أفلتتنا طائرات الهليكوبتر البريطانية إلى قلعة ليدز التي كانت في الأصل قصراً منيفاً تحيط به حديقة كبيرة وجميلة .

كان الجو في الطائرة ونحن متجهون من القاهرة إلى لندن - جوّاً مرحاً ولأول مرة رأيت محمد إبراهيم كامل غير عابس أو متجهم، بل كان على العكس منبسّط الأسارير، وأخذ يقص علينا جانباً من ذكرياته في العواصم التي عمل فيها . . . واستطعت من هذا اللقاء الذي ربما كان اللقاء الوحيد الذي رأيته فيه مشرّح الصدر طوال فترة العمل معه كوزير للخارجية . . . استطعت أن أرسم في ذهني صورة عنه موازية لصورته كرجل وطني . . . وهي صورة رجل محب للحياة وللبهاجها . . . أو كما يقال بالفرنسية Bon Vivant . وصلنا إلى قلعة ليدز وكانت غرفتي مجاورة لغرفة أسامة، والواقع أن أسامة كان هو نجم

الفريق المصرى فى هذه المحادثات وهو ما ذكره أيضا محمد إبراهيم كامل وبطرس غالى فى مذكراتها^(١). . . فهو الذى اختاره الوزير ليشرح المشروع المصرى فى الاجتماعات الثلاثية التى حضرها الوزراء الثلاثة ، كامل وفانس وديان . . . واستطاع أسامة فى شرحه ومدخلاته أن يظهر الموقف المصرى كموقف معتدل رغم تمسكه بالثوابت المعروفة فى الموقف العربى .

لم يكن من بين الوفود من اصطحب معه زوجته سوى وزير خارجية إسرائيل موسى ديان « وقد وجد فى البهو الذى يقود إلى غرفة الاجتماعات تمثالا لقطعة مصرية من الحب الفرعونية كان دائما ما يتوقف أمامه ويتأمله فى إعجاب وربما فى غيرة .

حاول ديان من ناحيته أن يخفف من صورة الموقف الإسرائيلى الذى أصبح الآن واضحا أنه يتجه إلى التصادم مع الموقف الأمريكى . . . إلا أنه رغم هذه المحاولات فإن اجتماع ليدز أظهر بما لا يدع مجالا للشك أن العقبة فى طريق التوصل للسلام تكمن فى رفض إسرائيل الالتزام بالتخلى عن احتلال الأراضى ، وعدم اعترافها بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وهذان العاملان أو المطلبان كانا أساسيين فى المشروع المصرى ، كما تضمن مشروعنا أيضا مقترحات تهدف إلى تحقيق الأمن لكل طرف دون الاحتفاظ بأى من الأراضى المحتلة ، أما الموقف الإسرائيلى فكان يتحدث عن اقتسام الأراضى المحتلة أى تعيد إسرائيل جزءا وتحفظ بجزء آخر . . . وكان ذلك يتصادم ليس فقط مع موقفنا بل ومع الموقف الأمريكى أيضا . .

عاد الوفد المصرى من ليدز وهو يشعر بثقة أكبر وبأننا نجحنا فى اجتذاب الولايات المتحدة أكثر وأكثر إلى جانبنا، وأسر فاس وزير الخارجية الأمريكى إلى محمد إبراهيم كامل أنهم (أى الأمريكان) بعد أن تقدموا بمقترحاتهم التى بدأ من اجتماعات ليدز أنها ستكون أقرب إلى الموقف المصرى ، فإن الرئيس كارتر يعترزم أن يوجه خطابا إلى الشعب الأمريكى يوضح فيه المقترحات الأمريكية ثم يعمل بعد ذلك على كسب الكونجرس والجماعات اليهودية إلى جانب الموقف الأمريكى، وإذا لم تقبل إسرائيل هذه المقترحات فستذهب

(١) السلام الضائع لمحمد إبراهيم كامل، وطريق مصر إلى القدس لبطرس غالى .

أمريكا إلى مجلس الأمن لاستصدار قرار من أجل تطبيق المقترحات الأمريكية.^(١)

وإذا كان اجتماع ليدز قد قرب بين مواقف مصر والولايات المتحدة فإن الموقف بين مصر وإسرائيل ظل على تبعاده مما أصبح واضحاً معه للجانب الأمريكي الذي يقود عملية السلام . . أنه لا بد من تحرك آخر يكون هذه المرة على مستوى القمة . . . كارتر والسادات وبيجن ، حتى يمكن إحداث اختراق في المواقف والتوصل إلى حل .

كامب دافيد:

واصل الأمريكان اتصالاتهم مع الطرفين بهدف التوصل إلى إعلان مبادئ متفق عليها وكان السفير آثرتون قد عين سفيراً متجولاً ينتقل بين العواصم للتوصل إلى صيغة متفق عليها . . . كنا نحضر مقابلات محمد إبراهيم كامل مع آثرتون ، كما كان كامل يطلب إلينا في بعض الأحيان أن نلتقى بآثرتون دون حضوره . .

لم تنجح الجهود الأمريكية مع ذلك في سد الفجوة بين الطرفين وأصبح بادياً للعيان أن عملية السلام تواجه حائطا مسدودا . . . وبدأ الأمريكان في البحث عن مخرج . . وبينما كنت أفضى إجازة قصيرة مع الأسرة في مرسى مطروح في شهر أغسطس ١٩٧٨ إذا بالأنباء تأتي بأن الرئيس كارتر قرر إيفاد وزير خاريته فانس إلى المنطقة ليدعو كلا من الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحيم بيجن للالتقاء معه في كامب دافيد حيث يركز الرؤساء الثلاثة بالكامل على التوصل إلى اتفاق وكان مقررا أن يستغرق هذا الاجتماع أسبوعا . . .

كامب دافيد هو منتجع الرؤساء الأمريكيين الذي يقضون فيه أوقاتهم للراحة وخاصة إجازة نهاية الأسبوع ، ويقع في ولاية ميريلاند التي تجاور مدينة واشنطن العاصمة . . وسط منطقة خضراء تتخللها الوديان والجداول . . ويضم كل أنواع الترفية والترفيه والتسلية . . كما أنه مكان مثالي لممارسة رياضة المشي . . وتتناثر في المنتجع كبائن خشبية بسيطة ذكرتني بأسلوب العشش في رأس البر قبل أن يغزوها الأسمت والبناء . .

رافق الرئيس وفد في كامب دافيد على مستويين ، المستوى الأول ضم وزير الخارجية

(١) محمد إبراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ٣٥٩ .

محمد إبراهيم كامل ، ووزير الدولة للشؤون الخارجية بطرس غالى ، وحسن التهامي
مستشار الرئيس ، وحسن كامل رئيس الديوان ، وسفير مصر في واشنطن أشرف غربال .

كان المستوى الثانى وهو الوفد المرافق لوزير الخارجية مكونا من نبيل العربى مدير
الإدارة القانونية وعبد الرؤف الريدى مدير إدارة التخطيط السياسى ، أحمد ماهر السيد
مدير مكتب الوزير ، وأحمد أبو الغيط سكرتيره الخاص . . . أما أسامة الباز فكان هو
جوكر الوفد، ويتمى إلى المستوى الثانى وظيفيًا ، ولكنه الأقرب إلى الرئيس السادات،
وكان أسامة هو الذى يعد الأوراق التى يطلبها منه الرئيس ، وخصوصًا مشروعات
الاتفاق التى تقدم لكارتير، وقد كان أداء أسامة أداءً ممتازًا حسب اعتراف كل من كتبوا
المذكرات عن كامب دافيد سواء من مصريين أو إسرائيليين أو أمريكيين.

لم يكن من بين أعضاء الوفد الكبار من كان له دور فى الاتصالات التى جرت مع
الجانب الإسرائيلى قبل أن يعلن الرئيس السادات مبادرته لزيارة إسرائيل سوى حسن
التهامى الذى اختاره الرئيس السادات مبعوثًا له للقاء موسى ديان فى المغرب قبل زيارة
الرئيس لإسرائيل حيث التقى به مرتين برعاية الملك الحسن ملك المغرب ، ولقد اختار
الرئيس السادات حسن التهامى لهذه المهمة لما يعرفه عن جسارته وعن أنه سيكون
مستعدًا للقيام بها دون تردد . كان التهامى فى الواقع شخصية غير عادية ، كما كان غريب
الأنوار . . . وكان يعتقد أنه واصل مع أولياء الله الصالحين ، وأنه كما يقال :مكشوف عنه
الحجاب ، وكثيرًا ما كان يتوقف عن الحديث ليبدأ حديثًا آخر مع الإمام الخضر . ويتخاطب
معه سرًا أو علانية أمامنا . . . وكان يعتقد جازمًا أنه سيحرر القدس وسيدخلها يوما على
حصان أبيض!!

عندما وصلت إلى كامب دافيد دلتنى المسؤول الإدارى على الطريق للوصول إلى
الكاينة التى سأقيم فيها . . . وبينما أنا فى الطريق . . . سمعت من ورائى من يسأل عما إذا
كنت أعرف طريقى فنظرت فإذا به الرئيس كارتير نفسه . . . وكان يسير وحده مرتديا قميصا
وينظلونا وسويتر بسيطًا . . . فقلت له : إننى سأحاول أن أسلك الطريق الذى أبلغنى به
المسؤول الإدارى . . . فذكر أنه سيوصلنى إلى هناك . . . وسرنا معا ، وكنت قد استمعت
قبل لقائنا عن تصريح قوى له يؤكد فيه حقوق الإنسان فى إيران ، فسألته عن هذا

التصريح وعن مدهاء في إيران وما إذا كان من المحتمل أن يغضب الشاه ، فأجابني بأن مسألة حقوق الإنسان بالنسبة لإدارته أمر بالغ الأهمية ، ووصلت معه إلى الكابينة ، وكانت حقيقتي قد سبقتنى مع أحد العاملين في المتجمع . . .

كانت الكابينة مكونة من غرفتين تقاسمت إحداهما وهي الغرفة الخارجية مع أسامة الباز . . أما الغرفة الثانية وهي الغرفة الداخلية فكان بها نبيل العربي وأحمد ماهر وأحمد أبو الغيط .

رغم جمال الطبيعة في كامب دافيد إلا أن هومونا كانت هي الطاغية على مشاعرنا.. وشعرنا بأننا في مصيدة تاريخية . . وفي عزلة عن العالم . . . حيث لم يكن مسموحًا بالزيارات وخاصة للصحفيين . . . مع وجود ترتيبات لإقامتهم خارج المتجمع مباشرة . . . حيث وسيلة الاتصال الوحيدة المتاحة لهم هي لقاءهم اليومي مع المتحدث الرسمى باسم الرئيس جودى باول الذى لم يكن يقدم لهم إلا النزر اليسير الذى لا يشفى غليلهم . . .

كان في كامب دافيد مطعم نؤمه للوجبات . . . وكثيرا ما كنا نلتقى هناك بالوفد الإسرائيلى وكل طرف يحمي الطرف الآخر بأدب فاقد للحرارة . . . وكان بجين يحضر- محاطا بأعضاء الوفد الإسرائيلى ، ومرتديا لباسه بشكل رسمي، البدلة ورباط العنق بينما الجميع يرتدى ثيابا بسيطة . . . لم يكن الرئيس السادات يحضر- إلى المطعم، ذلك لأن له نظاما خاصا في الطعام . . . حيث لا يتناول بعد الإفطار إلا وجبة واحدة في المساء وكان يتناولها داخل كاييته . . .

كنت أستيقظ مبكرا أنا وأسامة ونذهب للتمشية . . . وكثيرا ما كنا نلتقى بالرئيس السادات وهو مرتد بدلته الرياضية training suit وهي دائما من اللون الكحلى ويسير ومعه طاقم الحراسة ومدرب الرياضة والتدليك . . .

في بداية إقامتنا بكامب دافيد دعانا وزير الخارجية فانس ومعه الوفد الأمريكى إلى اللقاء معه ومع برحنسكى مستشار الأمن القومى ومساعدتهم الثلاثة الرئيسيين (آرتون وكوانت وسوندرز) بالإضافة إلى السفير الأمريكى فى القاهرة هيرمان أيلتس والسفير الأمريكى فى إسرائيل سام لوبس . . . وعرضوا علينا أفكارهم الأساسية ودارت المناقشة

أساسا حول القضية الفلسطينية . . . وكانت خطتهم تقوم على مرحلتين . . . في المرحلة الأولى يكون هناك حكم ذاتي لفترة انتقالية لمدة خمسة أعوام يتم فيها إيقاف بناء المستوطنات وتجري انتخابات تؤدي إلى قيام حكومة فلسطينية تمارس الحكم الذاتي وتكون لديها قوات للأمن الداخلي strong police force وبعد أن تقوم هذه الحكومة يتم التفاوض بين إسرائيل ومصر والأردن ومعها الحكومة الفلسطينية التي يكون قد تم انتخابها والتي تمارس الحكم الذاتي مع إسرائيل للتوصل إلى حل نهائي للمشكلة الفلسطينية ، بينما تكون القوات الإسرائيلية في الضفة والقطاع قد انسحبت إلى نقاط محددة داخل الأراضي الفلسطينية . . . وأذكر جيدا ما قاله برجنسكي في هذا اللقاء حول التشدد الذي يتوقعونه من الجانب الإسرائيلي في مرحلة الحل النهائي ، فقد قال برجنسكي إنه سيكون هناك تجميد للمستوطنات في هذه الأعوام الخمسة ، ومن يعلم من من سيكون في الحكم بعد ذلك في إسرائيل ، ولكن الأغلب أن يبيجين لن يكون عندئذ رئيسا للوزراء .

أما عن سيناء فقد كان الجانبان المصري والأمريكي يشعران بأن الأمر واضح بالنسبة لهما فنحن في مصر لن نوقع اتفاقا للسلام ما لم يكن مؤديا إلى انسحاب إسرائيل الكامل من سيناء وإزالة جميع المستوطنات التي بها وكذلك إزالة المطارين اللذين أقامتهما إسرائيل في سيناء واللذين كانت إسرائيل تعلق أهمية كبرى عليهما وتشبث بالسيطرة عليهما كما تشبث ببناء المستوطنات الإسرائيلية في سيناء.

كان الوفد الأمريكي يحصل من كل من الجانبين المصري والإسرائيلي على الصياغة التي يقترحها مشروع الاتفاق . . . ثم يقوم بإعداد صياغته التي يقدمها للطرفين كمشروع أمريكي . . . وفي أحد الأيام وبينما كنت أتمشى مع أسامة جاء وزير الخارجية فانس ومشى معنا وأردت أن أستوثق منه مما كنت أعتقده وهو أنهم يطلعون الجانب الإسرائيلي أولا على مشروعاتهم قبل تقديمه إلى الجانب المصري ، فسألته : هل تقدمون مشروعكم إلى الإسرائيليين وتشاورون معهم قبل أن تقدموه لنا؟ فأجاب بأن ذلك ما يفعلونه لأننا ملتزمون بذلك طبقا لتعهد رسمي قطعتة الولايات المتحدة على نفسها أثناء المفاوضات التي قادها كيسنجر في اتفاقية الفصل بين القوات الثانية ، وينص هذا التعهد على وجوب التشاور مع إسرائيل قبل أن تتقدم الولايات المتحدة بأي اقتراح للجانب العربي ، وقد

ذكر وايزمان في مذكراته عن كامب دافيد (المعركة من أجل السلام) أن بيجن أحضر. معه إلى كامب دافيد الورقة التي وقعها كيسنجر وأطلع عليها الوفد الأمريكي دعماً لمطالبته ضرورة أن يلتزموا بهذا التعهد في مفاوضات كامب دافيد .

سارت المفاوضات طوال الأيام الثلاثة عشر التي انعقد فيها المؤتمر من الخامس إلى السابع عشر من سبتمبر ٧٨ على أساس أن هناك إطارين للتوصل إلى سلام في الشرق الأوسط ، الأول يعالج المشكلة الفلسطينية أو مشكلة الضفة الغربية وقطاع غزة ، أما الإطار الثاني فهو خاص بالمبادئ التي على أساسها تعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل .

كانت قضية المستوطنات سواء في سيناء أو في الضفة الغربية وغزة هي أكبر وأعقد المشاكل في المفاوضات وكان الموقف المصري قاطعاً في أن مصر لن تقبل أبداً وجود أية مستوطنات على أراضيها ، ولن تكون هناك معاهدة سلام إذا لم يتم حسم هذه المشكلة ويتم الاتفاق على إزالة المستوطنات التي أقامتها إسرائيل في سيناء، بينما ظل الوفد الإسرائيلي يحاول حتى آخر لحظة استبقاء المستوطنات والمطارين في سيناء .

باستثناء الأيام التي التقينا فيها مع الجانب الأمريكي... كنا نشعر كوفد الخارجية طوال بقية أيام المؤتمر أننا مغيبون عن حركة المفاوضات التي تجري... وكان أسامة الباز وحده هو المشارك الحقيقي في المفاوضات سواء فيما يعده من أوراق عمل يطلبها الرئيس السادات منه ، أو النقاش الذي كان يجريه معه الرئيس كارتر الذي عرف من البداية أن أسامة هو الذي يقوم بالدور الأكبر في إعداد وصياغة الأوراق والمشروعات التي يتقدم بها الرئيس السادات... فكان يستدعيه من حين لآخر ويستدعي نظيره الإسرائيلي أهارون باراك الذي أصبح فيما بعد رئيس محكمة العدل العليا في إسرائيل .

والواقع أن الأزمة التي كان يعيشها وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل والتي دفعته في النهاية إلى الاستقالة في أواخر أيام المؤتمر انعكست على دور الوفد المصاحب للرئيس وخاصة علينا أي مجموعة الخارجية... ولقد كان يعز علينا أن نرى الوفد الإسرائيلي يجتمع باستمرار مع رئيس الوزراء بيجن وكذلك الحال في الوفد الأمريكي بينما نحن لا نعرف مما يجري شيئاً إلا ما يخبرنا به أسامة أو نعرفه من خلال أحاديث جانبية مع أعضاء

الوفد الأمريكي.

كان عزرا وايزمان وزير الدفاع هو الوحيد من أعضاء الوفد الإسرائيلي الذي يلتقى به الرئيس السادات، وكانت هناك كيمياء جيدة بينها... وقد استخدم الرئيس السادات هذه العلاقة في إيصال ما يريد إيصاله من رسائل إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن، وهو نفس ما كان يفعله بيغن... وكان وايزمان حريصاً على إنجاح المؤتمر... ومن بين ما فعله في هذا الشأن إلحاحه على الرئيس السادات أن يلتقى مع ديان حتى يؤدي هذا اللقاء إلى التخفيف من حدة الموقف المتشدد الذي يأخذه ديان وزير الخارجية في المستوطنات.

التقى الرئيس السادات بالفعل مع ديان يوم الخميس ١٤ من سبتمبر إلا أن اللقاء بدلاً من أن يخفف مما كان من حدة في العلاقة بين الرئيس وديان انتهى إلى قرار الرئيس بأن يقطع المفاوضات، وأصدر أوامره لأعضاء الوفد أن يجزموا حقائقهم ويستعدوا للعودة، وقد بدأ البعض فعلاً في حزم الحقائب... إلا أن وفد الخارجية لم يتلق هذه التعليمات وعلى أية حال سرعان ما ذهب الرئيس كارتر لزيارة الرئيس السادات، وأقنعه بالبقاء. وفي اعتقادي أن الرئيس السادات كان مستعداً للاقتناع... وربما استهدف من إعلان وقف المفاوضات الضغط على كارتر الذي زار الرئيس في كايته بمجرد أن سمع بالخبر وأقنع الرئيس بالبقاء واستمرت المفاوضات بعد زيارة من الرئيس كارتر طلب منه فيها ذلك، وظلت المفاوضات مستمرة بشكل مكثف بينما ظل أسامة هو الوحيد من بين أعضاء الوفد المصري الذي يشارك فيها من خلال لقاءات الرئيس كارتر معه ومع المستشار القانوني الإسرائيلي أهارون باراك... وكان أسامة بعد كل لقاء يأتي إلى الكابينة ويجلس على سريره ويكوم نفسه على السرير ويأخذ في كتابة ما جرى إلا أنه رغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً على مؤتمر كامب دافيد فإن أسامة لم ينشر مذكراته عن وقائع مؤتمر كامب دافيد... ولو نشرها لكانت هي المرجع الأساسي من الجانب المصري على أحداث مؤتمر الثلاثة عشر يوماً الحاسمة في تاريخ الشرق الأوسط... كانت المفاوضات تجري في اليومين الأخيرين الحاسمين من المؤتمر بين الجانب الأمريكي والجانب الإسرائيلي، وتم حسم موضوع المستوطنات المقامة في سيناء على أساس أن يترك بيغن أمرها للكنيست الإسرائيلي ليأخذ قراره بالنسبة لإزالة المستوطنات في سيناء.

. بينما كان قرار الرئيس السادات هو أنه إذا لم يقر الكنيست إزالة كل المستوطنات من الأراضي المصرية فلن يكون هنالك اتفاق ولن تكون هناك معاهدة سلام.

لم يكن موقف الرئيس السادات على نفس درجة الوضوح بالنسبة للمستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية أى في الضفة الغربية وغزة وكان الرئيس السادات يقدر أن يبجن لن يوافق على إزالة المستوطنات في الأراضي الفلسطينية، وخاصة في الضفة الغربية التي كان يعتبرها جزءاً من (أرض إسرائيل)، ولم يكن السادات مستعداً للتضحية باتفاق ينص على الانسحاب الكامل من أراضى مصر من أجل معركة يعلم أنها خاسرة في النهاية بالنسبة للمستوطنات في الأراضي الفلسطينية، ولذا فلقد كان المطروح في المفاوضات هو تجميد هذه المستوطنات على أن يترك مصيرها للتفاوض الذى سيتم بين الأطراف أثناء الفترة الانتقالية حول الوضع النهائى .

ولقد كان مفروضاً أن يوقع بيجن خطاباً يتعهد فيه بتجميد العمل في المستوطنات طيلة هذه الفترة ولكن عندما ذهب إليه مساعدو الرئيس كارتر بهذا الخطاب ليوقعه قبل انتهاء المؤتمر بساعات رفض بيجن توقيعه قائلاً: إنه لم يتعهد إلا بتجميد المستوطنات في الأراضي الفلسطينية لمدة ثلاثة شهور فقط . . . وهكذا جاءت وثائق كامب دافيد خالية من أى نص على تجميد المستوطنات في الأراضي الفلسطينية باعتبار أن المستوطنات في الأراضي المصرية قد حسم أمرها على النحو الذى سبق إيضاحه . . . وعندما وصلت إلى أيدينا النسخة النهائية التى سيتم التوقيع عليها ولاحظنا أنها لا تشير من قريب أو بعيد إلى المستوطنات في الأراضي الفلسطينية ذهب الدكتور نبيل العربى مدير الإدارة القانونية، وتحدث مع الرئيس السادات إلا أن الرئيس السادات هاج واحتد عليه، كما أخذ يشير إلى وفد الخارجية متهماً أعضائه بأنهم لا يفهمون الأبعاد الاستراتيجية لمبادرته . . . وبأنهم هم الذين كانوا ينصحون محمد إبراهيم كامل باتخاذ المواقف المتشددة التى اتخذها والتى انتهت بتقديم استقالته أثناء مؤتمر كامب دافيد^(١)، وعاد نبيل من لقائه مع الرئيس السادات يحكى لنا وهو متفعل ما دار بينه وبين الرئيس السادات .

كان الرئيس كارتر متعجلاً لإعلان نجاحه فى التوصل إلى اتفاق يعلن على الرأى العام

(١) بطرس غالى، المرجع السابق، ص ٥٦ .

الأمريكي ويسجل نجاحه الباهر . . . وتحدد يوم ١٧ من سبتمبر باعتباره اليوم الأخير في المؤتمر، ولعله بسبب هذه العجلة لجأ كارتر إلى أسلوب الخطابات المتبادلة . . . فلا يتضمن الاتفاق نصًا صريحًا لعلاج أى من القضيتين الشائكتين أى قضية المستوطنات وقضية القدس . . . ولكن يسجل كل من الأطراف موقفه في خطابات متبادلة.

وبالنسبة للمستوطنات في سيناء كان ما توصل إليه الأطراف واضحًا على ما استنص عليه الخطابات المتبادلة . . . سينص خطاب بيجن على أنه سيطرح القضية على الكنيست للتصويت وسينص خطاب الرئيس السادات على أن النص على إزالة المستوطنات وخروج المستوطنين من سيناء طبقا لجدول زمنى هو شرط سبق للتوصل إلى معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، أما بالنسبة للمستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة. فلقد تبين في الساعات الأخيرة من المؤتمر أن هناك سوء فهم كبيرًا بين الجانبين الأمريكي والإسرائيلي . . . حيث كان الرئيس كارتر يعتقد أنه قد اتفق مع بيجن على أن يتم تجميد المستوطنات في الضفة والقطاع لمدة خمسة أعوام بينما كان فهم الجانب الإسرائيلي هو أن ما تم الاتفاق عليه هو تجميدها لثلاثة أشهر فقط . . . ورغم الفارق الكبير بين الفهمين فإن الجانب الأمريكي لم يسع لحسم هذه النقطة قبل انتهاء المؤتمر .

كانت عجلة الأحداث تدور بسرعة . . . وكانت التجهيزات قد أعدت للاحتفال التاريخي وتصور الجانب الأمريكي أنه سيستطيع الحصول على خطاب من بيجن ينص على التجميد للسنوات الخمس بعد انتهاء المؤتمر وهو بطبيعة الحال ما لم يتحقق .

استخدم أسلوب الخطابات المتبادلة بالنسبة لموضوع القدس أيضًا حيث كتب الرئيس كارتر خطابا إلى بيجن أكد فيه موقف الولايات المتحدة الذي اتخذته عقب عدوان ٦٧ مباشرة والذي يتوافق مع النظرة المصرية . . . وكتب الرئيس السادات خطابًا حول موقف مصر التقليدي من القدس . . . ولكن الاتفاق نفسه لم يتضمن شيئًا . . .

وهكذا تقرر أن تغادر الوفود كامب دافيد وأن تذهب مباشرة إلى البيت الأبيض لحضور حفل التوقيع الذي سيذاع على الهواء مباشرة وذلك مساء يوم الأحد ١٧ من سبتمبر .

دبر الجانب الأمريكي سيارة لكل عضو من أعضاء الوفد . . . وعندما ركبت السيارة

وسألت السائق إلى أين هو ذاهب وأبلغني أنه ذاهب إلى البيت الأبيض قلت له بصورة تلقائية : لا بل اذهب إلى فندق ماديسون . . .

لم أكن راغباً في حضور حفل توقيع اتفاق يتضمن ثغرة خطيرة مثل ثغرة المستوطنات و ثغرة أخرى بالنسبة للقدس . . . وعندما ذهبت إلى الفندق ووضعت حقائبي ذهبت مباشرة إلى جناح الوزير محمد إبراهيم كامل فوجدت كل أعضاء وفد الخارجية هناك: أسامة الباز ونبيل العربي وأحمد ماهر وأحمد أبو الغيط . . . كان قرار مقاطعة الحفل قراراً انفرادياً أخذه كل منا دون تشاور مع الآخرين . . .

وفي أثناء حفل التوقيع الشهير بين الرئيس كارتر والرئيس السادات وبيجن والذي شاهدناه على شاشة التلفزيون في جناح محمد إبراهيم كامل كانت مقاعد أعضاء وفد الخارجية شاغرة . . . وهو ما أغضب الرئيس السادات من (أولاد الخارجية) كما كان ورغم هذا الموقف الذي أخذناه فإن أحداً منا لم يتعرض لأي جزاء أو إجراء تأديبي بل تدرجنا جميعاً في مناصبنا وشغلنا بعد ذلك أرقى المناصب في الخارجية المصرية .

الرئيس السادات ومؤسسة الخارجية:

كان هناك بلا شك خلاف في بين فكر الرئيس السادات وفكر مؤسسة الخارجية . . . ولم كن هذا الخلاف وليد اللحظة التي انعقد فيها مؤتمر كامب دافيد بل كان الخلاف مانلاً منذ مجيء الرئيس السادات للحكم .

كان هدف السادات الأساسي منذ بداية حكمه هو استرجاع أرض مصر ، ولم يكن مؤمناً في قرارة نفسه بفكرة ربط أرض مصر بالحل الشامل . . . تفجر هذا الخلاف بينه وبين محمود رياض وزير الخارجية بعد أربعة أشهر من توليه الحكم ، عندما تقدم بمبادرته في ٤ من فبراير ١٩٧١ للتوصل إلى اتفاق مرحلي يؤدي إلى تطهير وفتح قناة السويس مقابل انسحاب جزئي للقوات الإسرائيلية من الشاطئ الشرقي لقناة السويس . . . وقد تقدم بهذه المبادرة دون أن يستشير وزير خارجيته الذي لم يعلم بهذه المبادرة إلا قبل أن يعلنها بدقائق في مجلس الشعب ، ولقد حاول رياض في هذه الدقائق الأخيرة أن يثنيه عن التقدم بهذه المبادرة (١) باعتبار أنها تشكل خروجاً على مبدأ شمولية الحل إلا أنه لم يفلح . . . وما

(١) مذكرات محمود رياض ، ص ٣٢٨ .

لبث أن تخين الرئيس السادات الوقت المناسب ليتخلص من محمود رياض بعد أقل من عام واحد، كانت تلك أيضا هي الفترة التي فتح فيها السادات قناة خلفية مع الولايات المتحدة وبدون علم وزير الخارجية محمود رياض .

ولقد حاول السادات طوال عامي ١٩٧١، ١٩٧٢ أن يصل إلى حل يعيد أرض مصر من خلال حلول مرحلية وبمساعدة الولايات المتحدة، إلا أن الصلف والغرور الإسرائيلي كانا قد تمكنا من القيادة الإسرائيلية فلم تتجاوب مع هذه المبادرات التي لو نجحت لكان من الممكن أن توصل مصر السادات سياسة الحلول المرحلية والجزئية ولا يستبعد أن تكون قد توصلت إلى اتفاق سلام مع إسرائيل يعيد أرض مصر بالكامل، وهي الحلول التي كان عبد الناصر ومحمود رياض يرفضانها ويصران على أن يكون الحل شاملا على كل الجبهات، وقد رأينا ذلك عندما رفض محمود رياض اقتراح وزير خارجية أمريكا دين راسك في ديسمبر ١٩٦٨ والذي كان يقضى بإعادة شبه جزيرة سيناء كاملة لمصر مقابل إنهاء حالة الحرب وبدون أن تدخل مصر حتى في معاهدة سلام مع إسرائيل، وعندما عاد محمود رياض للقاهرة أثنى عليه الرئيس عبد الناصر لموقفه الذي اتخذته برفض اقتراح وزير الخارجية الأمريكي دين راسك .

والواقع أن الرئيس السادات لم يعد لسياسة الربط بين الأرض المصرية والأراضي العربية المحتلة إلا عندما وجد أن إسرائيل لن تتزحزح عن موقفها المتصلب إلا إذا أفادتها من سكرتها حرب تنال من هيبتها وتنزل بها الحسائر مما يجعلها تقبل بفكرة التعايش والتخلي عن الأرض التي احتلتها . . .

ومن هنا جاء تحالف الرئيس السادات مع الرئيس السوري حافظ الأسد على شن حرب أكتوبر حتى يحاصر إسرائيل من الشمال والجنوب، وسار التنسيق المصري السوري في الإعداد للحرب على نحو لم يعهده العالم العربي من قبل ولا من بعد . . . ومع ذلك فإن الرئيس السادات اتخذ قرارا منفردا في أواخر الحرب بقبول وقف إطلاق النار عندما رأى أن الولايات المتحدة سارت في تقديم الدعم العسكري لإسرائيل بلا حدود، وأقامت الجسر-الجوى الذي كانت الدبابات والذخائر القادمة من المخازن الأمريكية في أوروبا تنقل عبره مباشرة إلى القواعد الإسرائيلية في سيناء، ولم ينسق الرئيس السادات مع الرئيس الأسد مسبقا في اتخاذ قرار قبول وقف إطلاق النار.

وإذا كان اقتناع الرئيس السادات بأن هدفه الأول هو استعادة أرض مصر حتى ولو أدى ذلك إلى أن يسير في العملية السياسية وحده ، فإن الفكر الذى تربت عليه مؤسسة الخارجية كان يذهب إلى أن تسعى مصر إلى التوصل إلى تسوية شاملة تتضمن استعادة الأرض العربية المحتلة كلها وإيجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، وأن حرب ٧٣ التى هزت إسرائيل وجعلتها ترى أن مستقبل وجودها نفسه يمكن أن يكون فى خطر - تقدم الفرصة للتوصل إلى سلام نهائى وشامل بين العرب وإسرائيل .

ومن يقرأ مذكرات وزراء الخارجية الثلاثة ما بين مستقيل ومقال سيجد هذا الخلاف واضحاً . . . ويرد هنا على وجه الخصوص مذكرات كل من محمود رياض وإسماعيل فهمى ، وأخيراً مذكرات محمد إبراهيم كامل الذى وصل الخلاف بينه وبين الرئيس إلى نقطة الانفجار الدرامية أثناء مباحثات كامب دافيد التى قرر فيها الاستقالة من منصبه كوزير للخارجية . . . بل لقد بدا هذا الخلاف واضحاً بعد تعيين محمد إبراهيم كامل وزيراً للخارجية فى ٢٥ من ديسمبر ١٩٧٧م بوقت قصير إلا أن الرئيس السادات عمل على أن يدارى هذا الخلاف حتى لا يستقيل وزير خارجية ثالث خلال فترة وجيزة . . . بل لقد حاول أن يكتم أبناء استقالة محمد إبراهيم كامل وهو فى كامب دافيد ، وطلب إليه ألا يذيع خبر الاستقالة ، وأن يرافقه فى رحلة العودة إلى القاهرة ولكن كامل لم يقبل .

لم يكن محمد إبراهيم كامل فى يوم من الأيام يتطلع إلى أن يكون وزيراً للخارجية . . . كان غاية ما يطمح إليه هو أن يكون سفيراً فى بلد هام مثل ألمانيا ، وهو ما كان قد حققه بالفعل ، وكان سعيداً به . . . وكان تعيينه وزيراً للخارجية مفاجأة كبيرة له . . . ولم يستشره الرئيس السادات فى هذا التعيين قبل إذاعته ، بل لقد علم كامل بخبر تعيينه عندما عاد إلى منزل عديله د . أحمد خيرت سعيد أثناء وجوده بالقاهرة بمناسبة زيارة المستشار الألمانى هيلموت شميت ، فوجد البيت مكتظاً بالأقرباء والأصدقاء الذين كانوا قد علموا بالخبر من خلال إذاعته فى نشرة الأخبار .

لم تكن تركيبة محمد كامل النفسية لتقبل أسلوب الرئيس أنور السادات الذى يتسم بالصدمات والمفاجآت خاصة فى ظروف ما بعد مبادرته بزيارة القدس ، لقد جاء محمد إبراهيم كامل إلى منصب وزير الخارجية بيننا السادات فى ذروة توتر العلاقات مع العرب . . . وهو التوتر الذى أصبح علنياً من خلال الاتهامات المتبادلة والألفاظ الجارحة بين الجانبين . . . وكان محمد إبراهيم كامل شأنه فى ذلك شأننا جميعاً فى الخارجية يشعر بالأسى

أن يصل الحال بين مصر وأشقاها العرب إلى هذا المستوى . . . وكان الرئيس السادات يزيد النار تأججًا عندما يعمد إلى استقبال شخصيات إسرائيلية والترحيب بها ، بينما تعقد اجتماعات وزراء الخارجية العرب في الجامعة العربية بالقاهرة ، وهو ما كان يزيد من هجوم قادة جبهة الصمود والتصدي التي تشكلت عقب المبادرة من سوريا والعراق وليبيا والجزائر . . .

كان محمد إبراهيم كامل يرى ذلك كله فيزداد توترا وتسم ردود أفعاله بمزيد من العصبية ، والتي ضاعف منها إدمانه للتدخين الذى طالبه الأطباء آنذاك بالإقلاع عنه، وهكذا لم يكن كامل سعيدًا قط في منصبه كوزير للخارجية ، وكانت مظاهر التجهم والقلق والأرق بادية عليه طوال الوقت . . . ولم أره مستريحًا وهادئًا مع نفسه إلا في ذلك اليوم الذى حسم فيه أمره وقدم استقالته ونحن في كامب دافيد . . .

وفي هذا اليوم الذى علمت فيه بنبا استقالته كنت سائرًا معه في كامب دافيد، وكان معنا السفير محمد إبراهيم شاکر شقيق زوجته ، وكان يشغل في هذا الوقت منصب نائب السفير في واشنطن وجاء لزيارتنا في كامب دافيد ، وعندما وجدنى أحاول إثناء كامل عن الاستقالة أخذ يهس في أذى قائلاً : إنه قد استراح لأخذ هذا الموقف ولا داعى لأن نضغط عليه للراجع .

غادرت واشنطن إلى نيويورك ومن هناك أخذت الطائرة عائداً إلى القاهرة . . . وأثناء رحلة العودة أعدت قراءة اتفاقات كامب دافيد أكثر من مرة . . . وفي كل مرة كنت أصل إلى اقتناع بأن هذا الاتفاق معيب ، لأنه لم يعالج المشكلة الفلسطينية بالصورة التى تضمن حلها بالفعل ، خاصة أن الجانب الفلسطينى كان معارضاً للاتفاق ، وكان أخطر شيء في الاتفاق في نظرى هو خلو الاتفاق من أى نص عن المستوطنات في الأراضى الفلسطينية المحتلة حسياً كان الأمريكان قد وعدوا أثناء المباحثات في الضفة الغربية وغزة أو على الأقل النص على تجميدها، وقد ذكر لى فيما بعد أحد الأصدقاء الفلسطينيين أنه لو كان الاتفاق قد نص على تجميد المستوطنات في الضفة الغربية وغزة لكان من الممكن إقناع الجانب الفلسطينى بقبوله .

عندما وصلت للقاهرة أخذت سيارتى وتوجهت مباشرة إلى رأس البر حيث كانت الأسرة قد ذهبت إلى هناك بينما أنا في كامب دافيد . . . وكنت متعوداً أن أقف لأى شخص يطلب الركوب معى . . . وبعد أن مررت على كفر شكر في القليوبية وجدت شخصاً يشير

لى بالتوقف، وكان ظاهرا أنه فلاح . . فركب إلى جانبي بينما كنت أقود السيارة، وأخذت أتحدث معه، وسألته عن رأيه في الاتفاق الذى توصل إليه الرئيس السادات فى كامب دافيد وما إذا كان يرى أنه اتفاق (كويس) . . وإذا بى أفاجأ برد الرجل: هو كويس بعقل يا بيه؟ الحمد لله إن الرئيس نجح فى التوصل إلى هذا الاتفاق، وسألته لماذا يرى ذلك؟ فأجاب: يا بيه هنرجع أرضنا . . والبتروى . . ويعدين كفاية حروب . . فسألته: وماذا عن فلسطين؟ فإذا به يجيب: نحن يا بيه عملنا اللى نقدر عليه فى موضوع فلسطين والمشكلة موش باين لها حل . . وطوال الطريق ظلت كلمات هذا الرجل البسيط ترن فى أذنى . . . وفى اعتقادى أن هذا التفكير أساسًا هو تفكير الرئيس السادات .

ليس من شك أن هذه الاتفاقات، كما ذكر الرجل المصرى البسيط، قد مكنت مصر من استرجاع أو ضها بالكامل . . . حتى آخر كيلومتر مربع كان فى طابا وتمتعت مصر السلام طوال هذه الأعوام . . . وإن كانت حرية مصر فى إرسال قواتها إلى سيناء حرية منقوصة بلا شك، كما استعادت مصر أيضا آبار البترول التى كان الإسرائيليون يستزفونها.

ولكن ماذا عن الجانب السلبي: أدت هذه الاتفاقات إلى خلل فى ميزان القوى فى المنطقة . . خاصة بعد أن صدقت مصر على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية فى فبراير عام ١٩٨١ دون أن تربط ذلك بتصديق إسرائيل عليها، فأصبحت إسرائيل هى الدولة النووية الوحيدة فى المنطقة . . ومن خلال علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة وقاعدتها العلمية المتفوقة طورت قدرات ضخمة فى مجال الصواريخ، كما طورت قواتها الجوية والبحرية بشكل كبير، وأطلقت أقمارًا صناعية فى الفضاء، كل ذلك أدى إلى اختلال ميزان القوى فى المنطقة لصالحها فى مواجهة العرب.

وقد اتخذت إسرائيل مواقف متعنتة فى مفاوضات الحكم الذاتى التى أعقبت التوقيع على اتفاقات كامب دافيد، وكان مما ساعدها على ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت تهاجم مصر وتعتبر أنها غير مخلولة للتفاوض مع إسرائيل حول قضية الشعب الفلسطينى مما أضعف موقف مصر التفاوضى فى قضايا الحكم الذاتى التى بدأت بعد توقيع اتفاق كامب دافيد مباشرة . . .

ولكن لا ينبغى أن ننسى للحظة أن معاهدة السلام ليست إلا جزءًا من الثمن الغالى الذى مازلنا ندفعه حتى الآن نتيجة الأخطاء الكارثية لحرب ٦٧ .

بطبيعة الحال كان الحل الأمثل هو أن يعمل الرئيس السادات على أن تكون المفاوضات بينه وبين أمريكا وإسرائيل مفاوضات جماعية يشارك فيها العرب جميعا مع . . . وبالتالي يذهب لمؤتمر كامب دافيد أو أى مؤتمر آخر للسلام من خلال توافق عربي، خاصة مع سوريا . . . ولكن الرئيس السادات كان متعجلا ولا يريد أن يفقد قوة الدفع التى نتجت عن حرب أكتوبر ، ولم تكن سوريا متعجلة ، وكان رفضها وأسلوبها المتشدد حول عقد مؤتمر جنيف عام ٧٧ مما أقع الرئيس السادات أنه لو انتظر سوريا فإن قوة الدفع التى تولدت عن حرب أكتوبر ستكون قد تبخرت ، بينما هو يريد أن يتفادى وقوع حرب أخرى . . . كما كان يريد أن يرتب البيت المصرى حسب رؤيته ويعيد الحياة إلى منطقة القناة.

باختصار كان السادات يرى أن خمسة وعشرين عامًا من الحروب تكفي . . . وأن مصر لا تستطيع أن تستمر في حالة التعبئة إلى ما لا نهاية . . . كان تحقيق السلام والبناء الداخلى هو شاغله الأكبر . . . وقد سار في هذا الاتجاه بصورة أدت إلى شرخ كبير مع سوريا ومع العالم العربى ، والواقع أنه كانت لديه شكوك كبيرة حول إمكان الاعتماد على العرب والسوفيت . . . ويعتقد أن القضية المصرية واستعادة الأرض المصرية لا ينبغي ربطها مع القضية الفلسطينية المعقدة التى أصبحت قضية مزمنة مستعصية على الحل .

كان الرئيس السادات يريد أن يستعيد سيناء بأسرع وقت ، معتقداً أن الطريق إلى ذلك هو إقامة علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة فهى وحدها التى تستطيع أن تضغط على إسرائيل . . . وكان يعتقد أن الوقت ليس فى صالحه . . . خاصة بعد مجيء بيجن إلى الحكم ، كما أنه رأى فى الرئيس كارتر الذى وصل للحكم فى يناير ثم ٧٧ رجلاً صادقاً ومستعداً للإلقاء بثقله من أجل حل الصراع . . . باختصار كان يريد أن يتحرك وبسرعة لحل المشكلة المصرية واستعادة أرض مصر . . . وكان دائما يردد أنه يسترجع أراضى مصر من (فم الأسد) .

ثمة عامل آخر وهو العامل الداخلى . . . كانت أحداث ٧ و ٨ من يناير ١٩٧٧ والمظاهرات التى خرجت فى هذين اليومين وما صاحبهما من أحداث شغب وعنف من أقصى البلاد إلى أقصاها عاملا آخر ضاغظا من أجل الوصول إلى حل يعيد لمصر أرضها ويحقق السلام ليتفرغ للبناء الداخلى من خلال التعاون مع الغرب وسياسة الانفتاح الاقتصادى .

شعر السادات أيضا أن العرب لم يقفوا معه بعد حرب أكتوبر وارتفاع أسعار البترول بشكل كبير ولم يقدموا الدعم المالي الذي يمكن مصر من الخروج من عنق الزجاجة . بل اتجاههم بعد حرب أكتوبر إلى الابتعاد عن مصر . . . متذرعين بأن هناك (فسادا) في مصر .. وأن المعونات التي تقدم لا يعرف مصيرها . . .

والواقع أن الرئيس السادات لم يكن في قرارة نفسه مؤمنا بفكرة القومية العربية التي تملك عبد الناصر . . . كان عبد الناصر يخاطب الجماهير من خلال حلم كبير . . . وهو أمر لم يكن السادات يأبه به كثيرا . . . كان حلمه هو استعادة أرض مصر . . . وإخراج مصر من دوامة الصراع ومن فلك الاتحاد السوفيتي . . . والعودة بها إلى أحضان علاقاتها السابقة مع الغرب .

أسامة الباز

كان أسامة كثيرا ما يترك مكتبه بعد أن عدنا من كامب دافيد ويأتي إلى مكتبي في الدور الثاني من المبنى الذي يشغله الآن المعهد الدبلوماسي وكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق للتفاوض لعقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل كما كانت المباحثات مع الإسرائيليين قد بدأت حول سلطات الحكومة الفلسطينية المنتخبة في الضفة والقطاع قبل التفاوض على الحل النهائي ، وكان وفد الخارجية في كامب دافيد كله باستثناء أسامة مستبعدا من هذه المفاوضات ومن بين ما قاله لي أسامة آنذاك: أن الرئيس السادات أراد أن يعينه وزيرا للخارجية ولكنه وجد طريقه للاعتذار بأدب .

لم تمر سوى شهور حتى نقلت سفيراً في باكستان ، وفي خلال العام الذي قضيته هناك كان يأتيني خطاب من أسامة كل أسبوعين أو ثلاثة تقريبا وكانت هذه الخطابات تعكس قلقه مما يجري وكان يصارحني بما يختلج في نفسه من شكوك وكان قلقا بوجه خاص عندما رأى أن الرئيس كارتر بسبب أزمة الرهائن الأمريكيين في إيران وانعكاساتها الداخلية أصبح ضعيفا ، ولم يعد قادرا على أخذ المواقف التي كانت متوقعة منه بسبب تعنت الإسرائيليين خاصة بيجن . . . وقد استمرت هذا الفترة حتى رحيل كارتر في يناير ١٩٨١ ثم رحيل السادات في أكتوبر في نفس العام ، وبدأت حقبة الرئيس مبارك ، وكان أسامة قد سبق له أن تعرف إلى الرئيس مبارك من خلال الرحلات التي رافقه فيها والعمل معه أثناء عمله كنائب للرئيس .

عمل أسامة مع الرئيس مبارك منذ اللحظة الأولى كمستشار الرئيس للشؤون السياسية، ومن أهم الملفات التي لعب فيها دورًا ملف العلاقات المصرية الأمريكية . وطوال الأعوام الثمانية التي قضيتها سفيرا في واشنطن (١٩٨٤-١٩٩٢) في عهد الرئيس ريجان وبوش «الأب» كان أسامة حاضرا في هذا الملف أكثر من أى شخص آخر .

أكتب هذه السطور بينما يقف أسامة على عتبة الثمانينات من العمر . . .

طوال هذه السنين التي كان أسامة فيها لاعبا رئيسيا ومستشارا نافذاً ، ظل دائما هو ذلك الرجل البسيط المولع بالبساطة في كل شيء . . . كنت أزوره في مكتبه عندما أحضر للقاهرة في مهمة أو إجازة ، فكان يقترح على أن نمشي في الشارع ، ونذهب إلى محل التابعى الدمياطي لتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة ، أو نتوقف أمام محل نجف للسندوتشات . . . وهكذا . . . وظل حتى الآن يركب المترو من المعادى إلى القاهرة حتى ترك المعادى وذهب للإقامة في القاهرة الجديدة ، لم يبهره المنصب قط ، ولم يهتم قط بما يأتي مع المنصب من مظاهر .

وفي يوم من أيام الربيع في عام ٢٠٠٩م اقترحت عليه أن نذهب معا إلى دمياط ورأس البر فرحب ، وذهبنا هناك حيث التقى بأهل دمياط في جمع كبير دعانا إليه محافظ دمياط د . محمد فتحى البرادعى ، ثم ذهبنا إلى مدرستنا القديمة ، وكم كان سعيدا وهو بين الطلبة الذين أقبلوا عليه والتفوا حوله . . . وكم أسعدته الزيارة كلها .

لم يأخذ أسامة حقه من تكريم الدولة له . . . ولكنه يحتل في قلوب الناس ، خاصة الذين عرفوه عن قرب مكانة لا تغلوها مكانة أخرى . . . أمد الله في عمره .*

* انتهى كلام السفير عبد الرؤوف الريدى عن الدكتور أسامة الباز ضمن تفاصيل المفاوضات مع إسرائيل تحت الإشراف الأمريكى فى كامب دافيد وغيرها .. ووضع تماما أن السفير الريدى يرتبط بصلة وثيقة مع الراحل الكريم الدكتور أسامة الباز ولديه الصندوق الأسود المتلغى بشرائط الذكريات معه .

المايسترو الذي لا يتكرر



كلام من لخبز

نجنح في مصر والأمة العربية بصفة عامة -أحياناً إلى المبالغة ووصفنا لمن نحب ونقدر خاصة لو كان ذلك في معرض التهئة بمنصب أو العزاء في رحيل ، ومع إدراكي لهذه الحقيقة كمصري أجدني واثقاً تماماً في أن من أتحدث عنه الآن - مهما قلت عنه لن أكون خاضعاً لهذه القاعدة العاطفية - لأنه (بالمنطق العلمي والعمل المجرد) يستحق فعلاً أن يوصف بأنه مايسترو السياسة الخارجية المصرية ، وعميد الدبلوماسية المصرية بلا منازع . بل إنه جدير أن نقول عنه : إنه المايسترو الذي لا يتكرر ، فقد حباه الله من الصفات ما جعله نموذجاً متفرداً بمعنى الكلمة .

هذا وقد بدأ تقديري له من هذا المنطلق في أول لقاء لي معه خارج مصر ، تحديداً في لندن ، حيث كنت مستشار مصر الإعلامي ، جاء هو ضمن الوفد المصاحب للرئيس مبارك الذي كانت رئاسة الجمهورية قد آلت إليه بعد استشهاد أنور السادات بشهور قليلة وكان من الطبيعي أن تتجه الأنظار إلى رئيس مصر الجديد ، وتغوص في أعماق أية معلومات عنه . وكان من الطبيعي أن يكون لأسامة الباز دوره في التعريف بالرجل وبالمرحلة السياسية الجديدة في مصر . وأشهد أنني انبهرت بحواراته في المؤتمر الصحفي الذي أعدده له والذي ضم نخبة من كبار الإعلاميين والدبلوماسيين . فقد كان عميقاً في رؤيته ، متمكناً من لغته الإنجليزية ، متفوقاً في تحليلاته ، متحكماً في انفعالاته وأعصابه أمام

الأسئلة المتربصة المستفزة مثل الحديث عن الفترة التي تولى فيها تهيئة وتنقيف حسنى مبارك عندما كان نائباً للرئيس ، ولماذا أطلق عليه بعض الخبثاء لقب (لافاش كبرى).. المهم أننى وقد لمست إعجاب الحضور من الإعلاميين بشخصيته وفكره ، خرجت من المؤتمر فخوراً ومعتزاً ومزهوياً بأن لدينا فى مصر هذا النموذج الرائع ، الذى أضاف بسلوكه ومواقفه نموذجاً آخر فى البساطة والترفع عن المناصب الكبرى والتواضع الإنسانى. ومازلت أذكر لقاءاتى معه بعد عودتى إلى مصر ، وكيف كنت أراه يسير على قدميه فى طريقه من مكتبه بوزارة الخارجية دون حراسة أو استعراض لشهرته وأهميته . وعندما دعوته إلى لقاء الأدباء والمفكرين فى اتحاد الكتاب لم يفاجئنى صوله إلى مقر الاتحاد سائراً على قدميه ودون سيارة نقله وسيارات حراسة يفترض أن تحيط به ، ولم تفاجئنى بساطته عندما شعر بحرارة الجو بخلع الجاكت والكرافطة مكتفياً بمقميصه المتواضع ، ثم خاض الحوار باقتدار أثار إعجاب الأدباء الذين صمموا على استمرار اللقاء معه ساعات إضافية لينهلوا من فكره ورؤاه السياسية والعلمية ، ولعلنى لا أذيع سراً حين أقول ما دار بينى وبينه فى مكتبه من حوار امتد من جانبى - إلى حيث استشرى الفساد وظهر معوقات عملية التوريث ، وبدلاً من أن أشعر بأننى تجاوزت فى انتقاداتى الساخنة ، فوجئت به يؤكد على الكثير مما ذكرته من سلبيات أصابت السنوات الأخيرة فى حكم مبارك ، مما كان ما ذكره هو بعد ذلك رداً على شائعة مغرصة بأنه يتولى التدريب والتنقيف السياسى لجمال إعدادا للوراثة بأنه كان ضد ذلك ، وهذا ما يؤيده عملياً إبتعاده أو استبعاده من أى دور فى مؤسسة الرئاسة ، بل تأكد ذلك بالقطع عندما ظهر فى صفوف الثوار فى ٢٥ من يناير ، ذكرت ذلك كله دون أن أشير إلى دوره البارز فى مختلف القضايا السياسية الكبرى فى عهدى السادات ومبارك وهذا - يا حضرات - حديث يطول ويطول وقد يكون محور مقال آخر. ويبقى أن أقول : ترى هل بالغت فى وصفى للراحل العزيز العظيم أسامة الباز بأنه المايسترو الذى لا يتكرر ، وأنه عميد الدبلوماسية المصرية المنفرد فى صفاته وعلمه وعطائه فى جميع مراحل عمله بوزارة الخارجية ثم بمؤسسة الرئاسة الإجابة عندكم الآن يا أعزائى القراء ويا من تعاملتم مع الرجل من قريب أم بعيد.*

كل يوم أسامة الباز.. شخصية فريدة وأسطورة نجاح!

الذين يعرفون الدكتور أسامة الباز جيداً يعلمون تمام العلم أن اسمه وتاريخه وثقافته وسلوكه تشكل خلطة سحرية تبقى أكبر من أى كلمات وأبقى من أى رثاء ويكفى أن يقال أنه عاشق لمصر ومؤمن بها ويقدراتها!

كان دائماً يفكر بصوت عال ويجاهر بأن مصر تملك كثيراً من المفاتيح التي توفر لها صياغة استراتيجية عليا تضمن مصالحها الحيوية مثلما تضمن لها هذه المفاتيح أن تكون بمنأى عن مخاطر الظروف المتغيرة.

لم يكن يجادل في أن مصر تواجه منذ يونيو ١٩٦٧ واقعا بالغ الصعوبة يفرض عليها حدوداً معينة في السلوك الدولي والإقليمي لتفادي مخاطر الاستدراج نحو فخاخ جديدة ولكن الإدارة السياسية المصرية استطاعت - طبقاً لرؤيته - أن تتفادي في زمن عبد الناصر والسادات ومبارك ضغوطاً دولية عنيفة تستهدف الانتقال بمصر من مجرد القبول بقدر محسوب من الترويض إلى حتمية الانزلاق نحو ما يراد لها من تركيع وإذعان!

وإذا كنت قد حظيت بشرف معرفته لنحو ٣٠ عاماً واستمتعت بصحبته في جولات خارجية شملت معظم دول العالم على مدى يزيد عن ٢٠ عاماً فإنني لم أرفيه صورة الثعلب السياسي كما كان معروفاً عنه وإنما رأيته مفكراً لديه شيء يريد أن يقوله بصوت عال سواء نال إعجاب السلطة التي كان جزءاً منها أو نال غضب البعض وحقد وغيره البعض الآخر!

كان رجلاً له شخصية فريدة وطابع مميز ولم تستطع أضواء النجومية أن تغطي على بساطته وتواضعه ومن ثم لم يكن مهتماً ولا منشغلاً بأن يصنع أسطورة شخصية وإنما صنع وباقتدار أسطورة نجاح!

أسامة الباز.. كان بسيطاً في التعامل.. ومترفعاً شريفاً

كل إنسان له صفات وعادات أولزمة تزيد أو تقل ، فقد كان الدكتور أسامة الباز رحمه الله عليه له صفات وفضائل كثيرة ، فقد كان بسيطاً في التعامل ومترفعاً وشريفاً ، فقد عرفته من خلال متابعة الأخبار كمستشار للرئيس السابق وحبه وعشقه للقضية الفلسطينية ، وكما يقولون: معرفة الإنسان الحقيقية تأتي من خلال العشرة والتعامل والاحتكاك، ويقولون في الأمثال: عرفت فلان وعاشرته .. لا تبقى معرفتوش ، هكذا يقولون: العشرة هي التي تكشف شخصية من تتعامل معه .. وقد حدث في عام ١٩٩٥ .

الباز الذي اقتربت منه كثيراً:

دخل د . اسامة الباز عائلة (عمتي) بارتباطه بالأستاذة أميمة تمام ابنتها المذيعة اللامعة يوم كتب الكتاب حضر بمفرده في سيارته لم تكن هناك حراسة ولا سيارات تحيط به لأنه مستشار الرئيس ، وحضرت عائلته ، واصدقاؤه .. وكانت ليلة جميلة تعرفت عليه في هذه الليلة ، اندهشت حقاً كان بسيطاً جداً ، وتحاورنا في الصحافة وروزا اليوسف مجلتي وأخبرني يومها بأن رئيساً جديداً سيأتي للمجلة وهو الأستاذ محمد عبد المنعم بدلا من عادل حمودة ، فتح البوفيه وهو مازال يتحاور مع الجميع ولم يتناول شيئاً غير البرتقالة ، أجمع كل من التقيت بهم أن د . أسامة لديه قدرة على احترام نفسه والآخرين ، فقد كان عفيف اللسان لا يتحدث عن أحد من خلف ظهره ، ويقول رأيه في الغير أمامه ، شجاع في كلمة الحق مهما كانت موجعة. ويقول للمخطئ أنت مخطئ في عينه .. هكذا هو د.أسامة رجل متواضع برغم منصبه الخطير الذي كان يتولاه .. لم يكن بعيداً عن الشعب أو متعالياً، ولكن هو طراز فريد من الرجال ، كنت أشعر بأنه أقل من رجل عادي ففى يوما كنت في حى الزمالك في سيارتي رأيتَه يسير على الرصيف في خطوات رشيقة وملابس بسيطة (قميص بترولى وبنطالون كحلي) يتبسم للجميع ، ويحیی من يقرب منه اقتربت منه قائلة : دكتور أسامة تفضل أوصلك .. ابتسم قائلاً: أنا رايح لـ د. صفاء شقيقتي شكراً .

تابعته في مرآة السيارة وهو يكمل خطواته في رشاقة وخفة لا حراسة ولا أحد يحيط به ، مرة أخرى كنت في زيارة لعمتي بدجلة بحى المعادى واثنا ركوبى السيارة رأيته في سيارته وهو جالس بجوار السائق وليس خلفه كما جرى العرف مع المسؤولين (الخلوين) ، نزل أمام الفيلا والسائق خلفه يحمل أكياسا أتصور أنها فاكهة ، ولكنه رفض أن يحمل السائق الأكياس ، وتناولها ودخل الفيلا بعد أن رفض أيضًا أن يحملها الحارس .. وقفز سريعاً على السلام .. اندهشت ما هذا الجمال .. من خلال عملى رأيت مسؤولين يحيط بهم طقم حراسة وطابور من السيارات وكلمات كثيرة تنطلق من داخل سيارات الحراسة والسلاح يطل عليك من النافذة .. وسع الطريق .. خد يمينك حتى لو كنت على كوبرى ومطلوب منك أن تقفز منه حتى الباشا يسير بمفرده ، ولكن هذا المستشار يسير في الشارع ويقف في طابور المترو ولو كان في حفلة أو مؤتمر ولم يجد مكانا يجلس في أى مكان يجده حتى لو كان سلام أو أرض ، والله العظيم حدث في الجامعة الأمريكية أثناء ندوة ، وقد حاول الجميع ترك مكانهم له ، ولكنه رفض وجلس على السلام .. كنت كلما التقيت به بداخل أسرة «عمتى» أمسك لسانى وفمى عن الكلام عن السياسة ، ولكن يضحك قائلاً: أين الأخبار .. واندفع مهاجماً على الفساد والأسعار وكل ما أراه .. لم يزل وكان يحاور بهدوء .. حضرت عيد ميلاد ابنته الصغيرة الجميلة «مريم» وكانت الأسرة وأطفال العائلة ، وكان يحملها على كتفيه قائلاً «ملكى» حبيبى ، عيون بابا ويضحك في سعادة وهو يتحرك بها ويحمل قطع الحلوى وأطباق التورته للضيوف برغم وجود طقم من «شيفات» رجل ودود يحب الناس تتعامل معه كأنه أخ ، صديق ، قريب للقلب .. وشاهدته في ثلاثة مواقف يوم مرض عمتى الغالية كان يجلس بجوارها على السرير ، ويقرأ لها القرآن والدموع في عيناه .. حتى يوم الوفاة أصر على حمل «النعش» ونزل بها الى المدفن حتى غلقه وقرأ لها القرآن .. كذلك حدث مع زوجها .. تمام حسان عضو المجمع اللغوى وعميد دار العلوم سابقاً ، وكذلك عمى الدكتور رشدى فكار عندما توفى ، وتم دفنه في القاهرة بعد عودته في صندرق من «المغرب» رجل تجده بجوارك في أحزانك وأفراحك .. وبرغم قربى منه لم أدخله في مشاكلى في مجلة روزاليوسف وموقف رئيس التحرير محمد عبدالمنعم عندما تصور أنتى معارضة .. أنا وزملائى وحرمانا من العلاوات والكتابة ،

وعندما أبلغنا النقابة ، اتهمنى بأننى متغيب عن العمل ، ولكن رصيد أجازاتي كان ٦ شهور ، وهذا ما أثبتته المحامى لنقابة الصحفيين وتجنبتة ، ولم أدخل د . أسامة في شيء برغم انه كان يسألنى : أخبار روزاليوسف إيه؟ فقد رفضت الوساطة واستغلال هذا الرجل .. د . أسامة الباز لو تركت قلمي للكتابة عنه لن انتهى فهو رجل عظيم .. رحمة الله عليه بعد حدوث ثورة ٢٥ يناير التقيت به أثناء الحكم العسكرى أقصد « المجلس العسكرى » ، سألته عن رأيه أو هو قال لى ما رأيك فى الثورة؟ قلت عمل رائع من شباب واع حقق ما لم نحققه نحن .»



أسامة الباز كان بسيطاً فى التعامل
ومترفعاً وشريفاً.. ودوداً يحب الناس..
تتعامل معه كأنه أخ و صديق قريب للقلب

أسامة الباز..

أيقونة الدبلوماسية والمحبة الشعبية



معرفتي بالدكتور أسامة الباز تعود إلى لقاء على هامش ندوة بالأهرام في السبعينيات خلال رئاسة الأستاذ هيكل لتلك المؤسسة العريقة التي كانت - وما زالت - تعد أكبر صرح ثقافي وسياسي وتنويري لمصر..

ولفت نظري مورفولوجيه الدبلوماسية وحركته وديناميكيته ويقظته الفكرية وتوطدت علاقتنا عبر مشوارى المهني.. فأذكر أنه في اليوم التالي لإعلان الرئيس السادات مبادرته بالبرلمان للذهاب إلى إسرائيل شرفنى الدكتور أسامة على عشاء، بمنزلنا في المعادى مع كوكبة من الدبلوماسيين والإعلاميين كان بينهم الراحل العزيز على حمدى الجمال وحرمة مديحة كمال وكان الشاغل الأكبر للباز، استقصاء الرأى حول صدى هذه المبادرة لأن الباز كان مستمعًا جيدًا ومتحدثًا لبقًا في آن واحد مؤمنًا بالحوار على جميع المستويات السياسية والثقافية والإنسانية وخلال أول مؤتمر صحفى عقده الرئيس السادات في طريق عودته من الولايات المتحدة لتفعيل عملية السلام رأيت الدكتور أسامة الباز والدكتور بطرس بطرس غالى متلازمين في هذه الرحلة بين هيلتون الرباط وقصر الجوهرة والسخيرات في عهد الملك الحسن ورئيس وزرائه أحمد عثمان.. وكانا يمثلان قامتين

عالتين في مجال العلم والدبلوماسية والعلاقات الدولية.. والتواضع الذى ينم عن أصالة مؤكدة..

ثم التقينا في عاصمة النور باريس حيث كان الدكتور أسامة له شلة مميزة من الدبلوماسيين والإعلاميين من بينهم أستاذى محفوظ الأنصارى وكان مسرح اللقاءات الثقافية حديقة سان كلو والبجائيل أشهر حدائق الزهور في العالم، وفندق الكريون بميدان الكونكورد.. وقهاوى الحى اللاتيني..

وآثر الدكتور أسامة أن يتناول يوما ما العشاء البسيط بمنزلى بحى باسى مع مجموعة من المقربين له بدلاً من تلبية دعوة فخمة والسبب أنه علم بوصول فطير مثلت من الدلنجات!.. إنه الزمن الجميل، كان أسامة أيضا ملبيا لاحتياجاتنا النفسية والمعنوية ودعمنا في غربتنا ونحن في شرح الشباب فكم من مرة تدخل لِحمايتى من بطش النظار أو من المخبرين أو من ضيق أفق الإدارة المصرية ضد أى شخصية مستقلة أو مستقيمة أو غير متملقة للسلطة والسلطان.. كان أيضا أسامة لا يمن على الصحفيين بالتصريحات وكثيرا ما كان يخصنى بأحاديث انفراد بها الأهرام في مناسبات دولية عديدة وخلال قمم أديس أبابا الشهيرة إيماناً منه بانتهاء مصر الإفريقى وقضايا التنمية ومنابع نهر النيل. كنا نهافت على مكتبه في التحرير وكانت الوزارة لا تقل أيامها عن الكيه دورسيه حيث تميزت مدرسة الدبلوماسية المصرية بين أعرق دبلوماسيات العالم من حيث الأداء والذوق الرفيع والمعرفة ولعل كتاب صديقى الدبلوماسى المخضرم السفير عبد الرؤوف الريدى رحلة العمر يكشف النقاب عن دور الدكتور أسامة الباز في الحياة السياسية والدبلوماسية المصرية حيث تزامن الدبلوماسيان في المدرسة بدمياط، حيث عمل والده كأستاذ في المعهد الدينى للمدينة وإن كان مسقط رأس أسامة كبش الأقلام فليس غريبا أن يكون أسامة كاتب دولة وهو عرف كان موجودا عند الفراغة وأن يبرع في كتابة أحاديث الرئيسين السادات ومبارك وخطبهم الشهيرة ليثرى مؤسسة الرئاسة بتكنوقراطيه الرفيعة وعبقريته السياسية فيرفع من شأن الرؤساء في الخارج ويقربهم لشعوبهم من خلال حاسته الوطنية والشعبية ويحمل من مؤسسة الرئاسة..

لقد أبرز السفير الريدى في مذكراته دور أسامة كمحاور رئيسى في مباحثات السلام ومفاوضات مينا هاوس وقلعة ليدز.. ألم يذكر موسى ديان ووايزمان في مذكراتها أيضا صرامة وكفاءة الثعلب الدبلوماسى أسامة الباز.. ناهيك عن وطنيته المصرية والعربية

واحتضانه للقضية الفلسطينية وعلمه بأدق تفاصيل هذا الملف. وإن لم يأخذ أسامة الباز حقه في التكريم فلقد برهن أنه يسكن في قلوب كل من عرفوه، وإذا كان قد تم اقصاؤه من الحياة السياسية فأصيب بضربة قاضية في عمله الذي أحبه فهناك من يرجح أنه بسبب رفضه للتوريث. وهناك من أكد أن الرئيس مبارك اعترف مؤخرا بأنه إذا كان قد استمع لنصائح أسامة الباز، فما كان لنظامه أن يمر بهذه الكبوة الخطيرة التي تمخض عنها النظام الإخواني!!

ومن دواعي اعتزازنا بهذه الشخصية العظيمة أنه عندما عرضت مؤسسة أمريكية عليه عقدا بخمسين ألف دولار شهريا وفيلا وطباخ لكى يؤرخ ويشرف على أبحاث حول تجربته السياسية في عهد الرئيس السادات ومبارك رفض الباز وقال للمقربين له: هم يريدونني أن أكتب ما يتماشى مع مصالحهم في المنطقة.. وأنا لم أقبل ولا تسمح لي وطنيتي بذلك فلماذا يعرضون على هذا العرض السخي؟ وبقي في مصر متجاوزا الأزمة التي يمر بها بعد إقصائه ومات مثل الذئب الجريح في قصيدة للشاعر الفرنسي الفريد دي فييني تعذب ومات دون أن يفصح عن أي شيء.. وكان يذهب إلى مكتبه للقراءة وتقديم الخدمات للناس.

وإذا كان الدكتور أسامة الباز لم يكتب مذكراته مؤكدا إن عمله مسجل في محاضر الدولة فأعتقد أن الدكتور مصطفى الفقى الذى يثرينا يوميا بمقالاته الصادقة والجيدة يستطيع أن يقدم عملا جبارا في تقديم سيرة الباز ودهاليز السياسة الدبلوماسية المصرية ودور هذا المعلم في صناعة القرار كما اقترح أن يطلق اسم أسامة الباز على الشارع المطل على وزارة الخارجية بالتحرير والمعهد الدبلوماسى والذى عاش الباز فيه أجمل سنوات المخاض السياسى والدبلوماسى ومعظم مشواره الحياتى منتقلا من مكتبه ليقدّم تعازيه بعمر مكرم لكل كبير وصغير. لقد أعرب الباز قبل وفاته عن إيمانه بأن مصر سوف تعيش وتتقدم وتزدهر بعد خمس سنوات.

رحم الله أسامة الباز.. الذى أصبح اسمه في حد ذاته علامة بارزة في تاريخ مصر المعاصر، وفي وجدان الشعب المصري.*

كان اسمه يكفيه وأعماله تخميه*

رآه جيرانه أكثر من مرة يقوم بدفع سيارته لنهاية الشارع مع حارسه عندما تعطلت وفشل في إصلاحها، وكان يجلس بشكل شبه يومي في مقهى «سيلانتر» في المعادي، ويتناول فيه القهوة وأحيانا يأتي إليه بعض اصدقائه.

أسامة الباز، المولود في ١٩٣١، بقرية طوخ الأقلام، بمركز السنبلوين، في محافظة الدقهلية هو الألفه والنابعة في العائلة، كما قال لى ذات يوم شقيقه عالم الجيولوجيا الكبير د. فا.وق الباز. درس أسامة في مدرسة دمياط في الأربعينيات، حيث تزامن مع السفير عبد الرؤوف الريدى في الابتدائية والثانوية: ثم تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

ونال الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد الأمريكية في ١٩٦١ في الولايات المتحدة، أخذته الدراسة والسياسة تقريبا طوال عقد الستينيات. ولأن السياسة لا تفارقه فقد انتخب رئيسا لجمعية الطلبة العرب في أمريكا.

قبل ذلك، دخل اسامة فلك السلطة من باب النائب العام في ١٩٥٣م، ثم صعد سلم العمل السياسى بتعيينه برزارة الخارجية سكرتيرًا ثانيا عام ١٩٥٨م، ليصبح أصغر من حصل على درجة سفير في عام ١٩٧٥ حتى وصل الى منصب وكيل أول وزارة الخارجية وكان مديرًا للمكتب اسماعيل فهمى الذى عُين وزيرا للخارجية في نوفمبر ١٩٧٧ واستقال احتجاجًا على زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧.

كان أسامة الباز طوال عقود هو الذى يملأ الفراغ الموجود في مؤسسة الخارجية والدبلوماسية المصرية، اهتمام الرجل بالتحقيق السياسى والدبلوماسى للعاملين في الخارجية كان جليا: إذ استقدم لتلاميذه في معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية كوكبة من كبار الفقهاء والمفكرين وأساتذة الجامعات من أمثال جورج أبى صعب وتحسين بشير ود. عبد الوهاب المسيرى ويحىى العزبى، إلى جانب أسماء لامعة في سماء الوطن من

* عن الدكتور أسامة الباز.

طراز د . لويس عوض وأحمد بهاء الدين وغيرها.

حتى سنوات قليلة مضت كانت لأسامة الباز ثلاثة مكاتب : الأول في الدور الأول من وزارة الخارجية ، وكان يتردد عليه أحيانا ، والثاني في رئاسة الجمهورية ، وقد انقطع عنه منذ بواكير الألفية الثالثة ، والثالث في ميدان التحرير بالقرب من المعهد الدبلوماسي الذي شارك في تأسيسه هو والسفير محمد التابعي . . بل إن مكتبه الثالث المفضل لديه كان قبل أكثر من ثلاثة عقود قاعة محاضرات المعهد الدبلوماسي قبل أن ينفرد بمبناه القريب منه . . وربما لا يعرف بعض الدبلوماسيين أن معهدهم بدأ في مكان بعيد كان اسطبلات خيل من قبل . بالنسبة لكثيرين ، كان مكتب أسامة الباز يبدو قديما . . قطعة من التاريخ . . يضم صالونين ، وجهاز تليفزيون ورسيفر للدش ، ولوحات تشكيلية لصيادين يسعون للرزق ، إضافة الى صور شخصية له ولزوجته مذيعة التليفزيون أميمة تمام ، وابنه الأكبر باسل ، وصغيرته مريم . قد تستوقفك في مكتبه صناديق كرتون يضع فيها أوراقه ، وحقائب مختلفة لا حصر لها ، ولا يفا جا الذين يعرفونه عن قرب بوجود قمصان جاهزة للاستعمال . وكتب ، وعلب فيتامين (سى) ، ونظارات طبية ، وزجاجات كولونيا أصبح من الصعب العثور عليها ماركة (٥٥٥).



رحيل الداهية

السبت الماضى رحل عن عالمنا واحد من أهم الساسة الذين ارتبطوا بتاريخنا السياسى فى عصرى السادات ومبارك وظل يحتفظ بنصيبه من حب الناس له لتواضعه وعدم انفصاله عن الشعب هو أسامة الباز شقيق العالم المصرى فاروق الباز.

أسامة الباز الذى شارك فى مفاوضات وصياغة اتفاقيات كامب ديفيد وكان مسؤولاً عن الملف الفلسطينى وظل مستشاراً سياسياً لمبارك حتى استولى زكريا عزمى على اختصاصاته وترك الرئاسة ، وظل فى مرضه حتى وفاته .

حضر الجنازة جمع غفير من أهل السياسة والثقافة والمال بمصر ، يتقدمهم شقيق الراحل فاروق الباز ، لكن توقفت عند تغطية أحد المواقع الإلكترونية لجنازة الراحل الكبير بالمتابعة بالتالى «بعد قليل سيصل المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية عدلى منصور أحمد المسلمانى للجنازة» ثم خبر «وصول منذ قليل المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية أحمد المسلمانى الجنازة».

خبر ثالث «كان فى مقدمة الحاضرين المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية فلان» ، وخبر رابع «وتحدث المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية بالجنازة إلى فلان وعلان» ، ليتحول نبأ جنازة الراحل الكبير فى تاريخ مصر إلى كومبارس ونبأ حضور الزميل أحمد المسلمانى الجنازة هو البطل ، وبزيادة يا زملاء..

وبالمناسبة عيب من بعض الصحف الحمراء أو الخضراء أن تحتزل تاريخ أسامة الباز بكل عراقته بمعرفة الفنانة فلانة أو شائعات زواج عرفى من المطربة علانة .. عيب الأموات لا يستطيعون الرد والدفاع عن أنفسهم وهذا ليس أى شخص فهو عاشق لتراب مصر وأهلها .



(رحيل الداهية)

الباز .. الموت اكتئاباً

لا أظن أن الدكتور أسامة الباز مات بأزم قلبية ، فمنذ سنوات وهناك مرض آخر أكثر حدة وقسوة يصارع الرجل حتى هزمه ، وهو الرجل الذى أدمن الانتصار فى معارك الحياة كان لدى مرض الاكتئاب اللعين أكثر من باب ليدخل فيه حياة وعقل وقلب الباز ، فالرجل الذى لعب أدواراً بارزة فى القضية الفلسطينية منذ معاهدة السلام عاش ليرى انهيار كل ما حلم به للقضية التى آمن بها ، وكان من أشد المتحمسين لها . لم يحل السلام لا بالفلسطينيين ولا العرب . ولم تسلم مصر من عدوانية إسرائيل ، ووصلت القضية الفلسطينية إلى أسوأ حالاتها بين خلافات الإخوة الأعداء وتعنت إسرائيل برعاية أمريكية ، أدرك الباز بالتراجعات المتتالية للقضية أن خيار التفاوض لم يكن الطريق للتوازن ولا السلام فى المنطقة ، لم تخلف المعاهدة التى شارك فى صنعها وإن اعترض على بعض بنودها ، إلا مزيداً من التراجع فى دور مصر فى المنطقة ، فى جلساته الخاصة كان الباز يحكى بمزيد من الحزن والأسى ما آل إليه حال القضية الفلسطينية ، ويعدد مرارات الانشقاق والمؤامرات على الفلسطينيين ، فيما بعد تحولت المرارة والحزن إلى اكتئاب سكن القلب والعقل على القضية التى أفنى عمره فيها .

مرة أخرى وجد الاكتئاب باباً آخر للرجل ، لم يسع الباز لمنصب ولم يعترض أو حتى يهتم بأنه ظل وكيل وزارة الخارجية فيما وصل بعض تلاميذه إلى منصب الوزير ، لم يشغل الرجل نفسه بمعارك على مال أو سلطة أو نفوذ ، وقد كان أخلص مستشارى مبارك ، وهذه الصفات نجا الباز إلى حد بعيد من «زنب» ومعارك السلطة القاسية ، وظل طائراً حراً لم تقيد المناصب ولم تستعبده الأطناع ، ولكن المنافسة التى فرضت عليه جاءت من حيث لا يتوقع ، من داخل البيت الرئاسى ، فقد كبر الأولاد داخل البيت ، ولم يعد مقبولاً أن يظل الباز يلعب دور الأسنود والموجه لجمال مبارك ، لم يعد مقبولاً أن ينادى الباز الرئيس المقبل بلقب التدليل «جيمى» ، ولكن الأخطر أن الباز بكل علاقاته وخبراته وبريقه الخاص لم يعد مناسباً لمرحلة «العيال» ، فرضت الشلة الجديدة على الرجل اكتئاباً

جديداً، وسلمته إلى موجة جديدة من العزلة العامة، أصبح مستشاراً بالاسم، لم يعد الرجل الذى ينصح ويخطط.. ولا شك أن مبارك الأب هو الخاسر الأكبر في معركة إقصاء الباز، فقد فقدت الرئاسة من بعده بوصلة مهمة في التنبؤ بالأزمات وإدارتها، وفقد مبارك شبكة علاقات محلية ودولية وعربية هائلة، هذه الشبكة التى كونها الباز عبر رحلة عمر ناجحة أفادت مبارك في كثير من المواقف العصية، ربما لو كان الباز أقل إخلاصاً وأكثر شراً لما تمكن الاكثاب منه، ولكنه أبى أن يفضح من يستحقون الفضح، وأن يشى بأسرار مبارك والرئاسة، لم يتقم وتحمّل الآلام والحزن وحيداً إلا من أصدقاء وتلاميذ مخلصين، رحل الرجل الذى حاز على ثقة ثلاثة رؤساء في مصر، عمل مع السادات ومبارك، وكان واحداً من خمسة شباب اختارهم جمال عبد الناصر لينالوا درجة الدكتوراه في جامعات غربية، ففيها كانت معظم البعثات تتجه إلى روسيا والكتلة الغربية، فقد دفع عبد الناصر بالباز وزملائه الأربعة لكليات القمة في الغرب، فحصل الباز على الدكتوراة من جامعة هارفارد الشهيرة في ظل النظام الاشتراكي في مصر، ولكن الكلية اللامعة والخبرات الواسعة والعلاقات الممتدة أصبحت فجأة عناصر سلبية تلعب ضد وجوده في نظام مبارك الابن، ولذلك لم أندش لزيارته لميدان التحرير في ثورة ٢٥ يناير، وربما تكون هذه الزيارة هى آخر عمل عام حرص على المشاركة فيه ولو بزيارة، ولعله في قلب الميدان تساءل لو أن هذه الثورة جاءت مبكرة خمس أو عشر سنوات، ولعله أدرك أن الثورة التى لم يستفد منها ستمنع عن آخرين من أبناء الوطن اللامعين شبح الاكثاب والإقصاء.





شخصيات



أسامة الباز

صانع الملوك الذي ركب المترو!



الصباح

العدد ١٤ - الأثنين ٢٢ ديسمبر ٢٠١٢
E-Mail: abalah2@yahoo.com



التباؤ مع الرئيس المر حل أمور السادات



مع سوتة طهر، ابنة التاشير



مع بطرس غالي



مع الرئيس نتململمس الراحي ناصر عوريات

في مصر، معادلة شبه مستحيلة اسمها: النفوذ مع الولع بالبساطة.

لكن أسامة الباز نجح في حل المعادلة ببراعة ربما لاحقت ككابوس من جاءوا إلى السلطة بعده.

فقد احتفظ الباز بصورته اللامعة كمفاوض سياسى عتيد، ولاعب رئيسى ومستشار نافذ، مع تمسكه بصفة التواضع التى منحتها مكانة فريدة في قلوب كثيرين.

ولأنه كان «نقطة تلاق» بين مختلف التيارات والأنظمة المختلفة، فقد اجتمعت مصر والعرب في سرادق عزائه. مئات السياسيين والدبلوماسيين والعسكريين والوزراء الحاليين والسابقين، وآلاف المواطنين العاديين من مختلف الفئات الاجتماعية والشرائح الاقتصادية، كانوا هناك في وداع مايسترو السياسة الخارجية المصرية ورجل الدولة بكل ما يعنيه هذا الوصف.

كنت تراه يمشى منفرداً دون حراسة، مستقلاً المواصلات العامة، ومن بينها مترو الأنفاق، أثناء تحركه من منزله في المعادى - قبل أن يتركه ويذهب للإقامة في القاهرة الجديدة - إلى مقر عمله بالقرب من ميدان التحرير. تجده في المترو مسنداً ظهره على الباب الخلفى، دون أن يكثر به أحد، وهو ما يريده بالفعل. تلهو أصابعه بتذكرة مترو بيضاء، تشير إلى أنه يحمل اشتراكاً في مترو الأنفاق. شخصية ودودة تحب أن تكون وسط الناس؛ لأنه واحدٌ منهم.

المترو كان اختيار رجل عملي، يعرف أن المترو يمكن أن يقطع هذه المسافة في نحو عشر دقائق، في حين تقطعها السيارة في ساعة ونصف الساعة، وهو أمرٌ لا يطيقه، خاصة إذا كانت سيارته متواضعة وغير مكيفة، ويمكن أن تمرد عليه من الحر.

درج الناس على رؤيته في كل مكان دون أى حراسة، وكان يمكن أن تشاهد هذا الدبلوماسى رفيع الشأن والفقير القانونى عابراً ميدان التحرير ليشتري بنفسه شيئاً، أو قاطعاً الشوارع المحيطة به أو أمام مبنى جامعة الدول العربية، أو ماراً فوق كوبرى قصر النيل، وأحياناً يقطع الطريق ليلتقط سيارة أجرة. وربما تدهش وأنت تراه واقفاً في الطابور لقطع تذكرة سينما في وسط البلد، أو وهو يتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة لديه في محل التابعى الدمياطى أو محل نجف للسندوتشات.

وربما نجد صانع الملوك في عهدى السادات ومبارك أمام كشك لبيع الصحف والمجلات وهو يتقى بعضها للقراءة، أو تشاهده مصطحباً طفلة مريم لشراء أدواتها المدرسية من مكتبة «فوليوم» بنفس الشارع الذى يسكن فيه. وببساطة أيضاً ستشاهد نفس الرجل، مساء، جالساً في هدوء شديد على مقهى أو في جاليرى أو ندوة فكرية وثقافية يستمع أكثر مما يتكلم.

كان اسمه يكفيه، وأعماله تحميه.

رآه جيرانه أكثر من مرة يقوم بدفع سيارته لنهاية الشارع مع حارسه عندما تعطلت وفشل في إصلاحها، وكان يجلس بشكل شبه يومي في مقهى «سيلاترو» في المعادى، ويتناول فيه القهوة وأحياناً يأتي إليه بعض أصدقائه.

رغم عمله في قلب المطبخ السياسى، وقربه من الرئيس الأسبق حسنى مبارك، ودوائر صنع القرار في نظامه، لم تظهر عليه أعراض مئآت المسئولين الكبار والصغار الذين ساهم في وصولهم إلى مناصبهم.. ومن هذه الأعراض الغطرسة والتعالى والكلام من طرف الأنف. اتسم على الدوام بترفع نادر عن المناصب ومواقع السلطة، مارسه بصفاء نفس ظل ملازماً له حتى وافاه الأجل.

لم يكن الباز، الذى رحل في ١٤ سبتمبر ٢٠١٣، يدخل صالة كبار الزوار في المطار، ولم يألّف ركوب سيارة فخمة في حياته اليومية، بل إنه لم يكن يجب أن يُطلق عليه أو ينادى بالألقاب التى تطلق على نظرائه ويفضل مناداته بالدكتور أسامة فقط. حتى الذين عرفوه خلال دراساته العليا في بوسطن يروون كيف أن العاملين في المطعم الذى يرتاده بانتظام كانوا يعرفون ما يطلبه أسامة كل يوم؛ كوب من اللبن وحلقات من البصل. هكذا عاش أسامة فترة غير قصيرة ينفق على دراسته مقيماً في شقة صغيرة متواضعة يشاركه فيها شاب أمريكي يدرس هو الآخر في جامعة هارفارد، مترفعاً عن أن يطلب لنفسه شيئاً ريباً لا يكون له حق فيه.

ويحكى البعض عن دقته واهتمامه بالتفاصيل الصغيرة في عمله، حتى أنه كان يحوّل عادةً بخطه العربى والإنجليزى الجميل، الملاحظات والتحليلات والخطط والسيناريوهات المحتملة إلى رسم بيانى واضح المعالم. والحقيقة أن القلم والورقة كانا من

أهم ما في حياته، وكم كان يسعد كثيرًا إذا قدم إليه أحد مجموعة من الأقلام تكتب كالحرير.

وأسامة الباز، المولود في ١٩٣١، بقرية طوخ الأقلام، بمركز السنبلوين، في محافظة الدقهلية، هو «الألفة والنابعة في العائلة»، كما قال لي ذات يوم شقيقه عالم الجيولوجيا الكبير د. فاروق الباز. درس أسامة في مدارس دمياط في الأربعينيات، حيث تزامن مع السفير عبد الرؤوف الريدى في الابتدائية والثانوية؛ ثم تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ونال الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد الأمريكية في ١٩٦١. في الولايات المتحدة، أخذته الدراسة والسياسة تقريباً طوال عقد الستينيات. ولأن السياسة لا تفارقه، فقد انتخب رئيساً لجمعية الطلبة العرب في أمريكا.

قبل ذلك، دخل أسامة فلك السلطة من باب النائب العام في ١٩٥٣، ثم صعد سلم العمل السياسى بتعيينه بوزارة الخارجية سكرتيراً ثانياً، عام ١٩٥٨، ليصبح أصغر من حصل على درجة سفير في العام ١٩٧٥، حتى وصل إلى منصب وكيل أول وزارة الخارجية، وكان مديرًا لمكتب إسماعيل فهمى، الذى عُيّن وزيرًا للخارجية في نوفمبر ١٩٧٣ واستقال احتجاجاً على زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧.

سيرته المهنية تتضمن محطات مهمة تعطى نبذة عن دور الرجل ومكانته، فقد كان أحد مستشارى مركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية بمؤسسة الأهرام ومديرًا لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشئون الخارجية ثم مقررًا للجنة الشئون الخارجية المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ومديرًا للمعهد الدبلوماسى ومديرًا لمكتب نائب رئيس الجمهورية ثم مديرًا لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية، علاوة على منصبه كوكيل أول وزارة الخارجية.

كان أسامة الباز طوال عقود هو الذى يملأ الفراغ الموجود في مؤسسة الخارجية والدبلوماسية المصرية.

اهتمام الرجل بالتحقيق السياسى والدبلوماسى للعاملين في الخارجية كان جلياً؛ إذ استقدم لتلاميذه في معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية كوكبة من كبار الفقهاء والمفكرين وأساتذة الجامعات من أمثال جورج أبى صعب وتحسين بشير ود. عبد الوهاب

المسيري ويحيى العزبي، إلى جانب أسماء لامعة في سماء الوطن من طراز د. لويس عوض وأحمد بهاء الدين وغيرهما.

حتى سنوات قليلة مضت كانت لأسامة الباز ثلاثة مكاتب؛ الأول في الدور الأول من وزارة الخارجية، وكان يتردد عليه أحياناً، والثاني في رئاسة الجمهورية، وقد انقطع عنه منذ بواكير الألفية الثالثة، والثالث في ميدان التحرير بالقرب من المعهد الدبلوماسي الذي شارك في تأسيسه هو والسفير محمد التابعي.. بل إن مكتبه الثالث المفضل لديه كان قبل أكثر من ثلاثة عقود قاعة محاضرات المعهد الدبلوماسي قبل أن يتفرد بمبناه القريب منه.. وربما لا يعرف بعض الدبلوماسيين أن معهدهم بدأ في مكان بعيد كان إسطبلات خيل من قبل.

بالنسبة لكثيرين، كان مكتب أسامة الباز يبدو قديماً.. قطعة من التاريخ.. يضم صالونين، وجهاز تليفزيون وريسيفر للدش، ولوحات تشكيلية لصيادين يسعون للرزق، إضافة إلى صور شخصية له ولزوجته مديعة التليفزيون أميمة تمام، وابنه الأكبر ياسل، وصغيرته مريم. قد تستوقفك في مكتبه صناديق كرتون يضع فيها أوراقه، وحقائب مختلفة لا حصر لها. ولا يفاجأ الذين يعرفونه عن قرب بوجود قمصان جاهزة للاستعمال، وكتب، وعلب فيتامين (سى)، ونظارات طبية، وزجاجات كولونيا أصبح من الصعب العثور عليها.. ماركة (٥٥٥).

شغل د. أسامة الباز أهم المناصب في الدولة، وكان في واجهة السلطة، وربما هو أحد من القلائل الذين عملوا مع عبدالناصر والسادات ومبارك. كان دوماً العقل المفكر للسياسة الخارجية المصرية، لكنه لم يرغب أبداً أن يكون وزيرها، فقط كان يقدم نفسه بصوته الرخيم أنه وكيل أول وزارة الخارجية المصرية. لم يكن راغباً في تقديم نفسه في منصب يلتصق بكلمة الرئيس. كان يريد أن يعمل بحرية ويعيش كذلك أيضاً بعيداً عن بريق السلطة والتزاماتها، وحسب تعبير د. محمد إبراهيم كامل، وزير الخارجية في زمن كامب ديفيد، فإن أسامة الباز هو سلطة في الظل تعرف جيداً كيف تهرب من الأضواء.

مشوار النجاح بدأ في عهد جمال عبدالناصر.

ظهر الباز مرات مع عبدالناصر في اجتماعات عدة تناقش شئون الأمن القومي. وفي

عام ١٩٧١ كان مسئول العلاقات الخارجية في منظمة الشباب التي كوّن لها ناصر لتكوين جيل وصفه بأنه «على موعد مع القدر».

تقارب الباز مع الرئيس السادات، حتى أن الأخير اختاره ليكون ذراع اليمين في عملية التفاوض التي بدأها بعد زيارته للقدس، وطلب منه كتابة الجزء القانوني من خطابه الشهير الذي ألقاه في الكنيست الإسرائيلي. شارك عميد الدبلوماسية المصرية في مفاوضات كامب ديفيد، وصياغة معاهدة السلام في ١٩٧٩، وتولى مسؤولية الملف الفلسطيني - الإسرائيلي فترة طويلة.

ويصف د. بطرس غالي أعضاء الوفد المصري في كامب ديفيد بعبارة دالة وموجزة يقول فيها: «وكان محمد كامل متوترًا، وحسن التهامي حالمًا، بينما أسامة الباز يشع بالذكاء والطاقة».

كان الباز صقر المفاوضات المصريين في كامب ديفيد؛ إذ أهرق المفاوضات الإسرائيليين بالتدقيق في كل تفصيلة وفاصلة، كما بلغ الأمر حد أن كاد الباز يمسك بخناق د. بطرس غالي أثناء الجدل حول بعض مسائل الاتفاق. مع ذلك، فقد أرجع غالي الفضل فيما أحرزه المفاوضات المصري من نجاح إلى القدرات الفنية والقانونية لشخص واحد هو أسامة الباز.

كان الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يعرف أن أكثر أعضاء الوفد المصري تأثيرًا في مفاوضات كامب ديفيد هو أسامة ويقابله في الوفد الإسرائيلي المستشار القانوني أهارون باراك، وكان كارتر كثيرًا ما يتصل بشكل مباشر بكلتا الرجلين ويطلب منهما أن يحضرا لمناقشته كل على حدة لمحاولة إيجاد حل لما يطرأ من مشكلات في المفاوضات. وكان أسامة يذهب ويعود بعد أن يمر على الرئيس السادات في كابينته ليبلغه بما حدث ثم يعود ويجلس على سريره، ويسجل ما جرى من مناقشات بينه وبين كارتر.

ويحكى البروفسور ويليام كوانت، المسئول عن الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي، وأحد المشاركين في اجتماعات كامب ديفيد، أن مشهد الرئيس كارتر وأسامة الباز حاملين القواميس وكتب القانون الدولي والاتفاقات والمعاهدات، كان مشهدًا معتادًا في هذه الأوقات التاريخية. حمل الرجل أعباء اللحظة كلها من ناحية المعلومات والقانون الدولي والخبرة في الصياغة، في حين كان السادات كان يقضى معظم

أمسياته في كامب ديفيد، وهو يدخن غليونه ويشاهد أفلام فريد الأطرش، حسب أسامة الباز نفسه.

كتب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر بعد ذلك، وبريزنسكي مستشاره للأمن القومي وسايروس فانس وزير الخارجية عن المفارقة ما بين الوفد الإسرائيلي والوفد المصري، بين فريق إسرائيل كامل، ورئيس وحيد مع خبير سياسي وقانوني واحد تم تنصيبه لحظة المواجهة بعد أن قرر وزير الخارجية الاستقالة. ثابر أسامة في مهمته، حيث شارك في صياغة جميع الوثائق الخاصة بالمفاوضات، وأرهب الإسرائيليين بملاحظاته ومراجعاته، لينال بعدها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.

كان أسامة هو رجل الأزمة بوجوده إلى جوار نائب الرئيس آنذاك حسنى مبارك؛ ومع الرحيل الدامى للسادات فى أكتوبر ١٩٨١، لعب الباز دوراً مهماً فى هندسة وإيقاع الخطوات التى اتخذت حتى تمت تولية نائب الرئيس رئيساً للبلاد فى إيقاع دستورى سليم. وطوال الأعوام العشرة الأولى من حُكم مبارك (١٩٨٢-١٩٩٢) كان أسامة هو أكثر الناس تأثيراً فى إدارة دفة البلاد وخاصة فى السياسة الخارجية، حتى أن كثيرين وصفوه بأنه كاتم أسرار منظومة مبارك الرئاسية لسنوات طويلة. استقرت مهمة كتابة الخطابات السياسية فى عهد مبارك عند مستشاره السياسى أسامة الباز.

لكن هذا الدور أخذ فى الأفول فى الأعوام العشرة الأخيرة من حُكم مبارك التى ظهر فيها مشروع التوريث، حتى تلاشى تأثيره تدريجياً ودون ضجيج، وإن لم يصدر قرار رسمى بإلغاء أى من امتيازاته كوكيل أول بوزارة الخارجية.

اختار الباز طوعاً أو ابتعاداً عن المسرح السياسى قبل نحو عقد من رحيل مبارك عن سُدة الحُكم، ولم يظهر بعد ذلك إلا نادراً فى تصريحات مقتضبة. ويربط محللون بين هذا الغياب وظهور الملامح الأولى لمشروع توريث الحُكم، ما أكده فى حوار مع جريدة «المصرى اليوم» فى ٢٠١٢، بقوله: «لم أكن وراء ملف التوريث، بل كان أحد الأسباب الرئيسية فى ابتعادى عن مؤسسة الرئاسة. ولا أنكر أننى كُلفت من قبل مبارك بتعليم نجله جمال السياسة، ولم أكن من الداعمين لتوليهِ رئاسة الجمهورية»، فيما عرف بملف التوريث آنذاك.

خرج الباز من السلطة حين تحوّل من مستشار يصنع السياسات إلى مستشار لا يستشار. وروى الباز لمحمد سلماوى ذات مرة كيف سُحبت منه مسئولية كتابة الخطابات السياسية لمبارك بالتدرّج، إلى أن وصل لمرحلة كان يكتب فيها الخطاب ليجد الرئيس يلقى خطاباً آخر كتبه ابنه.

من تناولوا أسامة الباز، لم يذكروا أن بدايات خروجه من دائرة مبارك تزامنت مع موقفه المسئول من السودان بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال مبارك في أديس أبابا في يونيو ١٩٩٥. يومها دق صفوت الشريف طبول الحرب بعد تدهور العلاقات، لكن الباز قال إنه لا يمكن لمصر أن تنال من سودانى واحد والأزمة لا بدّ من تناولها عبر القنوات السياسية والمنظمة الدولية لو اقتضى الأمر. وصرح مبارك لجهاد الخازن في جريدة «الحياة» بأن هذا المسئول تكلم من تلقاء نفسه وستتم محاسبته. بعدها بدأ نجم أسامة الباز كمستشار سياسى لمبارك رحلة الأفول.

منذ أن اختفى الباز عن الساحة بدأ مسلسل انهيار النظام. ربما كانت مصادفة، لكننا لم نر منذ ابتعاده مسئولاً واحداً له نصف القبول الذى كان يحظى به.

كان الفارق مذهلاً في الكفاءة بين جيل يمثله أسامة الباز، وجيل يمثله جمال مبارك وأحمد عز، فكان السقوط المدوى لنظام مبارك على يد ثورة ٢٥ يناير.

ورغم عمله مستشاراً سياسياً للرئيس الأسبق، لأكثر من ٢٠ عاماً، ورغم أنه كان يُعد خازن أسراره، فإن ذلك لم يمنعه من المشاركة في ثورة ٢٥ يناير، بميدان التحرير، ضد مبارك. أشاد الباز بشباب الثورة قائلاً: «الأولاد اللى عملوها جدعان، وأنا شايف إنها هتنجح رغم كل العقبات التى ستواجهها».

كان بإمكان مبارك تجنب هذه النهاية المدوية لو أنه استمع إلى نصيحة مستشاره السياسى السابق د. أسامة الباز، الذى قال إن مبارك «كان بإمكانه أن يتجنب ما حدث لو استمع لنصيحتى في بداية سنة ٢٠٠٢، عندما طالبته بعدم خوض انتخابات الرئاسة ٢٠٠٥ وأن يبدأ بنقل السلطة بشكل تدريجى، وألا يعيد ترشيح نفسه مرة أخرى وأن يعطى الفرصة لجيل آخر يكون تحت إشرافنا حتى نتأكد من أنه يسير في المسار الصحيح، لكنه للأسف استمع لأشخاص كثيرين لهم مصالح في بقائه في السلطة، هؤلاء الأشخاص

للأسف لم ينقلوا له الأوضاع على حقيقتها وكانوا يزيفون الحقائق، وهو ما تسبب فيما آلت إليه الأمور».

الباز قال عن مبارك إنه ترك الملفات الداخلية في أيدي الأجهزة الأمنية، على الرغم من كونها ملفات سياسية، كما ترك الملفات الخارجية دون اهتمام، بشكل تسبب في تقزيم مصر وضياع دورها الريادي. وانتقد أسامة الباز أسلوب مبارك وعدم استماعه إلى آراء ونصائح مستشاريه، مؤكداً أنه كان لا يسمع إلا صوت نفسه، ولا يقبل بالرأى الذى يخالف هواه، لكنه لم ينس أن يؤكد أن مبارك تغير في منتصف فترة حكمه، وتحول من رئيس يتمتع بالكياسة والعدالة والقدرة على الإنصات إلى رئيس لا يسمع ولا يرى إلا نفسه، يتحكم فيه ابنه ويقدم التنازلات للجميع من أجل ضمان توريثه كرسى الرئاسة.

أسامة الباز واحد من الشخصيات التى دار حولها انقسام فى الشارع المصرى، فهو فى نظر البعض الرجل الذى ساهم فى إعطاء الدولة المصرية فرصة إلى المستقبل متجاوزاً فى ذلك كثيراً من أقرانه ومعاونيه ونخبة مصرية كاملة.

غير أن فريقاً آخر رأى أنه كان مثل المحامى الضليع الذى يدافع عن موكله سواء كان مخطئاً أو مصيباً، ومن ذلك تبريره استمرار بقاء مبارك فى سدة الحكم فى حديث تليفزيونى عام ٢٠٠٧، بالقول إن «الرئيس يريد أن يقول إنه لن يتخلى عن واجبه، فهو مقاتل ولا ينظر إلى الأمر على أنه شو».

وربما لازم التناقض أسامة الباز فى عدد من تصريحاته عن السياسة الداخلية، خاصة لدى تناوله مسائل كتعديل الدستور وتحلى مبارك عن السلطة. بل إن الباز ذهب فى أوائل مارس ٢٠٠٥ إلى أن قانون الطوارئ لا يمثل قيداً على ممارسة المواطن العادى لحقوقه السياسية. ويقول منتقدوه إنه أحد مُنظرى حالة «اللاقمع.. واللاحرية» التى عاشتها مصر فى عهد مبارك، وإنه مع بقائه قريباً من السلطة فإنه لم يعمل على تغيير الأوضاع السياسية بشكل جدى، ما يشير - حسب تقديرهم - إلى اقتناعه بأن أى إصلاح يجب خروجه من كنف وآليات ووسائل النظام نفسه.

ويأخذ عليه هؤلاء أن اجتهاداته فى بعض قضايا الإصلاح فضفاضة وحمالة أوجه يمكن تفسيرها بطرق متباينة، وفى هذه الحدود يمكن القول أنه مع الإصلاح وضد

التغيير. أما في نظر أوساط أخرى فإنه يعتبر من المطالبين بالإصلاح والتغيير في الوقت نفسه. ومع أنه من الذين رفضوا فكرة تعديل الدستور أو بعض مواد ورأى تأجيلها، فقد وصف تعديل المادة (٧٦) من دستور ١٩٧١ بأنها الأبرز والأهم في مسيرة الإصلاح السياسي.

ومن الجائز القول إن إخلاصه للرئيس مبارك أوقعه في بعض المطبات، ففي الخامس من نوفمبر ٢٠٠٢ قال إن الرئيس مبارك «لن يرشح نفسه في انتخابات الرئاسة القادمة». وأكد الباز ترحيبه بتوسيع المشاركة السياسية وعدم حصرها في عدد محدود، وأشار إلى أن الرئيس لا يفكر في توريث الحكم لابنه. وفي اليوم التالي (٦ نوفمبر ٢٠٠٢) قال بعبارة التوائية «إن الرئيس مبارك لا ينوي تمديد حكمه مدى الحياة»، وأوضح أنه من المبكر جداً قول ما إن كان سيخوض الانتخابات، ونفى قيام الرئيس بتهيئة جمال لتسلم السلطة، قائلاً إن جمال بالذات لا يعد نفسه لتسلم السلطة أو أى شيء من هذا القبيل.

غير أن هناك روايات رائجة لم ينكرها الباز، تقول إنه أحد أساتذة جمال مبارك، وفي مقدمة الذين حاولوا تهيئة جمال مبارك وتربيته سياسياً وتعريفه بدهاليز الحكم، تمهيداً لتولية السلطة بعد والده.

كان أسامة الباز هو عقل الدبلوماسية المصرية والرقم الصعب في جميع معادلات السياسة المصرية لما يقرب من ٣٥ عاماً (١٩٧٠ - ٢٠٠٥)، فحتى بعد أن غادر مناصبه الرسمية كان دائماً هناك لحظة اتخاذ القرارات، المشكلة أن الرجل ظل صامتاً طوال عمره، ولم يفتح يوماً خزانة الأسرار التي يمتلكها، وهي مليئة بالكثير، خاصة في ملف العلاقات المصرية - الفلسطينية - الإسرائيلية.

سأله الكاتب الصحفي عادل حمودة يوماً: لقد عاصرت ثلاثة رؤساء في مصر واقتربت من خبايا قضايا مصيرية في السياسة الداخلية والخارجية.. هل حان الوقت كى تكتب مذكراتك؟

رد الباز بالقول: «لن أكتب مذكراتي.. فمن يكتب مذكراته يظهر نفسه في صورة البطل دائماً.. ويجد لنفسه الأعذار لو تعرض للفشل في مواقف معينة.. ولم يحدث في يوم من الأيام أن سجلت يومياتي خوفاً من أن تقع في يد أحد فتفقد سرتها.. أو يساء

استعمالها.. كما أن كثيراً من الممارسات التي عشتها فقدت صلاحيتها.. ما كان يصلح من ربيع قرن لم يعد يصلح الآن.. لكنني أفكر في كتابة خبراتي في كتيبات تساعد الناس على العمل في مجالات معينة، خاصة مجال الدبلوماسية.. مثل كيفية المفاوضات، وكيفية تأهيل الدبلوماسيين للنجاح في عملهم، وكيفية قيام الدبلوماسيين بالاتصالات في الدول التي يعملون فيها، والتحركات الجماعية الإقليمية من أجل قضية معينة، والاستفادة منها. ولن تكون هذه الخبرات مجرد كتابات نظرية، لكنها ستدعم بأمثلة مأخوذة من المواقف العملية. إنني سأكتب خبراتي لا مذكراتي. إنني عندما دخلت الخارجية لم أجد من المفاوضات المصريين البارزين سوى الدكتور محمود فوزي، بعد ذلك زاد العدد لكن بنسبة ضعيفة.. مثل إسما عيل فهمي.. وكمال حسن علي.. ويطرس غالى.. ونبيل العربي، ولا يزال العدد في مجال التفاوض ضعيفاً، لذلك سأشر ما أعرفه عنه على الناس جميعاً لتجاوز الاستفادة حدود الدبلوماسيين».

ألف الباز كتاب «مصر والقرن الحادى والعشرون»، وأصيب في أيامه الأخيرة بمرض الزهايمر، ما جعله يتعد عن الحياة السياسية. كان داهية السياسة الأمريكية هنرى كيسنجر يصغى للباذ إذا تكلم، ومع ذلك سقط أسامة الباز في كمين سارق نور العقول، مرض العصر الزهايمر.

على المستوى الشخصى، تزوج أسامة الباز أكثر من مرة، منها زواجه من السفيرة مها فهمى، أم ابنه باسل، وكذلك تزوج من المذيعة أميمة تمام. وبعد ثورة ٢٥ يناير، أعلنت الممثلة نبيلة عبيد أنها كانت متزوجة بأسامة الباز لمدة ٩ سنوات إلى أن وقع الطلاق، وأن الزواج كان سرياً.

رحل د. أسامة، لكن إرثه السياسى ونموذجه الإنسانى سيظلان فى الذاكرة الجمعية المصرية لفترة طويلة.*

مذكرات مبارك

زكريا عزمى تعهد

إخفاء الكثير من الحقائق عني

وأسامة الباز.. افتقدت حكمته وتوجيهه

بعد اعتزاله السياسة..!



في الجزء العاشر من مذكراته يتحدث مبارك عن وزرائه واصفاً إياهم بأنهم فاسدون ويستثنى منهم أسامة الباز مستشاره السياسي حيث يؤكد أنه افتقد حكمته وتوجيهه بعد اعتزاله السياسة لأسباب شخصية ، أما زكريا عزمى فإنه على حد تعبيره فاق تأثير سامى شرف على الرئاسة في عهد جمال عبدالناصر والسادات ، حتى إن كثيراً من الحقائق لم تصله، حججها زكريا عزمى ثم يتحدث مبارك في مذكراته عن مقتل سعاد حسنى مؤكداً أنه حزن عليها كأى مواطن مصرى ، وأنه شك فن البداية أن وراء مقتلها صفوت الشريف وحقق معه لأيام في ذلك ، إلا أنه لم يجد دليلاً على ذلك ، مؤكداً أنه أمر بفتح التحقيق في اغتيال سعاد حسنى باعتبارها مواطنة مصرية ، ويكشف مبارك أن السبب في عدم التوصل للجاني في قضية سعاد حسنى أن صديقتها والتي كانت تقيم لديها في لندن

نادية يسرى ساعدت الجاني في طمس معالم الجريمة ، ولكن لعدم تواجدها في مكان الحادث وعدم وجود شهود على خلاف بينها وبين سعاد حسنى تم استبعادها من الاتهام ، ويؤكد مبارك أن قتل سعاد حسنى جريمة جنائية وليست سياسية . ويؤكد مبارك أنه حرق بنفسه كل الأفلام السرية لسعاد حسنى والتي تعود إلى فترة عملها مع صفوت الشريف .





Arab republic of Egypt
Office of the President

To whom it may concern

I, the undersigned, "Mohammad Nassef Mubarak" pledge with honesty and integrity that all information, ~~and~~ names, 600 original documents and 460 pictures appeared in the manuscript Personal diary of my life which came in 1126 pages, handed to the publisher in Cairo, Egypt by my wife "Suzanna Mubarak" on November 23, 2011 as original.

I acknowledge receipt of the manuscript number: (09471285 - CBY - 9201 - CVE Route Number 149 - 946), on November 23, 2011 amount of "10 million U.S. dollars" for the project named "Riggs - PMC" Washington, D.C., United States of America.

President: Authorized Signature

Dated: Cairo, Egypt on November 23, 2011

Page: 1/1

وثيقة بيع
مذكرات مبارك

* وفي البداية يتذكر مبارك الوزراء الذين عمل معهم ولا يثنى على أحد منهم حتى المشاهير ويسرد عيوبهم دون ذكر، النجاحات التي يمكن أن تنسب لأحدهم ويقول: حاولت طيلة ٣٠ عامًا ضخ المياه في شبكة وزراء فاسدة امتصت كل الجهود ومعها المليارات، وذلك دون أن ينسب لنفسه ولو خطأ واحداً.

حتى من خدموه بلا عقل أو حدود قال عنهم جملة غاية في الغرابة هي: «لو لم يجد الرئيس خداما في بيت العدالة لما أصبح فرعوناً» وربما كان يقصد ترزية القوانين وهو يؤكد في مذكراته أنه لم يكن يطلب من أحد التفصيل لكنهم كانوا يتبارون لإسعاده وعلى حد تعبيره يعملون على إيجاد طرق مختصرة.

وفي المذكرات يحكى مبارك عن حبه المتفاني لعمله وكيف أنه كان لا يذهب لزوجه سوى أيام قليلة في الشهر، حتى إن زملاءه والعاملين معه كانوا يعتقدون أنه شخص غير طبيعي مؤكداً أن السبب الوحيد هو حبه الشديد للعمل ولأنه يريد إتمام رسالته.

وفي المذكرات يدافع مبارك عن نفسه كثيراً فيما تردد عن خضوعه لإرادة بعض الدول خاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل. يقول معبراً عن ذلك: لو كنت استمع إليهم لكانت إلدبابات التي نزلت مصر أيام الثورة أمريكية وإسرائيلية

ويتقل مبارك في مذكراته بعد ذلك ليحكى جوانب من أول أيام وشهور حكمه ليؤكد أنه كان على حد تعبيره مثل الذى يستطلع السلطة ويختبرها خلال الفترة من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٥. ويكشف مبارك جانباً مهماً للغاية من تفكيره، حين يتهم المصريين بأن كل منهم له رأى خاص مختلف عن الآخر، ويقول: إنه لو كان قد وقف ليستمع لكل رأى لكان أصيب بالمرض النفسى، وإنه وجد أن أفضل الطرق هى الابتعاد عن سماع الآراء، والعمل برأيه هو حتى لا يصبح للمركب أكثر من رئيس كما قال، ومع أنه هاجم الصحافة بوضوح فى عدة مواقع من المذكرات إلا أنه يتمنى أن ينهى حياته فى هو يكتب مثلما لم يكتب فى حياته ويقرأ مثلما لم يقرأ لعدم وجود الوقت للناسب كما يقول وليس لكرهيته للكتابة والقراءة كما اشيع دائماً عنه.

وهنا يكشف مبارك موضوعا مهما حين يقول : خفت طيلة عمري من تأثير شخصية سامى شرف على الرئاسة في عهد السادات وعبد الناصر وإذا بى أصاب بنفس المرض في زكريا عزمى الذى فاق سامى شرف في كل شيء فلم تصل لى الكثير من الحقائق ، ولم يمكننى الوقت من المتابعة بنفسى ، ويطلب مبارك من الرئيس القادم لمصر أن يتبته جيدا للأخطاء التى وقع فيها كل رؤساء مصر وألا يدع تراكم العمل يبعده عن الأحداث الحقيقية ، وأكد مبارك في تلك النقطة أن الرئيس المصرى القادم سينصفه في أحد الأيام عندما يجرب العمل رئيسا لمصر على حد تقديره .

وربما لم يذكر مبارك أحدا بخير من نظامه سوى الدكتور أسامة الباز مستشاره السياسى الذى عمل معه منذ بداية حكمه ، وكان مؤيدا لتمديد قانون الطوارئ ، وكان من بين الذين أيدوا المادة الشهيرة فى الدستور ٧٦ التى طلب مبارك تعديلها خصيصا لتناسب مشروع التوريث لنجله جمال مبارك ، وقال عنه مبارك : إنه كان رجلا عاقلا ، وأنه فقد حكمته وتوجيهاته له عندما اعتزل الحياة السياسية لأسباب شخصية لديه !

ويرك مبارك الحديث عن نفسه وعن وزرائه ليذهب إلى منطقة أخرى ليتحدث عن مقتل الفنانة المصرية سعاد حسنى التى لقت حتفها يوم الخميس الموافق ٢١ يونيو عام ٢٠١١ في لندن ، ويؤكد مبارك أنها قتلت بالقطع وهو ينفى أى علاقة له بمقتلها ويشير بوضوح إلى أن مشكلة سعاد كانت مع أوهاى صفوت الشريف وزير الإعلام وقتها من أنها تحاول نشر مذكراتها التى سوف تفسر -علاقات شاذة لشخصيات كبيرة عاصرتها سعاد في مصر، وأنها كانت تريد الانتقام من تلك الشخصيات التى أضرت بها هى شابة صغيرة نافيا تماما أى علاقة له بها.

ويكشف مبارك أنه شك في صفوت الشريف وأنه حقق معه لأيام دون أن يكشف أحد خضوع صفوت للتحقيق على خلفية مصرع سعاد حسنى، وقال مبارك: إنه حزن مثل كل المصريين لوفاتها وأن المعلومات لديه أن سعاد كانت لا تعرف القراءة والكتابة بشكل جيد حتى تكتب مذكراتها غير أنه عرف طبقا لمعلوماته أن صحفيا كويتيا لم يكتب مبارك اسمه هو من كان يكتب لها في جلسات خاصة بينه وبينها في لندن وأن ذلك الصحفى حصل لسعاد على تمويل كبير طبقا لمعلومات مبارك على بيع المذكرات بشكل حصري وأن تحصل على ٣٠٪ فقط من الأرباح ، وأن سعاد عاشت الشهور الأخيرة من

* الدكتور أسامة الباز أكد كثيرا أنه لم يكن مع مشروع التوريث على الإطلاق...!

عمرها على مساعدة ذلك الصحفي الكويتي الذي يرجح مبارك أن المذكرات المزعومة من المفترض أنها لديه ويكشف مبارك أنه أمر بالتحقيق في مقتل سعاد بصفتها مواطنة مصرية وأن تحقيقات جرت في هدوء على مدى أكثر من ستة أشهر عقب الوفاة، لكنهم توصلوا إلى أن هناك علاقات غير سوية بين صديقتها التي كانت تعيش سعاد معها وهي نادبة يسرى برجال غرباء بعضهم له سجلات إجرامية، وأن سعاد كانت لا تجد مكانا آخر تعيش فيه نظرا لعدم توافر الأموال لديها فكانت تهرب عندما يكون هناك ضيوف لا تريد سعاد رؤيتهم، لأنها كانت تحب الوحدة من البقاء في المستشفيات المدعومة من الدولة في بريطانيا، وأن سعاد تعرضت لعميلة قتل جنائية وليست سياسية على حد معلومات مبارك الذي أكد أنهم لم يجدوا على صفوت الشريف دليلا. واحداً يمكن الأخذ به، مؤكدا أنه كان سيكون اول من يأمر بمحاكمة الشريف لو ثبت تورطه، وقال مبارك: إن عملية قتل في دولة أجنبية قرار غير سهل، ولا يقدر عليه مواطن عادي ولو كان في منصب صفوت الشريف.

وفي تأكيد جديد أكد مبارك أن الأفلام القديمة الخاصة بسعاد حسنى التي تعود لقصة عملها مع صفوت الشريف قام هو بنفسه بحرقها، وأكد عن عدم وجود نسخ أخرى منها غير إنه لم يكشف عن كيفية حصوله على تلك الأفلام أو حتى تاريخ قيامه بذلك، وهل كان ملازما لعملية قتلها في لندن أم قبل موتها. ويكشف مبارك أن السبب الرئيسى وراء عدم التوصل للجاني في قضية سعاد حسنى أن صديقتها كانت على علم كامل بما حدث لسعاد وأنها ساعدت الجاني في طمس معالم الجريمة وتقدمت بشهادة مغلوطة فضلت العدالة هناك، وأنها نظرا لعدم تواجدها بمكان الحادث ولعدم وجود شهود على أى خلاف بينها وبين الضحية تم استبعادها من الاتهام، وقيدت القضية ضد لص مجهول لأن أغراض سعاد وحقائبها سرقت عقب الحادثة، وهو ما دفع سكوتلانديارد تقييد الحادث كأنه مقاومة سرقة.



وداعاً أسامة الباز



أربعة مراحل اجتازها الدكتور أسامة الباز، السياسى والدبلوماسى المصرى المخضرم، فى رحلته، أولاها جفوة حصلت بينه وبين مؤسسة الرئاسة عام ٢٠٠٥ أدت الى تجميد نشاطه، وإبقائه مجرد صورة رمزية، لم تتوقف السيارة الحكومية بسائقها عن الحضور إلى بيته، لكن دون عمل ولا صلاحية .

ثانى هذه المراحل انهيار نظام الرئيس مبارك الذى كان لفترة طويلة ركنا من أركانه وجانبا إيجابيا من جوانبه، يدفع باتجاه العقلانية والمؤسساتية والنزاهة وروح المسؤولية .
وثالث هذه المراحل تفاقم مرض الزهايمر الذى بدأ معه خفيفا، ثم وصل إلى مرحلة متقدمة، إلى حد أن صديقا كان يسعى لكتابة مذكراته، وصل مرحلة اليأس قائلا: إنه لم يعد يأمل فى الحصول على أى كلام له معنى من الرجل .

ثم جاءت المرحلة الأخيرة هى الإعلان عن وفاته، التى لاقت اهتماما من الصحافة العربية والدولية، واعترافا بقيمته، ومكانته السابقة فى عالم السياسة المصرية، خلال العقود الخمسة الأخيرة، فقد ظهر نشاطه واضحا، منذ العهد «الناصرى» حيث قاد فى ذلك الوقت الحراك الطلابى العربى فى أمريكا، قبل أن يلتحق بالحراك السياسى فى مصر، ومع السادات بدأ يبرز نجمه ويصبح جزءا من المسيرة السلمية التى قادها السادات مع إسرائيل، وكان قريبا من الرئيس مبارك عندما كان نائبا مستشارا سياسيا له، ثم وأصل معه المشوار عندما صار رئيسا، وكانت له لمساته الايجابية على مسار السياسة الخارجية، وظل يحمل عنوان الوكيل الأول لوزارة الخارجية، وهو يعمل فى القصر، ومبعوثا خاصا للرئيس، وعضوا فى المفاوضات مع إسرائيل لاستكمال استرجاع سيناء، وشريكا فى حمل ملفات المصالحة المصرية العربية، وملف القضية الفلسطينية، كما كان له

الفضل في تطبيع العلاقات بين بلاده وليبيا وكان مسؤولاً على الملف الليبي في الخارجية المصرية لعدة سنوات .

كان أحد أكثر السياسيين القياديين المصريين ثقافة ، بل يمكن القول: إنه تعامل مع المنصب السياسي لا باعتباره سياسياً ، ولا قيادياً ، وإنما باعتباره مثقفاً ، ويشهد كل من عرف الرجل أنه اتخذ سلوكاً تجاه المنصب ، مفارقاً ومخالفاً لكل ما كان سائداً ، إذ لم يكن يكبر المنصب ، أو يعطيه الأهمية والاعتبار والقيمة التي يعطيها له الآخرون ، فقد كان يثق بنفسه وقيمته ، ولا يتشدق قيمة ثانياً من منصبه ، ولهذا فلم تكن لمظاهر الأبهة اعتباراً في حياته ، وكثيراً ما رأيت شخصياً يقود سيارة شديدة التواضع ، ضئيلة الحجم ، يطوف بها المدينة ، وإذا اختار الذهاب مع السائق الحكومي « فلا تابعين » ولا مرافقين ، ولا فانجي أبواب ، ولا حاملي شنطة ، بل يجلس بجوار السائق حتى يصل مكانه ، وربطته علاقات متميزة مع صفوة أهل الفكر ، أذكر من هؤلاء المفكرين أستاذه الذي ظل قريباً منه ووفياً له إلى آخر العمر الدكتور لويس عوض ، كما كنت شاهداً على عمق الصداقة الفكرية والسياسة والانتهاية التي ربطته بالمفكر والمبدع الراحل لطفى الخولي ، وكنت ألتقي به أحياناً فأجد عنده درجة من الود والألفة ورفع الكلفة ، يصعب وجودها عند أهل المناصب السياسية القيادية ، كان مفكراً سياسياً بامتياز ، وكانت متعة فائقة أن تسمعه يحلل الأوضاع الدولية ومتغيراتها ، وكان موعد لقائه السنوي في معرض الكتاب وجبة دسمة تغذي العقل والوجدان لكل من كان مثلي متابعا لها .

رحم الله المفكر السياسي ورجل النزاهة والأمانة في دهاليز الدولة المصرية ، الراحل الكريم استاذنا أسامة الباز .



أسامة الباز

قاتل الله الزهايمر ومكن علماء الطب من محاربة أثاره، الذى حرم المصريين من معرفةكم ضخم من الأسرار والحقائق والحكايات، كان يَحْتَرِنها في ذاكرته د. أسامة الباز، أحد المشاركين الكبار في مطبخ السياسة المصرية، والضالعين في صنع خطوطها الأساسية وتفاصيلها المهمة على امتداد أربعة عقود، من نهاية حكم عبدالناصر إلى نهاية حكم مبارك، حفلت بأحداث وتطورات متسارعة، ساهم في تشكيلها وعرف دقائقها عن قرب، لكنه كان يؤجل كتابة مذكراته لانشغاله الشديد بحاضر بلاده.

كان رجل دولة من طراز نادر وسياسيًا قديرًا، وكان أقرب المستشارين إلى أذن الرئيس خاصة خلال عهدى السادات ومبارك، وأكثرهم قدرة على التأثير، وبرغم نفوذه الضخم لم يقم يوما بالمظهر أو الجاه أو المال أو السلطة، يفضل دائما أن يتخفى في ثوب مثقف مصرى مهموم بقضايا وطنه، وكان مثل النحلة الدؤوب ينتقل بين مجموعات عديدة من الأدباء والمثقفين ورجال السياسة والقانون وأساتذة الجامعات وعلماء الاقتصاد وتجمعات الفنانين على اختلاف اهتماماتهم، وأينما تفتش في أرجاء مصر فسوف ترى أثار أسامة الباز في إنجازات عديدة، أسهم من وراء ستار في خروجها إلى خير الوجود، ابتداء من مبنى المحكمة الدستورية العليا إلى مكتبة الإسكندرية.

ولولا جهود أسامة الباز الذى وقف إلى جوار الرئيس مبارك في مؤتمر كامب دافيد إلى آخر لحظة وأدرك الرئيس الأمريكى كارتير لفضائل استشارية في كل كبيرة وصغيرة لما تمكنت مباحثات كامب دافيد من تحقيق أهدافها، وطوال حياته بالحركة والنشاط والتواصل مع دوائر عديدة من النخبة المصرية، كان همزة الوصل بين المثقفين والحكم والباب الأمين إلى الرئاسة، لا يتدخل لمصلحة خاصة ويعزف عن أن يكون طرفًا في أى من قضايا المال والتجارة، وعلى مستوى السياسات الخارجية كان مستشارًا أمينًا للرئيس لعب دورًا مهمًا في مساندة مصر لعملية تحرير الكويت، ومفاوضًا شرسًا يتقن سياسة العالم في ذكائه وقدرته على التأثير.

وكان فيه قدرا من «بوهومية» المثقفين، كثيرا ما يضيق ذرعا بقيود السلطة ويفر منها هربا من التزاماتها ليغلق على نفسه في عملية تأمل ومراجعة تطول أياما وشهورا، وفي العامين الأخيرين من حكم مبارك انكمش دوره وفترت همته، وكان ظهوره نادرا وقليلًا إلى أن شاهده كل المصريين في ميدان التحرير خلال أحداث ٢٥ يناير يشد على أيدي شباب الثورة.



أسامة الباز*

منذ سنوات وقبل أن يحاصره المرض غاب أسامة الباز عن الساحة السياسية في ظروف لا يعرفها أحد ثم اختفى تمامًا من الساحة الاجتماعية والإنسانية، وهو الذى ظل دائما رمزًا حاضرًا على المستوى الثقافى والفكرى.

كان الاختفاء الأطول والأصعب أمام محنة المرض التى انتهت برحيله إلى رحاب خالقه.. كان أسامة الباز من المناطق المضيئة فى سلطة القرار المصرى منذ بدأ شابًا فى عهد الزعيم الراحل جمال عبدالناصر وفى رفقة كاتبنا الكبير الأستاذ هيكل حين تولى مسؤولية وزارة الإعلام وصعد نجم أسامة الباز فى رحلة الرئيس السادات مع حرب أكتوبر ثم مفاوضات السلام ما بين أمريكا وإسرائيل.

وفى كل مراحل حياته كان دبلوماسيًا ماهرًا ومصريًا صادق الوطنية والانتماء.. ومرت رحلة أسامة الباز مع الرئيس الأسبق حسنى مبارك فى منعطفات كثيرة اقتربا فيها كثيرا وابتعدا فى نهاية المطاف بصورة فتحت أبوابا كثيرة للدهشة والتساؤل.. فى تقديرى أن انسحاب الباز كان خسارة كبيرة لسلطة القرار فى مصر خاصة مؤسسة الرئاسة فقد كان من جوانبها المضيئة على المستوى الفكرى والإنسانى والسياسى.

كان أسامة الباز قريبا جدا من المثقفين المصريين وكان حلقة تواصل أمينة بين السلطة والنخبة المصرية سنوات عديدة وعلى المستوى الإنسانى كان أسامة الباز شخصا محبوبًا وإنسانًا مجاملًا تراه فى كل المناسبات الاجتماعية والثقافية أما دوره السياسى فلاشك أنه واحد من أعمدة الدبلوماسية المصرية وسوف يأخذ مكانا مرموقا وسط هذه الكوكبة من رجال السياسة فى مصر.

وقد عرفت أسامة الباز سنوات طويلة ودارت بيننا محاورات كثيرة كان إنسانا مثقفا من طراز رفيع يمكن أن تختلف معه إلى أبعد مدى وتشعر أنك تتحاور مع عقل كبير وفكر عميق.. عاش متواضعا فى حياته يركب المترو ويستخدم سيارة عتيقة وينام فى مكتبه بوزارة الخارجية فى مبناها القديم إذا اضطرت الظروف.. كان مخلصا فى أداء كل الأدوار

التي التزم بها امام سلطة القرار دون أن يفرط في ثوابت أو كرامة.. وحين اختفى أسامة الباز من الساحة المصرية هبت عواصف كثيرة ومازال مكانه شاغراً.. في رحمة الله مشواه.. وفي قلوب محبيه سيبقى له مكان ومكانة.*



راهب الدبلوماسية.

في وقت من الأوقات كان أسامة الباز أشهر دبلوماسي في مصر، إلا أن شهرته الفاتحة لم تنتقص جزءاً ولو قليلاً من بساطته وتواضعه وشعبيته. فكان يتنقل جالساً بجوار السائق بلا حراسة وكثيراً ما كان يستقل التاكسيات أو يسير على قدميه، وفي اجتماعات الرئيس كان يتحرك حاملاً مظروفاً كبيراً يضم عدة أوراق بيضاء لكتابة ما يحتاجه الموقف، بخط متميز من أجل الخطوط العربية وأوضحها. كان أسامة ظاهرة لمعت في كل مكان شغله بدأت فور عودته من دراسة الدكتوراه في جامعة هارفارد الشهيرة، وأرسلته وزارة الخارجية إلى الأستاذ سامي شرف سكرتير الرئيس عبدالناصر للمعلومات للعمل في مكتبه. وعندما تولى الأستاذ هيكل وزارة الإعلام في أبريل ١٩٧٠ أرسله إليه سامي شرف للعمل معه في وزارة الإعلام ثم في وزارة الخارجية التي انتدب هيكل لها خلال سفر وزيرها محمود رياض. ورغم حلم كل دبلوماسي بمنصب السفير في إحدى الدول فإن أسامة الباز استبعد هذا الحلم ووهب نفسه للعمل في مصر لا يسافر إلا مع الرئيس أو في مهمة خاصة. وزاد على ذلك تخصصه في القضية الفلسطينية التي أصبح أهم خبرائها، مما جعله يكتب الشق القانوني في أهم خطاب ألقاه أنور السادات أمام الكنيست الإسرائيلي. وعندما اشتد الخلاف في كامب ديفيد بين الرئيس السادات ومناحم بيجين بحضور الرئيس الأمريكي كارتر وبدنا فشل المحادثات، طلب الرئيس كارتر الجلوس مع واحد فقط من الوفدين المصري والإسرائيلي لوضع خطوط الاتفاق. ومن بين أعضاء الوفد المصري، اختار السادات أسامة الباز لهذه المهمة التي انتهت بتوقيع اتفاق كامب ديفيد في مثل هذا اليوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ من ٣٥ سنة.

ومن السادات إلى حسنى مبارك الذى صحبه أسامة في رحلة صعوده، كتب له فيها مئات الخطابات والمذكرات والتقارير والدراسات والمشاورات، لكن تصریحاً قاله الباز بأن مبارك لن يرشح نفسه في انتخابات ٢٠٠٥ وأنه لا يفكر في توريث الحكم لابنه، كتب بداية النهاية، فأخذ يتباعد. وفي آخر سنوات تمكن مرض النسيان من صاحب العقلية النادرة وقوة الذاكرة. ورحل راهب الدبلوماسية مخلفاً قيمه العظيمة ومحبة الملايين...

الباز وهيكل وذاكرة مصر

حديثان منفصلان خلال شهر ذوا تأثير مباشر على ذاكرة مصر: وفاة أسامة الباز مدير مكتب رئيس الجمهورية أيام السادات ومبارك والصندوق الأسود لإحدى أهم أحداث السياسة المصرية التي مازالت مثار نقاش وجدال. أما الحدث الثاني فهو إحراق فيللا برقاش ملك الأستاذ محمد حسنين هيكل والتي تحتوى على آلاف المخطوطات والوثائق. ذكرنى هذا الحدث الأخير بالمقولة المعروفة: "في مكان تحرق فيه الكتب، يجرق فيه أيضا الإنسان". ولعلنا نحتاط في المستقبل لتدارك مثل هذه الأحداث الجسام، فيكتب العارفون بالأمور مذكراتهم حتى لا يختفى التوثيق باختفائهم، فالموت علينا حق، ويتم استنساخ الوثائق وحفظها في أكثر من مكان خاصة أن التكنولوجيا الحديثة تسمح لنا بذلك. فالحفاظ على ذاكرة مصر هي مهمة قومية.

على المستوى الشخصي- لا أعرف الباز وهيكل كما يعرفها الكثير من الزملاء. كانت مقابلاتي الشخصية معها قليلة للغاية، وقد يعطينى هذا الفرصة لأن أكتب عنها بتجرد سمعت عن الباز قبل أن أقابله، ثم قابلته أربع مرات. ثلاث في القاهرة ومرة في مدينة بوسطن - أو بالتحديد كامبردج أثناء مروره على جامعة هارفارد، وكنت أستاذًا زائرًا بها لمدة عام. كان الباز كما قال الأصدقاء حاد الذكاء، سريع التعليق، والسؤال مهتمًا بالقراءة والنواحي العلمية، كزميله المرحوم تحسين بشير عرفت فيه السياسى المثقف. تأكد هذا عندما التقيته في عشاء محدود نظمته الوزيرة فائزة أبو النجا على شرف أكبر أساتذة القانون الدولى فى الخارج وصديق الباز، أستاذى البروفيسير جورج أبى صعب. رغم سيطرة العنصر السياسى فيه، إلا أنه يشعر بالسعادة والانسجام مع ذوى العلم والبحث، وقد يفسر هذا تميزه فى عمله فى الخارجية وأدائه السياسى، يقال: إنه عندما اختار السادات "مبارك" ليكون نائباً له فى ١٩٧٥، طلب من الباز تدريبه على طلائسم السياسة على أساس أنه "ضابط" لاتعدى خبرته القوات الجوية والناحية العسكرية.

فى أثناء قراءة لوثائق كامب ديفيد، كان اسم الباز يتردد كثيراً، كسائر مشاركى الوفد المصرى إعداداً وجرأة هناك إجماع على هذا التمييز فى مذكرات كارتر، فانسى وزير

خارجيته، بيرجينسكى مستشاره للأمن القومي، وليم كوانت مهندس كامب ديفيد، ومؤلف أفضل توثيق من هذه المحادثات، رأيت الإجماع أيضا على مكانة الباز في مذكرات المشاركين الاسرائيليين: من موسى دايان الذى كان وزيرا للخارجية آنذاك إلى حاييم وانر مايد، حيث المصادفة في أحد مقاهى المعادى على النيل، وانتهت هذه الفرصة لأعيد إصرارى أكثر من اللازم ليكتب مذكراته قبل فوات الأوان، فقد بدا عليه الوهن وضعف الذاكرة، ولتجنب السياسة الداخلية ومآزقها، ويركز على المعاهدة المصرية - الاسرائيلية وملاساتها، خاصة أنه خلافا للوزيرين محمد إبراهيم كامل، وبطرس غالى فهو أكثر دراية بالعقلية السياسية الإسرائيلية، وكذلك المنظمات الفلسطينية، بدءا من ياسر عرفات، ألححت عليه مرة أخرى أكثر من اللازم حتى يكون هناك توازن مع ما دونه كتابات المشاركين الإسرائيليين والأمريكيين، ثم بعد ذلك عندما كنت متوجها للقاءه في إحدى زيارته المتعددة للقاهرة، رجوته أن يذكر الباز بكتابة مذكراته ولكن كوانت أفهمنى بعد ذلك أن الوقت متأخر، فالذاكرة نفسها قد ضعفت شعرت إذن بأن من ذاكرة مصر نفسها قد ضعفت.

لقاءتى مع هيكمل - أمد الله في عمره - أقل حتى من لقاءتى مع الباز فبالرغم من صداقتى الوثيقة بشقيقه المرحوم فوزى هيكمل - أستاذ الاقتصاد فى واشنطن - تتلخص اللقاءات فى اثنين وثالث لم يتم، أحد هذه اللقاءات كان فى أحد النشاطات الجماعية لمركز دراسات الوحدة العربية، ولم يكن هناك إلا تبادل التحية وحديث مختصر، أما اللقاء الثانى فكان منذ أكثر من ثلاثين عاما وساعدنى عليه الصديق جميل مطر، وكانت المناسبة دعوة "الأستاذ" كما يسميه الجميع - لإلقاء الخطاب الافتتاحى فى المؤتمر السنوى للخريجي الجامعات العرب - الأمريكيين كنت أحد المسؤولين عن تنظيم هذا المؤتمر ولكن الاقتراح جاء من المرحوم إدوارد سعيد، وتم تفويضى بالقيام بالدعوة، وافق الأستاذ على تلبية الدعوة والحضور إلى نيويورك ولكن مع تلبية الدعوة واجهتنا مشكلة مالية - فنحن كمنظمة أكاديمية ترفض أموال الدول لكى لا يكون هناك تأثير للسياسات العربية المتضاربة علينا، وبالتالي تعتمد مواردنا على رسوم العضوية المحدودة، كان أقصى ما نستطيع تقديمه للأستاذ هو تذكرة الطائرة من الدرجة السياحية، ولكن أليس هذا إهانة

وهو يسافر عادة في درجة رجال الأعمال أو الدرجة الأولى؟ حاولت أن أقرب من هذا الموضوع بمتهى اللباقة، وأدرك "الأستاذ" حيرتنا وأخبرنا بأن سفره سيكون من موارده الخاصة - شعرنا كلنا بالراحة والامتنان. وقررنا أن تكون استضافته في فندق يليق به سيغير أيضا عن امتناننا بسبب لفته الجميلة. وفي النهاية لم يحضر. "الأستاذ" لأنه قبل مؤتمرا بأيام اغتيلت رئيسة وزراء الهند السابقة، أنديرا غاندى وشعر الأستاذ لأسباب شخصية أو احساسى الصحفى أن أولويته أن يذهب إلى الهند دلاً من أمريكا. لم أكن اذن من المحظوظين الذين سنحت لهم الفرصة بزيارة فيلا برقاش. التى يبدو أنها شبه دار وثائق قومية فحتى ونحن طلاب الستينيات فى الداخل أو الخارج، كنا نتسابق لقراءة "بصراحة" الأسبوعية، وكنا نشعر بأن ما يكتبه "الأستاذ" هو جزء قليل مما يعرفه ويحيط به. وبالرغم من أن بعضنا كطلاب فى الغربية انقلب على "الأستاذ" بعد كارثة ١٩٦٧ إلا أنه كان هناك اجماع على أهمية ما يكتب، وما يعرف وما يختزن فى أدراجه، ساورنى الحزن الشديد مما حدث لتراث برقاش فى ١٤ أغسطس ٢٠١٣ أى بعد فض اعتصامى رابعة والنهضة بساعات، الحزن ليس على مبنى حتى لو كانت له أهمية عاطفية عند صاحبه أو أصدقائه، بل على هذا التاريخ المصرى الذى احترق - بالتأكيد آلاف الوثائق والمخطوطات. وراودنى الأمل بأن الاستاذ - بتوجهه التكنولوجى قد قام بتصوير بعض هذه الوثائق والمخطوطات والاحتفاظ به فى مكان آخر لكى نحافظ على ذاكرة مصر*.



أسامة الباز.. رمز الوطنية.

رحم الله الدكتور أسامة الباز، رمز الوطنية المصرية والعربية، ومن أكثر الناس علمًا وأكثرهم تواضعًا، كان يمثل وبطريقة جميلة تواضع العلماء. ورغم أنه من الديبلوماسيين المحترفين أصحاب الفكر المتميز والمستدير إلا أنه كان يتحرك بحرية العلماء أهم ما في حياته القلم والورقة، ويسعد كثيرًا إذا قدم إليه أحد مجموعة من الأقلام تكتب كالحرير وحقيقة كانت كلمته كالحرير باللغتين العربية والإنجليزية. وقد عرفت الدكتور أسامة الباز منذ أن قمت بتغطية وزارة الخارجية في بداية عملي الصحفي ولا أنسى فضله على في الانفراد بأخبار عالمية لصحيفة الأهرام.

أتذكر أحد الأيام بعد مبادرة السلام التي أطلقها الرئيس الراحل أنور السادات، وقامت الدنيا ولم تقعد، وكنت في الخارجية في مبناها بالتحديد، وقرر الدكتور أسامة أن يخرج ليشتري بنفسه شيئًا من محيط ميدان التحرير، ورافقته لتحدث عن الحدث الكبير، وعلق بأنه لا يمكن الحكم على الحدث اليوم، ولكن علينا أن نتركه لحكم التاريخ. وبحكم عملي كمندوبة لصحيفة الأهرام في الخارجية تمتعت بعلاقات طيبة مع جيلي من موظفي الخارجية أعضاء السلكين الديبلوماسي والقنصلي ومن بينهم زوجته الأولى مها فهمي والدلة باسل ابنتهما، وربطتني بها علاقات طيبة ومن خلال هذه الصداقة تمتعت بوضعية خاصة وهي أنني كنت كلما تطلب الأمر التقى بهما في منزلها وأجرى أحاديثي للأهرام مع الدكتور أسامة، وكان أهمها الحديث الذي أجرته بعد عودته من مهمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أتذكر أن الدكتور أسامة كان يأتمنى على رسائل مهمة ما بين الخارجية وصحيفة الأهرام. ومن خلال الدكتور أسامة تعرفت بزوجه مها وشقيقه العالم المصرى العالمى الدكتور فاروق الباز، وشقيقته الدكتور صفاء، كما كنت أزوره أيضًا في منزل والدته وتعرفت عليها من خلاله. لم يغيب الدكتور أسامة الباز في الستين الماضيتين عن محبيه ومن آمنوا به وتعلموا منه فقد كان دائمًا في الفكر، ولن يغيب عنا بعد ان فارق الحياة.

عزائي لزوجة الدكتور أسامة الباز الإعلامية الكبيرة أميمة تمام والى ابنته منها والى باسل ابنه من زوجته الأولى السفيرة مها فهمي والى الدكتور فاروق الباز والى الدكتور صفاء الباز، وأقول لهم: مصر لن تنسى ولا الوطن العربى الكبير الدكتور أسامة الباز.

وداعاً أيها الصديق.

وداعاً أيها الدبلوماسي الزاهد...

جاءني خبر رحيلك عن عالمنا وأنا خارج القاهرة في رحلة استشفاء قصيرة وكنت منذ شهرين تقريباً قد التقيت بشقيقك العالم المصري الكبير الدكتور فاروق الباز ولما سألته عن أخبارك أجباني في عبارة قصيرة بأن حالتك الآن أفضل، وتبينت بعد ذلك أنه كان يعرف عن قرب قريب عمق العلاقة التي تجمعني بك أنت أيها الدبلوماسي الفذ والمثقف الشجاع والإنسان الفاضل.

وهاجتي الذكريات فتوقفت عند مواقف ولقطات تكشف كلها عن أصالتك وعن علمك وثقافتك أيها الدبلوماسي الفذ الذي لم تعرف السلطة ولا المال طريقه إلى عقلك وقلبك حتى حين كانت تحيط بك المشاكل والصعاب. أما اللقطة الأولى فكانت عندما عينت في أوائل عام ١٩٦٦ مستشاراً ثقافياً لمصر في واشنطن وكنت وقتها تدرس لنيل الدكتوراه من جامعة هارفارد، وكنت أيها الأخ العزيز مكلفاً حينذاك بتقديم تقارير تحليلية عن وضع المصريين الدارسين في الولايات المتحدة وكندا، والدور الوطني الذي يؤديه خلال تلك الفترة الدقيقة من تاريخ مصر، وفي أول لقاء جمعني بك في هارفارد فوجئت بك تقدم لي مظروفاً كبيراً فيه كل ما لديك من تقارير ومعلومات توثق نشاط المبعوثين المصريين في الولايات المتحدة وكندا قاتلاً في بساطة شديدة «إن من الطبيعي أن أتولى أنا هذه المهمة التي كان يتولاها الدكتور مصطفى طلبة الذي غادر واشنطن ليكون نائباً للوزير التعليم العالي الدكتور حسين سعيد»؛ وكان هذا المسلك من جانبك تعبيراً عن ترفع نادر عن المناصب ومواقع السلطة مارسه أيها الأخ العزيز في صدق نادر وصفاء نفس ظل ملازماً لك حتى وافتك لحظة الرحيل عن عالمنا.

أما المناسبة الثانية فكانت خلال فترة تولى الدكتور مراد غالب منصب وزير الدولة للشئون الخارجية إذ تلقيت الدكتور غالب أنك اشتركت مع بعض كبار الدبلوماسيين المصريين في ندوة عن بعض السياسات الخارجية لمصر وكان ممن شاركوا في تلك الندوة السفير حينذاك إسحاق فهمي والسفير تحسين بشير وكنت أنت ثالثهم في هذه الندوة، فغضب د. مراد غالب غضباً شديداً وأصدر قراراً

ينطوى على شىء من اللوم للسفراء الثلاثة فاتصلت بعد تردد بالدكتور مراد غالب استأذنه في الموافقة على سفرك للمشاركة في مؤتمر دولي مهم شرخاً ودفاعاً عن موقف مصر، فإذا بالدكتور غالب يوافق على الفور معلناً أنه وافق لأننا سنكسب كثيراً من مشاركة أسامة الباز وأن ذلك يرجح على أى اعتبار وظيفي آخر.

أما المناسبة الثالثة فكانت خلال زيارة لى إلى بوسطن وكان عمري حينذاك قريباً من عمر كثير من المبعوثين المصريين فقد دعوت كلا من إسماعيل سراج الدين وفوزى هيكل (شقيق الأستاذ محمد حسنين هيكل) وأسامة الباز لتغدى سوياً، وإذا بعاملة المطعم تشير إلى أسامة قائلة أنا أعرف ما يطلبه أسامة كل يوم، كوب من اللبن وحلقات من البصل، هكذا عاش أسامة فترة غير قصيرة ينفق على دراسته مقيماً في شقة صغيرة متواضعة يشاركه فيها شاب أمريكي يدرس هو الآخر في جامعة هارفارد، مترفعاً عن أن يطلب لنفسه شيئاً ربما لا يكون له حق فيه.

أما المناسبة الرابعة فكانت في لقاء جرى في أعقاب نكسة ١٩٦٧ وجمعتنا أسامة وأنا - مع السفير تحسين بشير والبروفيسور روجر فيشر الذي مضى يعطينا علداً من النصائح أذكر منها ضرورة إصرارنا على أن تكون اجتماعاتنا مع هنري كيسنجر تتم في اجتماعات مفتوحة يغطيها الإعلام إذ إن كيسنجر سياسى بالغ المكر والدهاء، وخلال اللقاء كان أسامة يمسك أوراقه وقلمه وأذكر أنه بخطه العربى والإنجليزى الجميل حول التحليل الذى قدمه أستاذه إلى رسم يائى واضح، وحين تعودبى الذاكرة إلى هنا اللقاء في أحد مطاعم نيويورك أجدها لحظة رائعة جمع أطرافها وفي مقدمتهم أسامة الباز تدرج الوطنى المخلص وخبرة العالم الموسوعى الثقافة وزهد من لا يغره بريق سلطة أو بريق مال.

كم أتمنى أن يفتح أبناء الجيل الجديد من شبابنا عقولهم وقلوبهم كلها ليروا في هذه اللقطات صورة مشرقة لكفاح وطنى ارتفع أصحابه فوق كل طموح
رحم الله أسامة الباز وجعل ذكره نوراً يضىء حياة الجيل الجديد من شباب مصر الذى سوف يجلس عما قريب مجلس المسؤولية عن مصر وشعبها في لحظات فارقة من تاريخنا الوطنى الطويل.*



أسامة الباز.

يوم توديع صديق العمر أسامة الباز، كنت أسير جوار الصديق د. فاروق الباز وكانت الصور والذكريات تنساب في ذهني، صورة هذا الإنسان الفريد الذي كان ينأى عن الأضواء، ولكنه كان الرجل ذا التأثير الأكبر في صنع الأحداث لسنوات طويلة، وطوال عشرين عاما على الأقل ما بين أواخر حقبة السادات ومتصف حقبة مبارك كان هو صانع الملوك The King Maker، كان له دوره في أغلب التعيينات التي جرت بها في ذلك رؤساء وزارات ووزراء بمن فيهم وزراء خارجية وسفراء.

جمعني مع هذا الرجل الفريد صداقة عمر تحطت أو اصر الزمالة في هذه المؤسسة العتيقة، مؤسسة الخارجية، فلقد كنا زملاء دراسة في الابتدائية والثانوية في مدرسة دمياط في الأربعينيات وعندما اجتمعنا على مكثين متجاورين في الخارجية في أول الستينيات، وكنت عائدا لتوى من أمريكا حيث عملت في بعثتنا في الأمم المتحدة بنيويورك حدثه عن هذه البلاد وألححت عليه أن يأخذ هذه المنحة التي جاءت إليه ليدرس القانون في جامعة هارفرد، والتي كان مترددا في أخذها، وذهب إلى أمريكا وأخذته للدراسة والسياسة تقريبا طوال عقد الستينيات ولأن السياسة لا تفارقه نتخب رئيسا لجمعية الطلبة العرب في أمريكا، وعندما عاد ما لبث أن لمع نجمه عندما التحق بمكتب وزير الخارجية آنذاك إساعيل فهمي، الذي عين وزيراً للخارجية في نوفمبر ٧٣ واستقال احتجاجا على زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧.

كان أسامة هو الذي ملأ الفراغ الذي نشأ آنذاك في مؤسسة الخارجية، ثم اختاره الرئيس السادات ليكون ذراع اليمنى في عملية التفاوض التي بدأها بعد زيارته للقدس، وكان أسامة أحد الذين كتبوا خطابه المهم في الكنيست وأخذ نجم أسامة يصعد ولكنه ظل دائما ينأى عن الأضواء، رغم تأثيره الكبير فيما يجري.

وعندما أُغتيل السادات في أكتوبر ١٩٨١ وظهر فراغ في السلطة وكانت البلاد في حالة اضطراب وقلق بسبب اعتقال الرئيس السادات لهذه الأعداد الكبيرة من الساسة والنخبة وظهور حركات

إرهابية في الصعيد تضرب في المؤسسات الأمنية بقصد الاستيلاء على الحكم، وكان هناك فراغ في السلطة، كان أسامة هورجل الأزمة بوجوده إلى جوار نائب الرئيس آنذاك محمد حسنى مبارك ولعب دورا مهما في هندسة وإيقاع الخطوات التي اتخذت حتى تمت تولية نائب الرئيس رئيسا للبلاد في ايقاع دستورى سليم.

وطوال العشرة أعوام الأولى من حكم مبارك (١٩٨٢-١٩٩٢) كان أسامة هو أكثر الناس تأثيرا في إدارة دفة البلاد وخاصة في السياسة الخارجية، ولكن هذا الدور أخذ في الأفول في الأعوام العشرة الأخيرة من حكم مبارك التي ظهر فيها مشروع التوريث، حتى تلاشى تأثيره تدريجيا ودون ضجيج وإن لم يصلر قرار رسمي بإلغاء أى من امتيازاته كوكيل أول بوزارة الخارجية.

من بين الصور التي تواتت على ذهنى ونحن نشيع أسامة إلى ملوئه الأخير كانت صورته ونحن فى كامب ديفيد، كنا فى مجموعة العمل التي صاحبت محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية، أسامة ونيل العربى وأحمد ماهر وكاتب هذه السطور، وكان أصغر المجموعة هو أحمد أبو الغيط، إلا أن أسامة كان هو الذى يعمل بشكل مباشر مع الرئيس السادات.

وفى الكوخ أو الكابينة التي كانت تضمنا كنت وأسامة نقيم فى غرفة واحدة، بينما يقيم فى الغرفة الأخرى د. نيل العربى وأحمد ماهر (وزير الخارجية فيما بعد)، وكان الرئيس كارتر هو الذى يدير بشكل فعلى عملية التفاوض، وكان يعرف أن أكثر أعضاء الوفد المصرى تأثيرا هو أسامة ويقابله فى الوفد الإسرائيلى المستشار القانونى أهارون باراك، كان كارتر كثيرا ما يتصل بشكل مباشر بكلتا الرجلين ويطلب منهما أن يحضرا المناقشة كل على حدة لمحاولة إيجاد حل لما يطرأ من مشكلات فى المفاوضات وكان أسامة يذهب ويعود بعد أن يمر على الرئيس السادات فى كايته ليلغى بها حدث ثم يعود ويجلس على سريره، ويسجل ما جرى من مناقشات بينه وبين الرئيس كارتر.

لا أعرف أين ذهبت هذه المذكرات أو الوثائق إذ لا يوجد نظام أو تنظيم للوثائق التاريخية، وهانحن قدرأينا كيف ذهبت آلاف الوثائق واحترقت مع ما احترق فى بيت الكاتب الكبير الأستاذ هيكىل فى بيته فى براقاش وكنت واثقا من أن أسامة لن يجلس يوما ليكتب مذكرات يدفع بها للنشر.

بعد أن عدنا من كامب ديفيد والخارجية تستعد للتفاوض لعقد معاهدة السلام، كنا جميعا نعيش فترة قلقه وكنت آنذاك قد نقلت سفيراً فى باكستان وكانت تصلنى منه خطابات كل أسبوعين أو ثلاثة، وكان يصرحنى فيها بما يختلج فى نفسه من مخاوف وقلق خاصة عندما رأى أن الرئيس كارتر بسبب أزمة الرهائن وانعكاساتها اللاخلية أصبح ضعيفا ولم يعد قادرا على أخذ مواقف قوية إزاء

تعنت الإسرائيليين وخاصة ييجين في المفاوضات وقد استمرت هذا الفترة حتى رحيل كارتر في يناير ١٩٨١ ثم اغتيال السادات في أكتوبر من نفس العام.

طوال هذه السنين التي كان أسامة فيها لاعبار رئيسيا ومستشارا نافذا ظل دائما هو ذلك الرجل البسيط المولع بالبساطة في كل شيء، كنت أزوره في مكتبه عندما أحضر للقاهرة من الخارج في مهمة أو أجازة فكان يقترح على أن نمشي في الشارع ونذهب إلى محل التابعي الدمياطي* لتناول وجبة الفول والطعمية المفضلة أو نتوقف أمام محل نجف للسندوتشات.. وهكذا، وظل يركب المترو ومن المعادي إلى القاهرة حتى ترك المعادي وذهب للإقامة في القاهرة الجديدة، لم يهره المنصب أبدا ولم يهتم أبدا بما يأتي مع المنصب من مظاهر.

وفي يوم من أيام الربيع في عام ٢٠٠٩ اقترحت عليه أن نذهب إلى دمياط ورأس البر فرحب بذلك وذهبنا إلى حيث التقى بأهل دمياط في جمع كبير أقامه له محافظ دمياط آنذاك الدكتور محمد فتحى البرادعى، ثم ذهبنا إلى مدرستا القديمة وكم كان سعيدا وهو بين الطلبة الذين أقبلوا عليه والتفوا حوله.

أحتاج إلى صفحات وصفحات لأن أكتب عن هذه الشخصية الفريدة المتجردة، لم يكن هناك من دافع يحرك أسامة إلا حبه لبلده وشعبه.

رحم الله أسامة وعاشت ذكراه وسيرته في القلوب والأفئدة والعقول.

جيل يذهب وجيل ييجى، حمى الله مصر وهيا لها دائما أبناء يندودون عنها ويفعلونها بالنفس والنفس*.

* محل التابعي الدمياطي للفول والطعمية ارتبط بالدكتور أسامة الباز في دمياط والقاهرة حيث أن مؤسسه هو أحد

الدمياطة - وكان الباز يعيش في دمياط طالبا للعلم.

* الشروق - العدد ١٦٩٠ - ١٨ سبتمبر سنة ٢٠١٣ م.

الأخيرة

العدد ١٢ من أكتوبر ٢٠١٢

الموجز

بالصور.. مشاهير السياسة والبيزنس والإعلام فى عزاء أسامة الباز

رجل من قصر الرئاسة يسير على أقدامه فى الشارع، يستقل مترو الأنفاق، يستوقف تاكسي، ويتحاور مع السائق بمتهى البساطة لدرجة ان السائق ربما لا يتعرف عليه رغم أنه المستشار السياسى لرئيس الجمهورية، إنه الدكتور أسامة الباز عميد الدبلوماسية المصرية ، فى صمت مهيب عاش الدكتور أسامة الباز سنواته الأخيرة بعيداً عن الأضواء، وفى صمت مهيب أيضاً رحل الرجل ليتحول الداهية إلى مجرد ذكرى إلا أن الذكر بعد الموت عمر ثان.

عبقرية الباز لم تكن فقط فى بساطته وسيره فى شوارع مصر بدون أى حراسات خاصة، ولكن تأتى أيضاً لقربه الشديد من كل التوجهات السياسية وأطياف الشعب المصرى إلى جانب علاقاته الدولية غير المحدودة، وأطلقت الأوساط الدبلوماسية على الباز لقب عميد الدبلوماسية المصرية لدوره فى تدريب أجيال من أعضاء السلك الدبلوماسى المصرى.

وترأس الباز العديد من اللجان المنوطة باختيار الدبلوماسيين المصريين الشباب الذين سينضمون إلى السلك الدبلوماسى.

الباز لم يكن حريصاً على الحضور يومياً إلى مكتبه بالقصر الرئاسى حيث عمل مستشاراً سياسياً للرئيس «حسنى مبارك» لنحو ثلاثة عقود بقدر حرصه على الوجود فى مكتبه بالمعهد الدبلوماسى العتيق.

كان الباز فى الواقع مستشاراً المبارك قبل أن يصل إلى مقعد الرئاسة ، وكانت مهمته فى تلك الفترة تدريب الرئيس السابق على البروتوكول وأساليب المناقشة الدبلوماسية باللغة الإنجليزية ، وبالرغم من إتقان الباز للغة الإنجليزية ، فإنه كان مولعاً أيضاً باللغة العربية

وآدابها، وكان والده أحد الشيوخ الأزهرين بمحافظة الدقهلية بدلنا النيل التي ولد فيها عام ١٩٣١م.

وتخرج الباز في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وحصل على دكتوراه في القانون من جامعة هارفارد.

لكن الباز ابتعد عن القصر الرئاسي عام ٢٠٠٥ دون إيداء أسباب واضحة لهذه الخطوة كما لم تعلن الرئاسة شيئاً عن ذلك وقتئذ.

وكتب السياسي الراحل مقالاً مطولاً نشر في صحيفة أخبار اليوم تحت عنوان «الوصايا العشر حتى لا يندم بعد هذا أحد».

وفي هذا المقال وضع الباز الأسس التي يراها أساسية لتولى منصب الرئاسة في مصر في صيف ٢٠٠٥ قبيل التعديلات الدستورية التي أشيع أنها كانت تمهد لصعود جمال مبارك نجل الرئيس السابق إلى سدة الرئاسة.

كان من الواضح أن هناك اتجاهًا جديدًا في مؤسسة الرئاسة، وكان هذا الاتجاه يسعى لتحديد من يحلو لبعض تسميته بالحرس القديم، فبادر الباز بالابتعاد.

وشارك الدبلوماسي المخضرم في أول مفاوضات بين العرب وإسرائيل التي أفضت إلى صياغة معاهدة السلام عام ١٩٧٩م تحت إدارة الرئيس الراحل أنور السادات.

وقد كان قربه من المؤسسة الرئاسية لفترة طويلة يمكنه من اقتناص مناصب أكبر من التي تولاها، ولكنه كان يحب تقديم مشورته لصانع القرار، بالضغط كما كان مولعًا بالاستماع للنصائح حتى وإن كانت من أشخاص عاميين ليسوا من أصحاب المناصب.

وعرف عن الباز بساطته الشديدة وولعه إلقاء الطرائف. وكان يتنقل سيرًا على الأقدام بوسط العاصمة، وربما يستقل وسائل النقل العام، وهو ما دأب عليه حتى خلال اشتعال الأحداث في الشارع المصري العاميين الماضيين بحسب مقرين منه.

وكان الباز محبًا للفنون التشكيلية ويحرص كثير من كبار الفنانين على دعوته لافتتاح معارضهم.. ولم يكن الباز يجلس أبدًا في المقعد الخلفي في السيارة. كان يحرص على الجلوس إلى جوار سائقه، وجميع من احتكوا به يعلمون أنه يفعل ذلك عن تواصل حقيقي وليس تظاهرا به.

وتقدم مشيعي الباز نبيل فهمي وزبر الخارجية وعمرو موسى رئيس لجنة صياغة الدستور الجديد ونبيل العربي أمين عام جامعة الدول العربية وأحمد المسلماني المستشار الإعلامي للرئيس المؤقت عدلى منصور.

عزاء الدكتور أسامة الباز أقيم بقاعة مناسبات مسجد النهضة بمدينة نصر. وتلقى التعازى شقيقه الأصغر عالم الفضاء المصرى فاروق الباز و نجله باسل الباز .
 دمحمد فريد خميس والد زوجة نجل د.أسامة الباز.
 وفى عزاء السيدات تلقت العزاء الإعلامية بالتليفزيون المصرى أميمة تمام والطفلة مريم الباز. وفريدة محمد فريد خميس حرم باسل أساما الباز.
 وحضر العزاء عمرو موسى رئيس لجنة تعديل الدستور ود. محمد صابر عرب وزير الثقافة ود.على السمان رئيس الاتحاد العالى لحوار الثقافات والأديان واللواء عبدالسلام المحجوب ود. محمود الشريف ووزرا التنمية المحلية السابقان ومنصور الجمال وإبراهيم كامل والوزير السابق أمين أباطة وسامح فهمى وزير البترول الأسبق ونجله سمير وهانى عزيز ونجله تامر والمتج سمير خفاجى الذى شارك د فاروق الباز وباسل أسامة الباز فى حمل كرسية المتحرك والسفير محمد صبيح الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية واللواء سامح سيف اليزل ود.فينيس كامل جودة وزيرة البحث العلمى السابقة ود. دارين أبو النجا ود. منى عبد الناصر ، والفنانات لبنى عبدالعزيز وإلهام شاهين وليلى علوى والمذبة دينا فاروق ومها عثمان وجيهان الألفى ود. فرخندة حسن والإعلاميات أفكار الخراطل وعائشة عبدالغفار وهالة أبو علم وفاطمة فؤاد ووفاء الشابورى وحنان خواسك ولفيف من رجال السياسة والفن والثقافة.



الإعلامية السيدة أميمة تمام حزينة على زوجها



رجل الأعمال
هاني عزيز ونجله
تامر



حاتم الجبلي يعزى
الدكتور فاروق الباز



أمين أباطة بجوار
شقيقه محمود أباطة



إبراهيم كامل وجلال
الزوربا ومعتز الألفي

براهيم كامل - جلال الزوربا - معتز الألفي



المذيعة التلفزيونية
نجاة العسيلي
مع زميلتها
مها عثمان

القيامة - نجاة العسيلي مع زميلتها مها عثمان



د. فائزة أبو النجا
تعزى الباز بحرارة

د. فائزة أبو النجا - أسامة الباز



لطفية حسن



سامح فهمي ونجله سمير فهمي في ظهور نادر بعد البراءة



مع نجل الراحل أسامة الباز، مستقبلاً حازم البيلوي

باسل نجل الراحل
الدكتور أسامة الباز
وعمه العالم الدكتور
فاروق الباز
يستقبلان رئيس
الوزراء حازم البيلوي



زاهي حواس مع الراحل أسامة الباز

د. زاهي حواس
يعزى رجل الأعمال
محمد فريد خميس
صهر الباز



مع الفريق سامي عنان
بجوار أحمد أبو الغيط
وسفير لبنان..
خالد زيادة

الفريق سامي عنان
بجوار أحمد أبو الغيط
وسفير لبنان..
خالد زيادة

السياسيون في الوداع الأخير لأسامة الباز



نخبة من السياسيين والمثقفين شاركوا في وداع د. أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس الأسبق حسنى مبارك والذي كان يطلق عليه مايسترو السياسة الخارجية المصرية عن عمر يناهز ٨٢ عاما بعد صراع مع المرض.

حيث أقيمت صلاة الجنازة بمسجد السيدة نفيسة عقب صلاة ظهر أمس وتم دفن جثمانه بمدافن الأسرة بمدينة نصر.

وأعلنت رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية تعازيها للفقيد الراحل وشارك في تشييع الجثمان شقيق الراحل د. فاروق الباز عالم الجيولوجيا والسفير نبيل فهمى وزير الخارجية وعمرو موسى رئيس لجنة الخمسين لتعديل الدستور ومحمد فايق رئيس المجلس القومي لحقوق الإنسان وأحمد السلهماني المستشار الاعلامى لرئيس الجمهورية المؤقت ود. على الدين هلال ود. مصطفى الفقى والمهندس حسب الله الكفراوى و السفير عبد الرؤوف الريدى واللواء سيد مشعل مع عدد من الرموز السياسية والمثقفين.

الراحل ولد باحدى قرى محافظة الدقهلية عام ١٩٣١ وحصل على ليسانس الحقوق عام ٥٤ والدكتوراه فى القانون من أمريكا عام ٦٢ وبدأ حياته العملية وكيلاً للنياية ثم عين بوزارة الخارجية عام ٥٨ ثم مستشاراً سياسياً لوزير الخارجية ومستشاراً لمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ومديراً لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشئون الخارجية ومديراً للمعهد الدبلوماسى ثم مديراً لمكتب رئيس الجمهورية للشئون السياسية ووكيل أول وزارة الخارجية.

وشارك الراحل فى العديد من القضايا السياسية خلال أكثر من ٣ عقود منها مفاوضات كامب ديفيد وصياغة معاهدة السلام عام ٧٩ ثم الملف الفلسطينى - الإسرائيلى .

إنا لله وإنا إليه راجعون .
لنقل إلى رحاب الله

الدكتور أسامة الباز

المستشار السياسي للسيد رئيس الجمهورية (سابقاً)
نجل فضيلة المرحوم الشيخ السيد الباز من علماء الأزهر الشريف
والمرحومة زاهية أبوالمصطفى حمودة
وزوج الإعلامية أميمة تمام بالتأليفين المصري
ابنة للمرحوم الدكتور تمام حسان عمر والمرحومة فاطمة محمود فكر
وشقيقة الدكتور هاني تمام والدكتورة منى تمام والدكتورة سلوى تمام
والله

الأستاذ ياسر الباز رئيس مجلس الإدارة والمضرب للنادي لشركة كويون القابضة زوج السيدة فريدة خميس
ابنة رجل الأعمال الأستاذ محمد فريد خميس ونجل السفيرة مها كامل فهمي والطفلة مريم الباز

والله

الطاهر أسامة ياسر الباز

والله

اللواء متقاعد محمد الطاهر الباز زوج السيدة نادية الباز واللواء متقاعد عصام الباز زوج السيدة أميمة
العبد والدكتور طارق الباز عالم الجيولوجيا بوكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) زوج السيدة بالتريشيا الباز
والسيدة ليلى الباز حرم اللواء متقاعد أحمد الطولي والسيدة شريا الباز حرم للمهندس الاستشاري محمد
منتصر والدكتورة صفاء الباز مساعد وزير الصحة والسكان سابقاً ومدير للبرامج الإقليمية للتدريب على
الصحة الإنجابية حرم الضيفر هاني خلاف مساعد وزير الخارجية الأسبق والمهندس الدكتور حازم الباز
زوج السيدة لها السعداوي والمحاسب نبيل الباز زوج السيدة نهوى حسان

وإنهم وفاء

العلاج مصطفى عوض والمرحوم المحاسب عبد الفتاح الباز والمهندس سيد والعاج محمد والمرحوم محمد حسن
وإخوته والعميد متقاعد أحمد علي وإخوته والمرحوم لطفي أبوالمصطفى وإخوته والمرحوم أبوالمصطفى حمودة
وإخوته وزيكي أبوالمصطفى وإخوته والمرحوم جمال الباز والمرحوم الدكتور صلاح الباز والمستشار بهجت الباز زوج
السيدة سميرة الزيات وأنهارهم والمستشار حمدي النهدي والمستشار مقبل شكري وإخوته والمهندس نبيل جمال
والدكتور مهندس هشام الباز والسيدة مزة الباز والسيدة يناس الباز والمهندس سمح حنفي وإخوته

والله

السيدة إيمان الباز حرم للمهندس طارق زايد والمهندس السيد الباز زوج السيدة نهال الجندي والسيدة
نسرين الباز والسيدة نيرين الباز حرم الأستاذ همام الدهراوي والسيدة دنيا الباز حرم الأستاذ أيمن
البيهنساوي والسيدات منيرة وشريا وكريمة وهيريز طارق الباز بالولايات المتحدة والدكتور عمرو الطولي
زوج السيدة أميمة إسماويل والسيدة رندة الطولي حرم الأستاذ حسين الزهني والمهندسة مرام منتصر
حرم للمهندس خالد همام والسيدة مروة منتصر حرم المحاسب طارق سلامة والمكتر تير أول تهيم خلاف
زوج السيدة ريم زهران والسيدة شادن خلاف حرم المستشار صبيدة الدندراوي بالخارجية وعز الدين وبن
طارق وكنتزي حازم الباز والمهندسة نهيير ونيرة نبيل الباز

وإنهم وفاء

حمودة تمام والعبد والطولي ومنتصر وخلاف والسعداوي وحسان

والعزاء بمسجد النزهة مدينة نصر بجوار سينما ستارز أمام دار الدجاج الجوي

يوم الاثنين الموافق ٢٠١٢/٩/١٦

منسلكة الفاتح

الببلاوى وموسى والعربى وعنان والمسلمانى فى عزاء أسامة الباز.. وأول ظهور للمهندس سامح فهمى منذ إخلاء سبيله

فاروق الباز وباسل أسامة ووالد زوجته محمد خميس يتقبلون واجب العزاء فى الفيد

رغم توافد حشد من السياسيين ورجال الدولة على مسجد النزهة التابع للقوات المسلحة مساء أمس ، لتقديم واجب العزاء فى وفاة د. أسامة الباز المستشار السياسى لرئيس الجمهورية الأسبق، فإن حضور المهندس سامح فهمى وزير البترول الأسبق لفت انتباه الكثيرين، خاصة أنه الصدور الأول له منذ صدور حكم قضائى بإخلاء سبيله فى قضية تصدير الغاز لإسرائيل فى أبريل الماضى ، كان فى مقدمة الحضور د. حازم الببلاوى رئيس الوزراء ، وعمرو موسى رئيس لجنة الخمسين ، والفريق سامى عنان رئيس أركان القوات المسلحة السابق ، وأحمد المسلمانى ، المستشار الإعلامى لرئيس الجمهورية، وأحمد أبو الغيط وزير الخارجية الأسبق ود. فايزة أبو النجا وزير التعاون الدولى السابق ، ومنير فخرى عبد النور وزير التجارة والصناعة ، واللواء سامح سيف اليزل، الخبير الاستراتيجى، والسفيرة ميرفت التلاوى عضو لجنة الخمسين ورئيس المجلس القومى للمرأة ، وزير التضامن الاجتماعى الأسبق، وعصام شرف رئيس الوزراء الأسبق ود. نبيل العربى أمين عام جامعة الدول العربية ، ود. محمد صابر عرب وزير الثقافة ، واللواء عبد السلام المحجوب ، ود. محمود الشريف وزيرى التنمية المحلية السابقين ، ود. مصطفى الفقى ، ود. هشام مصطفى خليل ، والمتج سمير خفاجي، ود. محمد كامل عمرو ، وزير الخارجية الأسبق ، ود. مفيد شهاب وزير الدولة للشؤون القانونية الأسبق ، ود. يحيى الجمل نائب رئيس الوزراء الأسبق ، والمحلل السياسى والكاتب الصحفى عادل حمودة، والإعلامى أسامة كمال.

وتلقى التعازى فى الجانب المخصص للرجال عالم القضاء المصرى د. فاروق الباز، الشقيق الأصغر للراحل، وباسل أسامة الباز ، ود. محمد فريد خميس والد زوجة باسل. وفى الجانب المخصص للسيدات تواجدت مها الرباط وزيرة الصحة ، وفينيس كامل جودة ، وزيرة البحث العلمى السابقة ، والفنانة لبنى عبد العزيز ، وإلهام شاهين، ولى علوي.



نماذج من برقيات العزاء عن طريق النشر في صفحة
الوفيات بجريدة الأهرام المصرية تبين جم الوفاء للفقيه
العزیز الدكتور أسامة الباز، وتشارك جله باسل والأسرة
الكرمة الأحزان.

الثلاثاء ١٧ سبتمبر ٢٠١٣

الأهرام

الدكتور نبیل العربی

الأمين العام لجامعة الدول العربية
ينعى فقيد الدبلوماسية المصرية والعربية

الدكتور أسامة الباز

انعى باسمى واسم جامعة الدول العربية وبنائغ
الأسى والحزن الصديق العزیز

الدكتور أسامة الباز

الذی بقیابه تفنقدا الدبلوماسية المصرية والعربية
أحد أبرز رموزها ورجالها الكبار الذی تميز بإسهاماته
الكبرى على مدى أربعة عقود حافلة بالنشاط والعطاء
والأداء الوطنى والقومى فى عالم الفكر والسیاسة
والدبلوماسية المصرية والعربية والدولية.
وأتقدم بخالص العزاء إلى عائلة الفقيد الكبير وإلى
الشعب المصرى داعياً المولى عز وجل أن يتعمده بواسع
رحمته ويسكنه فسيح جناته

وحيد عبد الغفار
الشريك التأسيسي
يكرّم إلى وحيد عبد الغفار وشركاءه والشركاء بالمحزون وجميع أعضاء
أسرة المكتب يتعاطفون
السيد الأستاذ / ياسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لشركة الشرقيون لتهنؤوكيماويات
في وفاة والد سيادته الدكتور / أسامة الباز
لتقيد الرحمة وللأمرة خالص العزاء

مجموعة شركات إير ليكيد مصر
الدكتور / شريف اسماعيل احمد اسماعيل
رئيس مجلس الإدارة
الأستاذ / د. مهنديك هير تسميني المدير العام
وجميع العاملين بالشركة يشاطرون بهزيم من العزى والاسى
الأستاذ / ياسل الباز
رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب بشركة كاربون جو تديج
في وفاة والد سيادته سيادة الدكتور / أسامة الباز
لتقيد الرحمة وللأمرة خالص العزاء

دكتور السيد الباز
رئيس منطقة مصر أوروبا الصداقية
ونخوة: منامة خالد وعبد الرحمن
ومحمد وبتؤه محمد ومحمود ونجد
مخالص العزاء لأسرة أترجمو فضلة
الشيخ السيد الباز
في فقيدنا العزيز
الدكتور أسامة الباز

السيغير
امجد عبد الغفار
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات
يحيى مبانج الحزن والاسى
استاذة الجبلا ماسي القدير
الدكتور / أسامة الباز
تجد لله اللقيد بواسع رحمته
والهم أسرته الصبر والتسلوان

المجلس المصرى للشعور
الخارجية
ينهى فقيد الوطن
السيغير د. أسامة الباز
والذى سوف تفقد فيه الدبلوماسية
المصرية، وجها من امير اعلامها
تفجده الله بوافر رحمة



البنك الأهلي سوسيتيه جنرال

رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب
وأعضاء مجلس الإدارة والمديرون العموم
وجميع العاملين بالبنك يشاطرون
السيد الأستاذ

باسل الباز

رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب
لمجموعة شركات كريون القابضة
في وفاة والد سيادته المغفور له

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

محمد المعتصم

ممدوح عبد الغفار

عادل هلال

وجميع المديرين والعاملين

في

شركة تي سي جي محاسبون قانونيون وخبراء ضرائب

يشاطرون ببالغ الحزن والأسى

الاستاذ/ باسل الباز

رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب لمجموعة شركات كريون القابضة

في وفاة والد سيادته

الدكتور / أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة خالص العزاء

شركة

حسن علام القابضة

يشاطرون

الأستاذ/ باسل الباز

الأحزان في وفاة والده

المرحوم الدكتور

أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

شركة أموال الخليج للاستثمار التجاري

عمار الخضيرى وكريم سعادة

يشاطران ببالغ الحزن والاسى

السيد الأستاذ/ باسل الباز

في وفاة المغفور له

الدكتور / أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِيهَا مِنْهَا
صِدَاقٌ عُندَ مَلِكٍ مُقَدَّمٍ «صدق الله العظيم»

معتر الألفي

أحمد معتر الألفي

يشاطرون بمزيد من الحزن والأسى

السيد الأستاذ/ باسل الباز

والسيد الدكتور/ فاروق الباز

في وفاة المفضول له بإذن الله تعالى

الدكتور / أسامة الباز

بعد حياة حافلة بالعملاء والخير والإخلاص
والإنجازات داعين المولى عز وجل أن يتقدم الفقيد

بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته
وإن يلهم الأسرة الصبر والسلوان

على عبد العزيز

رئيس الشركة القابضة للسياحة

والفنادق والسينما سابقاً

ينعى ببالغ الحزن الأخ وصديق العمر

الدكتور / أسامة الباز

للفقيد القائل بالرحمة ولنا وللأسرة خالص العزاء

م. وائل شرفاوى والعائلة

يشاطرون الأخ والصديق العزيز

الأستاذ باسل الباز

في وفاة المفضول له

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

محمد أحمد حلمي

يشاطر أخاه وصديقه

باسل الباز والعائلة

الأحزان في وفاة

المفضول له بإذن الله

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة وللأسرة الصبر والسلوان

١٦ سبتمبر ٢٠١٣

الأب

الشركة المصرية

للصناعات الأساسية ايبك

رئيس مجلس الإدارة

أعضاء مجلس الإدارة

والمديرون وجميع العاملين

يشاطرون بمزيد من الحزن والأسى

الأستاذ الدكتور

باسل الباز

في وفاة والده

الدكتور أسامة الباز

للفقيد الرحمة

وللأسرة خالص العزاء

شركة الشرقيون

للبتروكيماويات

أعضاء مجلس الإدارة

والعاملون بالشركة يشاطرون

السيد الأستاذ

باسل الباز

رئيس مجلس الإدارة والعضو المنتدب

في وفاة والد سيادته

السيد الدكتور

أسامة الباز

تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته

وآلهم أسرتهم وذويه الصبر والسلوان

محمد صبرى أبو الفتوح
بشاطر
الأستاذ ياسل الباز والعائلة
الأحزان فى وفاة فقيد الوطن
المرحوم الدكتور
أسامة الباز
الفتية الرحمة والأمة خالص العزاء

عمر رفیق عبد الناصر وحرمة
بشاطران، بهالغ العزل والأهلى الأخرى والحمد لله
ياسل أسامة الباز
فى وفاة النور به المنثور
أسامة الباز
الفتية، الرحمة والأمة خالص العزاء

محبى الدين روى
والعائلة
بشاطرين
الدكتور فاروق الباز
فى وفاة شقيق سيادته
المغفور له بإذن الله
الدكتور أسامة الباز
الفتية، الرحمة والأمة خالص العزاء

زوجة الدكتور، أسامة الباز، تفتح خزائن أسرارها

الإعلامية أميمة تمام:



**رفضه للتوريث تسبب
في استبعاده من الرئاسة**

بعد أيام قليلة من وفاته التقت الإذاعة والتلفزيون الإعلامية أميمه ثام زوجة الراحل الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس الأسبق حسنى مبارك، حيث أكدت أنه كان لها الأب والزوج والصديق والابن لها، ولم يكن مجرد زوج فقط، حيث تعلمت منه الكثير في العمل الإعلامي، فقد كان يساعدها في برامجها، وأضافت: إن الباز أول من توقع قيام ثورة وسقوط النظام، وصعود الإخوان للحكم وفشلهم السريع، هذا ما قالته السيدة زوجته، وأكدت معارضته للتوريث كان سبباً في استبعاده من رئاسة الجمهورية.

▪ بداية ماذا كان يمثل د. اسامه الباز بالنسبة لك ؟

○ أسامة الباز لم يكن لي مجرد زوج ، بل كان بالنسبة لي الصديق والأب والأخ والإبن وحاجات كثير جدا ، وكنت أرى فيه دائما الإنسان المليء بالحب والأمل والعطاء والنشاط لا يوجد كلام يوفيه حقه على المستوى الإنسانى والسياسى والوطنى

▪ منذ متى كان يعانى من سوء حالته الصحية ؟

○ بدأت حاله دكتور أسامة الباز الصحية فى التدهور منذ عامين بسبب إصابته بجلطة ولكن ساءت حالته منذ شهرين تقريبا ، واضطرت للحصول على إجازة لأكون بجواره فى ظل تلك الظروف المرضية الصعبة.

▪ هل كان على وعى بما يحدث حوله وما آخر كلماته لك ؟

○ قبل وفاته بـ ٣ أيام دار حديث بينى وبينه ، وقلت له : أنا أميمة هل فكرنى ؟ فقال لى : طبعاً عارفك كويس جدا ، فقلت له : شد حيلك وخف من المرض إحنا عاوزينك وأنا بحبك جداً جداً " ، فقال : " أنا بحبك جدا " ، وكان واعياً جداً ، ويضحك معنا أنا وابنه باسل وابنته مريم قبل دخوله فى غيبوبته الأخيرة قبل ٣ أيام من وفاته ، وكنا معه حتى آخر لحظة.

▪ هل كان يتدخل فى عملك الإعلامى ؟

○ أكيد ، وأنا تعلمت أشياء كثيرة منه ، وهو أستاذى ، و كان يوجهنى كثيراً ، كما أنه كان يدعم إعلاميين كثيرين ، ويوجههم ويستشيرونه ويسترشدون برأيه ، وهو بالمناسبة كان يشجعنى على العمل .

▪ هل كان يتتدك أو يثنى على أدائك الإعلامى ؟

○ كان يثنى على أدائى كثيراً ، ولكن كان له انتقاد حول الأسئلة المطولة والمقاطعة وأنا ابتعدت عنهم تماماً لأنه يحب الأسئلة القصيرة والمركزة ، وعلمنى الحيادية وضبط

النفس وعدم التعصب والقدرة على التحمل والتوازن وهو بالمناسبة شخص متوازن جدا.

▪ ما الموقف المؤثر الذي تذكرينه له ؟

○ ذات مره كنت في أفغانستان في مهمة عمل خارجية في عام ٢٠٠٢، وكان هو في مهمة خارجية بفرنسا، ولم يستطع الوصول لى تليفونيا بسبب عدم وجود شبكات تليفونية حينها، واكتشفت أنه كان قلقًا جدًا بسبب المشاكل الأمنية والحرب هناك، ولرغبته في الاطمئنان على أحوالى، فوجئت بالسفارة الامريكية تبحث عنى وتم التواصل معه.

▪ أنت اعلامية وزوجك كان مسؤولًا كبيرًا بالدولة ومع ذلك لم تتقلدى منصبًا فلماذا ؟

○ هو لم يحاول لأنه لا يجب التوسط ولكنه فقط كان يساعدنى فى برنامجى "موضوع الساعة" من خلال الأفكار أو الاتصال بالضيوف من معارفه، ولكنه لم يحاول التدخل حتى عندما تعرضت لأزمة فى عملى فى ٢٠٠٥ لم يتدخل أيضا وأزمات تأتى وتذهب وهو كان هذا مبدأه وكنت راضية بذلك.

▪ كيف كانت انطباعاته منذ ثورة ٢٥ يناير وما تلاها من أحداث؟

○ هو كان داعيًا لثورة ٢٥ يناير، وكان يتوقعها ويعتبرها نتيجة طبيعية لما يحدث فى البلاد، وأتذكر أنه منذ عام ٢٠٠٥ كان يردد أمامى كثيرًا جملة لا أنساها " الأيام حبلى"، فسألته: ماذا يقصد بها، فقال لى: ستحدث أشياء كثيرة وأحداث كثيرة وهو أول من توقع قيام ثورة وسقوط النظام وإحداث حالة فوضى كبيرة، وصعود الإخوان وكذلك سرعة فشلهم وسقوطهم، أما ٣٠ يونيو فلم يكن واعيا لأحداثها.

▪ الدكتور أسامة الباز عمل سنوات طويلة كمستشار سياسى للرئيس الأسبق مبارك فهل كتب مذكراته حول سنوات عمله معه؟

○ هو قام بكتابة بعض الأشياء ما بين خبراته ومذكراته، ولكنها غير مكتملة ولا تعتبر مذكرات نهائية ولم يكملها بسبب مرضه قبل عامين

▪ هل تفكرى فى جمع تلك الكتابات لتخرج فى صورة مذكرات مستقبلا؟
○ لا افكر فى هذا الأمر فى الوقت الحالى.

الوطن



بالصور الخادرة... «الوطن» تكشف أسرار ١٧ عاماً في حياة أسامة الباز
زوجته أميمة تمام: قال لي «التوريث لن يحدث إلا على جثة الجيش»
توقع صعود الإخوان وسقوطهم سريعاً.. والجماعة كانت على
اتصال دائم به... ووصف «السييسى» بأنه «محارب الساموراي» 11-10



السيدة الفاضلة الأستاذة أميمة تمام المذيعة التلفزيونية اللامعة
زوجة الدكتور أسامة الباز

بالصور التادرة.. زوجة «عميد الدبلوماسية المصرية»

تكشف لـ«الوطن» أسرار ١٧ عاماً في حياة المستشار السياسي

أميمة تمام: أسامة الباز قال لي «سيناريو التوريث لن يحدث إلا على جثة الجيش»

اعترف لي بأن المعركة الوحيدة التي خسرها طوال حياته
كـ«مفاوض» هي إقناع «مبارك» بأن ملف التوريث «كارثة كبرى»

توقع «ثورة يناير» قبلها بـ٩ سنوات..

وصعود الإخوان للحكم وسقوطهم سريعاً

«الجماعة» كانت على اتصال دائم به في عهد «مبارك»..

وطلبت منه العمل معها لكنه قال بحسم: «اعتزلت العمل السياسي»

عمل مع عبد الفتاح السيسي فترة طويلة ووصفه بأنه

«محارب الساموراي» الذي قاد «عملية انتحارية» لإنقاذ مصر

**قال عن الفريق السيسي: واعد..
ورجل «الثقة المطلقة بلا منازع»**

**اعتبر حكم الإخوان، اختطافاً لمصر.. وقال
بأسى: ما كان لـ«سيسي» أن يصبح رئيساً**



الإنسان الدكتور أسامة الباز نائماً ومريم تداعبه

«جمال مبارك كان يقول لـ «الباذ»: «أنت أباى الروحى ..»

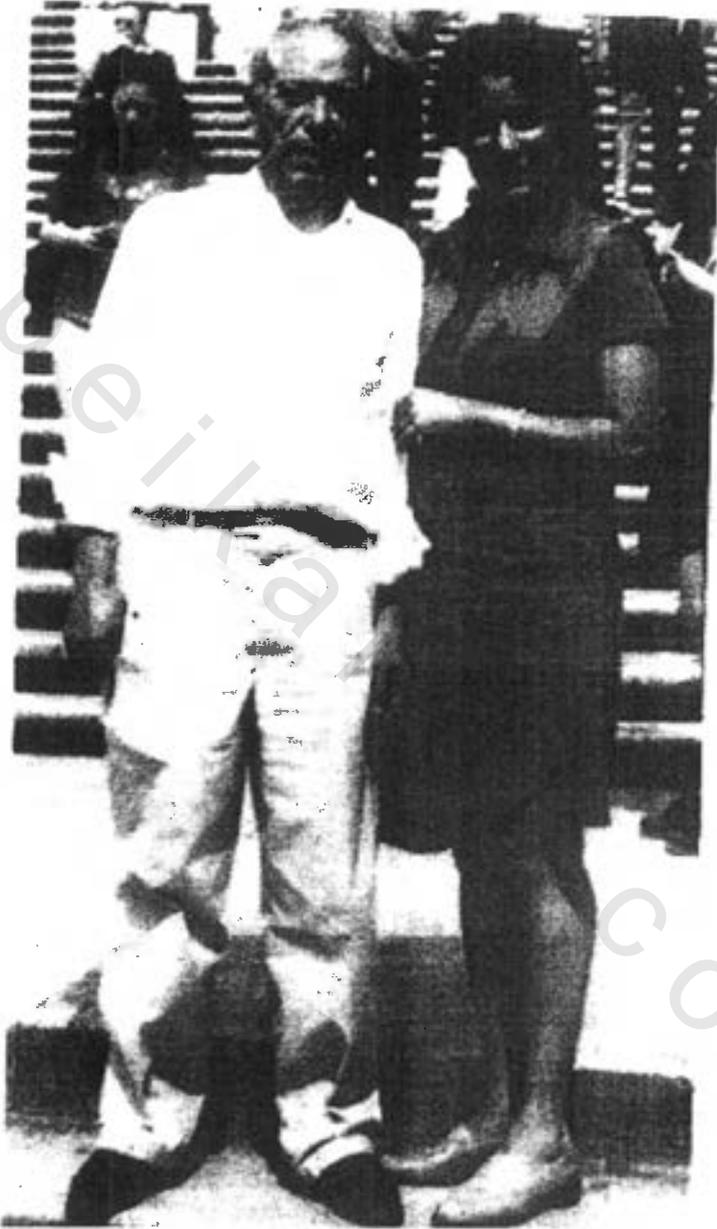
لكنه كان يرى فيه «نقطة خطر حقيقية على ملف التوريث»

«اتصلنا بالرئاسة قبل «٢٥ يناير» للمساعدة فى علاجه بالخارج

بعد تدهور صحته بشدة.. ولم يهتم أحد

«السادات» و«مبارك» عرضا عليه تولى «الخارجية»..

لكنه رفض من أجل «خدمة مصر بشكل أفضل»



صورة نادرة للدكتور أسامة الباز وزوجته السيدة أميمة تمام أيام الزواج الأولى



الأب والإبنة مريم.. سعادة البنت بحنان الأب



- الباز شرع في كتابة مذكراته عام ٢٠٠٥
- لكنه ألغى الفكرة عندما تيقن أن ما سيكتبه سيمس الأمن القومي
- مرتبة في «الرئاسة» كان ٧٠٠ جنيه
- ولم يستخدم صالة «كبار الزوار» .. وكان يفضل المترو
- كان زوجًا حنونًا وأبًا رائعًا.. ويلاعب أحفاده بمنتهى العفوية والبراءة

في منزلها الذي تتوسطه صورة كبيرة تجمعها بها وابنته الصغيرة «مريم»، تكلمت السيدة أميمة تمام لأول مرة عن زوجها الراحل «عميد الدبلوماسية المصرية» الدكتور أسامة الباز كما لم تتكلم من قبل، وعلى الرغم من أنها فضّلت أن يكون الحوار بعد انقضاء فترة الأربعين يومًا حدادًا على وفاته، فإن الحديث كان ذا شجون لرجل كان بمثابة كل شيء لها على مدار ١٧ عامًا من الحب والعشرة الطيبة.

وما بين دموع خانت الأعين في لحظة استرجاع ذكريات خاصة، وابتسامة حانية لمواقف وطنية أصر عليها «الباز» بيباء وشمم الفرسان، تكشف الإعلامية أميمة تمام في حوار حصري لـ «الوطن» عن الكثير من الأسرار في حياة «الباز»، اللحظات الأخيرة.. صراع الحرس الجديد والحرس القديم داخل القصر الرئاسي، والأسرار الخفية وراء استبعاده من مؤسسة الرئاسة، حيث ظل سنوات طويلة «المستشار السياسي للرئيس حسنى مبارك».

توقع «ثورة يناير» قبلها بـ ٩ سنوات.. وصعود الإخوان للحكم وسقوطهم سريعًا أيضًا يكشف الحوار علاقة «الباز» بالإخوان وبالفرق أول عبدالفتاح السيسى، وأكثر ما أفزعه في حكم الإخوان وصورة «مرسى» في عينيه، وحقيقة كتابته لمذكراته الشخصية وعلاقتها بالأمن القومي المصرى.. وما بين الجملة والأخرى تظهر صورة «أسامة الأب والزوج والصديق قبل أن يكون ذلك المفاوض السياسى البار على مدار خمسين عامًا من العمل الدبلوماسى، كما خصت أميمة «الوطن» بصور نادرة وحصريّة من مسيرة «الباز»

- الإنسان والدبلوماسي الكبير تنشر لأول مرة مع الحوار.. إلى نص الحوار النادر.
- بطبيعة الحال سيكون السؤال الأول عن وضعه الصحي قبل الوفاة وهل صحيح أنه فقد جزءاً من ذاكرته في أيامه الأخيرة؟
 - الذي لا يعرفه الكثيرون أن أسامة الباز، الله يرحمه، أصيب بجلطة في المخ قبل وفاته، وهذه الجلطة أثرت لاحقاً على ذاكرته بشكل كبير مع كبر السن، وبعدها مباشرة بدأت صحته تتدهور إلى أن وصلت لالتهاب رئوي حاد قبل وفاته بشهرين، وهذان الشهران هما أكثر فترة صحية حرجة عاشها الراحل متنقلاً ما بين المستشفى والمنزل حتى وافته المنية ولا يمكن إنكار أنه بعد «الجلطة» تأثرت ذاكرته كثيراً.
 - في تلك الفترة الحرجة من كان يزوره، ويهتم بأمره خلاف أسرته الصغيرة؟
 - بكل أسف، ظل «الباز» في غيبوبة لمدة ٣ أسابيع تقريباً في العناية المركزة وكانت الزيارة ممنوعة عنه تمامًا، باستثنائي أنا وابنته «مريم» وابنه «باسل» وإخوته، لكن الكثيرين كانوا دائماً على اتصال مباشر بي للإطمئنان على صحته.
 - هل حاولت أي من مؤسسات الدولة علاج «الباز» على نفقة الدولة؟
 - لا، لم يحدث، ولقد قمت بنفسى، كما قام ابنه «باسل» كذلك بالاتصال بمؤسسة الرئاسة قبل ثورة ٢٥ يناير مباشرة، وقلت لهم إنه «تعبان جداً»، وشرحت لهم حالته الصحية، وطلبت المساعدة وتحديث عن ضرورة علاجه بالخارج، لكن لم يهتم به أحد، ولم يرد على أي أحد من مؤسسة الرئاسة التي أفنى «الباز» عمره فيها.
 - سرت شائعة وفاته قبل وفاته فعلياً، فكيف استقبلت الأسرة هذه الشائعة؟
 - كانت من أسخف الأشياء التي عشتها في حياتي، فحينما يكون شريك العمر والرجل الأوحد في حياتي بين يدي الله وما زال على قيد الحياة كيف يمكننى تلقي إشاعة كهذه؟ بكل أسف، من أطلق هذه الشائعة ليس لديه أبسط أنواع الإنسانية أو الضمير، إنهم لصوص على حياة الآخرين في أخرج اللحظات التي يمكن أن يعيشها إنسان.
 - هل كان أي من الزعماء والقادة العرب من بين المتصلين للاطمئنان على «الباز» في أواخر أيامه؟

-نعم، الرئيس الفلسطيني «أبو مازن» اتصل بي أكثر من مرة للاطمئنان عليه، وقال لي: «نريد تكريم الباز»، وهناك أيضاً قادة العديد من دول الخليج العربي، وفي مقدمتهم قادة الكويت والسعودية والإمارات، وغيرهم، والحمد لله، «أسامة الباز» كان يتمتع برصيد

حب كبير عند كل الناس.

• متى كان ذلك تحديدًا؟

- قبل ثورة ٢٥ يناير بشهرين تقريبًا.

• جرى الحديث مرارًا عن أن سر خروج «أسامة الباز» من مؤسسة الرئاسة كان وراءه جمال مبارك وما عُرف لدى الرأي العام بـ«الحرس الجديد داخل القصر»، فما كواليس هذه المرحلة من حياة «الباز»؟

- شهادة للتاريخ فقد تم تجميد دوره بالفعل منذ عام ٢٠٠٣ حينما ظهر الحديث بشكل مباشر عن ضرورة ترشح جمال مبارك كرئيس، وكان «الباز» أول من وقف ضد هذا السيناريو بقوة، وبدأوا أيضًا فرض حصار ما على تحركات «الباز» وحضوره لفعاليات سياسية معينة بحكم منصبه، وهذا كان بالتوازي مع حصار «مبارك» نفسه والتضييق عليه.

• ماذا تقصدان بحصار «مبارك» والتضييق عليه؟

- أفصد أن تلك المجموعة، بقيادة جمال مبارك، بدأت في عدم إيصال أى شخص يريد أن يقول ما لا يريده «جمال» و«شلتته»، وفُرضت على «مبارك» أخبار معينة وتقارير محددة تتفق مع أهداف هذه المجموعة، بالإضافة إلى قيامهم بشكل مباشر بإدارة الأمور بعيدًا عنه تمامًا، وهنا يمكن نستنتج أن الصلاحيات لم تكن تُسحب من الدكتور الباز فقط، بل كانت تُسحب من «مبارك» نفسه.

• ألم يشعر «مبارك» بذلك ولو لمرة واحدة؟

- لم أكن موجودة في كواليس القصر حتى أحكم على هذا الأمر، لكن في تصوري الشخصي فإنه كان يدرك ذلك تمامًا، لكنه كان في حالة استسلام أو رضا ضمنى عما يحدث.

• ألم يشتك «الباز» من هذه التصرفات وقتها؟

- لا، «مش أسامة الباز»، فلقد كان الراحل يمتلك عزة النفس الكافية للترفع، ولكن شعوره بالمسئولية طوال الوقت تجاه البلد كان يجعله يكرر المحاولات لإرضاء لضميره الوطنى، «أسامة الباز» كان لا يخشى قول كلمة الحق في وجه أى رئيس، فقد كان يخشى الله فقط، بل إنه كان يقول لـ«مبارك» و«السادات» أيضًا بكل صراحة دون تردد «أنت مخطئ أو غلطان»، إذا ما رأى ذلك فعلاً.

• تظل هناك علامة استفهام قائمة في كلمة الفصل أو النهاية ما بين «الbaz» ومؤسسة الرئاسة، هل تقدم «الbaz» باستقالته؟ أم تمت إقالته؟

- هذا سؤال ذكي جدًا، لكن الأمر لم يتم بهذه المباشرة، تم بشكل غير مباشر من خلال سحب الصلاحيات وقطع «البوستة» عنه والمخاطبات مثلًا، ووقف حضوره لفعاليات سياسية مهمة، ففهم «الbaz» الإشارة وانسحب بهدوء، وأعتقد أن الأمر حدث بهذه الطريقة لأنه على الرغم من الاختلاف السياسي ما بين نظام «مبارك» و«الbaz»، ف«الbaz» يظل رمزًا كبيرًا لا يمكن التعامل معه بطريقة الفصل المباشر، وفي ذات الوقت مسئولياته تجاه مصر منعت من قول ذلك صراحة، فالbaz «عمره ما قفل الباب في وش حد» بدليل أن مكتبه ما زال مفتوحًا حتى الآن وتوجد به متعلقاته الشخصية حتى اليوم.

• من المفارقات التي تفرض نفسها عند الكثيرين، كيف فشل شخص بحجم حنكة «الbaz» السياسية في تعليم «مبارك» علم السياسة بعد أن أوكله «السادات» لهذه المهمة وهذا يبدو جليًا فيما آلت إليه الأمور لاحقًا؟

-الbaz» لم يفشل في تعليم «مبارك»، المسألة تتعلق بالطبيعة الشخصية لـ«مبارك» نفسه، فهل شخصية «السادات» مثل «مبارك» مثل أى شخص آخر؟ بالطبع لا، مثل المعلم مع تلاميذه في المدرسة، درجة الاستجابة لما يقوله مختلفة ما بين تلميذ وآخر وهذا يرجع لطبيعة تكوين كل منهم على حدة، فالمعلم واحد، إذن النتائج تعتمد أيضًا على الطرف الآخر، فما أعطاه «مبارك» نتيجة لوجود «الbaz» في حياته كان هذا هو أقصى ما عند «مبارك» بما يتلاءم مع طبيعة شخصيته «هو ده اللي كان ممكن يتأخذ منه وممكنش ممكن يطلع منه أكثر من كده»، ومع ذلك يمكن القول إن «مبارك» أبل بلاء حسنًا في أول ١٥ عامًا من توليه الحكم، وحرر طابا وانتعشت السياسة الخارجية المصرية، لذا يمكن القول بأن طول مدة بقاء «مبارك» في الحكم لمدة ١٥ عامًا إضافية هي من كانت المسؤولة عن تدهور أدائه السياسي لاحقًا.

• من المعروف أن أساسيات التعليم عند «الbaz» كانت القراءة وهذا لم يكن يروق لـ«مبارك» كثيرًا.

- صحيح، ف«الbaz» كان يعشق القراءة في كل مناحى الكتابة وأنواعها، وكان يجيد دومًا إيصال المعلومة مكتوبة، سواء كانت على شكل تقارير أو مستندات أو وثائق، بينما كان «مبارك» لا يهوى القراءة بطبيعته ويفضل المعلومة السماعية، وبمرور الوقت التف حول له من يريدون أن يسمعوه فقط ما يريدونه هم بعيدًا عن الحقيقة، خاصة في السنوات

العشر الأخيرة.

• هل عرض عليه أى من قادة الدول العربية العمل كمستشار سياسى عقب خروجه من الرئاسة المصرية؟

- ما كان لأحد أن يفكر فى ذلك، فـ«الباز» معروف عنه تمامًا أنه لم يكن موظفًا فى الرئاسة المصرية، لكنه لم يكن يبخل برأيه لهم أبدًا، لكن فى إطار وظيفى بالطبع ما كان له أن يوافق.

• من الألفاظ التى ما زالت تفرض نفسها على مسيرة «الباز» السياسية، أنه كان عميدًا للدبلوماسية المصرية ومايسترو سياستها الخارجية أيضًا، وكان يتولى فى أوقات كثيرة اختيار الوزارة بأكملها، فكيف لم يتقلد ولو لمرة واحدة منصب وزير الخارجية؟

- نفس الأسباب التى بسببها لم يتقلد يومًا ما منصب سفير لمصر فى أى دولة أيضًا! فلقد كان يرى، رحمة الله عليه، أن المناصب ممكن تقلل من قدرته على خدمة مصر بحكم البروتوكولات المفروضة على الوزير أو السفير، وأنه ما دام خارج منظومة هذه القيود الدبلوماسية والسياسية فيمكنه العطاء بشكل أفضل وفى خدمة مجتمعه، ففى النهاية كان يدرك «الباز» أن المناصب مهما كانت عُلْيَا فهى لها صلاحيات وحدود معينة وما كان يرضى أبدًا أن يكون مجرد موظف، وهذا من أسرار بقاءه على الساحة السياسية لفترة طويلة.

• هذا يعنى أنه عرض عليه بالفعل تولى وزارة الخارجية وهو من رفضها؟

- نعم، عرضت عليه مرة فى عهد «السادات» عقب اتفاقية «كامب ديفيد»، ومرة أخرى فى عهد «مبارك»، ولعل الكثيرين لا يعرفون أنه حصل على منصب سفير فى سن الأربعين لكنه لم يسافر خارج مصر.

• من الحكايات المتداولة بقوة أن آخر مسار فى نعش العلاقة ما بين جمال مبارك وأسامة الباز حينها نادى «الباز» جمال بـ«جيمى» فى واشنطن؟

- لقد كنت موجودة فى هذه الرحلة الدبلوماسية، والموضوع لم يكن كذلك أبدًا، ولا أعرف من أين يأتى الناس بهذا الكلام، بالعكس، العلاقة الإنسانية ما بين «جمال» و«الباز» كانت رائعة، لدرجة أن «جمال» كان يقول لـ«الباز» دومًا: أنت الأب الروحى لى أو «Godfather»، وكان بينها منتهى الاحترام، فالقصة كانت «ألغن» من لقب «جيمى».

• ماذا تقصدين بـ«ألغن من كده»؟

- أقصد حب الناس لأسامة الباز وخبرته واتصالاته وعلاقته الواسعة وخلفيته السياسية الكبيرة، المشكلة الحقيقية أن جمال مبارك اعتبر أن «الباز» نقطة خطر حقيقية في «ملف التوريث»، بل لدرجة أنه اعتبر «الباز» في مرحلة ما منافسًا حقيقيًا له، فلقد كان القصر لا يريد لأي شخص أن يظهر على الساحة خلاف «جمال»، فقد كانوا يريدون أن تخلو الساحة لـ «جمال» تمامًا من أي منافس في حب الناس على الأقل أو يمكن أن يسرق الأضواء منه.

• هل هذا يعني أنه كانت هناك احتمالات قوية حول تفكير «أسامة الباز» في الترشح للرئاسة لاحقًا؟

- «الباز» لم يفكر في هذا الأمر تمامًا، لكن القصر اعتبر أن وجود «الباز» على الساحة مصدر «تشويش» على جمال مبارك، واعتقد البعض أنه منافس لـ «جمال»، خاصة أن الناس كانت تقابله مثلًا في الشارع ويقولون له: لماذا لا ترشح نفسك للرئاسة؟ لكن هذه الفكرة لم تطرأ على بال «الباز» بالمرّة.

• وطوال تلك السنوات اللاحقة لعام ٢٠٠٣ وصولًا إلى ثورة ٢٥ يناير ماذا كان يفعل «الباز» داخل مؤسسة الرئاسة لإثباتهم عن سيناريو التوريث؟

- دخل في مواجهات كثيرة وقدم النصح لـ «مبارك» بكل الطرق الممكنة، لكن كان هناك إصرار تام من نظام «مبارك» على المضي قدمًا في هذا السيناريو إلى أن تم تحجيم دوره تمامًا وخروجه من مؤسسة الرئاسة ٢٠٠٥.

• يوم محاكمة القرن.. «مبارك وجمال وعلاء» خلف القضبان، ماذا قال «الباز»؟

- شعر بالأسى لما آلت إليه الأمور وما كان يتمنى أبدًا أن يكون هذا مشهد النهاية لعائلة مبارك.

• هل حاولت سوزان مبارك التواصل مع «الباز» يومًا ما؟

- لا، أبدًا لم يتحدث.

• هل صحيح أن مرتب «الباز» كان ٧٠٠ جنيه فقط؟

- مبتسمة: صحيح وهذا شيء يدعو للفخر به حيًا وميتًا، وكان لا يدخل صالة «كبار الزوار» ويجب ركوب المترو، وبعد أن «باظت» سيارته الـ «ريجاتا»، لم يركب سيارة أخرى، لكنه ظل على علاقة إنسانية وطيدة بسائقه الخاص حتى آخر يوم.

- هل كان لـ «الباز» اعتراضات على كل من اتفاقتي «الكويز» و«الغاز»؟
- نعم، دون الخوض في تفاصيل، لكن يمكن القول بأنه دخل في مواجهات حادة بسبب اعتراضه على ذلك مع نظام «مبارك».
- من المعروف عن أسامة الباز أنه كان مفاوضًا عنيدًا ولا يخسر. جولة مفاوضات أبدًا.. متى اعترف لك «الباز» بخسارته في عالم المفاوضات كأحد الأسرار التي لم يعرفها أحد؟
- أعتقد أن كل حياته كانت جولات تفاوضية ناجحة، لكنني أذكر أنه قال لي مرة واحدة إنه خسر بالفعل جولته في إقناع «مبارك» ومن حوله بأن مشروع التوريت خطر داهم يجب عدم المضي فيه قدمًا.
- هل تعتقد أن أسامة الباز كان ضحية القضية الفلسطينية.. بمعنى أنها أخذت منه أكثر مما أعطته؟
- لا، فإذا ما بحثنا في الدور المصري تجاه القضية الفلسطينية وما بُنى في هذه القضية لاحقًا من إنجازات كان أساسها مفاوضات «الباز»، وهذا جُل التقدير له، فتقدير أسامة الباز لا يقف عند أشخاص أو أنظمة، بل سيحكم فيه التاريخ وما قدمه للقضية الفلسطينية ولمصر.
- هل اعتبر «الباز» أن ثورة ٢٥ يناير حققت أهدافها؟
- كان أهم شعار يؤمن به أن «الشعب والجيش إيد واحدة» في هذه الثورة وهو ذات الشعار الذي ما زال قائمًا في ثورة ٣٠ يونيو كذلك، لكنه اعتبر أن ثورة ٢٥ يناير من خلال رصده للمرحلة الانتقالية لم تحقق أهدافها.
- لماذا اعتبر أن ثورة ٢٥ يناير لم تحقق أهدافها؟
- كان يرى أن ٢٥ يناير ثورة قامت لكي تعود مصر للشعب، لكن الإخوان سطوا عليها وخطفوا مصر مرة أخرى من الشعب، لكن اليوم مصر عادت لشعبها وفي طريقها إلى تأسيس دولة مدنية حديثة بكل معنى الكلمة.
- لكن الراحل أسامة الباز توقع صعود الإخوان للحكم.
- نعم، توقع صعودهم وتوقع سقوطهم أيضًا لكنه لم يتخيل أن يتم ذلك بهذه السرعة، وتوقع صعودهم كان يرتبط لديه بقناعات من أرض الواقع، تتمثل في أن تنظيمهم هو الكيان الوحيد المنظم الذي له القدرة التنظيمية على خوض انتخابات وحشد الشارع، ويمكن أن يسيطر على مفاصل الدولة وفقًا هيكلهم التنظيمي المعروف الذي استطاع

الوصول للقوى والنجوع، أما سقوطهم فقد توقعه لأنه اعتبر أن أسلوبهم في تولى الحكم هو نفس حجر الزاوية الذى أدى لسقوطهم، لدرجة أنه قال لى «إن سقوطهم سيكون أسرع بشكل مهول من تجربة صعودهم، وإن هذا المنحنى الخطير في تاريخ جماعة الإخوان يجب أن يُدرس في معاهد وكليات السياسة»، وأردف قائلاً وقتها: «كيف لتنظيم ظل يحاول الصعود لسدة الحكم ٨٠ سنة وبعد أن وصل إليه، يسقط في عام واحد فقط، هذا يعنى تمامًا أن هيكلهم التنظيمى هش جدًا لدرجة أنه لم يستطع الصمود»، وكان يرى أن تركيبة الشعب المصرى الخاصة كانت أهم أسباب سقوط الإخوان إلى الهاوية أيضًا وهى النقطة الأساسية التى لم يرها الإخوان في تعاملهم مع المصريين.

• ما بعد قيام ثورة ٢٥ يناير، كيف كان يرى «الباز» المرحلة الانتقالية التى قادت مصر لاحقًا حتى مجيء «مرسى» رئيسًا؟

- كان يقول إن مصر لن تستقر قبل مرور ٤ سنوات على الأقل، وإن مخاضًا عسيرًا سيمر به البلد قبل أن يستقر، وهذا ما يحدث الآن، فنحن على مشارف الأربع سنوات بالفعل للوصول للرئيس الأحق بحكم مصر.

• هل ندم «الباز» على تأييده لثورة ٢٥ يناير بعد وصول الإخوان إلى سُدة الحكم؟

- لا، لم يحدث، فهو كان يدرك تمامًا أن ثورة ٢٥ يناير كانت قادمة لا محالة بغض النظر عن موعدها، وكانت لديه قراءة مبكرة للأحداث منذ كان مستشارًا سياسيًا لـ «مبارك».

• هل حدث أن طلب منه «المجلس العسكرى» النصيحة فى أى ملف خارجى أو داخلى ما بعد ثورة ٢٥ يناير؟

- لا أعتقد.

• من كان مُرشح «الباز» فى انتخابات الرئاسة الماضية؟

- لعلّى أذيع سرًا، فـ «الباز» لم يُقم بالإدلاء بصوته فى انتخابات الرئاسة، وهذا أمر قد يستغربه الكثيرون، فعلى الرغم من أنه ذهب إلى صندوق الانتخابات ووقف فى الطابور فى لجنته الانتخابية، فإنه على آخر لحظة قرر ألا يبلل بصوته.

• ما السبب؟

- كان له تفكير خاص له علاقة بخوفه من أن يعطى صوته لأحد ممكن أن يفشل، خاصة أننا كنا فى مرحلة انتقالية متوترة، ولقد حسم ذلك القرار بضميره السياسى.

• ما أكثر شيء كان مُفزعًا لـ«الباز» في فترة حكم الإخوان؟

- الانقسامات الطائفية على أساس ديني، سقوط الشهداء والدماء البريئة، مذلة تمثيل مصر في الخارج من خلال الزيارات الرئاسية لـ«مرسى»، فقد كان يعتبرها بالفعل «مذلة» لمصر وكانت من أكثر الأشياء المؤلمة له، وهو الرجل الذي أمضى حياته في الدبلوماسية المصرية، وكيف لا وقد عاش أبهى عصور مهابة مصر في المحافل الدولية طوال فترة عمله! لقد كان يعتبر أن هذه النتائج هي إخفاق حقيقى لثورة يناير وأنه بدلاً من إنقاذ مصر من التوريث دخلنا في نفق مظلم آخر خطر وأشد وطأة من التوريث، وكان دائماً ما يقول لى: «هل كُتب على مصر أن تظل مُحتطفة؟»، فلقد كان يعتبر أن فترة حكم الإخوان «اختطاف لمصر من شعبها».

• هل حدث أن حاول أى من قيادات الإخوان التواصل مع «الباز» عقب وصولهم لسدة الحكم من أجل ملف معين؟

-الباز» كان يتصل به الإخوان من أيام «مبارك»، على فكرة، وهذا حدث أيضاً بعد وصولهم للحكم، لكنه اعتذر لهم قائلاً إنه «اعتزل العمل السياسى»، ف«الباز» لم يكن لديه أى عداء مباشر تجاه الإخوان، وكان يرى أن التجربة كفيلة بإظهار الحقيقة، لكن بعد مرور عام على حكمهم الفاشل أقر بفشلهم وأنهم لن يستمروا طويلاً.

• ما الذى طلبه منه الإخوان تحديداً؟

- لم أكن حاضرة تلك المكالمات، فلقد كان مجرد «كلام» وليس لقاءات، لكن «الباز» كان مؤمناً أن الإخوان لا يستمعون لنصيحة أى أحد خارج مكتب الإرشاد وتعليقات «المرشد» وتنظيمهم الدولى.

• هل عُرضت عليه أى مناصب سياسية فى المرحلة الانتقالية الأولى أو فى فترة حكم الإخوان؟

- لا أعتقد ذلك، ف«الباز» أعلنها صراحة عقب خروجه من مؤسسة الرئاسة أنه اعتزل العمل السياسى، والجميع احترم هذه الرغبة لديه.

• كيف استقبل الراحل ثورة ٣٠ يونيو؟

- كان متوقعها تماماً مثلما كان يتوقع أن تحدث ثورة مصرية عظيمة منذ عام ٢٠٠٣، أى قبل «٢٥ يناير» بتسع سنوات كاملة، فقد كان مؤمناً أنه لن يحدث توريث فى مصر، وحينها حدثت ثورة ٣٠ يونيو يمكن القول إنها «أنزلت على قلبه السكينة»، فلقد كان

يشعر بغصة كبيرة، ويقول إن مصر «انحطفت».

• لماذا تنبأ الراحل بأن ثورة ٢٥ يناير ستحدث في ذلك الوقت المبكر جدًا؟

- لأنه كان يدرك تمامًا كيف كانت تدار الأمور في مؤسسة الرئاسة في نظام «مبارك»، وقالها لي صراحة: إذا تم الإصرار على سيناريو التوريث سيكون ذلك على جثة الجيش، وقالها باللغة الإنجليزية كالتالي «On his Dead Body»، وحينما سألته له: ما الذى يمكن أن يفعله الجيش لوقف عملية التوريث؟، قال لي: «رينا يستر»، فقد كان مشغول البال كثيرًا بمدى ما سيحدث، وهل كان سيكون هناك نائب مثلاً، وما هو رد فعل «مبارك» إذا ما حدث ذلك، لكنه كان مُصرًا على أن «سيناريو ما» سيحدث «بشكل ما» لعرقلة عملية التوريث.

• هل عمل «الباز» مع الفريق أول عبدالفتاح السيسي يومًا ما؟ وماذا كان رأيه الشخصي في شخص «السيسى»؟

- نعم، «الباز» عمل لفترة طويلة مع الفريق «السيسى»، وحينما انحاز الجيش للشعب في ثورة ٣٠ يونيو، اعتبر «الباز» السيسى مثل محارب الساموراي الذى أقدم على عملية انتحارية لصالح مصر ولأجل إنقاذ شعبها من المهالك التى تلوح فى الأفق، غير عابئ بكل المخاطر التى قد تحيط به، وكان يراهن على أن «السيسى» قادر تمامًا على إعادة مصر إلى دورها الإقليمي والعربي بقوة من خلال دستور حقيقى يليق بها، والمضى قدمًا فى خارطة الطريق نحو حكم مدنى يليق بمصر وشعبها، وكان يدلل دومًا على ذلك بقوله إنه على الرغم من وجود مناخ عام محتقن فى مصر وإن هناك شكوكًا كثيرة تجاه إقامة الدولة المدنية فإن أحدًا لم يجرؤ على التشكيك فى وطنية «السيسى» وحنكته السياسية وقدرته على الانتقال بمصر فى هذه المرحلة إلى بر الأمان، وأنه أدار الأمر بهدوء شديد وعقلانية جنبت مصر بحوزًا من الدم كان الكثيرون يتوقعونها، خاصة النخبة الناعمة.

• ما أسرار علاقة «الباز» بالفريق «السيسى»؟

- كان يُكنّ له كل التقدير والإعجاب على المستوى الشخصى والمهنى، والتقى به كثيرًا، من قبل حتى أن يتولى الفريق السيسى رئاسة المخابرات الحربية، فلقد كانت بينهم لقاءات مشتركة كثيرة بحكم عمل كل منهم، وكان دومًا يقول عنه إنه شخص «واعد».

• قالت بعض المصادر أن الدكتور أسامة الباز لم يكن يدرك على الإطلاق قيام ثورة ٣٠ يونيو لتردي حاله الصحية-

رحمه الله.

• هل توقع الباز أن «مرسى» خانة ذكاؤه حينما قام بتعيين «السيسى» وزيراً لـ«الدفاع» في ظل خصم تفاعل سياسى مُضطرب ما بين الإخوان والشارع، خاصة أنه معروف تمامًا أنه في حال حدوث تهديد حقيقى لأمن الشعب فإن ولاء المؤسسة العسكرية سيكون للشعب فقط؟

- هو توقع سقوط الإخوان بطريقة ما، لكنه لم يربط ما بين تعيين «السيسى» وهذا السقوط، لكنه كان مؤمنًا تمامًا بأن صهام أمان مصر في المؤسسة العسكرية وأنها من ستقوم بإصلاح الدفة في الوقت المناسب لإنقاذ مصر، وكان مُتقنًا من أن الجيش سيدخل في اللحظة الحاسمة لأن عقيدته الوطنية تحتم عليه ذلك، فالجيش المصرى بالنسبة لـ«الbaz» كان شيئًا مقدسًا جدًا.

• هل كان لـ«الbaz» توصيف محدد لكل من «السادات - مبارك - مرسى - السيسى» بحكم خبرته السياسية العميقة؟

- (بعينين دامعتين): أعتقد أن «الbaz» هو أحق من يجيب عن هذا السؤال الآن، لكن بحكم عشرتى الطويلة به كانت له توصيفات محددة لكل منهم كما يلي: «السادات .. داهية سياسية»، «مبارك .. عنيد»، «السيسى .. رجل الثقة من الطراز الأول»، و«مرسى .. ما كان يجب أن يكون رئيسًا لمصر في يوم من الأيام أبدًا».

• هناك تسريبات كثيرة تحدثت عن كتابة الراحل أسامة الباز لمذكراته الشخصية التى يسرد فيها رحلته في عالم الدبلوماسية المصرية فأين هذه المذكرات؟

- بكل صراحة، وأعلنها لأول مرة، «الbaz» شرع فعليًا في كتابة مذكراته، وتحديدًا عام ٢٠٠٥ بعد خروجه من مؤسسة الرئاسة، لكنه عدل عن الفكرة تمامًا حينما اكتشف أن كتابته ستشابه بشكل واضح وصريح مع معطيات تتعلق بالأمن القومى المصرى، لهذا فقد قرر ألا يخوض في هذا الأمر تمامًا، معتبرًا هذا القرار حماية لمصر أولاً وأخيرًا.

• هل هناك أى مسودات للكتابة المبدئية لهذه المذكرات؟

- بعد أن ألقى «الbaz» الفكرة، قرر أن يكتب ما سماه «خبرات» العمل الدبلوماسى والسياسى المصرى، لتكون شهادة للأجيال القادمة، خاصة الدبلوماسيين الشباب، لكن القدر لم يمهله لكتابة هذه الخبرات أيضًا.

• بكل صراحة، هل قرار العدول عن كتابة مذكراته الشخصية كان قرارًا شخصيًا أم نصيحة مباشرة من الجهات السيادية؟

- لا، لم يحدث، بل كانت قناعته الشخصية تمامًا كدافع وطني، فهو حريص على مصر لآخر لحظة، و«أسامة» قالها صراحة لي: «لن أترك أى مستندات أو وثائق أو أوراق في يد أى شخص حتى لا يتم العبث بها، لهذا أى شخص سيدعى أنه يملك أى ورقة ينسبها لأسامة الباز فهو كاذب تمامًا وسأقاضيه قانونيًا.»

- هل هذا يعنى أنه تخلص من كل المستندات والوثائق التي كان يملكها بعد هذا القرار؟
- لم يكن يملك بالفعل أى مستندات أو وثائق تمامًا، فلقد كان يتخلص منها أولاً بأول، وإذا ما بحثتم في منزلي أو في مكتبه الذى ما زال قائمًا حتى اليوم وبه بعض متعلقاته الشخصية لن تجدوا ورقة أو وثيقة واحدة، وكل من يدعى أنه يملك ورقة تخص أسامة الباز أقول له: أنت كاذب، وسأتهمه صراحة بالتزوير.
- لكن أليس محققًا للتاريخ أن يترك رجل بحجم أسامة الباز الحياة دون أن يكون له كتاب يسرد مسيرته العملاقة؟

- أذيع سرًا لأول مرة وهو أننى بصدد تأليف كتاب يحمل كافة ذكرياتي مع أسامة الباز الإنسانية والسياسية، وأكشف فيه عن الكثير من الأسرار التي امتدت لفترة ١٧ عامًا من خلال زواجى به، فأنا فخورة بأننى كنت زوجة لأسامة الباز.

- ما التوقيت المتوقع لصدور هذا الكتاب؟
- الصيف القادم، إن شاء الله.
- هل تعرضت «أميمة تمام» للاضطهاد بسبب زواجها من «الباز»؟

- (بعد فترة صمت) نعم، حدث ذلك بالفعل في التلفزيون المصرى، فلقد كان ينسب أى نجاح أحققه أو تميز في العمل إلى كونى زوجة «الباز»، وليس لاجتهاد شخصى أو مشاركة وتعب، ووصل الأمر إلى أن ترقيات المناصب الروتينية التي تحدث بالأقدمية منذ تاريخ التعيين لم أحصل عليها لمجرد أننى زوجته، والمفارقة الحقيقية أننى بدأت أحصل على حقى المهني بعد أن ابتعد عن الأضواء وترك مؤسسة الرئاسة.

- جمال مبارك كان يقول لـ «الباز»: «أنت أبى الروحى».. لكنه كان يرى فيه «نقطة خطر حقيقية على ملف التوريث»
- لكن على الأقل في فترة عمله كمستشار لـ «مبارك»، كان من المتوقع أن تحصل على امتيازات خاصة من باب التملق مثلاً؟

- لا، لم يحدث، بل على العكس تمامًا كان يتم تعمد إقصائى لأننى زوجة أحد مستشارى

- الرئيس الأسبق «مبارك»، وعلى أفضل الفرضيات كان يتم التعامل معي بتحفظ شديد.
- لماذا لم تطلبى وقتها من «الباز» أن يتدخل لرفع الظلم عنك؟
 - لم أطلب، وهو كان يدرك ذلك تمامًا وكان يحترم إرادتى، فأنا فضلت أن أكون زوجة لـ «الباز» فى المنزل فقط ولم أرد له أن يرفع يومًا ساعة التليفون على أحد ما فى التليفزيون لكى يقول ارفعوا الظلم عن زوجتى، كنت أراه أبًا وأخًا وصديقًا وزوجًا وداعمًا لى، لكن يجب أن أخوض معركتى وحدى للنهية احترامًا له ولى قبل كل شىء.
 - كثر الحديث مؤخرًا عن رواية تتعلق بزواج الفنانة نبيلة عبيد من الراحل أسامة الباز لمدة ٩ سنوات وأنت كنت طرفًا مباشرًا فى إنهاء هذه الزيجة عن طريق مؤسسة الرئاسة.
 - جملة من كلمتين: لا تعليق.
 - هل تعتقدين أن «الباز» لم يلقى التكريم المناسب لشخص وُصف بأنه عميد الدبلوماسية المصرية لعهدين متعاقبين، سواء كان ذلك فى حياته أو مماته؟
 - لا، على العكس تمامًا، فتكريم «الباز» الحقيقى لم يعتمد على كلمة حق تقولها عنه مؤسسة الرئاسة فى عهد «مبارك»، أو نوط امتياز أو قلادة تمنحها الدولة له، لقد كُرم «الباز» حيًا وميتًا بحب الناس له، بسمعته الطيبة التى يتداولها الناس البسطاء قبل النخبة اليوم، بالتفاف الكثيرين ممن لا أعرفهم قبل من أعرفهم حولى وحول ابنته «مريم» للشد من أزرى ومواساتى، فالتكريم الحقيقى يأتى من أناس لم تربطهم به مصالح أو مناصب أيا كانت، وأنا أشكر كل من اهتم به سواء فى الفترة الأخيرة من حياته وبعد وفاته كذلك، ولو بمجرد سؤال إنسانى نابع من القلب، ف«الباز» اعتمد على ضميره فقط فى كل ما فعل لأجل مصر، وهذا وصل تمامًا إلى قلوب وعقول المصريين، لهذا بادلوه التقدير والاحترام تكريمًا لوطنية هذا الرجل.
 - هل ندم «الباز» يومًا ما على اختيار ما أو قرار معين فى حياته؟
 - لا أعتقد ذلك، يمكن القول إن معظم قراراته كانت واقعية ووطنية ويحكمها فيها ضميره فقط، ويجب ألا أنكر أيضًا فضل الله عز وجل عليه فى توفيقه كذلك فى كل خياراته وقراراته، خاصة المصيرى منها، وعلى الرغم من أنه عانى فى نهاية حياته، لكن هذه هى الحياة.
 - ماذا عن أسامة الباز زوجًا وأبًا وجدًا؟
 - (بعد فترة صمت ويعينين دامعتين): كان أبًا رائعًا وزوجًا حنونًا ويعامل زوجته بكل

احترام ومودة وإخلاص وتفان، أما الجد فهو طفل صغير يلعب أحفاده بمتهى العفوية والبراءة، لقد كان «الباز» كتلة من الحنان المتحرك على الأرض، لله الأمر من قبل ومن بعد، في أوقات كثيرة لا أتخيل أنه لم يعد موجودًا بيننا أنا وابتنتنا مريم «١٢ سنة»، لدرجة أن «مريم» في أوقات كثيرة تسألني: «يا مامي هو أنا مش هشوف بابي تاني ومش هلعب معاه ولا هضحكى لي حواديت حلوة تاني.»!

• ما آخر كتاب قرأه الراحل أسامة الباز؟

- الوقت والزمن «Being And Time» لـ «مارتن هيدجر»^(١)



صورة للدكتور أسامة الباز وزوجته المذيعة التلفزيونية السيدة أميمة تمام

ذهب إلى الانتخابات الرئاسية الأخيرة

ووقف في «الصابور».. وأمام الصندوق

قرر ألا يدلي بصوته في آخر لحظة

حتى لا يتحمل مسؤولية «فشل» الرئيس

**«تجميد» دور «الbaz» في الرئاسة بدأ بالفعل
في ٢٠٠٢ مع أول حديث عن «التوريث»**



الbaz في أحد اجتماعات السادات مع كارتر



الباز «عريسا» لحظة قطع تورتة الفرح

التكريم الحقيقي:

تكريم «الbaz» الحقيقي لم يعتمد على كلمة حق تقولها عنه مؤسسة الرئاسة في عهد «مبارك» أو نوط امتياز أو قلادة تمنحها الدولة له، لقد كرم «الbaz» حياً وميتاً بحب الناس له بسمعته الطيبة التي يتداولها الناس البسطاء قبل النخبة اليوم بالتفاف الكثيرين ممن لا أعرفهم قبل من أعرفهم حولي وحول ابنته «مريم» للشهد من أزرى ومواساتي، فالتكريم الحقيقي يأتي من أناس لم تربطهم به مصالح أو مناصب أيا كانت، وأنا أشكر كل من اهتم به سواء في الفترة الأخيرة من حياته وبعد وفاته كذلك، ولو بمجرد سؤال إنساني نابع من القلب.

القرارات الوطنية:

يمكن القول: إن معظم قراراته كانت واقعية ووطنية ويحكمها فيها ضميره فقط، ويجب ألا أذكر أيضاً فضل الله عليه عز وجل في توفيقه كذلك في كل خياراته وقراراته، خاصة المصري منها، وعلى الرغم من أنه عانى في نهاية حياته، لكن هذه هي الحياة.



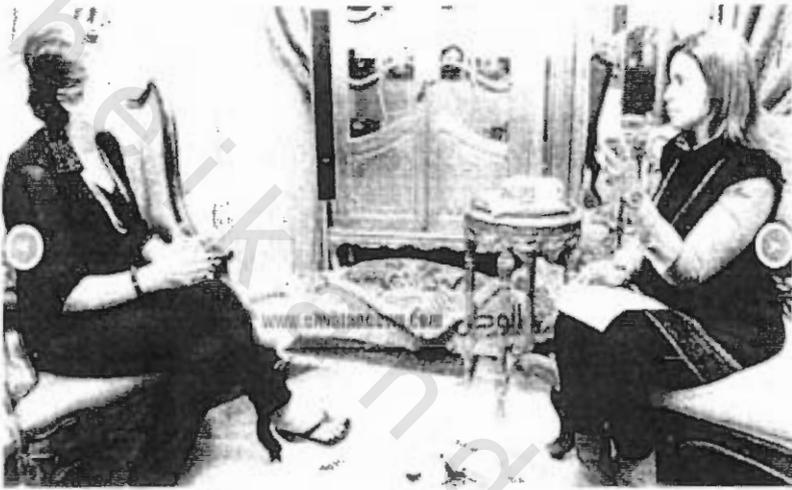
السادات «الرئيس» والbaz «المستشار الياسي» و«مبارك» نائب الرئيس



«الباز» مع ياسر عرفات



في إحدى الجلسات مع السادات



أميمة تمام في حوارها مع الوطن



الجزء الثاني



قبل أن تقرأ.. «الجزء الثاني»

الحياة الخاصة للرؤساء والملوك وكبار المسؤولين بأدق تفاصيلها تستهوى الكثيرين بل إنها مادة ثرية لكل وسائل الإعلام.. ولذلك يحرصون على إحاطتها بسياج من السرية والتكتم الشديدين.. بعضهم يبالغون في هذا الإجراء وآخرون يتسامحون إزاء التقارير التي يبثها الإعلام عنهم من وقت لآخر.

لن تستطيع معرفة حقيقة أى امرأة.. إلا بعد أن تتأكد أنهم أغلقوا عليك باب قبرك بإحكام!!
«تولستوي»

أسامة الباز رجل أسرة من الطراز الأول .. فكيف ولماذا هذا الزواج بينه وبين الفنانة نبيلة عبيد التي تؤكد..!
أين الحقيقة الغائبة..؟!



حفلة زفاف ياسل الباز - ويبدو أسامة الباز في أوج أناقته وسعاده



امراتان وفتاة .. أحبهن أسامة الباز

شجرة الدر

أول امرأة تجلس على العرش في تاريخ الإسلام



«شجرة الدر» أحد أشهر الشخصيات العربية، والتي صارت سيدة القصر وصاحبة الكلمة في حكم مصر بعد أن تزوجت زواجاً شرعياً من الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل بن الملك العادل بن صلاح الدين الأيوبي، وقد اتخذها في البداية جارية له بعد أن فتن بجهاها وقوامها وفيض جاذبيتها وذكائها لتصبح محظيته وأم ولده "خليل" وقد كانت تناديه يا أبا خليل، وبسبب شجرة الدر ترك نجم الدين زوجته العالمة أم ولده غياث الدين تورانشاه، وقد اختلف المؤرخون في تحديد جنسيتها؛ فقيل: إنها رومانية، وقيل: إنها جركسية، وفي التاريخ ما إن يذكر اسم شجرة الدر حتى يقترن به اسم مرجانة الجارية الثانية لنجم الدين، وقد اشتراها من حلب والتي كان يحكمها نائباً عن والده الملك الكامل الذي كان يحكم مصر حتى توفي عام 635 هجرية (1238 ميلادية)، وكانا يعتقدان - شجرة الدر ومرجانة - أنها من بلدة واحدة في جبال القوقاز ساقهما النحاسون طفلتين صغيرتين وباعوهما للأمراء والحكام في بلاد الشام.

وقد كانت شجرة الدر ومرجانة محل استلهام العديد من الفنانين المستشرقين ليقوموا برسمها في العديد من لوحاتهم المتحفية التي تجمع بين الواقعية والشاعرية والمثالية، وقد نشطت حركة الاستشراق بصورة تدريجية منذ سقوط الدولة البيزنطية في القرن الخامس عشر حتى وصلت إلى ذروتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ليبدع هؤلاء الفنانون الغربيون من خلال تاريخنا وعاداتنا وتقاليدينا روائع خالدة في رسم الجوارى وسيدات القصور وأجنحة الحرير وربات الجمال من نساء الشرق بمفاتنهن الأثوية الموحية بالجمال والإثارة.

بعد وفاة الملك الكامل ملك مصر استولى على الحكم ابنه الأصغر سيف الدين أبو بكر الملقب بالملك العادل الثاني حيث كان الابن الأكبر نجم الدين في حصن كيفا والياً وحاكماً له، وهو حصن من حصون المشارق يقع على حدود تركستان، وكان يرى نجم الدين أنه الأحق بالعرش، وقرر انتزاع الحكم بالقوة، فصحب زوجته وابنتها ومرجانة وزحف على رأس جيشه الصغير المؤلف من عشرات الجنود وبعض المالك، وعلى رأسهم بيبرس، وأبيك، وفلاوون، وأقطاي، متوجهين نحو الجنوب فاعترضه الناصر داود ابن عم نجم الدين وصاحب قلعة الكرك، الشاهقة أسوارها، الحصينة أبراجها والتي

تقع عبر نهر الأردن ويسط صاحبها من خلالها نفوذه على البقاع المجاورة، وقد بقى نجم الدين وبعض خاصته ونسائه في قبضة الناصر داود بعد أن أوقعه مع جيشه في كمين شتت شملهم ليودعهم سجون القلعة سبعة أشهر كاملة، وكانت الجاريتان شجرة الدر ومرجانة خلف قضبان أحدهما، وقد تسمرت عيناها ذات يوم على باب سجنهما ينتظران قدوم سيدهما نجم الدين بعد أن اقتادوه ليتباحث مع الناصر داود وظل لساعات في مفاوضات متشعبة، ولم تكن هناك عداوة بين نجم الدين والناصر داود لكنها مساومة على اقتسام الغنيمة وتوزيع النفوذ، أفضت إلى أن يستقل الناصر داود بحكم الشام ويتزعج نجم الدين حكم مصر من أخيه، ويزف نجم الدين هذا الخبر إلى شجرة الدر والتي كانت صاحبة الخطوة بعد أن أثرها على مرجانة التي أصبحت وصيفة لها بالغت في التقرب منها رغم اكتوائها بنار الغيرة حيث كانت تهيم بحب سيدها، وقد كانت تجيد الحكايا والأساطير وتضرب الودع وتجيد قراءة الطالع، فقد تعلمت كل ذلك عندما كانت ملكا لأحد أمراء الفرس في جبال اللاذقية، وقد تنبأت لشجرة الدر بالجلوس على العرش وستصبح الحاكمة بأمرها وذلك ضمن حكايا ليلي قلعة الكرك، وقد استغلت مرجانة كل ذلك لتسيطر على سيدتها شجرة الدر بتوجيهاتها ونصائحها لتصل إلى مآربها في الانتقام منها حينما تواتبها الفرصة.

تركت شجرة الدر ومرجانة مع سيدهما نجم الدين قلعة الكرك تنفيذًا للصفقة التي تمت مع الناصر داود متوجهين إلى مصر لتبدأ فيها الأحداث بخلع نجم الدين أخاه سيف الدين والزج به في السجن بقلعة صلاح الدين، وزاد على ذلك بأن قتله خنقا في سجنه عام ٦٣٧ هجرية وسيطر تماما على الحكم في مصر وأصلح أحوالها محسنا التصرف في مقاليد الحكم، وشعورا بثقل المسؤولية لتصير شجرة الدر بعد أن تزوجها زواجا شرعيا صاحبة الكلمة العليا في كل شؤون الدولة، وشعرت بالحظ وقد أحاطها بكل ما تبتغيه فقد أنعمت بيا أوتيت من جاه ونفوذ وسلطان وحكم وزوج وولد، لتفاجأ بصدمة عنيفة بموت ولدها خليل ويترعرشها في أحداث داخلية وخارجية، ولم يمهلها القدر لتستجمع قواها بعد وفاته لتحدث الصدمة الكبرى بوفاة زوجها نجم الدين عام ٦٤٧ هجرية (عام ١٢٤٩ ميلادية).

وقد كان هول الصدمة في وفاة نجم الدين يتمثل في أن وفاته واكبت المعارك المشتعلة بين المصريين والصليبيين الذين كان يقودهم لويس التاسع ملك فرنسا الذي كان يتأهب للزحف بجيوشه الفرنسية إلى القاهرة عن طريق المنصورة بعد نزوله مدينة دمياط في الخامس من شهر يونيو عام ١٢٤٩م، وبحنكة وذكاء وحكمة وشجاعة أخفت شجرة الدر وفاة زوجها عن الجميع، إلا أقرب الناس إليها، الحاقدة عليها، مرجانة والتي انتهزت الفرصة للقيام بدورها في التخطيط والانتقام من سيدتها حيث ذكرت أنها هي التي تنبأت بجلوسها على العرش واستيثارها بالحكم وحدها، لترد عليها شجرة الدر: وهل في هذه المسؤولية الجسيمة ما يجلب في السعادة؟ وبذكاء التقطت مرجانة خيط المشكلة التي تشغل بال سيدتها وهو غياث الدين توارنشا ابن نجم الدين من زوجته السابقة، وأيقنت أنها المشكلة الكبرى التي ستواجهها، وانتهزت الفرصة لتقول لها: إن غياث الدين توارنشا هو العقبة الكبرى أمام طموحاتنا، وقد تشاء الظروف بأن تبعده عن طريقك كما حدث مع عمه وأبيه، وأضافت: وليتك تعتمدين عليّ في مثل هذه الأمور! وقد كانت شجرة الدر لا تخفى صغيرة ولا كبيرة عنها، وزادت ثقتها بها وهي التي تنفجر حقداً عليها! أخفت شجرة الدر نبأ وفاة زوجها نجم الدين عن الجيش والشعب المصري وهو مارفع من شأنها وقدرها لديه، حيث واصلت بمفردها التصرف في أمور البلاد استعانت خلالها بالمقربين إليها، المخلصين لها وركزت جهودها على صد الخطر الصليبي القادم من شمال البلاد، وقد أرسلت رسلها في طلب وحضور الأمير توارنشا من الشام فوراً، واستغرقت الرحلة ذهاباً وإياباً ثلاثة أشهر حافظت فيها شجرة الدر على السر-الخطير، كانت تصدر القرارات والمراسيم والتعليمات والأوامر مذيلة بخاتم الملك الصالح نجم الدين متعللة بمرضه وملازمته الفراش، وقد أحرزت انتصارات باهرة على الجيوش الفرنسية وأوقفت زحفهم وتفرقت كتابتهم مع انتفاضة الشعب بكل طاقته وموارده وطبقاته حتى وصول غياث الدين الذي تفرغ لقيادة الجيش ضد الصليبيين بعد أن أعلن خبر وفاة والده نجم الدين وتنصيب نفسه ملكاً على مصر والشام بعد أن أعادت إليه شجرة الدر مقاليد الحكم وتبعات الملك وذلك في نهاية عام ٦٤٧ الهجري، وخلال أسبوعين وبعد تفرغ غياث الدين لقيادة الجيش انزل بالصليبيين كارثة مروعة وسحق جيشهم في المنصورة

ووقع الملك لويس التاسع أسيراً في أيدي المصريين الذين اقتادوه إلى دار ابن لقمان حيث اتخذوه سجناً له، لتعم البلاد أفراس الانتصار وأجساد السيادة والكرامة وعودة الثقة والتفاني بحب الوطن.

لقد أثر هذا الانتصار على توارنشا وأصابه بنشوة التعالي والخيلاء ليعامل شجرة الدر بخشونة وقسوة وجفاء لم تتعوده، وتعالى على الأمراء المخلصين الذين حافظوا على عرش البلاد بعد وفاة أبيه وقبل وصوله، وقام بإبعادهم، وطلب من شجرة الدر ماتبقى من ثروة أبيه، وقد انعكس هذا التعامل بردود فعل غاضبة لتحاك المؤامرات ضده بالردع والانتقام منه بعد أن استفز ممالك البحرية، ليحاول توارنشا الفرار بعد أن ضربه بيبرس البندقدارى بالسيف فقطع يده، وأدركه المنتقمون في وسط النيل ليجهزوا عليه وذلك في شهر المحرم من عام ٦٤٨ هجرية بعد خمسة أسابيع من مبايعته ملكاً، وألقيت جثته في العراء ثلاثة أيام، ولا يعرف أحد أين دفنت، لتنقرض أسرة الأيوبيين في مصر، ويخلو العرش رسمياً لشجرة الدر حيث بايعها الأمراء وكبار رجال الدولة لتكون أول ملكة تجلس على العرش وحدها في تاريخ الإسلام، ولقبت بالملكة عصمة الدين والملكة أم خليل المستعصمية نسبة إلى الخليفة المستعصم، ونقش اسمها على الدراهم والدنانير، وبدأت في عهدها تسيير المحمل المصري إلى الحجاز، والذي يحمل كسوة الكعبة إلى بيت الله الحرام، بالإضافة إلى المؤن والأموال لأهل البيت، وكان أول ما تأمر به عدة أثواب مزركشة وقرطين من الماس ومجموعة نادرة من القباقيب مصنوعة من خشب الصندل المموه بالذهب لجاريتها مرجانة، التي كانت تطلب المزيد من هذه القباقيب في المناسبات المختلفة.

وقد جاءت ردود الفعل الغاضبة في مختلف بلاد الإسلام برفض تولى امرأة للعرش حيث أرسل الخليفة المستعصم بالله العباسي يقول: ويل لبلد تحكمه امرأة، إذا كانت مصر قد أفقرت من الرجال فأخبرونا حتى نرسل اليكم رجلاً.

وبذكاء وحنكة أدركت الملكة أن الأمور حولها لن تستقر بدون وجود رجل بجوارها يساندها ويشاركها السلطان والرأى والحكم لتزوج من الأمير عز الدين أيبك التركمانى الذى اتخذ من الملك المعز لقباً له وبدأ بإرضاء الفئة الباقية على ولائها للأسرة الأيوبية

فاختار موسى الأمير الصغيرة من سلالة الملك العادل ونصبه ملكا معه متخذًا لقب الملك الأشرف، ثم زج به في السجن بعد استقرار الأمور ثم قتله ليصفو الجو له مع شجرة الدر ليتمكن من توطيد ملكه وعرشه خصوصا وأن زوجته الملكة قد بلغت الخمسين من عمرها مما سيمكنه من بسط نفوذه وسلطانه ليكون صاحب الكلمة العليا وأخذ يخطط في مستقبل ذلك كله ومن يورث العرش خصوصا وأن شجرة الدر لن تستطيع الانجاب، وابنها من الملك الصالح نجم الدين مات صغيرًا، في حين أن جاريته قد أنجبت له نور الدين علي، وزاد طموحه ليرسل إلى بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل يطلب منه أن يزوجه بابته، لتسوء علاقته بشجرة الدر وغضبت أشد الغضب بعد علمها أنه ينوى استقبال العروس الجديدة في قصر القلعة، ثم دار الوزارة بالقاهرة.

من خلال مرجانة وقيادتها لمجموعة من الخدم علمت بكل ما يدور من أحداث لتسعى إلى الوقعة بين الزوجين الذين عاشا سبع سنوات في شقاق وخلافات، ونجحت في اشعال الفتنة لتوعز إلى شجرة الدر بأن زوجها عز الدين يخطط لاغتيالها، وساق فكر الملكة لأن تقضى عليه عن طريق غلمانها فنفذوا أوامرها بذلك على مرأى منها، ويذكر المؤرخون أنها بدأت اغتياله بضربة القباقب الأولى على رأسه وتوالت ضربات الغلمان حتى أجهزوا عليه.

هب أنصار عز الدين أيك من المماليك ثائرين لهذه الجريمة البشعة ليهاجموا قصر الملكة ليقنادوها إلى أحد أبراج القلعة سجينة مجردة من سلطانها ونفوذها بعد أن فتكوا بالغلمان والحاشية من الخدم والعبيد ثم نادوا بالطفل نور الدين علي، ابن عز الدين أيك ملكا على مصر والشام ملقبينه باسم الملك المنصور وهو ما لم تدعن له شجرة الدر ولا للأحداث المروعة التي حاقت بها وأردات أن تفتك بهم وتغرقهم في بحور الدماء، فاستجمعت من بقى من أنصارها وحشتمهم على قتل هذا الطفل وأمه ثم المماليك المعزية فيهما بعد ذلك.

وصلت هذه الأنباء إلى مسامع مرجانة لتواتبها الفرصة وتحقق رغبتها المكتومة المتمثلة في حسدها وحقدتها الدفين على شجرة الدر التي فضلها سيدها نجم الدين عليها، لتقوم بنقل هذه الأنباء إلى أم نور الدين التي اجتمع معها المماليك ورجتهم أن يقتلوا غريمتها

شجرة الدر.

بعد قتل المعز بأيام اقتاد المماليك شجرة الدر إلى غريمته أم نور الدين الملك المنصور لتشير إلى جواربها بعد أن مثلت أمامها ليثبوا عليها ويبرحانها ضربا بالقباقيب تتقدمهم مرجانة متحينة الفرصة في الانتقام الذي أضمرته بعد تلك الأعوام الطويلة التي عاشتها معها توهما بإخلاصها وجبها وولاتها لها، وتقول رواية أخرى: إن أم على زوجة المعز الأولى حرّضت ابنها عليا على قتلها انتقاما لأبيه.

ولفظت شجرة الدر آخر أنفاسها في هذا المشهد المروع ليسدل الستار على أول ملكة في الإسلام حكمت مصر ثمانية عشر عاما بذكائها وكذلك قوتها وتسلطها وعنفوانها والذي فشلت في التوفيق بين هذه الصفات مع نعومة ورقة طبيعتها الأنثوية. كانت شجرة الدر هي المرأة الأولى التي أعجب بها الدكتور أسامة الباز.



أسامة الباز



شجرة الدر

كليبواترا.. الحكمة والجمال



«فخر الوطن» التي ألهمت العديد من الفنانين

هى واحدة من أشهر بطلات القصص التاريخية، لما تتمتع به هذه المرأة من جمال مشير وأثونة طاغية وجاذبية وكذلك لما تتصف به من ذكاء ودهاء، على مر القرون أبدع من خلال قصصها المثيرة الفنانون، وترنم بها الأدباء والفلاسفة والشعراء، أنها سليلة الملوك، وريثة أمجاد الفراعنة العظام، إنها ملكة مصر التى توجت فى السابعة عشرة من عمرها، ابنة بطليموس الحادى عشر، "الزمار" كما أطلق عليه الشعب بعد أن ظل يعزف على مزماره كأحد أبناء الرعاة للرقيق والغوانى اللاتى يخالطنهن، هذا الشعب الذى جعله يفر من غضبته إلى روما لينتقل التاج إلى فاتنة الدنيا وحسنة الزمان، رقطاع النيل كما وصفها أعداؤها الرومان بعد أن أحالت زعيمين من قادتهم - هما قيصر ثم أنطونيو - إلى أسيرين لغرامها وفتنتها وسحرها الذى لا يقاوم، إنها ذات الأنف الذى لو قصر طولاً لتغير وجه العالم كما وصفها الفيلسوف الشهير "باسكال" فى القرن الثامن عشر.

إنها "كليوباترا" أو "فخر الوطن" كما يعنى اسمها اليونانى الذى يتكون من مقطعين: "كليو" بمعنى فخر، و"بتر" بمعنى الوطن، والعجيب أنها آخر الأميرات السبع اللاتى حملن نفس الاسم من أسرة البطالسة فى مصر منذ أن دخلها الاسكندر المقدونى عام ٣٢٣ ق.م، واستمرت فى حكم البلاد حتى نهاية عصر البطالسة الذى طويت صفحاته فى السابع والعشرين من أغسطس من عام ٣٠ ق.م. ولم يكن لأى من الأميرات الست اللاتى سبقها دور يذكر، حتى أنه لم تحظ واحدة منهن بسطر أو حتى كلمة فى سجل التاريخ. تغنى بها موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب فى أغنية كان اسمها عنوانها، وهى موضوع القصيدة التى قرأها أمير الشعراء أحمد شوقى، كما وصفها الشاعر العربى بقوله:

قلت أمران: هين وشديد	كم غرير بحسنها قال صفها
طرا ويصعب التحديد	يسهل القول أنها أحسن الأشياء
أم لها كل ساعة تجديد	أهى شىء لاتسام العين منه

وقد كثر وصف جمالها وذكائها وسحرها الذى قال عنه شاعر يونانى عاش عصرها: "إن سحر كليوباترا ينبعث من نبرات عينها حيث تتكلم وهى صامتة" والتقطت مقاييس الجمال لديها وتناسق قوامها عينا فنان رومانى قائلا عنها: "إن جمال

كليوباترا يكمن في تناسق جسمها وطريقة مشيتها وتناغم صوتها وكأنها عزف شجي لموسيقى المعبد، أما جمال وجهها فهو السحر الذى يلهم الفنان أفكارًا عبقرية" وبالفعل، فقد ألهمت العديد من المبدعين والفنانين لتخلد قصتها من خلال المشاهد المثيرة والمتابعة، واحتلت شخصية الملكة المصرية مكانًا بارزًا في أعمالهم، من هؤلاء الفنانين: ديللاكروا، وجيروم، وجون ليس، وجاكوب جوردان، والنحات لويس آدمونيا، ولعل أشهر فنان أبدع لوحات لها كان بعضها في مساحة الحائط الكبير، هو الفنان البريطاني الشهير "لورانس الماتاديا" الذى أشاد من خلالها بالحضارة الفرعونية مؤكدًا أنها منابع المعرفة في العالم قائلًا: "إذا تدارسنا حياة كليوباترا وكيف كانت تحكم العالم وهى على مقعدها الوثير في مدينة الاسكندرية، لوجدنا أنها شخصية فذة مميزة، وقمة سامقة فى التاريخ، وبالنسبة لنا - نحن الفنانين - نجد في شخصيتها ما نبتغيه: الجمال وقوة الشخصية وجاذبية الأنوثة وحكمة القيادة ورحابة الثقافات والمعارف الانسانية.

كما استعرضت العديد من الأفلام قصة حياة الملكة، وما تتضمنه من قصص وحكايات جذابة حملت كلها اسم "كليوباترا"، أهمها الفيلم الذى قامت فيه بدور كليوباترا الفنانة "إليزابيث تايلور" عام ١٩٦٣م أمام زوجها الممثل "ريتشارد بريتون".

أما قصة هذه الحسنة الفاتنة التى جرت أحداثها في الإسكندرية، فتبدأ حين اعتلى التاج جبينها وهى فى السابعة عشرة من عمرها بعد أن هرب والدها فأرًا من غضبة الشعب إلى روما، وكانت تتفجر بالأنوثة المبكرة والجمال والجاذبية، ولأنها فى هذه السن الصغيرة وضعتها روما - الإمبراطورية التى سادت العالم آنذاك - تحت وصايتها واشترطت عليها أن تتزوج من شقيقها بطليموس الثانى عشر، وهو طفل يصغرها بثمانى سنوات، وهكذا اعتلت عرش مصر بوثيقة زواج لم تقم بتنفيذها حيث لم تقتنع بذلك وماطلت فى تنفيذ الوثيقة الرومانية مستهينة بأخيها الصغير، واحتدم الصراع بينهما بعد أن التف الكهنة والمستشارون من المستغلين والمغامرين والطامعين حول الزوج الطفل وهم يعلنون أنها ترعى فى أحضان وفود روما فى الوقت الذى تضمن فيه بنفسها على زوجها الشرعى، ليصل الصراع الى الصدام المسلح، بينما كانت روما وقادتها مشغولون بالحروب والنزاعات على السلطة التى فاز بها "يوليوس قيصر" حيث قرر الذهاب إلى مصر ليضع حدًا للنزاع بين بطليموس وكليوباترا بعد أن احتدم القتال والصراع بينهما مما جعل كليوباترا تتحين الفرصة وتمتكن من الهرب مع مؤيديها وأتباعها إلى شواطئ البحر

الأحر بعيداً عن الاسكندرية، وانتهب بطليموس الفرصة ليمتلق قيصر ويتقرب إليه ويظهر الولاء له بكل ما يملك، وأمام ذلك لجأت الملكة إلى استخدام وسائلها الخاصة، ومن خلال سحر جمالها وقتتها وجاذبيتها وكل ما تملك من إثارة وأنوثة طاغية أوقعت قيصر في شباكها وشراكها الناعمة، فاستسلم لحسنة الزمان بعد أحداث غرامية وعاطفية جعلته يقول قولته المشهورة: "كنت أظن أنني أتيت ورأيت وغزوت" ويعنى بذلك أنها هي التي استطاعت فعل كل ذلك به.

لم يستطع بطليموس أمام هذه الأحداث إلا أن يعلن عصيانه على السلطة والحرب بلا هوادة على قيصر وكليوباترا، فخرس حياته بعد جولات معدودة، ليتزوج قيصر من فاتنته وينجب منها ابناً وقد خطت كليوباترا ليفوز هذا الوليد بميراث الإمبراطورية التي أقنعت زوجها باقتسامها معه حكم مصر وروما وبالتالي العالم كله!

ولكن كادت طموحات وخطط الملكة تذهب أدراج الرياح بعد اغتيال يوليوس قيصر في روما، لكنها لا تعرف اليأس ولا الخسارة، فهي تملك سلاحاً فتاكاً من التجارب وحدث أن قسمت الإمبراطورية إلى شرق وغرب، وكانت مصر ضمن الجزء الشرقي حيث تزعمه "مارك أنطونيو" الذي ترسم خطى قيصر ليكون القائد الثاني من روما الذي يهيم بحبها، ثم يتزوجها ليصبح منفذاً لما تخطط له، بعد أن ركبت سفينة فرعونية ذهبية مترفة أبحرت بها من الشواطئ المصرية للقاء أنطونيو على سواحل الشام، وسيطرت كليوباترا تماماً على أنطونيو ليصل الحال إلى أن يظل بجوارها في الإسكندرية متخلياً عن غزوه بلاد الفرس!

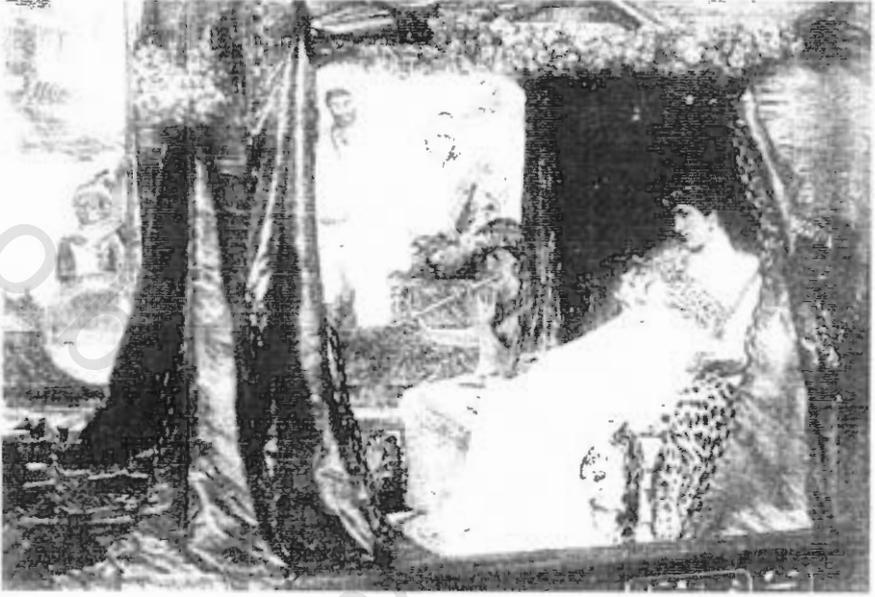
ودنت حسنة الزمان وفاتنة الدنيا من تحقيق حلمها في حكم العالم، إلا أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فقد اعتلى عرش روما "أوكتافيوس" الذي نصب نفسه ابناً لقيصر بالتبني بعد أن تعقدت الأمور في روما، وبث حقه على أنطونيو لليناصبه العداً لأنه الوصي الشرعي على ابن قيصر من كليوباترا وذلك بتكليف من مجلس الشيوخ الروماني، وعليه سيطلب بعرض الإمبراطورية بالكامل لقيصر الصغير، ولتدارك الأمر سعى أوكتافيوس ليشن حملة كبيرة لمحاربة أنطونيو، لتلتقى بالفعل أساطيل الشرق التي يقودها أنطونيو وكليوباترا وأساطيل الغرب التي يقودها أوكتافيوس في موقعة "أكتيوم" جنوب اليونان، وكان النصر حليف أساطيل روما لتقهقر كليوباترا بما تبقى من أسطولها عائدة إلى الاسكندرية لتصلها أخبار انتحار زوجها بسيفه الذي أغمده في صدره بعد

هروبه من المعركة، ليتهاز أوكتافيوس الفرصة ويرسل جيشه زاحفًا إلى سيناء في طريقه إلى الإسكندرية ليقود كليوباترا إلى روما أسيرة مكبلة بسلاسل من ذهب لتسير مثل السبايا في موكب انتصاره في روما.

لم تتخيل أسطورة الجمال والذكاء والشموخ أن تكون كذلك وهى التى كانت قاب قوسين أو أدنى من حكم العالم، زوجة قائد الإمبراطورية وأم وريثها الشرعى، فعقدت العزم على أن تطوى آخر وصفحة من صفحات تاريخ من عصر البطالسة، وأرسلت خطابًا مغلّفًا إلى أوكتافيوس في ١٢ أغسطس من عام ٣٠ ق.م يتضمن وصيتها في أن تدفن بجوار مارك أنطونيو بعد موتها، هنا أدرك أوكتافيوس بذكائه أن ثمة شيئًا ما سيحدث، فأرسل رجاله ليستقصوا الأمر ويعرفوا أخبارها ليجدوها مستلقية تحتضر على أريكتها الملكية المذهبة بعد أن اقتحموا قصرها.

لقد أمرت وصيفاتها بإحضار صندوق أفعى الكوبرا حيث أصرت على أن تكون نهاية حياتها بلدغة منها، وتضاربت أقوال المؤرخين حول الطريقة التى انتحرت بها كليوباترا، فقال "سترابو": إنها انتحرت بدهان جسدها بالسم، وقال "بلوتارك": إنه لم يكن هناك أية جروح خلفتها عضه الكوبرا، وهو الذى قال عنها: "إن جاذبيتها تكمن في شفتيها، فكل من سمع صوتها وهى تتحدث شعر ببناء الغواية والإغراء، أو من رآها في حركاتها وسكناتها وهى تتأيل في رشاقة ودلال ورقة انجذب إليها مسلوب الفؤاد لا يقوى على الحراك"، وقال "هوراس" عنها: "لقد أجمع كل من رآوها على أنها الفتنة بعينها تكمن في شخصيتها، ولم يتفق اثنان على تحديد موضع هذه الفتنة"، وعن موتها قال: إنها قتلت بعدة حيات أدخلت إليها داخل باقة من الزهور، وهذا أيضا أحد المشاهد التى أبدعها الفنانون في أعمالهم عن كليوباترا والتى بموتها وهى في الثلاثين من عمرها أسدل الستار على عصر البطالسة بعد خمسة أيام من كتابة وصيتها التى نفذها أوكتافيوس لتدفن بجوار انطونيو وتصبح قصتها من أشهر قصص الحب الخالد في التاريخ ربما لأنها جمعت بين السلطة والعاطفة والجمال وهى أمور لم تجتمع إلا لكليوباترا. التى ستظل سيرتها لهذه الأسباب تجرى على كل لسان مهما مر الزمان.

وهكذا عرفنا الكثير عن المرأة الثانية التى أحبها الدكتور أسامة الباز.. هكذا من أحضان التاريخ.. وتعالوا نتعرف على حبه الثالث!



كليوباترا وانطونيو للفنان فرانسيسكو تريفيسال

هي فتاة دمياط الطالبة بمدرسة اللوزي الثانوية للبنات بدمياط .. ابنة الأسرة العريقة "العلايلي" .. شاهدها في حفلات آخر العام حيث كانت تقام داخل المدارس ابتهاجاً بنهاية العام الدراسي والنجاح والفلاح كانت تلقى قثائد الشعر، وبلغه عربية فصيحة تنم على قدرتها اللغوية، وكانت أيضًا ضمن فريق مدرسة اللوزي للبنات في مسابقات أوائل الطلبة، وذات مرة أقيمت مسابقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط «البلاج» بين الفتيات والفتيان وأمام رواد المصيف الهادي الجميل «رأس البر» وفتت الأنظار بثقافتها وجمالها وأدبها الجم وخجلها الشديد أيضًا، وفي نفس الوقت كانت تتمتع بالمظهر اللائق بينات الأسر العريقة في دمياط، وذات مرة اشترك الطالب أسامة السيد الباز بمدرسة دمياط الثانوية في مسابقة رسمية لأوائل الطلبة «والذي أصبح فيما بعد الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي رئيس جمهورية مصر في أكثر من عصر وعميد الدبلوماسيين وتفوقت مدرسة اللوزي الثانوية للبنات على مدرسة دمياط الثانوية للبنين، ومن بين فريقه الطالب أسامة الباز المعروف أيضًا بثقافته وغازاة علمه وأنه هذا الطالب المجتهد المتفوق الفالح الناجح.. والمعروف كذلك بدمائه أخلاقه فهو ابن أحد علماء الأزهر وشيوخه الكبار وقد رباه على الخلق والتقوى وكان أول حب في حياة أسامة الباز هذه الفتاة الدمياطية الجميلة فقط كان يتابعها من بعيد ويراها على البلاج في مصيف رأس البر، ولا شك تمنى الزواج منها.. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. فقد ولد هذا الحب وهو في التوجيهية آخر سنوات الدراسة بدمياط.. لتذهب بعد ذلك لكلية الحقوق، أما الفتاة فقد تزوجت وأنجبت أولادًا وشاهدت بنفسها- هنا في القاهرة وأنا أزور قبر شقيقتي الغالية السيدة «سعاد» قبرًا آخر عليه لافتة تحمل اسم هذه الفتاة الدمياطية المثقفة الجميلة الحب الأول في حياة الدكتور أسامة الباز..! عليها مع رحمة الله.



تقول الحكمة :

ما ضاعت أمة على طريق الحياة .. إلا وكان السبب في ضياعها كأس ووتر

وامرأة ..!

دعونا أولاً نتعرف على المرأة والرجل أكثر.. لقد فهمت حواء وهي أول امرأة في المجتمع البشرى نفسية الرجل، وعرفت خباياه وميوله.. وكانت أول من عرفت كيف تحتفظ به، كان آدم في شغل من أمور الحياة البدائية القاسية، وكان يضيق بالوحدة، فعالجت حواء أموره، وسعت سعيها حتى كسبت قلبه، وضمنت حبه، وإقامته على ظهر الأرض أبا للبشر، وسارت الحياة الأولى، وميدان الرجل هو الكفاح الدائم، ولا تقاس بطولته إلا بمقياس الأجداد التي يجوزها في الغزو والفتح والتعمير والابتكار.. أما فتوحات المرأة فمحصورة في قطعة صغيرة من لحم ودم.. وغزو القلوب يختلف من قلب إلى قلب- هذا لا يخضع لقواعد وخطط ثابتة، فلا بد لها أن تتعرف على مواضع ضعف الرجل، فمن النساء من ترى وحدة الرجل أقرب طريق، ومنهن يعتقدن أن إثارة الغرائز الجنسية أقصر طريق..!

ولابد للمرأة عندما تختار الطريق لغزو الرجل أن تختارها بعد دراسة وبحث، فإن لم تفعل ذلك صعب عليها أن تكسب قلب الرجل والإبقاء عليه والتأثير فيه.

وكان «نابليون» يقول : «فتش عن المرأة في كواليس الحكم وفي السجون».

وتعكس هذه المعاني واقعاً فرض نفسه على التاريخ الإنساني كله..!

لم تكن المرأة يوماً بعيدة عن القرار السياسي، فقد تلعب الدور مباشرة من خلال امتلاكها لمقاييد الحكم أو من خلال تحريك الزوج الجالس على العرش السياسي بطريقة «الريموت كنترول» أو من خلال لعبة الجنس والسلطة، وهي اللعبة التي تجيدها وتفيد اللعب على مفاتيحها، فهي تمنح الجنس ثمناً للسلطة، وعندئذ يتحول رجل الدولة إلى العوبة في يد امرأة مدربة يمكنها أن تحرك مشاعره في الاتجاه الذي تريده! وإذا كانت السياسة ترمز إلى الضوء وهي غريزة أساسية في الإنسان فإن الجنس هو أيضاً غريزة اللذة وكل من اللذة والقوة يمثل حاجة ضرورية عند الرجل والمرأة على السواء - ومن الطبيعي

أن تكون رغبة الإشباع ، لكن دروب هذا الإشباع ليست محررة على الدوام، فقد تشتعل بالمصالح أو الفضائح أيضًا.

والحقيقة أن عالمنا الغربي ظل بمنأى عن هذا المزيج الغريب من الفضائح العاطفية لرجال الحكم والسياسة، ولم يكن هذا الطبيعة الطهر أو النقاء الذي تميزت به مجتمعاتنا العربية، ولكن للقيود الشديدة التي كانت تحول دون المساس برجال الدولة، وكأنهم قديسون لا يأتيهم الباطل من الأمام أو الخلف!! والمرأة والرجل كقوتى الكهرباء إذا تأثر أحدهما تأثر الآخر، وكذلك بدأت المرأة العربية تتأثر عندما راح العرب يخطرون في مكارم الذين أرادوا أن يخذلوا آخر جذوة من الحمية العربية، فأجبلوا عليهم بكل ما يوهن النفوس ويصيب القلوب من سماع وشراب وكواعب أتراب، وأغرقتهم في بحر طاف من الترف والزهو واللهو والمحارم والمآثم، ولم يمض غير قليل حتى راح العرب يخطرون في مطارف الفرس، ويلعبون عندهم، ويشربون أيضًا، ويتأدبون بأداب الفرس، ويتخلقون بأخلاق الفرس!

وكان لتلك المرأة العربية منزلة في القلوب تهفو لها الوجوه وتطمئن دونها النفوس، ولم يكن مرجع ذلك لما لها من جمال ودلال وغضارة ونضارة وخلابة ودعابة، فما كانت من ذلك في قليل ولا كثير، ولكنها كانت فيما تضررت به بين نساء القصور الأولى من سمو الروح إلى أبعد مرتقى، وصفاء النفس إلى أتم غاية، وكان أشد ما فتن الرجل في نفسه وغلبه على عقله وصرفه عن امرأته ثلاثة أشياء:

- الأول: الجوارى اللواتى سباهن العرب من مختلف الأقطار والأمصار.
- الثانى: الديارات التى بثها الروم والسريان وأشباههما فى طريق البلاد لصرف العرب أو لآ عن قوميتهم وأخيرًا عن دينهم.
- الثالث: ذبوع البغاء وأمثال البغاء فى حواضر العراق!

الحرملك .. أسرار وإلهام:

ولقرون عديدة سكتت المرأة أو أسكتت، والآن تتكلم، لتنتزع حق كتابة تاريخها بعد أن توجب عليها لسنوات طويلة أن تخرج رأسها من «المشربية» وتلوى عنقها بإرادتها

لتختلس نظرة أو ابتسامة أو كلمة ، وربما موعدًا فلقاء! في الحرم ملك حيث العالم الذي يكتنفه الغموض وتلفه الأسرار والحكايات ، تفتح أسرار التاريخ برفق في هذا الكتاب الذي يصدر لأول مرة بهذه الدقة وهذه التفاصيل، ومن التاريخ العربى والإسلامى البعيد والقريب عن «حریم السلطان» ، وأقصد بهن نساء الشخصيات الشهيرة السياسية والحكم ، بحثنا عن تفاصيل السحر المخفر على الفضول والإلهام الذى دفع المستكشفين الأوربيين من قبل لاكتشافه وسبر أغواره ، وحاولنا تسجيل ما دونوه عن همساته ونبضات شرايينه، رغم أن مشاهداتهم الشخصية لم تتحقق إلا فى أضيق الحدود وعبر وسطاء من الحریم أيضًا.

إلى هذا الحد كانت حياة الحرم ملك غاية فى السرية للدرجة التى جعلت واحدًا مثل «بريس دافين» يقول : محال أن نعلم شيئًا عن النساء إلا من الأوربيات اللاتى يختلطن بهن، وأنتك لتسب المسلم سبًا ، إذا سألته عما يخص حریمه ، كان ذلك فى القرن التاسع عشر، أما الآن فقد تحررت المرأة من كل شيء ، وتكلمت أخيرًا!

وحكام مصر مثلًا حتى مقدم محمد على باشا كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أشربوا التقاليد العثمانية لحاكمين لها نيابة عن السلطان العثمانى ، وتشبهوا بسادتهم السلاطين ومن بينهم الحریم.

فقد كانت النساء والجوارى فى «الحریم السلطانى» فى تركيا تخصص لهن فى القصر للسكنى وفيهن والدة السلطان الحاكم وزوجات السلطان ، ثم بناته وأولاده الصغار ، ثم فئات من الجوارى الحسان .. كن يعيشتن فى القصر، وكان للسلطان مقصورة خاصة وسط أجنحة الحریم، وتحوى غرفة نومه وحمامات وقاعة استقبال كبيرة، وعند زيارته لأجنحة الحریم كانت تصحبه «الكايا» وهى من كبرى موظفات الحریم السلطانى ، ومن بين اختصاصها تنظيم الأوقات التى يقضيها السلطان مع ساكنات دوائر الحریم ، وعلى نزهاته مع البعض منهن فى حدائق أجنحة الحریم، ولكى يتم الإعلان بوصوله إلى منطقة الحریم كان السلطان يرتدى صندلًا من فضة يحدث صوتًا على الأرض المكسوة بالرخام لتنبه الموجودات، أما إذا فاجأهن السلطان بوجوده فى منطقة الحریم فإن كان من قواعد البروتوكول ألا تنظر السيدات والفتيات إلى وجه السلطان، بل يغضن من أبصارهن وينظرن إلى الأرض حياء!

حوا أنا يا أدمى أنا من ضلوعك قد خرجتُ وأنت منى تُولدُ
أم الحياة أنا، أنا امرأة أنا في الأرض سيدة وأنت السيدُ
إن كنت إنسانًا فإنسان أنا لا أنت تعبدُ أو أنا أستعبدُ

لم تعد المرأة هي ضمن «حريم السلطان» فقط .. بل هي رمز العطاء وضوء النماء، منبت الزروع لأشجار ثمارها بشر خلقوا ليخلفوا الأرض ويسعوا العمرانها، فلا يكتفون بالحياة، وإنما يهبونها لأخرين.. وتلك حكمة الله العظيم، وبين الأمس واليوم تتأرجح صورة المرأة من حريم السلطان .. إلى امرأة تحاول جاهدة أن يكون لها دورها الإيجابي في بلادها العربية والإسلامية، ولكن قد تتراقص علامات الاستفهام أمامنا وأمامها هي بالذات وأبرزها: أنها لم تنزل تشعر بأن مردها إلى ذلك الشباك الحريمي «المشربية» لتظل منه على العالم، وهي خجلة فترى نصف رؤية وتسمع نصف سمع!

كانت في القديم توأد وأتى الإسلام كحضارة وأعطاه حقوقها، وشجعها على العلم والعمل، والآن أصبحت المرأة تتبوأ مكانتها المرموقة، وتحظى بالرعاية والتمكين لتحقيق ذاتها، ولكي تتأكد من ذلك علينا أن نتعرف أكثر كيف كانت المرأة قبل هذا العصر الذي نعيش فيه، وللأسف الشديد يركز مجتمعنا نظرتة الأحادية إلى المرأة على أنها مجرد جسد يشتهي! أو مجرد وعاء جنسي، لا يهم بعد ذلك أن تتمتع بأى ذكاء، أو عقل أو حس، أو قدرة على العطاء الاجتماعي!

وأما المرأة الماكرة، فهي الأسطورة التي يسقط عليها الرجل كل تناقضاته، ويحملها مسؤولية كل صراعاته العلائقية، إنها المرأة التي لا يؤمن لها والتي يجب بجهد الاحتراس لكيدها ودمسها، فهي النظرة الدونية للمرأة .. فإنه تعكس المكانة الممنوحة للمرأة حالة المجتمع نفسه على وجه العموم، وتجسد درجة تطوره، وكان من النادر وجود فلاسفة ومفكرين ممن أنصفوا المرأة وأعطوها مكانتها اللائقة بها، فقد كان «فيثاغورث» يميز بين مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل، ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة!

ويعلن آخر أن المرأة هي في خدمة البطن، ويصرح «أرسطو» بأن الأنثى، أنثى بسبب نقص معين لديها في الصفات، أما «أفلاطون» فقد دعا إلى مشاع النساء، ولقد قال

«بولس»: إن الرجل لم يخلق للمرأة، ولكن المرأة خلقت للرجل، ودفعتها «يوحنا فم الذهب» بقوله: ليس هناك بين كل وحوش الأرض المفترسة من هن أشد أذى وضرراً من المرأة!

وكتب توما الأكويني:

إن المرأة قد كتب عليها أن تخضع تحت هيمنة الرجل، وألا تكون لها أى سلطة، وهذا فى رأى وتقديرى من وجهة نظرى يعتبر قولاً خاطئاً جداً وغير مقبول، والدليل هذه النماذج من نساء الحرملك وحریم القصور الملكية والرئاسية وفى العالم كله، وليس العالم العربى بشكل خاص، وعلى سبيل المثال لا الحصر، إن ما حدث خلال الأربعينيات أثناء حكم ملك مصر فاروق الأول انتهى برحيل الملك وسقوط الملكية.

كانت الملكة الأم «نازلي» على علاقة بـ أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي، والتي انتهت بالزواج السري! كانت هذه العلاقة تثير حفيظة الملك الابن فاروق، وكانت بمثابة جرح ينزف دون توقف!

كانت هذه المشاعر المختلطة من الإحباط وسوء سلوك الملكة «نازلي» بمثابة مناخ جيد استغلته الحاشية المحيطة بالملك الصغير السن لدفعه إلى عالم الانحراف والملاذات، ومن خلال العقد الملكى الذى تحول إلى مأخور كان من السهل توجيه الملك وسياسة البلاد! فى تلك الفترة من الأربعينيات أيضاً والتي تلت عام ١٩٤٣ م.

ارتبط رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا بالمطربة أسمهان!.. والتي كانت فى ذلك الوقت عميلة للمخابرات البريطانية!

أما الشاب الثائر «عزيز فهمي» ابن رئيس مجلس الشيوخ الشهير عبد السلام فهمى جمعة، والذى أسس الطليعة الوفدية، فقد تعرف بالراقصة «بإعز الدين»، وكانت ترتبط لعظم راقصات تلك الفترة بالمخابرات الإنجليزية!

وكان الملك فاروق نفسه كما ذكرنا من قبل غارقاً فى ملاذات لا تنتهى واستطاع «أنطون بولي» سكرتيره الخاص أن يكون المستشار العاطفى للملك إذاً أجز لنا هذا التعبير، وقد تمكنت الوكالة اليهودية المخابرات اليهودية فى ذلك الوقت - والتي هى أيضاً المؤساد

الآن...! بالتعاون مع المخابرات الإنجليزية من إدخال الممثلة «كاميليا» اليهودية الأصل باسم «ليليان كوهين» اسمها الحقيقي - إلى حياة الملك فاروق لتكون عشيقته والمطلعة أولاً بأول على كل أسرار القصر، وقد لعبت هذه العشيقة اليهودية دوراً خطيراً في توقيع صفقة الأسلحة الفاسدة والتي راح ضحيتها الكثيرون من أبناء مصر عام ١٩٤٨م، كانت المرأة بكل إغراء الأنوثة منها والرغبة في السيطرة وفرض نفوذها هي الطعم الذي تلتقطه الفريسة! رغم الروايات الأخرى التي نفت أنها جاسوسة..!!

وكان للنساء من هذه النماذج كل السلطة والنفوذ على أهل الحكم! وعموماً فإن المناخ السياسي السائد في تلك الفترة كان فاسداً جداً، وكانت سياسة الغوانى هي التي تحقق في نهاية الأمر كل مطامع الاستعمار في المنطقة، وكان أكبر المطامع «إنشاء دولة إسرائيل» في قلب العرب!! والحقيقة الهامة التي أمامنا ونراها في كل دساتير المخابرات في العالم أن الرجل مهما كان مركزه ضعيف أمام غراتزه، وأن سلاح الجنس يصعب مقاومته خاصة إذا كانت صاحبتة حسنة و متمرسه إلى حد كبير على فنون الإغراء!

لقد أدرك الزعيم الألماني «أدولف هتلر» هذه الحقيقة جيداً.. بل إنه هو نفسه وقع في عشق «إيفا براون» التي لازمته وكان لها تأثير عليه حتى انتحرت معه قبيل ساعات من انهيار الرايخ الثالث وهزيمة ألمانيا! على العموم التاريخ حافل بحكايات وروايات وقصص الغوانى والنساء الحسنات مع القادة والملوك والرؤساء والزعماء السياسيين والمفكرين والشعراء والأدباء.. وغيرهم من أصحاب الجاه والسلطان والبريق الاجتماعى والسياسى، وكما أوضحنا سلفاً في العالم العربى والعالم الأجنبى في الدنيا بأكملها فقد خلق الله عز وجل آدم وحواء..!

وهذا الكلام في هذا الجزء الهام المخصص لعلاقة العزيز الدكتور أسامة الباز المستشار السياسى البارز والأشهر في تاريخ الجمهوريات المصرية عبر زمن طويل.. مع الفنانة العزيزة على أيضاً السيدة نبيلة عبيد التي أعرفها منذ أكثر من ثلاثين عاماً، واقرت منها كثيراً هي والسيدة والدتها الراحلة يختلف كثيراً عن حكاياتنا التاريخية عن «حريم السلطان» وأقصد به الرجل المسؤول في أى موقع سياسى أو عسكري أو أدبى أو ثقافى أو غيره وبعيداً عن قصة حب وزواج الدكتور أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد.

أستطيع القول: إن الفساد الأخلاقي هو سبب البلاء في أمتنا العربية للأسف الشديد، ولن تستقيم الأمور إلا إذا عادت الأمة إلى نبلها، وكل تقاليدنا الرائدة، وبعيداً عن قصة «حريم السلطان» أي سلطان حاكم أو ملك أو زعيم أو قائد عسكري، كما حفل به التاريخ المصري!

■ وبصراحة شديدة أؤكد أن ما قيل عن علاقة ربطت بين الدكتور أسامة الباز والفنانة نبيلة عبيد التي أكدتها تمامًا بأنها استمرت تسع سنوات بالتمام والكمال وأنها أحلى أيام وشهور وسنوات عمرها مع هذا الرجل الحنون الطيب المهذب، وعلى سنة الله ورسوله، أعتبر هذا الكلام حالة خاصة جدًا، لكن لا بد أن تكون محترمة، وأؤكد أن الرجل السياسي الجميل الدكتور أسامة الباز لا يمكن أن يقوم على فعل يراه معيياً في حقه أو في حق أسرته الكريمة وكذلك الفنانة الرقيقة نبيلة عبيد التي أكدت كثيراً معرفتي بها عن قرب منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأنها حريصة جدًا على عدم إيذاء مشاعر أحد، بل إنها لم تفصح حتى الآن عن كيف رأت لأول مرة الدكتور أسامة الباز؟ وأضرب هنا مثالاً بالفنانة العزيزة الراحلة السيدة برلتي عبد الحميد شاهدت المشير عبد الحكيم عامر لأول مرة في مكان به كثير من البشر، لكن وقع هو في حبها وهواها، وهي على نفس القدر، وربط الحب بين قلبيهما على الفور وبسرعة وتم الزواج وأنجبا الطبيب الشاب الآن عمرو عبد الحكيم عامر.. وقد كانت «برلتي» لا تتحدث عنه إلا بكل خير، ونبيلة عبيد أعتقد أنها تفعل ذلك أيضًا في قصتها مع الدكتور أسامة الباز، لكن لم تفصح عن أسباب ارتباطها به!

وحتى الآن تترافق علامات الاستفهام كثيرًا حول هذا الموضوع



كريستين كيلر

فتاة الليل اللعوب التي أطاحت بوزير الحرب البريطاني..!



أشهر فضيحة سياسية في القرن العشرين بكل ما شهدته من صراع بين السياسة والانحراف والتجسس والخلافات السياسية .. فضيحة امتزجت بالأكاذيب وكشفت عن الفساد الذي يخفى وراء واجهة المظاهر .. فضيحة كريستين كيلر هي فضيحة فتاة الليل اللعوب التي أطاحت بوزير الحرب البريطاني البارز جون بروفيمو ، وأدت في النهاية إلى استقالة حكومة هارولد ماكميلان ، ودفعت حزب المحافظين لسنوات في الظل .. بدأت الأحداث بست طلقات دوت ليلا في أحد الأحياء الهادئة في لندن وانتهت بتحطيم حكومة بأكملها.

مذكرات نبيلة عبيد

وفي العدد ٦٠٢ الصادر يوم الاثنين من يونيو ٢٠١٢م من صوت الأمة الغراء كتبت أقول تحت عنوان المستشار السياسي للرئيس الدكتور أسامة الباز هل تزوج بالفعل النجمة نبيلة عبيد عرفيًا..؟!.

وقلت أيضًا: إن مسلسل الشائعات الكبرى يطارد نجمة مصر الأولى كما تشتهر وهذه المرة ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهذب والسياسي البارع الرائع الدكتور أسامة الباز شخصيًا، وقيل: إن الرجل بالفعل ارتبط بزواج عرفي مع الحسنة نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال، وبدأت في الفترة الأخيرة خاصة بعد خلع الرئيس مبارك تتضح معالمها ويتم كشف النقاب عنها...! ومذكراتها سوف تكشف عن ذلك..!

الوزير العاشق:

وتحدثت أيضًا عن الوزير العاشق لنبيلة عبيد وقصة عشق وغرام وهيام وزير الثقافة الأسبق في عهد عبيد لها.. وقلت بالنص: أعتقد أن مذكرات النجمة الكبيرة نبيلة عبيد المرتقبة سيكون فيها بكل تأكيد الإجابة الواقعية حول كل هذا خاصة أن كل هذا لا يسيء لنبيلة عبيد أو لمن أحبها وعشقها، فهذه مشاعر وعواطف يحس بها أي إنسان يقع في الحب.. وبالتالي ليس في علاقة أي رجل يجب امرأة مها كانت عادية أو فنانة أو غير ذلك ما يشينه أو يسيء إليه.. سواء الوزير العاشق أو المستشار السياسي..!

حريم السلطان..!

ثم أصدرت كتابي «حريم السلطان» من دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة وتمنيت فيه أيضًا أن تفصح نبيلة عبيد في مذكراتها عن الحقيقة الغائبة في زواجها من أسامة الباز.



المرأة في حياة نابليون بونابرت

مدام ستيل .. في حياة نابليون

وقبل الخوض تفصيلياً في كل ما يتعلق بقصة علاقة الدكتور أسامة الباز ونبيلة عبيد نعرض أكثر للمرأة في حياة المشاهير.. وقصة مدام ستيل مع نابليون تستحق العرض بتفاصيلها حيث قضت شبابها في باريس، واختلطت فيها بكبار القوم، وكانت مجدة منذ طفولتها في الدرس والتعليم، تقرأ كل ما يقع بين يديها من أوراق ثقافية، وكانت تدرس الأدب وتقرأ في الفلسفة والقانون والاقتصاد والعلوم، ولم يكن كبار الأدباء في عصرها يكبرون قدرها، وإنما جاء احترامها وتقديرها من العامة، لأن كتاباتها دائماً كانت تجذب العامة وتسترعى احترامهم. لم تفلح في الحب والأدب، مع أنها أحبت عددًا من الرجال، دون أن تخلص كل الإخلاص لأحدهم، وكتبت كثيرًا وكثيرًا، وكانت وصيفتها تشرح لها شعرها في أثناء انهاكها في الكتابة!

حيث كان شغلها الشاغل في البداية القراءة والكتابة. ولعل القطعة التالية التي كتبها عن شقاء الزواج من أحسن ما كتبت في جميع ما ألفت من الكتب، قالت فيها: «في شقاء الزواج نوع من المحنة، يفوق جميع الآلام في هذا العالم فإن كيان المرأة الشقية في زواجها يتوقف على الرباط الزوجي، والوحدة التي تعيش فيها المرأة في زواجها تجالذ القدر وحدها، وتحمل إلى القبر وحيدة بلا رفيق يودعها، أو يأسف عليها.. هي وحدة دونها وحدة السائح في الصحاري وعندما تشعر المرأة بأن كنز شبابها قد ذهب ضياعاً لا فائدة فيه..!»

وأن هذه الأشعة الأولى لن ينعكس فيها شيء في نهاية الحياة أو عندما تشعر بأنه ليس في ظلام الغسق ما يذكرها بضوء الفجر.. عندئذ تثور النفس وتشعر المرأة أنها قد حرمت من عطايا الله على هذه الأرض!

وربما كانت بلاغة هذا الكلام راجعة إلى إحساسها الشخصي.. فإنها هي نفسها هذه

المرأة!

أما شهرتها فجاءت أكثر ما تكون في السياسة، فصداقتها لنابليون وخصوصتها له، كانت موضع جذب الأنظار في حياتها .

تحرق مدام «ستيل» إليه شوقاً، وأخذت تتصور الروعة والعظمة التي ستبدو على القائد العظيم، الذي كان على أمة الجيوش الفرنسية في غيطاليا والذي عاد منها موفور الكرامة ، مرفوع الهامة متوجاً بالانتصار.. ألا وهو نابليون بونابرت.. ورأت مرة أن تسأله:

هل أنت تحب النساء؟

فما كان من بونابرت إلا أن أجاب عن ذلك:

أنا أحب من النساء أنت!

وأخطر وأهم ما قالته مدام دي ستيل لنابليون:

إن العبقرية لا تفرق بين ذكر وأنثى..!

ومع ذلك رفض نابليون صداقتها في نهاية القصة المشيرة.. لتقييم في أواخر حياتها صالوناً من صالونات السياسة والأدب، ولا نكون مغالين إذا وصفنا صالونها أنه كان «برلماناً» ثانياً ومجلس شورى آخر في فرنسا، واستمرت «مدام دي ستيل» في طريقتها غير مهتمة بشيء ، لا يخفيها تهديد أو وعيد..!

أجمل نساء فرنسا في زمانها «جوزفين» تقع في حب نابليون:

ونحن نعيش في إطار قصة حب وزواج الدكتور أسامة الباز والنجمة نبيلة عبيد نقول: ليس بين سير العظماء ما هو أوقع في النفس من سيرة نابليون بونابرت ، ولقد قال بعض المؤرخين: إن نجم سعد نابليون بدأ في الأفول منذ اليوم الذي طلق فيه زوجته جوزفين، فقد كان في الحقيقة يجلبها إلى ما يقرب من درجة العبادة، ولم يقدم على طلاقها إلا وهو مرغم على ذلك ، لهذا يعتقد الكثيرون أنه لو بقيت جوزفين مخلصاً لنابليون لكانت خريطة العالم غير ما هي اليوم!

كانت جوزفين كما لا يخفى من أجمل نساء فرنسا في زمانها، ويظهر أن محبتها لنابليون لم تكن مجردة من شوائب الأنانية فقد كانت تحب فيه مجده وعظمته، أكثر من محبتها لشخصه. أما هو فقد كانت جوزفين أعظم من استولت على عواطفه، وإن لم تكن أول امرأة أحبها، إلا أنه أخلص لها بكل جوارحه، ولم يكن يخاطر بباله أنها ستخون عهد ولائه.

وفي الواقع أنه كان خيرًا له إذا لم يقترن بها، لأن طلاقه منها نغص عيشه وكدر صفو هنائه! ومع أنه تجلد كثيرًا وأظهر عزة نفس فائقة إلا أنه لم ينس «جوزفين» حتى آخر لحظة في حياته.

امرأة ترفع زوجها إلى القمة.. وإلى المجد

كلمة قالها «شيرلر» الإنجليزي فرددها الزمان في كل عصر، وفي كل ركن من أركان هذا الكون: كلما رأيت رجلاً وصل إلى قمة المجد والشهرة أيقنت أن بجانبه امرأة تدفعه إلى هذا المجد وهذه الشهرة الواسعة، وكلما رأيت رجلاً يهوى إلى الحضيض أيقنت أن امرأة هي التي دفعته إلى هذا المصير..!

هذه امرأة عظيمة مخلصه دفعت زوجها إلى النصر، ووطنها إلى العزة والمجد وهذه امرأة مدمرة مخربة دفعت صاحبها إلى الفشل والهزيمة!

مدام جوليت آدم في حياة مصطفى كامل السياسية:

أن تعرف مصطفى كامل إلى مدام جوليت آدم حادث مهم في حياته السياسية والقومية، هو حب معنوي ونفسي من نوع جديد، فإن مدام آدم هي من أعظم شخصيات فرنسا في عالم الوطنية والسياسية والأدب، وكان مشاهير الرجال من نواحي الأرض يرحلون إليه ويجتمع بدارها العلماء والأدباء وكبار القوم وملوك الشعر والأدب والسياسة.

وقد سعى الزعيم مصطفى كامل سنة ١٨٩٥م إلى التعرف إليها، إذ أرسل إليها من «تولوز» أول رسالة له في ١٢ من سبتمبر سنة ١٨٩٥م يصور لنا مقدار وطنيته، ويصف فيها مبلغ إيمانه برسالته القومية الكبرى، في أفصح عبارة وأبلغ بيان ويقول:

«سيدتي»:

إني لا أزال صغيرًا، ولكن لي آمالًا كبارًا، فإني أريد أن أوقف في مصر الهرمة الفتاة، هم يقولون: إن وطني لا وجود له، وأنا أقول: «يا سيدتي» أنه موجود، وأشعر بوجوده بما أنس له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حق سواه، وسأجود في سبيله بجمع قواي وأفديه بشبابي. وأجعل حياتي وقعًا عليه.

ثم يقول: «وأنا أبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة، وقد نلت إجازة الحقوق من تولوز قبل سنة، وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر الحمية والإخلاص الذين أشعر بهما في

سبيل الوطن العزيز، وقد قيل لي أكثر من مرة: إني أحاول محالاً، وحقيقة نفسي. تصبو إلى هذا المحال فأعينني يا سيدتي فإنك من الوطنية ممكنة يعين على تقدير قولي وتقوية عزمي وشد أزري، وتقبلي كل تحية واحترام. «مصطفى كامل».

وأرسل لها ضمن كتابه رسالته عن «أخطار الاحتلال البريطاني على مصر»، فلبت مدام آدم نداءه، وكتبت إليه ترحب بدعوته، فجاء وقابلها، وما إن عرفته وأدركت سمو آماله في تحرير بلاده حتى ازدادت به إعجاباً، وتوثقت بينهما من ذلك الحين أوامر الاتصال الروحي، إذ كان الزعيم العظيم يعدها أمراً روحية له، وقد عرفته بكبار السياسيين وأصحاب الصحف والمجلات في فرنسا، وأصبح معروفاً في أوساطهم، إلى أن برح فرنسا وقال وهو يبارحها: إني أعتمد عليك أيتها السيدة الوطنية الكبيرة، وأرجو منك أن تتكلمي بقبول أجل إكبار وأعظم اعتبار من يعترف له بالجميل. «مصطفى كامل».

أم كلثوم النغم الساحر في حياة الشاعر أحمد رامي

والشاعر العاطفي الموهوب أحمد رامي تحدث عن أثر حواء في حياته فقال بعنوان ملهمتي «وهو يقصد بوضوح كوكب الشرق السيدة أم كلثوم»، قال: الإلهام مبعثه عندي سماع اللحن الجميل يصدر من الطير الشادي أو الماء الهادر، أو الحنجرة الرنانة التي تنطلق بالنغم البديع، ولا أذكر أنني أقبلت على النظم إلا بعد أن امتلأت روعي من هذا النغم الساحر. فحواء ملهمتي، هي تلك التي أسمعتها تغني فتفتح أمامي آفاق الخيال، وأشد ما أكون إقبالاً على قرض الشعر إذا خرجت من سماع قطعة جديدة على أذني وقلبي، فهنا أحسن النظم، يدفعني إليه الطرب الذي تملك مشاعري، والرغبة في ابتداء شيء جديد أسمعه من جديد.

ويا حبذا لو كان هذا هو السماع في جلسة هادئة لا تنبس فيها إلا شفة حواء الملهمة تغني.. أو ليلة مقمرة لا أسمع فيها إلا همس النسيم يضبط إيقاع النغم في سمعي، أو زروق يسري فيشق صدر النيل، ويجعل هدير الموج تتممة، كتلك التي تصدر من فم المعجب بالنغم إذا وقع على قلبه كان شفاء لآلامه وآماله.
يضيف رامي:

إذا صحت هذه الخلوة شعرت أن اللحن لي وحدي، والوحي لي وحدي فأبدأ في قرض الشعر، وكلما أخذتني نشوة الطرب شعرت بفكري يرق وروحي تملو، حتى أسبح في وديان الخيال على جناح رقيق من صوت حواء.. بالطبع أم كلثوم.



* ملهمته هي كوكب الشرق أم كلثوم كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

المرأة في حياة بيتهوفن تثير فيه نشوة الحب ومنه يستلهم الألمان والأنغام



بيتهوفن

«بيتهوفن» فنان كبير عاش بوحى الحب، يستوحى منه عذاب الألحان والأنغام ويستمد من البلابل أنغامها، ومن القلوب خفقاتها، ويمزج كل ذلك بعصارة قلبه وعواطفه، ويجعل من المزيج ألحاناً تسمو بالنفس البشرية إلى فردوس النعيم.

كان يطمع في الحب.. ولكن كان الحب لا يعأ به، سوى أن يثير في أعماقه الأشجان والأحزان والآمال تارة.. والألحان والأنغام تارة أخرى. وتأبى الحياة الجامدة الظالمة إلا أن تقسو على ابنها البار، ذلك الابن الذي أدرك أسرار أناشيدها وخفق قلبه بحبها، فنقل عنها أسمى المعاني إلى آذان البشر، فتحرمه من أئمن حواسه وأهمها عنده تلك هي حاسة السمع. هكذا عاش «بيتهوفن» الموسيقار العظيم، يذكى في النفوس نشوة الحب وهو محروم منه، ويطرب الآذان بعذب ألحانه وأنغامه السماوية وهو لا يسمعها..!!

الفتاة الساحرة التي أغرم بها:

أحب «بيتهوفن» ابنة صديقه الكونت ستفان براونينج، وكانت فتاة فاتنة ساحرة فأغرم بها، ولم يكن قد تذوق لذة الحب من قبل ولا نبض قلبه لامرأة، فسحرتة بحسنها

ودلالها وجمالها، ولكنه كان ينجل من مفاحتها بغرامة ومكاشفتها بحبه، فظل يشقى بجحيم قلبه حتى اختطفها القدر وأقصاها عنه بأن زوجها من صديقه الحميم الدكتور ويجلر. وعرف بيتهوفن بعد ذلك الفتاة الأخرى التي ألهمته لحن ضوء القمر، وكانت فتاة غاية في الجمال والفتنة والرشاقة فأحبا وعوضته في البداية عما قاساه من آلام حبه الأول، ولكنها لم تعبأ بغرامه مع أنها كانت تعجب بفنه وعبقريته. وكانت تداعبه تارة وتسخر منه تارة أخرى! وتصد غرامه تارة ثالثة..!

وهو بين هذا وذاك يتألم ويحترق بنار الشوق والحب!

ولما استبد به الهوى فاتحها في أمر الزواج، فضحكت وسخرت بصممه! وقالت له: إنها تريد رجلاً ثرياً تسعد معه بمتع الحياة.

تلقى «بيتهوفن» هذه الطعنة بصبر وثبات واتخذ من فنه السلوى والعزاء، وراح يستكمل الصعود إلى قمة الفن والمجد.. والتقى من بعد ذلك بفتاه فاتنة «تيريزافون برونسويك» كان يتولى تثقيفها وتعليمها أصول الموسيقى في فيينا!

وأحست الفتاة بعاطفة أستاذها نحوها، ولكنها لم تستطع أن تتبينها في أول الأمر، ولكنها عادت فعلمت أن هذه العاطفة هي التي تتصل بالقلب فتسبب خفقاته إذا التقيا.

وانتهى الأمر بأن شعرت هي الأخرى بميل نحوه، فبادلته عاطفته وأحبها بكل ما تبقى في قلبه من عاطفة لم تستنزفها غرامياته الأولى، وأحس السعادة تغمره من كل جانب، لقد وهبته الأيام مجداً ونبوغاً في فنه، وها هي الآن تهبه قلباً يخفق بحبه.

وفي إحدى سهراته اجتمع «بيتهوفن» بهذه الحبيبة تيريزا، فوقف أمامها صامتاً يستوحى قلبه، ويستلهم فنه، وطالت لحظة الصمت وهو غارق في تفكير عميق، حتى هبط عليه الوحي والإلهام، فعزف على الفور لحناً أساه: إذا أردت أن تهيني قلبك فليكن ذلك في الخفاء حتى يمتزج بقلبي دون أن يعرف الناس..!

وسما عزف وارتفع بسامعيه إلى سماء النعيم في السعادة، وظل بعد ذلك صامتاً لا يجد من الكلمات ما يعبر بها عن عواطفه أقوى من هذه الألحان. وساءت حال «بيتهوفن» فجأة، وقيل: إن مرض «الزهايمر» أصابه! فصار يخرج إلى الطرقات يطويها سيراً وهو

يصرخ ويغني حتى أعيته صحته وحطمه المرض...! ومر بموقف مؤلم.

أحس بعده بخدش ما يملكه من كبرياء ويعتز به «كرامته» ، حتى عندما أصبح في حالة سارعت به إلى نهاية عمره وحياته، فارتعد رعدة شديدة وفارق الدنيا عن سبعة وخمسين عامًا .. وكان كلما تجمعت أمامه الأحزان وتذكر فشله في الهوى والحب، لم يجد أمامه سلوى غير «البيانو» يثبه أشجانه وأحزانه من أعماق نفسه الشاعرية الحساسة! ومازالت أدواره الموسيقية حتى اليوم آية من آيات الفن يرددتها العازفون كلما دعاهم صوت الحنين إلى الحب والغرام اللذين حرم منهما وأضعها بغير قصد!

المرأة إما أن تحكّم أو تخدم:

يقول المثل اليوناني : «المرأة إما أن تحكّم أو تخدم» ، فإن التاريخ أثبت أن المرأة بما تمتعت به من دهاء وكيد وقدرة على التحكم في الرجال بما يتوفر لها من جمال وإغراء أو باستئثار العطف عليها .. كل ذلك جعلته المرأة وسيلتها لقهر رجال السلطة! الذي تلقى به المقادير أمامها .. ومن خلاله يمكنها بسرعة إدارة دفة الحكم أو خدمة مصالح الآخرين!

إن سطور هذا الكتاب بما يحفل به من قصص حب وهيام وغرام وحكايات عن رجال السياسة ونفوذ زوجاتهم وصدقاتهن .. يتيح للقارئ الكريم الحكم على الكثير مما يراه حوله ولا يجد له تفسيراً «منطقياً» معقولاً ، فمن كان يتصور أن ينحاز الرئيس الأمريكي «ليندون جونسون» إلى إسرائيل بتعصب أعمى في حرب يونيو ١٩٦٧م إرضاء لامرأة أحبها هي «مايلدا كريم» ، وكانت تهيم حباً بإسرائيل .. إن هذا المثال وغيره يكشف أيضاً للقراء الأعزاء ببساطة أن ما يراه ليس إلا مسرحاً ظاهراً تتحرك عليه عرائس بأنامل موجودة خلف الكواليس!



برلنتى

لماذا اختارت أن تتزوج من
المشير عبد الحكيم عامر...!؟



أحلام برلنتي

من النادر أن تجد امرأة رائعة الجمال ويطاردها كل الرجال ، وأن تكون مخصصة لرجل واحد، ونحن أمام امرأة تتمتع بجمال وافر وهي الفنانة (برلنتي عبد الحميد) التي اشتهرت في عالم السينما بأداء أدوار الإثارة والإغراء، واستطاعت في فترة قصيرة أن تحتل مكانة في عالم الفن ، مما جعلها موضع اهتمام المخرجين ومؤسسة السينما ، وهذا يعود لجمالها وإنوئتها الطاغية ، ولكن القدر أخذها إلى طريق آخر غير طريق الفن الذي خلقت من أجله وحققته شهرتها الكبيرة من خلال تواجدها وسط جدران الاستوديوهات وشاشات العرض السينمائي، وبالتالي أصبحت حالتها الاجتماعية جيدة ، وانتقلت من المعيشة في حي السيدة زينب وهو حي يسكنه الفقراء والبسطاء من الناس ، إلى العيش في حي العجزة والإقامة في شقة تطل على نيل مصر، وهي نفس البناية التي يسكن فيها الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وبالتالي حياتها تغيرت ، وأصبحت تعيش وسط عليّة القوم ، وأصبح لديها سيارة وأموال في البنوك، وتحولت إلى امرأة يطاردها كل الأثرياء، وأصحاب النفوذ ويتمنون منها الرضا، وعليها أن تشير فقط ، إلى ما تشتهي ليجاب لها في الحال ، لينالوا رضاها، وهنا لا بد أن أطرح سؤالاً مهم ، وقد يكون بسيطاً في طرحة وهو - لماذا اختارت برلنتي عبد الحميد أن تزوج من المشير عبد الحكيم عامر وتفضله على

الكثيرين من الأثرياء؟ هذا الكلام جاء على لسان صاحبه الذي أجرى الحوار معها.

قد يكون السؤال به بساطة وسذاجة لدى البعض ، وهذا التصور ممن يستهزؤون بالسؤال ، يستندون بالسؤال إلى مكانة المشير عامر ونفوذه بصفته الرجل الأول مكرر في مصر، والرجل المسيطر تماماً على المؤسسة العسكرية ، وبالتالي تحقق للفنانة رائعة الجمال المعادلة المكملة ، وهي (الشهرة والمال والنفوذ والسيطرة) وهذا شيء مستحيل أن يناله أحد، ويستمر لفترة محافظاً على أركان المعادلة ، ولكن لا نستطيع أن نلوم برلنتي في البحث عن القوة والسند، المتمثلة في زواجها من المشير عامر، الذي سيحقق لها كل ما تريد، ولا يستطيع أحد أن يقف في طريقها في تحقيق كل ما تريد من الحياة في مصر، التي

كان يحكمها اثنان: عبدالناصر والمشير، وهي تزوجت أحد الاثنين بحثًا عن المكانة الرفيعة، هذا حقها مثلها مثل كل الحسنات في التاريخ.

ولكن هنا لا بد أن نتناقش معها عندما قالت في مذكراتها: إن زواجها من المشير (عبدالحكيم عامر) كان على حب !!

واختلافنا معها مبنى على أسباب منطقية:

أولاً: إن المشير (عامر) كان أكبر منها بما يقرب من ستة عشر عامًا حيث المشير من مواليد (١٩١٩)، هي ذكرت لى في أحد جلساتي معها أنها تزوجت عامر عام (١٩٦٣) وكان عمرها ثمانية وعشرون عامًا، وبالتالي لم يكن الشاب الوسيم الذى يجعل المرأة تضحى من أجله بالمال والشهرة، فالمشير (عامر) كان رجلاً ذا بشرة سمراء، مثل أهل الصعيد، وكان شعره مجعد، ولم يكن أبداً الرجل الجذاب الأنيق، الذى من أجله أن تترك ملكة الإغراء والإثارة (برلتى عبدالحميد) كل الشباب ونجوم الفن والمخرجين الكبار لترقى في حبه وبالتالي هذا يجعلنا نتفق أن برلتى تزوجت المشير بحثاً عن النفوذ والقوة، وهذا حقها، وليس للحب دخل في هذا الزواج، كما ادعت هي في مذكراتها (الطريق إلى قدرى).

-عندما سألتها: كيف عرفت بالمشير عبدالحكيم عامر؟

قالت قد عرفته عام (١٩٦١) عندما طلبت منى صديقة تعمل صحفية بمجلة (روز اليوسف) أن أحضر اجتماعاً، لأن السلطة تريد أن تعرف ما يعانى منه الناس، لترفع هذه المعاناه عنهم بدلا من الطريقة التقليدية التى تعتمد على التقارير، في هذا الاجتماع رأيت عبد الحكيم لأول مرة، وفيه ألقى كلمة مختصرة قال: إن ما نريده منكم إبلاغنا بما يعانیه الناس من متاعب أو مظالم، وتعريفنا بأخطائنا فإن كان هناك قرار خاطئ أو انحراف في أى موقع، فإننا نريدكم أن تطلعونا به، لنقوم بإصلاحه، ثم استمع لكل منا، وقد أبديت رأى بصراحة، فتحدثت عن اختفاء والد صديقة دون أن يعرف أحد ما هي تهمة، ولا يجد أهله من يدهم على مكانه.

وقد غضب عبدالحكيم، وتلفت إلى من يجلس بجانبه، وتساءل هل هذا معقول

كيف حدث هذا؟

بعدها بأيام اتصل بها صلاح نصر (رئيس المخابرات) وقال: إنهم عرفوا أن المباحث العامة هي التي اعتقلت والد صديقتها، وأن عبد الحكيم عامر أمر بالتحقيق معه، لإطلاق صراحه خلال أيام، ثم زارها (صلاح نصر) في مساء نفس اليوم، وطلب منها أن تخرج معه إلى عبد الحكيم عامر لأنه يريد أن يتحدث معها، وبالفعل ذهبت معه إلى أحد المقار الأمنية في مكان منزل غارق في الظلام، وفي حجرة ضعيفة الضوء، وجدت مجموعة من الرجال، لا يستطيع أحد أن يتعرف عليهم، لأنهم غطوا أنفسهم بمعاطف وكوفيات وطواق، وقدمهم لها (صلاح نصر) بأسماء وصفات اعتقدت أنها غير حقيقية، كان بينهم رجال ينادونه باسم يا (دكتور) مرتديا طاقية وملفحًا بكوفية، تخفى نصف وجهه، ويضع على عينيه نظارة، لكنها عرفته فهو عبد الحكيم عامر.

وفي إحدى مكالماته معها، طلب عبد الحكيم أن يراها فورًا، وعندما ذهبت إليه وجدته ينتظرها في الحديقة، وعندما رآها هتف أهلًا عروستي، وذهبت معه إلى حيث يجلس أصدقاؤه (عباس رضوان) وزير الداخلية و(صلاح نصر) ومدير مكتبه (على شفيق).

وعندما كرر كلمة عروستي، استوضحته عنها، فعرفت أنه يقصد الزواج مني، وعرفت أيضا أنني خضعت لامتحان طويل إلى أن وصل إلى قراره، وأن هذا الامتحان كان ضروريًا، لأن أجهزة الأمن لا بد أن تتأكد أن لا ثمن لمن اختارها المشير ليضع بين يدها رقبته وأسرار الدولة، وأثبت أنها امرأة لا ثمن لها لا تشتري فطلب منها الزواج، وتزوجها عام (١٩٦٣) بعد أن اشترط ألا تعمل في الفن.

قد تكون الرواية التي روتها لي السيدة برلتى للتعريف ببداية علاقتها بالمشير عبد الحكيم عامر صحيحة، ولكن المنطق يجعلنا نقول: إن ما روته برلتى جزء من الرواية لأن الشيء، المقنع أن المشير عندما فكر في السيدة برلتى كان شاغله الأكبر هو جماها وأنوثتها، وسحرها، الذي شاهده من خلال أدوارها السينائية عبر الشاشة، ولذلك الشيء المنطقي أن نظرة المشير لبرلتى، أنها امرأة تصلح لإقامة علاقة عابرة، قد تستمر أيامًا أو شهورًا، وبالتالي كان المشير يمتلك من القوة، ما يجعله أن يرسل أحد رجاله للتفاهم مع السيدة برلتى لمقابلة المشير في سرية تامة، بدون اللجوء إلى اللف والدوران، واستخدام صحفية قد نقشى أسرار المشير الخاصة، ولذلك أقول: إن السيدة برلتى لم

ترو ما حدث بالضبط ، حتى تجعل المشير يتزوجها، ولا يكتفى لا قدر الله بإقامة علاقة محرمة معها، قد تستمر لفترة وجيزة ، أنا لا أهتمها بشيء مبتذل أستغفر الله، إنما كنت أريد أن تتحدث عن علاقتها بالمشير بصراحة ، حتى يقتنع الناس ، لأنى بحكم علاقتى القوية جدًا باللواء (فؤاد علام) نائب رئيس أمن الدولة السابق ، والذى تشرفت بكتابة سيرته الذاتية فى كتاب (ذكريات لا مذكرات) قال : إن المشير كانت له علاقات نسائية متعددة ، وأن الرئيس عبدالناصر كان يعلم بعلاقات المشير عامر، ولم يتخذ موقفا منه ، والشيء الآخر أن اللواء فؤاد علام قال : إن المشير عامر لم يتزوج الفنانة برلتى عبدالحميد، وأن برلتى تزوجت أخو المشير (مصطفى عامر) قد يكون (فؤاد علام) استند فى حكمه إلى محاضر التحقيقات ، التى أجريت مع الفنانة برلتى بعد الهزيمة والتى ذكرت فيها برلتى أنها متزوجة من (مصطفى عامر)، وهى أكدت هذه المعلومة فى مذكراتها، وكانت حجتها أن إنكارها الزواج من المشير عامر، وقد كان المشير رهن الاعتقال ، كما ذكرت هى، يكون فى صالح المشير، حتى لا تجعل أعداءه يتمكنون منه نفس هذا الخلاف الذى أحدث بلبلة لدى الجماهير، هل المشير تزوج برلتى أم لم يتزوجها؟

هذا السؤال طرحته على (النبوى إسماعيل) وزير الداخلية لعلاقتى القديمة معه ، قال: الفنانة برلتى بالتأكيد تزوجت المشير (عبدالحكيم عامر) وأنجبت منه ولدًا اسمه (عمرو).

- ولكن أنا سألت الفنانة برلتى: هل زواجك من المشير كان يعلم به الرئيس عبدالناصر؟

هذا السؤال أصابها بالدهشة ، لأنها تأملت من هذا الاتهام لفترة طويلة ، من أصحاب رأى، المتممين لحب وتقدير عبدالناصر، التى تتهمهم بالأجراء وأصحاب الأقلام المسمومة ، ولكن إجابتهلى كانت مقنعة ، لأنها قدمت معلومات يفهمها البسطاء من الناس ، أن كل شيء عن الرجل الأول مكرر، يجب أن يعرفه الرجل الأول ، وبشيء من التفصيل قالت : إن أجهزة الاتصالات التليفونية واحدة التى تربط المشير عامر بالرئيس عبدالناصر، وأن الحراسة والأجهزة الأمنية بترصد تحركات المشير بدقة ، حتى إذا طلبه المشير يجده ، وللحقيقة إن السيدة برلتى ذكرت : أن الرئيس (عبدالناصر) كان يبيزورهم

كثيرًا في منزل الهرم ، وكان يوميا يتحدث معها في التليفون ، وأن رجال المشير (عامر) كانوا يعرفون بهذا الزواج ، حتى إن الرئيس (السادات) كان يوميا يزور المشير عامر، وكان الأصدقاء ينكتون ويقولون لها: هل أنت متزوجة من الاثنين ، كنوع من الدعابة ، من كثرة تواجد الرئيس (السادات) في منزلها .

من جلساتي معها العديدة ، تيقنت تمامًا أن برلتى ليست امرأة جميلة ساحرة فقط، إنها هي امرأة محروقة من الداخل، وعندها جراءة وشجاعة غير عادية، ولكن عندما تحدثت عن علاقاتها العاطفية هناك أشياء كثيرة لم تذكرها، حتى تعطى انطباعًا للجماهير أنها إنسانة حافظت على نفسها ، ولم تنزلق إلى العلاقات الحميمة التي تحدث ربما في الوسط الفني .

ولذلك عندما سألتها: لماذا لم تتزوجي من أحد الفنانين وتبتعدى عن رجال السياسة ووجع القلب ، وأنت تمتلكين الشهرة والمال ، وطرحت عليها الفنان محمود ياسين كنوع من الدعابة ؟

- فوجدتها بتبسم وتقول: إن هؤلاء الفنانين عيال ورق لا يملؤون عيني !!

وأنها لم يعجبها إلا المشير عامر!! هذه الإجابة لم تكن مقنعة بالنسبة لى، ولن تكون مقنعة للقراء والجماهير لماذا؟ لأن عندما كتبت في مذكراتها أنها في بداية حياتها ولم تكن تجاوزت سن الخامسة عشرة كانت تحب شابا اسمه (مصطفى هيكل) هذا الإنسان تعرفت عليه عن طريق ابن خالتها وكان سر تعلقها به حتى قبل أن تراه أنه يتنمى إلى عائلة من الباشوات ، وظلت تتزين وتلبس أفضل ملابسها استعدادا لمقابلته ، لأنها تريد أن تبحث عن طريقة تخرجها من العيش في المستوى المعيشى الأقل ، التي كانت عليه في الحى الشعبى .

صحيح أنها عندما تقابلت مع هذا الشاب لم تكن تبحث عن شاب عادى مهذب يجلبها وتحبه ، مثل كل البنات ،إنها هي منذ أن كانت في مقتبل حياتها، تبحث عن الرجل الذى يرفعها من العيش في قاع المدينة ، المتمثل في حى باب الشعرية الحى الذى كانت تسكنه في ذلك الوقت ، والذى يسكنه البسطاء من الناس ، وحتى عندما تقابلت مع (مصطفى هيكل) وكما توصفه هي: أنه قصير القامة ، وجسمه ضعيف ، ولم يكن وسيم

الشكل ، ومع ذلك تمسكت به وأحبته ، وخرجت معه في الشوارع العامة ، وجمعها لقاءات غرامية في حديقة الأزيكية ، وبررت تمسكها بهذا الشاب بأنه إنسان مثقف ، وأنه يدعو إلى العدالة الاجتماعية ، ويدعو إلى مبادئ الشيوعية ، بالرغم أنه من أسرة ثرية ووالده باشا .

هي في حقيقة الأمر لم تكتف في حياتها بالحب العادي، إنما تريد الحب والسلطة ، بدليل أنها تركت هذا الشاب المثقف ذا المبادئ والنسب العريق ، لترتبط بشاب آخر جزائري اسمه (بن جملين) تعرفت عليه في مسرح (يوسف وهبي) عندما أخذت دور البطولة في إحدى المسرحيات ، هذا الشاب الجزائري، كان دائما يقدم لها الهدايا، لإعجابه بها، وسرتمكها بهذا الشاب ، بأنه وثيق الصلة بالزعيم الجزائري (بن بيلا) وعندما دعاهم لزيارة الجزائر ليقدم الفنان (يوسف وهبي) عدة عروض مسرحية ، هناك ارتبطت بهذا الشاب ، وقالت :إنها تحبه ، وأنه هو الإنسان الذي سيحقق لها كل طموحاتها .

وفجأة تخلصت من الشاب المثقف (مصطفى هيكل) الذي بسببه تحدثت به والدها عندما علم بخروجها معه في الحدائق ، وفجأة أيضا اتضح لها أن مصطفى هذا الإنسان لا يليق بها، والسر هو الشاب الجزائري ذو المكانة الكبيرة ، ولذلك عندما تعمقت علاقاتها بالشاب الجزائري (بن جملين) وجاء الى والدتها ليخطبها ظلت فرحة بهذا الارتباط ولكن بعد فترة قصيرة بدأت نجوميتها تزداد، واصبحت نجمة سينمائية مشهورة ، بعد أن نجحت في دورها أمام أنور وجدي وشكري سرحان في فيلم (ريا وسكينة) ، وانهاالت عليها العروض السينمائية ، وكان موقفها في غاية القسوة ، والتخاذل وعدم الوفاء، عندما جاء (بن جملين) إلى منزل والدتها ليحدد موعد الزفاف ، فقامت بإعلاء صوتها، وقالت لوالدتها: أنا لا أحبه ولا أريده زوجا لي، وبالطبع هذا الشاب الذي كان بالنسبة لها كل شيء عندما يسمع هذا القول ونكران العواطف ، انصرف هي لا تبالي ، المهم مصلحتها وما سوف تجنيه من وراء هذا الزواج .

نحن إذن أمام قلب ملاكي، يخضع ويحب بقوة يدافع عن الإنسان الذي يمتلك المال والنفوذ، وإن كان النفوذ هو الأهم ، بدليل أن برلتى عندها تركت الشاب الجزائري الذي توهمت فيه طوق النجاة ، ارتبطت بإنسان آخر ليس له أي مميزات من ناحية الشكل

حسب وصفها هي ، غير أنه كاتب صحفى مرموق ، هو (محمود سمهان) وهو كان يعمل منتجاً سينمائياً، وقام بعمل عقد معها للقيام ببطولة فيلمين مرة واحدة، وهما (حياة غانية) (بيت الله الحرام) وتعرفت عليه أثناء تصوير أحد الفيلمين في صحراء أبو رواش عندما اشتد بها العطش وقسوة الجو في صحراء الجبل ، فوجدته يقدم لها كوباً من المانجو (الصاقع) ، ليبدأ بينها حوار عادي، ولكن بعد انتهاء آخر مشهد في الفيلم ، وأثناء عودتها معه في سيارته ، وجدته يطلب منها الزواج بدون مقدمات غرامية ، فهو رجل صعيدي صريح كما توصفه هي ، فوافقت بدون تردد، بالرغم من عدم وجود الوسامة وفارق السن بينها، ولكنها وافقت لأنها سوف تنتقل من ممثلة عادية إلى نجمة كبيرة تحتل أدوار البطولة على يد هذا المنتج الكبير، وأنها وجدت من يجرها من قيود والدتها، التي كانت تمنعها من الخروج ليلاً ، كما تقول هي، ودائماً أخوها يتظرها، خوفاً عليها من كلام الناس لأنها من أسرة شرقية تربيت على أخلاقيات إسلامية .

ولكن الصدمة التي لم تكن تتوقعها أن الأستاذ (محمود سمهان) رجل صعيدي يغير على أهل بيته ، وبعد الزواج كان يرفض أن زوجته تقوم بفتح باب الشقة مثله مثل كل أهل الصعيد، فكانت صدمتها الأكبر، عندما قام زوجها بمنعها من العمل في السينما، وعندما اكتشفت أن زوجها روح شائعة أنها اعتزلت الفن ، وكان يمنع عنها مكالمات الصحفيين ، فكرت فوراً في الانفصال ، بعد أشهر قليلة ، لأنه وقف أمام طموحها، وتحقيق ما تريده من نجومية كبيرة ، وتحول الزوج الذي كان في تخطيطها أنه السند والقوة التي ستقلها إلى مرحلة أخرى في حياتها إلى عدو، ولا مكان للحب وأصرت على طلب الطلاق ، بالرغم من تمسك (محمود سمهان) بها ولكن هي طبيعة شخصيتها، الرجل الذي تحبه هو الرجل القادر على نقلها إلى المكانة الكبرى وهي أن تصبح نجمة من نجوم الصف الأول ، إذن نحن أمام امرأة تحارب وتكافح من أجل مكانة اجتماعية كبيرة ، ولا يعينها شكل هذا الرجل إن كان وسيماً أو من نفس عمرها، المهم هو أن يكون هذا الرجل ذو قوة ومكانة تدفعها للأمام .

وهذا ما يجعلنا نتفق أن دفاع السيدة (برلتى) عن زوجها المشير، وجمع كل الوثائق التي تدين عبد الناصر ونظامه ، وإنهم اجتمعوا جميعاً لقتل زوجها المشير (عامر)، ليس

لحب امرأة تعيش على ذكرى زوجها الذى تركها وهى فى ريعان شبابها، إنها رأت عبد الناصر ورجاله حرموا زوجة من رجل كان كفيلا لتحقيق كل طموحتها، التى لم تكن تحلم بها، وهى المال فى الشهرة المكتملة والنفوذ والسلطة، هذا ما جعل عبد الناصر هو العدو الأول للفنانة (برلتى عبد الحميد) ولذلك فهى تكره اسمه ولا تحب أن ترى صورته، وتصب عليه اللعنات، وتكن له كل الكراهية، ولكن السؤال: هل أحد يستطيع أن يجرم أى فتاة أو امرأة من الطموح والحلم بمستقبل أفضل؟

ملاحظة هامة:

اقتربت من الفنانة الكبيرة الراحلة السيدة برلتى عبد الحميد بصداقة وطيدة، وكنت فى أكثر أيام الأسبوع أجلس فى صالونها الأدبي والثقافي ليلاً، حيث يحضر ضيوفها من السياسيين وكبار الصحفيين والضباط الكبار من أنصار المشير الراحل عبد الحكيم عامر «زوجها» الذين يدينون له بالوفاء والاحترام، ويرون فى زوجته أو أرملته السيدة «برلتى» نعم الزوجة الوفية لزوجها الراحل، وكانت المناقشات تتنوع فى صالونها.. وأؤكد هنا أنها لم تفتح فيها بكلمة واحدة تسيء لجمال عبد الناصر، رغم اتهامها له بأنه وراء قتل المشير والتخلص منه، لكن كانت تذكر جمال عبد الناصر بكل الاحترام وأن الاختلاف فى الرأي لا يفسد للود قضية، هكذا كانت أيضاً تبين لضيوفها وأنها أبداً لم تكن تكره عبد الناصر، بل كانت تؤكد أن عبد الناصر كان الزعيم والرئيس وزوجها المشير عبد الحكيم عامر كان الرجل الثانى بعده، وأن غموض عملية موت زوجها المشير فقط هى التى تدعوها لأن تقول بأن المشير عامر قد قُتل ولم يتحرر..!

قصص وحكايات زواج نبيلة عبيد المتكرر في الصحف والمجلات

حكايتي مع حلم الزوج.. والبيت المليء بالأطفال



«ربما نسيت أنى امرأة»

هذا العنوان الذى وضعه إحسان عبد القدوس - الذى لعبت بطولة أشهر أعماله فى السينما، وأعتبره الأديب الأقرب إلى نفسى - ينطبق على تمامًا، فقد غرقت فى عملى إلى حد أننى نسيت نبيلة عبيد الإنسانية.

يقينا كنت مثل «الغرقانة» فى السينما.. وليس هذا عنوانا لفيلمى الذى أثار - وما زال - يثير ضجة كبرى، ولم يفهمه الناس، فقد انتشلت نفسى من آفاق الأمومة، وصعدت إلى آفاق الفن، وقادتنى من نجاح إلى نجاح، فمنذ تركت بصمتى فى «رابعة العدوية» - أول أفلامى التى نقلتنى من مجال عرض الأزياء الذى مارسته مدخلا لعالم السينما - وحتى بطولتى لـ «كشف المستور» الذى أثار لدى عرضه على نقاد وفنانى مصر ضجة

هائلة منذ ذلك الوقت وعبر رحلة فنية امتدت لنحو ٢٠ عامًا. وأنا أنتقل من نجاح إلى نجاح ومن بطولة إلى أخرى، ومن كاتب إلى كاتب، وبين مخرج وآخر.

قدمت للسينما الكثير، قدمت أيام في الحلال، ولا يزال التحقيق مستمرًا، والراقصة والطبال، وشادر السمك، وقضية سميحة بدران، ومع سق الإصرار، وحالياً أصور وكر الذنوب من إخراج سعيد مرزوق، ولى في العلب فيلم يتوقع أن يفجر الحياة الراكدة في الأوساط السياسية والفكرية وهو «هدى ومعالي الوزير» قصة وسيناريو وحوار نبيل خالد وإخراج سيد مرزوق، ويشاركني بطولته يوسف شعبان وأحمد بدير ومحمود القلعوي، فضلاً عن فيلم «كشف المستور» لوحيد حامد، وإخراج عاطف الطيب ولا أنسى أنني قدمت للتلفزيون رائعة مصطفى أمين «صاحب الجلالة الحب».

لكن هذه المحطات الفنية الناجحة كانت على حساب نهر الزواج الذي لم أشرب منه، أو بمعنى أدق الذي أغرق فيه حيث يكون لي زوج أنتظر عودته عند المساء وأطفال يكبرون أمام عيني يوماً بعد يوم، لأن تجربتي مع الزواج توقفت في صدر حياتي الفنية عندما ارتبطت بالمخرج عاطف سالم، وتزوجته لبعض الوقت، بعد أن كان لشقيقته - وكانت تسكن بجوارنا - فضل أن عرفتنى عليه، فنقلني بفيلم رابعة العدوية من عالم عروض الأزياء إلى التمثيل.

إنني نادمة على عدم زواجي وتكوين بيت وأسرة، فما زلت أحلم بالبيت الآمن.. بالأطفال، وأنا أعترف والاعتراف سيد الأدلة، لقد كان خطأً جسيماً تأجيل الزواج إلى هذه السن، وكان خطأً ان أفقد استمتاعي بحياة خاصة مثل «بقية الناس».

لكن أصدقكم القول: إنني أخطأت من دون قصد، وقمت بذلك من دون تفكير، كان تفكيري في قصة سينمائية أكبر من تفكيري في حياتي الشخصية، كنت أنشغل بالكاتب وبالسيناريو وعندما يعهد إلى بدور يتوقف الزمن، وينحصر نطاق تفكيري بسيناريو الفيلم والحوار، وعندما أشعر بصدق الدور المكتوب أقبله، وإذا لالى غموض هنا أو هناك فإنني ألجأ للكاتب فوراً لأستوضح ما غمض عليّ وما لم يكن مفهوماً، وأستطيع أن أقول: إنني أغرق في الشخصية حتى أذنى، لأننى أفضل طرح القضايا والموضوعات الساخنة، ودائماً تكون شخصيتي الفيلمية قوية لأن الناس تفضلني في الأدوار القوية، من حقى الآن أن أهدأ بعد رحلة فنية مرهقة، نضجت خلالها مشاعري

كممثلة تحترف الفن وتمارس بوجودان الهاوي، فالهواية أصدق من الاحتراف، ومن حقى أن أعيش أمومتى ومع أسرتي، هذا لا يعنى أن يخف حماسى وتوهجى، وبالعكس ما أقصده أن أجد أكثر فى أعمالى، لأننى نادمة على بعضها الذى استهلكنى ولم يعجبى ولم يضيف لرصيدى، وأن تسير حياتى فى رافدين، رافد حب الفن ورافد حب الحياة، لأننى لن أعيش دون فن، ولن أعيش من دون قصة سينمائية أقدمها للناس لأتواصل معهم، مثل هدى ومعالي الوزير، ذلك النموذج الذى ظهر فى مصر الانفتاح السداح المداح (بتعبير) لكاتبنا الكبير شفاء الله (أحمد بهاء الدين) التى احتالت على الناس وعلى الدولة، وهربت خارج مصر بعد ارتكاب مخالفات جسيمة.

لقد استغرق إعدادى لهذا الفيلم حوالى عام، خلاله درست جيداً شخصية «هدى» الملقبة بالمرأة الحديدية، وعرفت كل تفاصيل حياتها من طريقة انتقائها للملابس، وحبها للملابس السوداء، التى كانت ترتديها فى بيتها، لأنها كانت تشعر دائماً بخوف من شيء ما، وحتى طريقة تعاملها مع الناس وثيابها الحمراء الفاقعة التى كانت ترتديها وسطهم.

لقد التقيت أصدقاءها والعاملين معها، وقرات ملفات الصحافة التى نشرت عنها، واستطعت أن أفهم نقاط قوتها ونقاط ضعفها فهى مفاتيح الشخصية السينمائية التى أمثلها دائماً، ولذلك فأنا بحاجة إلى أدوار ناضجة مثل هذا الدور، وبحاجة إلى أن أتفلس جياً أيضاً على مستوى حياتى الشخصية.

كما أن فى حياتى نقطة ضعف أكيدة وهى حبي الشديد للأطفال وخصوصاً المرضى، ولا أنسى أبداً انفعالاتى بأطفال البوسنة الذين راحوا ضحية للقصف الصربي، وسوف يقصون حياتهم مبتورى اليدين والقدمين.

لذلك فأنا ما زلت أحلم بهذا البيت الآمن المليء بالأطفال، أحلم بان أتزوج، فالزواج مهم لكل سيدة لابد أن تؤمن لها استقراراً فى حياتها ولذلك عندما يأتينى «النصيب» سأأخذه على الفور وبلاد تردد.

نجمة مصر

نبيلة عبيد



العدد ٢٥٢٦ - ٧ مارس ٢٠٢٠

زواج نسيئة عيد
التفاصيل الكاملة

أشهر عازية في الوسط الفني تودع حياة العزوبية :

زواج نبيلة عبيد

التفاصيل الكاملة



فجأة - ربما - لا تجد نبيلة عبيد في القاهرة ، فعلى الشاطيء الآخر ينتظرها العريس . نبيلة لم تكن تعرف أن هذا هو العريس المنتظر . فقد قاينته مرارا بين أصدقاء ولم تكن بلغت نظرها . تكن فجأة تغير كل شيء . فبين يوم وبيلة كان يطلقها لتزواج . وبدأت حياة نبيلة عبيد . فهل تطير فجأة إلى الشاطيء الآخر ، وتترك كل شيء . التجمية والشهرة والقاهرة .. وأنها ..



الزواج لم يكن مسألة محسومة في حياة نبيلة عبيد يوماً كان فقط قراراً مؤجلاً ، كان عليها بداية أن تحقق وجودها .. ووحدها ، لم يكن بجوارها أحد ، وعرفت كيف تبنى نفسها ، تصبح من الممثلات اللاتي دخلن التاريخ . فهي وحدها التي أخذت قراراً بأن تنتج لنفسها ، عندما مرت عليها أفلام كثيرة ، لم تكن لتضيف إليها شيئاً كبيراً أو تدفعها خطوة للإمام ، أكثر من ثلاثين فيلماً ليس بينها سوى رابعة العدوية - فيلمها الثاني في مشوارها الفني - هو ما تقول : إنه علامة ، ورغم أن رابعة كان المفروض أن يلفت نظر المخرجين والمنتجين . إلا أنهم لم يروا فيها المثلة التي تستطيع أن تحمل فيلماً على أكتافها ، ولذلك قدموها فقط في أدوار خفيفة .. الأصدقاء الثلاثة السيرك ، زوجة غيورة جداً ، لست مستهتره ، الكدايين الثلاثة ، هاربات من الحب ، رحلة شهر عسل ، جنون المراهقات ، وهكذا ، لكنها كانت تعرف إمكاناتها ، كانت فقط تريد من يكتشف قيمتها كممثلة ، ولما تأخر الآخرون أخذت خطواتها الشجاعة ، وقررت أن تنتج لنفسها ، وأنتجت فيلم وسقطت في بحر العسل ، واختارت له كل عناصر النجاح قصة لإحسان عبدالقدوس ، ومخرجاً هو صلاح أبو سيف ، وبطلاً هو محمود ياسين ، الذي كان فارس هذه الفترة ، ونادية لطفى نجمة كبيرة ، لكن الظروف لم تكن في صالح الفيلم ، غير أنه ألقى كمية ضوء كبيرة على نبيلة عبيد . وكان أشرف فهمي سابقاً ليكتشف بعين المخرج الواعية إمكاناتها ، ربما تحقق ذلك في فترة سابقة عندما أخرج فيلم واحد في المليون ، وكانت هي بطلته ، فلما أتاحت الفرصة مرة أخرى في فيلم رحلة داخل امرأة ، كانت نبيلة عبيد ماتزال في عقله ، وبداية من رحلة داخل امرأة ، بدأت نبيلة عبيد الحقيقية ، وبدأت قدراتها تتفجر في المرأة الأخرى ، ومع أشرف أيضاً . ثم العمر لحظة مع محمد راضى ثم الشريفة مع أشرف مرة أخرى . وجاء فيلم ولا يزال التحقيق مستمرا لأشرف كذلك ، لتصبح نبيلة عبيد ممثلة لها قدرها العالى .. لكن ..

الزواج:

هل توقفت نبيلة عن التفكير في الزواج ، وقد حققت مكانة طيبة في وجودها كممثلة !!

من الضروري أن تفكر ، ومن الضروري أن يظهر أكثر من عريس نبيلة تعترف ببساطة :

نعم ظهر أكثر من عريس . وكان مناسباً . لكن المسألة لم تكن مجرد الاختيار ، لا .. المسألة كانت الإحساس العريس المصرى لم يكن رافضاً لعملى كان موافقاً تماماً ، لأن

أظل في السينما، لكن كما أقول. المسألة إحساس. ورغم أن التفكير في الزواج قد تردد، ورغم أن أكثر من سائحة ظهرت تحدد جنسية العريس المنتظر. وربما حددت السائحة وقت الزواج، إلا أن ذلك لم يكن صحيحا، كذبتة نبيلة، لأنها ترى أن الزواج حلم، وحلم الزواج يكتمل بعلايته.

فإذا كان صحيحا. أن هناك عريسا، وأنها مقبلة على الزواج، فلماذا تخفى والزواج حق مشروع؟ وكيف يمكن أن تسهر مثلاً مع زوج، لا يعرف أحد أنه زوجها.. والشهرة يكون فيها الكثيرون.. وتركت نبيلة السائعات تؤكد ما تؤكد. فقد زوجها مرة وطلقوها، وهي لاتعلم. وتضحك نبيلة من أعماقها لأنها آخر من يعلم. لكن!

النجمة:

وعاد أشرف فهمي لممثلته المفضلة مرة أخرى. عندما أخرج فيلم الشيطان يعظ بعد التحقيق بعام. وأصبحت نبيلة عبيد نجمة، وتوالت الأفلام: الراقصة والطبال لأشرف فهمي قهوة المواردي لهشام أبو النصر، وجاءت مرحلة حسين كمال، لتقدم معه العذراء والشعر الأبيض، وأرجوك أعطني هذا الدواء، وأيام في الحلال يقطعها فيلم التخشبية لعاطف الطيب.

وتتوالى الأفلام، وتتوالى المخرجون «موعد مع القدر» لمحمد راضى و«شادر السمك» لعلى عبدالحالقي، و«أبناء وقتلة» لعاطف الطيب مرة أخرى، وتعددت الأفلام: «انتحار صاحب الشقة» و«الوحل» و«الصبر في الملاحات» و«التحدى» و«اغتيال مدرسة»، «حارة برجوان» و«الراقصة والسياسى» و«سماة الأمير» و«ديك البرابر» حتى «الغرقانة»، و«كشف المستور»، و«هدى ومعالي الوزير»، و«المرأة والساطور» وحتى «الآخر» ليوسف شاهين. لكن هل توقف تفكير نبيلة عبيد في مشروع الزواج؟ دائماً كانت تعلن أنها تمنى ذلك، فقط عندما يظهر العريس الذى تمناه، ليس فقط بالمواصفات الاجتماعية، ولكن وكما تقول: بالإحساس أولاً، وجاء العريس رجل أعمال يعيش في لندن منذ ثلاثين سنة، رآته مراراً وسط آخرين، لكن لم يكن يباليه أن هذا هو العريس الذى سوف يتقدم لها. والذى «الخطب» حساباتها كلها.. مع أنها تجيد فن الحسابات، كما قالت لى مرة: اقترب منها. وسألها: تشربى إيه؟ فى اليوم التالى حادثها تليفونيا ودون مقدمات طويلة عرض عليها الزواج. جاءها فى المنطقة التى تمنهاها والتى تؤلمها، فهى نقطة ضعفها خاصة وأن إحساسها اتجه نحوه، ومادام إحساسها قدرشحه، فإن الحسابات تأخذ شكلاً آخر.

الزوج ، ليس صغيراً ، فهو مناسب لها تماماً كان متزوجاً وعنده أولاد لكن انفصل عن زوجته ، أخذها بالدخول إليها مباشرة بعرضه الزواج . لم يلف ، ولم يرسم بأمانة شديدة تحدث إليها . وأخذتها أيضاً أمانته . وبدأ الحديث في التفاصيل . وكانت أهم تفصيله أنه يريد لها كلها ، يعنى تتفرغ له تترك مشوارها والأكثر من تسعين فيلماً .

وعمرها الفنى كله ، والمكان الذى نحتت فى الصخر حتى حققته ، يريد أن تخرج السمكة من الماء ، تترك بيتها ، أمها ، ذكرياتها علاقاتها . وتعيش معه هناك . ودخلت المسألة فى حيرة وهو لا يعرف أسلوبنا الشرقى مع أنه شرقى ، لكن الثلاثين عاماً جعلت منه إنساناً أوروبياً ، إنه يعمل ويفكر بطريقة أن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم .

قالت : أروح وأرجع ، تعنى أن تكون بين القاهرة ولندن ، فرفض ، إنه يريد لها بجواره ، وهى ترى أن هذا حقها ، لكن .. كيف تعيش السمكة خارج الماء وتركتها فى لندن وعادت إلى القاهرة ، بحيرتها . طلبها أن تأخذ قرارها .

معجب!!

وسط حيرة نبيلة وتردها أمام قرارها الأخير ، جاءت مكالمة تليفونية «الأنسر- ماشين» شغال ، فى هى تسمع من يتحدث ، وكان المتحدث أحد المعجبين ، ترك لها رسالة يقول فيها: إنه لا يتصور أبداً أن تزوج ، وأنه عندما قرأ خبر زواجها ملكته الدهشة ، ولم تستطع الانتظار ، رفعت ساعة التليفون ترد على المعجب . وكأنها تريد من يشاركها الرأى وسألته :ليه مش راضى بمسألة الزواج؟

قال لها : منذ وعيت وأنت ملكى ، أرى فىك شموخا ، عرفتك من أدوارك وصورك ، لقد ارتبطت بواحدة ، وكشفت لها اعجابى الشديد بك ، فإذا بها تقلدك فى كل شيء ، لكن هذا لم يقنعنى ، لأنك الأصل والأصل موجود ، وحاولت نبيلة إنهاء المكالمة ، واستطاعت ، لكن بعد ساعة ، تردد الصوت من جديد ، والكلام أخذ مساراً آخر .

تحدث عن دخله ، وعن والده ، وأنه من البلد الفلانى ، وعرفت نبيلة أن الكلام لم يعد يحتاج للاستمرار ، فأنت المكالمة ببساطة ، لكن ذلك كشف لها بعداً آخر ، ربما لم يكن فى ذهنها ، وربما ، تعرفه لكنها لا تريد أن تصدقه . البعد الأخر ، هو أن المعجب يصاب بالغيرة وربما بخيبة الأمل عندما يعرف أن نجمته المفضلة سوف ترتبط بإنسان غيره ،

صحيح هو يرتبط بها في خياله . لكنه لا يريد أن يشاركه أحد في هذا الخيال.

من يشارك؟

حيرة نبيلة عبيد ، كان من الضروري أن تشرك فيها بعض المقرين إليها تسألهم ، عليها أن تصل إلى قرار ، وقال البعض: تزوجى ، ثم بعد فترة «قوليله عاوزه أشتغل» ، لكن ذلك لم يقنع نبيلة ، فهو - العريس الجديد - جاء من أقصر طريق ، وبوضوح . فكيف تكذب عليه أو تخدعه ، وهذا ليس من طبيعتها ، تفكر نبيلة بصوت عال : أريد من يخاف علىّ ، من أشعر بالأمان معه ، لقد خدعت كثيرا ، وتعذبت كثيرا ، وهذه المرة أفكر بقلبي وعقلي معا ، لكننى لم أصل إلى قرار خاصة وأنه أعطاها وقتا للتفكير ، وقال لها بوضوح : إننى أريد الاستقرار ، فخدنى قرارك .، حتى أستطيع أنا الآخر أن أحقق استقرارى ، تقول نبيلة بأسى : أنا فعلا بين نارين .

إنفلونزا .. ضغط:

نبيلة تعيش حالة من التوتر العنيف ، ورغم أنها مريضة بمعدتها ومصيبتها تؤثر عليها وهى فى غنى عن هذا التوتر ، الا أنها يملكها الصداع ، وتكتشف أن الضغط مرتفع وتهاجمها الانفلونزا وإذا أكلت شيئا عادت وأفرغته من معدتها ، تعيش بالكاد حتى لاتصرخ من آلام المعدة ، والسبب هو قرارها الذى تصل معه إلى حل ، أحكى لها حكاية كان بليغ حمدى يرحمه الله فى حالة غضب فترك القاهرة ، وقد صمم على أن يعيش بعيدا عنها ، وفى باريس أسرع إليه المستجون الفرنسيون يتعاقدون معه على أعمال موسيقية توزع فى جميع أنحاء العالم . وتخرج بالملحن النابغة إلى العالمية ، دفع له مبلغا ضخما ، وأجر شقة ووضع له سيارة تحت تصرفه . وفجأة وجدت بليغ فى القاهرة ، سألته : لماذا عدت وتركت هذا كه ؟! ولم يكن جوابه إلا لم أجد المقعد الذى تعودت عليه فى القاهرة ولاشقتى ، ولا أصدقائى ولا الزمن الذى أتحرك فيه كما أريد وقتما أريد ، إننى أحب أشيائى ! ونهدت نبيلة فهى تعرف ذلك جيدا تعرف عمرها طه الذى قطعت فيه مشوارها الفنى . عمرها كل ما فيه من ذكريات ، هموم ، عذابات ، وفوق ذلك كله .. أمها .. التى أعرف قدر ارتباطها بها والتي لم تتدخل فى الموقف برأى . و .. مسكينة نبيلة . لأنه قرار يبدو وكأنه القرار الأخير .

صَعَتِ الأُمَّةُ



الإصدار الثاني - العدد ٦٠٢ - الاثنين ٢٥/٦/٢٠١٢

سمير فراج يكتب:



نبيلة عبيد .. وعشاقها!



عشاق نبيلة عبيد



ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهدب والسياسى البارع الرائع
الدكتور أسامة الباز شخصيا وقيل : إن الرجل ارتبط بالفعل بزواج
عرفي مع الحسنة نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال

وزير الثقافة الذي
وقع في غرامها
وتمنى أن يتزوجها!
ومستشار الرئيس
الذي تزوجها عرفيا

كيف نجت من بطش
وانتقام سوزان مبارك؟
وهل كان زواجها بالمرح
أشرف فهمي فنيا؟



لكن هناك قصة تم تداولها في المجتمع المصري كله عن علاقة وطيدة عاطفية ربطت بين نبيلة عبيد وأشهر أطباء المخ والأعصاب في مصر أحد أساتذة كلية الطب المصري العظام في تخصصهم ، وهو أحد عشاق نبيلة عبيد أيضًا ، والقصة كانت شهيرة وشائعة ربما موت هذا الطبيب هو الذي أوقف استمرار فصولها وتداولها ، وقيل من ضمن ما قيل : إن أحد عشاق نبيلة عبيد من السياسيين تصدى له بحزم ، وكاد أن يوقفه عند حده ، وأن المشاجرات بينها كانت تجري ويعلمها البعض من المقربين للثنتين !

ولا أدري ما هو السر- دائمًا في ارتباط الفنانة بمشاهير الأطباء؟ لعلنا نعرف أن الطبيب عبد الحميد الطويل كان متزوجًا من مريم فخر الدين ، وأن الطبيب محمد فياض كان متزوجًا من هند رستم ، وأن الطبيب محمد عبد الوهاب متزوج الآن من فاتن حمامة ، وأن الطبيب كمال عبد الرحيم وشهرته كمال خلوصي متزوج من المطربة عفاف راضي ، وكذلك كوكب الشرق السيدة أم كلثوم تزوجت من طبيب ، وأيضًا المطربة الكبيرة نجاة الصغيرة ، هذا على سبيل المثال وليس الحصر..!

لكن تبقى قصة نبيلة عبيد مع الطبيب الشهير في المخ والأعصاب رحمه الله هي القصة الأشهر في عالم قصص الفنانة في الحب والعشق مع الأطباء ، حيث كان هذا الدكتور صاحب المكانة والشهرة العريضة خ/س حينها يتألق في جراحة المخ والأعصاب يقولون: السبب في ذلك نبيلة عبيد لتبقى نبيلة عبيد محورًا ارتكاز دائرة محيطها من العشاق في عالم الثقافة والفن والسياسة والطب..!

أعتر بصداقتي للنجمة الكبيرة العزيزة «نبيلة عبيد» وقد اقتربت منها طويلا خاصة في مرحلة الثمانينات وما بعدها وعشت معها أوج تألقها خاصة في فيلمها السينمائي الرائع «ولا يزال التحقيق مستمرا» وبحق اخترت النجمة الحسنة نبيلة عبيد لتكون نجمة مصر الأولى عن جدارة واستحقاق.. وتربعت على عرش السينما المصرية مع واحدة أو اثنتين على أكثر تقدير.. لكنها في نفس الوقت تربعت على عرش قلوب السادة والمستشارين والوزراء البارزين في روايات بالغة الإثارة والتشويق في وقت واحد.. فنجدها صاحبة مكانة رفيعة ومنزلة كبيرة عند الناس العاديين وكبار المسؤولين أيضا وحكاية هذه النجمة مع العشاق حكاية طويلة بالفعل تستحق روايتها وبرزها الوزير العاشق وفي نفس الوقت

نجت تماما نبيلة عبيد من انتقام زوجة المخلوع مبارك «سوزان» التي حملت لقب سيدة مصر الأولى، وكل مناصبها كانت فيها هي الأولى.. ولم تنبه لنجمة مصر الأولى نبيلة عبيد، وآه لو أدركت ذلك لكانت «بلبله» في خبر كان!!..

ولأن السيدة المريضة بداء السلطان والسطوة على كل شيء لا تحب أن تكون في مصر سيدة أولى سواها حتى لو كانت على الشاشة السينمائية!!.. ومذكرات نبيلة عبيد المرتقبة بالغة الأهمية لأنها ستكشف النقاب عن الكثير من الأسرار والغموض في أخطر المواقف لاشك ستحدث عن الوزير العاشق والمستشار السياسي للرئيس المخلوع وعن خبايا كثيرة في حادث مقتل أو انتحار النجمة السينمائية الكبيرة سعاد حسني وستوقف الكثير من تراقص علامات الاستفهام حول كل ذلك وهذه هي مقدمة المذكرات كما أتصورها أضعها أمام نبيلة عبيد في مسيرة نجمة مصر الأولى «كما هو شائع عنها» نبيلة عبيد شائعات كثيرة دارت معظمها حول العشق والزواج، وبالعودة إلى الوراء بطريقة الفلاش باك نجد أن الشائعات حاصرت نبيلة كثيرا ومن أشهر هذه الشائعات شائعة قصة حبها وزواجها من سعيد مرزوق مخرج «المرأة والساطور» بعد أن نشرت لها بعض المجلات الفنية في فترة تصوير الفيلم صورها لها وهي ترتدي فستان الزفاف الأبيض بينما يرتدي سعيد مرزوق بدلة الزفاف الداكنة واتضح أن نبيلة قد ارتدت فستان الزفاف ضمن مشاهد الفيلم وكان العريس هو أبو بكر عزت ضمن أحداث «المرأة والساطور» وأراد سعيد مرزوق أن يجرى بروفة للمشهد قبل التصوير فوقف بجوار نبيلة ليوجهها في الوقت الذي كان فيه مصورو الصحف والمجلات الفنية يقومون بالتقاط عدة لقطات لا بطال الفيلم ومخرجه لنشرها عندهم في صحفهم ومجلاتهم، وتم نشر صورة نبيلة مع مرزوق بشكل يوحي بأنها قد تزوجا، فانتشرت الشائعة بسرعة البرق وقد أراد المنتج محمد حسيب محمد الذي تولى إنتاج الفيلم استغلال هذه الشائعة لحساب الدعاية لفيلمه فترك الشائعة تحقق الهدف منها، وبعد فترة قامت نبيلة عبيد ومعها المخرج سعيد مرزوق بتكذيب هذه الشائعة غير الحقيقية على الإطلاق!!..

ومن الشائعات التي ثارت حول نبيلة عبيد أيضا والتي تتعلق بالعشق والزواج في حياتها شائعة زواجها السري من الفنان محمود عبدالعزيز في الفترة التي كانا يشكلان فيها ثنائيا ناجحا في السينما وقدا معا ولا يزال التحقيق مستمرا والعذراء والشعر الابيض وأرجوك أعطني هذا الدواء وابناء وقتلة». في تلك الفترة أشاعوا أنها تزوجا في السر-

ولكن الشائعة لم تمكث طويلا وتم إخمادها على وجه السرعة وكان محمود عبدالعزيز متزوجا أيامها من السيدة جيجى زويد من خارج الوسط الفنى وأم أولاده.

ومن الشائعات التى أثيرت ايضا حول نبيلة عبيد شائعة علاقتها بأحد رجال الأعمال العرب وزواجهما سرا فى إحدى العواصم الأوروبية ولكن نبيلة كذبت الشائعة مثلما كذبت شائعات عديدة دارت معظمها حول علاقاتها وزواجها من رجال أعمال مصريين وعرب!..

شائعة حقيقية!

وبعيدا عن الشائعات فى حياة الفنانة نبيلة عبيد هناك تجربة مهمة فى حياتها تلتخص فى أنها كانت على وشك الزواج من رجل أعمال عربى ولكنه اشترط عليها أن تترك القاهرة وتعيش معه فى بيروت وايضا طلب منها أن تعزل الفن لكنها طلبت منه أن يمهلها وقتا للتفكير وعادت للقاهرة وبعد تفكير عميق ودراسة متأنية لقرارها قبل أن تتخذه وجدت نبيلة أنها لن تستطيع أن تعيش بعيدا عن مصر.

زواج فنى مع أشرف فهمى

كانت أكبر هذه الشائعات وقد عشت أحداثها مع الاثنين المخرج الصديق الراحل اشرف فهمى والعزيزة الفنانة نبيلة عبيد وقد ربطت بينهما شائعة قوية بزواجهما بالفعل كانت كل الدلائل تشير إلى هذا بالفعل فأشرف فهمى كان سيبا فى نجاح نبيلة عبيد فى عدة أفلام سينمائية وارتاحت له تماما نبيلة وكان أشرف ونبيلة أشبه بكائن بشرى واحد أمالهما وحدة وآلامهما واحدة ومشاعرهما واحدة والحب يجمع بينهما فى كل شيء ليس بالضرورة الحب العاطفى وإنما حب كليهما شخصية الآخر الفنية والاجتماعية.

ومرة قلت لنبيلة عبيد: للمخرج أشرف فهمى دور مهم فى حياتك فهو الذى عرف كيف يوظف قدراتك وإمكاناتك الفنية لصالح السينما، فما رأيك فى أشرف فهمى ودوره السينمائى معك كمخرج وكإنسان؟!

وعلى الفور قالت نبيلة عبيد! لو عشت اتحدث كل يوم عن شكرى وتقديرى للفنان الرائع أشرف فهمى فلن أوفيه حقه الكامل فلقد كان بالفعل المخرج السينمائى الأول الذى وضع قدمى على الطريق السينمائى السليم وكان يفعل ذلك بإصرار على الرغم من بعض الغيوم والعواصف التى حدثت فى مسيرتنا الفنية!

ولى ملاحظة هنا فإننى أرى أن هذه الغيوم والعواصف حدثت فى الحياة الاجتماعية أى كانت هناك صلة خاصة كبيرة يقترب بها الإنسان الراحل أشرف فهمى من الإنسانية الرقيقة نبيلة عبيد أعتقد كان هناك هذا الحب الذى جمع بينهما وكل من كان يقترب منها يدرك ذلك جليا ولكنها عاشا مع علاقتهما الجميلة فى طى الكتمان أمام الناس لكن أمام الله أعتقد الحقيقة واضحة وأتصور زواج أشرف فهمى من نبيلة عبيد عرفيا وهذا حقها ولم يرتكبا إثما أو فعلا فاضحا وإنما على سنة الله ورسوله وأذكر مرة فى حوار بينى وبين نبيلة عبيد وكان اسم أشرف فهمى يأتى كثيرا فيه أن قلت لها ماذا اكتب عن علاقتكما وأنا المقرب منكما؟

فقلت نبيلة على الفور وبوضوح شديد اكتب زواج فنى بين نبيلة عبيد وأشرف فهمى واتصور أن هذا الكلام من فرط ذكاء بلبله كما نناديها فهو زواج فنى نعم.. لأنه بين اثنين من كبار نجوم السينما تمثيلا وإخراجا والبعض قد يفهم منه علاقة فنية فقط والبعض الآخر يفهم المعنى الثانى وهو زواج بين اثنين من أهل الفن!..

وأعود لحوارى مع نبيلة عبيد وقولها لى كان هناك بعض الغيوم والعواصف بيننا أنا وأشرف فهمى.. وعندئذ قلت لها: هل كنت تغرقين؟!

قالت نبيلة عبيد: نعم كنت.. أغرق.. أغرق.. أغرق وانقذنى أشرف فهمى حيث كان سباحا سينمائيا ماهرا وقائدا للسفينة الفنية السينائية التى أستقلها نحو القمة!
اغتيال الخلاف بين أشرف ونبيلة:

قلت لها أيضا فى هذا الحوار الدائر بيننا عام ١٩٨٧ تحديدا: إن تصفية الخلافات بينك وبين أشرف فهمى كانت خطوة مهمة لصالحكما معا. على الفور تعتدل نبيلة: نعم فهذا الكلام صحيح ليس لأننى أحد طرفى الخلاف لكن لأن المخرج الكبير أشرف فهمى لا يبخل على بكل إمكاناته الفنية المبدعة والواعية والتمكنة من حرفية السينما وهذا لاشك من أنه لصالحنا ولصالح السينما والفيلم السينائى فأشرف مبدع عظيم فى الإخراج السينائى له رصيده الهائل من الأفلام السينائية الموضوعية الجادة المتفوقة.

ولما قلت لها: معنى ذلك فإن اغتيال هذه الخلافات بينكما يمثل أمرا بالغ الأهمية! والواقع أننى كنت أقصد الخلافات ليست فقط الفنية وإنما الاجتماعية كنت أحس بعلاقة إنسانية محترمة بين الاثنين نبيلة وأشرف، وأدرك تماما أن تصفية الخلافات بينها لها مجالها

الاجتماعى والإنسانى أيضا على ضوء هذه العلاقة الخاصة المتميزة بينهما.»

ترد على نبيلة عبيد وهى تضحك ضحكتها الشهيرة من قلبها:

فعلا أنا سعيدة بزوال هذا الابتعاد بيننا لأن أشرف فهمى إنسان كما نعرف جميعا بالغ التأثير لدى الناس عامة وبالتأكيد لدى أنا أيضا بصفة خاصة!»

اغتيال نبيلة عبيد المفاجئ!

ومن المثير أن يأتى فيلم «اغتيال مدرسة» والمدرسة هى نبيلة عبيد.. بعد هذه الخلافات والمخرج بالطبع هو أشرف فهمى بعد الفراق والخصام وفي حوارى معها عام ١٩٨٧ أيضا قلت لها: لماذا يتم اغتيالك في الفيلم أيضا الذى يقدمك فيه أشرف فهمى مرة أخرى في سلسلة أفلامكما معا للسينما؟ وترد على نبيلة عبيد وقد اتسعت ابتسامتها:

اغتيال مدرسة هو اسم الفيلم الذى أمثل بطولته من إخراج اشرف فهمى بعد غياب طويل وهو دور مدرسة تمارس عملها في مدرسة مشتركة تجمع البنين والبنات وتقع مشكلة بين طالب «هشام سليم» وطالبة صابرين وأتدخل أنا من أجل إنهاء المشكلة.. لاقع في مشكلة أكبر وهذا يؤدي إلى اغتالي معنويا فقط لا غير!

وتؤكد نبيلة عبيد: لقد اعتذرت عن نصف دستة أفلام سينائية من أجل التفرغ لاغتيال معنويا مع أشرف فهمى!..

وأنا لم أعد أقبل سوى الفيلم الذى يناسبني وأبتعد تماما عن الفيلم الهابط وتضحك بلبله وهى تضيف: رغم أن اغتيال المعنوي في اغتيال مدرسة هو أمر ضروري طبقا لسيناريو الأحداث ومهم جدا إلا أنه في نفس الوقت رفع معنوياتي كثيرا للمجرد العمل في فيلم من إخراج الصديق أشرف فهمى وأتوقع أن يحصل هذا الفيلم على إحدى الجوائز السينائية الكبرى في المهرجانات القادمة.

وفي نهاية حوارى معها عاودت تساؤلى إليها: ما رأيك في الحب! ووجدتها بلبله فرصة لتجيب فقد فهمت ماذا اقصد من وراء هذا التساؤل قالت بسرعة: إن الحب شيء ضروري للمرأة وهو سر من أسرار استمرارها في الحياة فلا حياة بغير حب وأعترف أنني أحب..! ولكن من؟!

هذا هو السؤال الذى لا أحب أن يوجه إلى فهذه هى حياتي الخاصة وهذه هى إرادتى في أن أحب في صمت دون ضجيج!

الرجل القادم الذي أحبه لأبد أن يكون أكبر في السن وأقدر في المال!

مرت سنوات وفي عام ١٩٩٢ تحدثت إلى نبيلة عبيد مرة أخرى في موضوع الحب كان الحديث الذي يتردد أيامها حول زواج نبيلة من شخصية ما يؤكده البعض وينفيه البعض الآخر، وهو على كل حال حديث معاد دائما بين فترة وأخرى في حياة نبيلة عبيد... تتردد الشائعة ولا ترد عليها نبيلة تركها لمن يريدون الحديث، أما هي فإنها تحاول أن تكون هادئة لأنها- كما تقول- عندما تتزوج فهي لن تخفى ذلك لأن الزواج هو الشيء الوحيد الذي لا يمكن إخفاؤه فالزواج ليس جريمة يخاف منها الإنسان مع ذلك يظل هذا الكلام يتردد!

تقول نبيلة عبيد: الناس تحب الفنان وهم عندما يجونه جدا يبدأون في الاهتمام بكل تفاصيل حياته ملابسه أكله، نومه، مرضه، عواطفه، أحلامه، أحزانه، كل شيء يتعلق بالفنان الذي يجبه يسأل عنه والفنان يغضب في بعض الأحيان فهو يرى الشخصية ملكه هو وحده صاحبها مع أنه يجب أن يعرف أن حياته كلها لم تعد ملكا له، إلا في حدود ما يجبه الناس منه لأنهم في النهاية هم الذين أعطوه حبيهم وأعطوه شهرته والشهرة ثمنها صعب هناك كثيرون يرون أن ثمن الشهرة هو مجرد عدم القدرة في الخروج بشكل عادي مثل الناس، أبدا فالشهرة ثمنها حياة الفنان نفسه مقابل أن يحقق الشهرة ينبغي أن يتنازل عن حياته وهذه معادلة صعبة لكنها صحيحة ولذلك يهتم الناس بكل شيء في حياته حتى عواطفه يعتبرونها ملكا لهم!..

الثمن الذي دفعته نبيلة عبيد:

نبيلة عبيد دفعت الكثير أمام شهرتها ونجوميتها فقد دفعت حياتها كلها ثمننا لهذه الشهرة فقد فضلت الفن على الزواج عندما اختلفت مع أول أزواجها عاطف سالم المخرج السينمائي الكبير، طلبت السينما وتنازلت عن الزواج ونبيلة فضلت الفن على الأمومة فهل كانت تستطيع أن تكون كأي واحدة أخرى تتزوج وتنجب أطفالا وتتفرغ لبيتها وزوجها أو تعطى جانباً من حياتها للفن لكنها في النهاية لن تحقق كل شيء كما حققت وحتى تستطيع أن تحقق نبيلة عبيد الفنانة المشهورة والمتألقة والمحجوبة فقد ملكت «معدة عصبية» تجعل حياتها عذابا فهي لا تستطيع أن تعيش كالأخريات ولا تأكل مثلهن!.. دفعت كثيرا ولكن هذه هي ضريبة الشهرة.

زواج نبيلة عبيد المثير!

نبيلة عبيد تزوجت مرة أو مرتين الله أعلم، عام ١٩٩٢ قالت أنا تزوجت مرة وارتبطت مرتين لكن في كل مرة كان الارتباط لا يصل إلى النهاية وهى لا تستطيع أن تعلن ارتباطها في كل مرة لأنه لا يكون الخطوة الأخيرة إلى البيت فهى تريد أن تتأكد من أن ما تفعله هو الصحيح وتتدخل الأمور، أو الظروف ولا يكتمل الارتباط مع ذلك يظل الزواج قضية مهمة في حياة نبيلة عبيد عندما يسألونها عن نقطة ضعفها تقول «ماما». ملاحظة مهمة: نبيلة كان ارتباطها بوالدها يرحمها الله غير عادى كانت كل حياتها.. تحبها حباً جماً وتعيش معها بشكل دائم.

وكانت نقطة الخلاف الرئيسية بين النجمة الكبيرة نبيلة عبيد وأمها هى «الزواج» فالأم تريد أن تطمئن على ابنتها والإبنة مشغولة بحياتها الفنية.. تريد أن تحقق نبيلة الأحلام التى حلمت بها يوماً عندما كانت تلميذة في كلية البنات القبطية وهى مدرسة ثانوية وليست كلية تتبع جامعة. تركت الدنيا وذهبت للسينا وكان عليها أن تقاتل حتى تحقق وجودها! ومن الطريف أن كان معها في نفس الكلية والمدرسة الفنانة نجلاء فتحى والمذيعة التليفزيونية والغنائية أيضا نجوى ابراهيم ومعها نبيلة يكتمل ثلاثى حرف النون نبيلة.. ونجلاء.. ونجوى.

ونعود لنبيلة، كان عليها أن تقاتل فنياً ويجب أن تتفرغ لقاتلها وهذا ما حدث، نست نفسها وظلت تذكر النجمة نبيلة عبيد.

أخيراً كان لابد أن تصل إلى حقيقة لقد حققت وجودها يبقى أن تحقق هدوءها أن يكون لها بيت وزوج وأولاد وهذه هى الحقيقة التى فكرت فيها نبيلة ولكن لم تركز إلى غير هذا التفكير.. عندما قالوا لها:

متي؟! ضحككت ولم ترد!

تركت الحكاية معلقة ولهذا بدأ الكلام.. لكن وكما تقول هى .. يوم أن يصبح ذلك حقيقياً فلن أخفيه لأن الزواج ليس عيباً ولا يمكن أن يخفى أو نخفيه مع سبق الإصرار ثم إنها لا ترضى أن تعيش مع زوج فى السر!!!

هذا الكلام قالته نبيلة عبيد فى اغسطس ١٩٩٢ أى مضى عليه ما يقرب من العشرين عاماً بالتام والكمال.. كانت فى أوج الشباب والحيرة والآن هى فى مرحلة

النضج الأنثوى الجميل ولاشك تتمتع فيها بالاتزان وتأخذ قراراتها بتأن وموضوعية.. ولكن هي - هل نفذت كل ما قالته من قبل وأنها لا ترضى أن تعيش مع زوج في السر.. وزير الثقافة العاشق لنبيلة عبيد:

حيث ربطت الشائعات الكثيرة حول النجمة الحسنة «نبيلة عبيد».. وأبرزها كانت شائعة قصة الحب الكبيرة التي ربطت بين أحد وزراء الثقافة المشاهير وبين نبيلة عبيد، وقيل إنه غرق في حبها عاشقاً لأنوثتها مولعاً بغرامها، لا يستطيع البعاد عنها!! وكانت القصة تتداول سرا في الأوساط الفنية والاجتماعية والسياسية.. ويطلتها نبيلة عبيد والوزير المثقف العاشق ولم تعد تحظى بالسرية بعد ذلك حيث نشرت في بعض الصحف والمجلات في أخبار مثيرة تشير إلى العلاقة بين النجمة الحسنة والوزير المثقف العاشق، واستمرت هذه الشائعة تنمو وتنمو وتتطور حتى قيل إنهما قد تزوجا عرفياً بالفعل!..

ولم يحدث نفى قوى لهذه الشائعة أيامها مما جعلها وكأنها حقيقة تجاهلها الجميع، حيث يتمتع الوزير العاشق بأخلاق طيبة وسمعة مرموقة وتتمتع النجمة الحسنة بحرصها على مكانتها الكبيرة في ربوع المجتمع المصري وظلت علامات الاستفهام تراقص وكنا عندما نوقف تراقص إحدى هذه العلامات المتراقصة، تزداد العلامات الأخرى تراقصاً وكان التساؤل الصعب: هل تزوج الوزير العاشق من نبيلة عبيد...؟! هذه القصة، وهذه الشائعة.. وهذا التساؤل.. لاشك سترد تفصيلاً عليه نبيلة عبيد في مذكراتها المرتقبة!

وكان المجتمع المصري الذي يحب نبيلة عبيد يقارن أيضاً بين قصة فيلم «الراقصة والسياسي» بطولة نبيلة عبيد.. وبين قصة الوزير العاشق وبطلة القصة أيضاً هي النجمة الحسنة نبيلة عبيد، وان كانت في الأخيرة، قصة واقعية ولم تكن قصة وسيناريو وحوار أحد الكتاب، وكعادتها تجاهلت النجمة الكبيرة القصة وما فيها وأيضاً الشائعة سواء كانت حقيقية أم محض خيال الناس والذين أطلقوها.. لم تهتم بها على الإطلاق، بل ربما قالت في نفسها: اتحدى أن يأتي إنسان بأى شائعة في حياتي الفنية والشخصية فإذا كان هذا الوزير يحبني ويرتاح إلي وينجذب إلي أنوثتي فما ذنبي أنا في ذلك..؟ ما دخلي أنا في هذا؟!!

فهل كان حب وعشق وغرام ووزير الثقافة الشهير لنبيلة عبيد من جانب واحداً..

هل لم تبادله النجمة الحسنة هذه المشاعر على الإطلاق..؟

أعتقد أن مذكرات النجمة الكبيرة نبيلة عبيد المرتقبة سيكون فيها بكل تأكيد الاجابة الوافية حول هذا الموضوع خاصة أنه ليس في هذه القصة ما يسيء الى نبيلة عبيد على الإطلاق.. فهذه مشاعر وعواطف يحس بها أى إنسان تجاه الآخر من زاوية معينة وأيضا فهذا الوزير العاشق رجل بمعنى الكلمة حتى يعرفه الجميع، لم تطلق عليه يوما شائعة من أى نوع تمس رجولته أو تمس نزاهته أو تمس كرامته.. وبالتالي ليس في علاقته التى أكدتها الشائعة الكبرى مع نبيلة عبيد ما يسيء إليه هو الآخر!

المستشار السياسى للرئيس

هل تزوج بالفعل النجمة نبيلة عبيد عرفيا!؟

استمر مسلسل الشائعات الكبرى يطارد نجمة مصر الأولى كما يطلق عليها نبيلة عبيد وهذه المرة ربطت الشائعات بينها وبين الرجل المهذب والسياسى البارع الرائع الدكتور أسامة الباز شخصيا وقيل إن الرجل ارتبط بالفعل بزواج عرفى مع الحسنة نبيلة عبيد لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال.. وبدأت في الفترة الاخيرة خاصة بعد خلع الرئيس الذى كان مستشاره السياسى يهيم جبا في نبيلة عبيد!

الإذاعة الثلاثيون

21 من شهر 2013 - العدد 4097

الفنّانة والسياسي



لأول مرة.. نبيلة عبيد تعترف:

اتجاوزت أسامة الباز بموافقة مبارك

٩ سنوات من الزواج السرى قضتها النجمة الكبيرة نبيلة عبيد فى كنف السياسى المحنك أسامة الباز المستشار السياسى للرئيس المخلوع مبارك جمعتهما مواقف وذكريات لا تنسى

تقول نبيلة عبيد: تلقيت خبر وفاة أسامة الباز، المستشار السياسى للرئيس الأسبق حسنى مبارك، ببالح الحزن والأسى، وكنت أعلم تعرضه لوعكة صحية منذ ٩ أيام، تطلبت دخوله إلى المستشفى، كنت أتمنى زيارته لكننى أجلت تلك الزيارة لما بعد عودتى من لبنان لكن القدر لم يمهلىنى، ووصلت إلى القاهرة يوم الأحد الماضى مساء أى بعد وفاته بحوالى يوم كامل مما أزعجنى وكان الخبر صعبًا على.

وعن الدكتور أسامة الباز تقول نبيلة: كان رجلًا حكيمًا، تعلمت منه الكثير أثناء زواجنا، فكان رجلًا عاقلًا جدًّا، وشخصية وطنية من الطراز الأول والرفيع، فهو كان يقدم مصلحة الوطن على مصلحته الشخصية، بل وضع نفسه تحت خدمة وطنه والناس. وأضافت «عبيد»: أتمنى أن يصبرنا الله جميعا على فراق هذا الرجل الطيب والمحترم، الكبير فى كل شيء.

وعن فترة زواجها قالت نبيلة: استمرت فترة زواجى من (أسامة) ٩ سنوات أعتبرها من أهم وأجمل سنوات حياتى، تعلمت خلالها أشياء كثيرة، وكان بالنسبة لى معلمًا، وكنت تلميذة فى مدرسته خاصة فيما يتعلق بكيفية إدارة شؤون حياتى بطريقة صحيحة، وكيفية الوصول إلى حلول مباشرة للمشاكل التى تواجهنى، وبصراحة كنت وسأظل فخورة بهذا الرجل، وبزواجى منه.

وتستطرد نبيلة: تعلمت من الراحل الدكتور أسامة الباز قيمًا جميلة أهمها التسامح، كل الأشياء الجميلة تعلمتها وأى فضل فى استمرارى حتى الآن يعود لهذا الرجل بعد الله سبحانه وتعالى فهو كان ناصحًا أمينًا وصديقًا حقيقيًا بالإضافة إلى زوج رائع وطيب ومحترم، ومهما قلت عنه فلن أعطيه حقه فهو بالنسبة لى كان السند الحقيقى فى حياتى.

ومهما حكيت لك عن مواقف وذكريات مشتركة جمعتنى به طيلة السنوات التسع التى قضيتها لن أعطيه حقه فهو كان مثالًا للشخصية المعطاءة والمتسامحة، وفوق كل ذلك الوطنية المخلصة والمحبة لكل حبة تراب لهذا الوطن.. تقدر تقول: «مالوش زي».

وتتابع نبيلة: كان «الباز» شخصية حكيمة بمعنى الكلمة، فأثناء زواجنا لم يبخل

لحظة على بإعطائي التوجيهات والنصائح التي ساعدتني كثيرًا على الاستمرار في الوسط الفني وأصبح اسمي « نبيلة عبيد » .

تحتتم نبيلة كلامها: أنا في منتهى الحزن على رحيل قامة سياسية وطنية مصرية اسمها أسامة الباز ، ونفس الوقت حزينة على وطني مصر بقالى ٣٠ سنين في منتهى الحزن كما أن وضع البلد لا يحتمل سرد ذكرياتي وحكاياتي مع الباز المعلم الأول بالنسبة لى.

وتؤكد: زواجى من الباز كان على مرأى ومسمع من رموز النظام السابق وعلى رأسهم الرئيس الأسبق حسنى مبارك .

وعن أسباب طلاقها قالت : هذه أمور شخصية لا أريد الإفصاح عنها لأنها لن تفيد أو تضر لأن الطرف الثانى فيها رحل عن عالمنا ، ويكفى أنه كان خارج أسوار طرة ولم تتم إدانته في أى قضية من قضايا الفساد التى كشفت عقب الثورة^(*).



(*) اشرف شرف : الإذاعة والتلفزيون - العدد ٤٠٩٧ - السبت ٢١ سبتمبر ٢٠١٣م.



هل كانت لديه روشة سياسية لحل مشكلات مصر بعد الأحداث الأخيرة؟ هو كان يتوقع أن الأمور ستطول حتى تستقر البلاد بشكل مرضى على المستوى الاقتصادي والسياسى وربما تصل إلى ١٥ عاما، وكان يرى ضرورة إحداث توافق وطنى وأن يكون هدفهم الوحيد استقرار مصر بعيداً عن الأمور الشخصية، وكان يرى أن الأمر يتطلب أن تكون البلاد تحت قيادة عسكرية لمدتين رئاسيتين لعلاج المشكلات الأمنية والاستقرار والتمهيد لحكم مدنى

• د. أسامة الباز كان بسيطاً وبتردد أنه كان يذهب الى العمل أحيانا بالمترو ووسائل النقل العامة فهل تم تهديده لمواقفه السياسية؟

في البداية كنت أخاف عليه لأنه تم تهديده من جماعة ارهابية دولية وطمئننى قائلاً: "متخافيش"، لأن الانسان المؤمن بالله لا يخشى من شيء، وأن الحراسة لا تمنع القدر، وقبل ١٠ سنوات كنت أنزل معه ميدان التحرير بحكم أن مكتبه كان هناك، وكان يتجول بالشارع ويشترى من الباعة ويلمع حذائه، وكان بسيطاً و يجب التعامل مع الناس.

• في السنوات الاخيرة اختفى د. أسامة عن الأنظار ولم يظهر فما السبب؟ من المعروف أنه تم استبعاده في السنوات الاخيرة من الرئاسة بمعرفة المجموعة المحيطة بالرئيس الأسبق مبارك وأمانة السياسات . لماذا؟

لأن المطبخ السياسى كان به مؤامرات وترتيبات كثيرة ولأن آرائه الصريحة والواضحة كانت تثير استياء البعض ممن يرغبون في التلطيل للنظام فتم عمل وشايات أدت لاستبعاده لأنه كان يعمل لمصر وليس للنظام.

• استبعاده تم بشكل مباشر أم ماذا؟ تم استبعاده من خلال سحب ملفات العمل، ولم يجد عمل حقيقى يقوم به. هل كانت نصائحه تلقى أذانا صاغية؟

د. أسامة كان ينصح دائماً في كل الاتجاهات، ولكن النصائح لم تكن تروق للبعض وكل ماقاله وحذر منه تحقق.

• د. أسامة اعتبروه من الحرس القديم وأنه كان ضد التغيير فما تعليقك؟

لم يكن من الحرس القديم لأن أفكاره كانت تسبق عصره لعقله وحكمته ولكن كلمه الحرس القديم كانت تطلق على الشخص الذى يريدون إبعاده والتخلص منه.

• هل كان الراحل يدعم فكرة التغيير الديمقراطي والدولة المدنية الحديثة؟

بالطبع كانت له أفكار ورؤى وأول من دعم الفكر الديمقراطي ووضع الخطط وأول من نادى بالحريات ودعم الشباب وكان يتعاون مع د.سعد الدين إبراهيم فى وضع الخطط والرؤى الحديثة لمستقبل مصر، ولكن تم وقف ذلك من قبل لجنة السياسات فى ٢٠٠٥م للتمهيد لتسليم جمال مبارك لحكم مصر

• هل كان يعارض مشروع التوريث؟

كان يعارض مشروع التوريث بشدة وأعتقد أن ذلك كان سبب استبعاده من الرئاسة.

• كيف كان يتعاون مع د.سعد الدين إبراهيم المغضوب عليه من نظام مبارك حينها؟

هذا كان فى مرحلة قديمة قبل سجن د.سعد وقبل إنشاء مركز ابن خلدون.

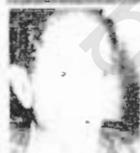
• من هم أصدقاء د. أسامة المقربين الذين حرصوا على زيارته؟

أصدقاءه المقربين د.نبيل العربى ومحمد شاکر ومصطفى الفقى ومعظم تلامذته بوزارة الخارجية وزاره فى الفترة الأخيرة السيد عمرو موسى وصفوت حلمى ود.أسامه سليمان ومحمد فريد خميس ود.إبراهيم كامل والفنانة يسرا ومحمد هنىدى والعديد من الشخصيات العامة.





أسامة الباز ونخيلة عبيد.. أسرار تنشر لأول مرة عن الزواج الأسطوري



نبيلة عبيد وأسامة الباز.. «القصة الكاملة»



أكتوبر ٢٠١٣ - مجلة كلام الناس - العدد ١٠٢٥ - صابر العسيلي



قضت نبيلة عبيد مع أسامة الباز أجمل سنوات عمرها ، فما هي حقيقة اللحظات الفاصلة التي جمعت بينهما كزوج وزوجة ؟ وما هي الضغوط والتحديات التي واجهتها لإجهاض الحب والاستسلام للأمر الواقع والقبول بالطلاق؟ هذه هي القصة الكاملة بلا زيادة أو نقصان .

عملت في جريدة «القمة» في مطلع التسعينيات ، وكان مقرها في ثكنات المعادي إلى جوار بيت أسامة الباز، حيث يمكن أن أراه في اليوم مرتين محبوب شاع ٩ الهادي ويركب المترو ، كان يتحدث إلى الركاب بكل شفافية وتلقائية ، ولديه قدرة على استيعاب الشعب المصري كله ، وأذكر أنه ظل واقفاً في ندوة بمعرض الكتاب لمدة ساعتين يتحدث عن مخاطر السلاح النووي الإسرائيلي على المنطقة العربية ، وأمامه عشرة آلاف شاب يجاورهم ويرد على أسئلتهم . والكل سكوت ، ولا صوت إلا صوته يدوي في أرجاء المكان إلا أن تردد حكايات عن زواجه من نبيلة عبيد في ذلك الوقت كان صدمة للبعض ، ومفاجأة للبعض الآخر ، فقد تسربت المعلومة ، ولم يكن أحد يملك أن ينفيها أو يؤكدها ولكن الآن بدأت خيوط العلاقة تتضح للجميع وفكت نبيلة عبيد عقدة لسانها بعد وفاة أسامة الباز، لتكشف أسراراً تم التحفظ عليها لأكثر من ٢٠ عامًا، ليس هذا فحسب بل هناك الكثير من أصدقاء الطرفين صاروا أكثر جرأة ، وبات من السهل التعرف على أجواء قصة الحب بين الفنانة والسياسي، وكيف بدأت وإلى أين انتهت مع العلم بأن ليس كل ما يعرف يقال ، فهناك أمور أخرى لا يمكن التحدث عنها لأنها تخص أصحابها فقط ، وكثير من سير الفنانين تحفل بالخطوط الحمراء، وقد أتاحت الظروف لي أن ألتقط خيطاً رقيقاً يكشف خفايا هذا الزواج من خلال حديث عابر خرجت منه بشيء مهم وهو لو أن رجلين اختلفا فسوف تكون بينهما امرأة ورابعهم الحب .

شهادة حق:

لم تكن علاقة نبيلة عبيد وأسامة الباز مجرد نزوة أو محاولة للتمسك بالحب في ظل ضغوط سياسية واجتماعية وعالم مليء بالضباب . بل كانت العلاقة تعبر عن ارتباط حقيقي وزواج شرعي امتد لأكثر من تسع سنوات ، فمنذ بداية فترة التسعينيات في القرن الماضي وهذا الزواج مثار جدل بين أوساط المثقفين إلا أن الجميع كان يخفى من الحقيقة أكثر مما يعلن ربما حرصاً على علاقته بمستشار الرئيس مبارك أو تجنباً للخوض في

قصة حب الفنانة والسياسي الأغرّب من الخيال .

التقيت في الأسبوع الماضي بأحد أصدقاء أسامة الباز ونبيلة عبيد وكان شاهداً على قصة حبهما، وقال لي : إنه اتصل بها هاتفياً ليقدم لها واجب العزاء بعد عودتها من بيروت ، وأنه يعرف مدى حزنها على وفاة أسامة الباز، لم يشأ أن يقلب في الدفاتر القديمة ، بل اكتفى بأن يتطرق إلى بعض الذكريات .

وسألته عن جذور العلاقة بين الفنانة والسياسي فقال : إن أسامة الباز كان سياسياً بقلب شاعر، وإحساس فنان حيث يرى في المرأة الجميلة روح الحياة ، وقد التقى نبيلة عبيد صدفة في إحدى المناسبات فقد كان حريصاً على التواجد في الحفلات العامة والأنشطة الفنية والثقافية ، ولا يترك عرضاً مسرحياً ولا أوبريت في الأوبرا إلا ويحضره ، بالإضافة إلى حفلات الموسيقى العربية ، وقد وقعت نبيلة عبيد تحت تأثير شخصيته الجذابة وعذوبة حديثه وقدرته على التحليل والإقناع وتوطدت العلاقة بعد ذلك حيث جمعت بينهما اللقاءات حتى تم الزواج في إطار من السرية التامة حرصاً على الخصوصية ، ويعيداً عن أسهم المعارضة وهجوم وسائل الإعلام ، والتي كانت تترصد رجال مبارك ، وتتصيد المواقف الغامضة للفنانات .

زواج علي سنة الله ورسوله:

واعترف صديق أسامة الباز ونبيلة عبيد بشيء مهم وخطير، مؤكداً أن زواجهما لم يكن عرفياً أو سرياً ، بل كان زواجا على سنة الله ورسوله ، وأن شخصية الباز القوية كانت تتحدى الجميع لإتمام هذا الزواج ، فلم يخضع لآية محاولات تهدف لإثباته عن الارتباط بنبيلة عبيد ولم يسمح لأحد بأن يتدخل في حياته الشخصية مهما كان حتى لو كان ذلك مبارك نفسه ، وكنت أقول له : أنت فارس مغوار ، فقد انتشر نبأ هذا الزواج في الوسط الفني على الأقل في محيط زملاء والأصدقاء إلا أن ذلك قد أثار نوعاً من القلق داخل مؤسسة الرئاسة المصرية خوفاً من اختراق الفنانة للمفات مهمة وحساسة كان يتولاها الباز وعلى رأسها القضية الفلسطينية واستكمال مفاوضات السلام مع إسرائيل ، وهذا ما جعل الرئيس مبارك نفسه غير راض عن هذا الزواج ، بل يرفضه رفضاً باتاً، وقد أبلغ أحد السياسيين وكان مديراً لمكتبه بضرورة نقل هذه الرسالة إلى أسامة الباز، وبالفعل تم ذلك في غضون ساعات ، إلا أن الباز قد رد على مدير مكتب الرئيس مبارك ردّاً حاسماً

وقويًا مؤكدًا أن الزواج شأن شخصي ولا علاقة لأحده به وحتى لا يتحول الأمر إلى أزمة تم التغاضي عن المشكلة برمتها لينمو الحب في الخفاء، وفي ظل تعميم تام .
يقول صديق أسامة الباز ونبيلة عبيد: إن تجربة الزواج قد تعرضت لضغوط كثيرة ومضايقات أكثر حتى أن إحسان عبدالقدوس قد ألف قصة الراقصة والسياسي من وحى هذه العلاقة^(*)، وقد نشرها في جريدة الأهرام على حلقات، وهذه القصة قد تحولت إلى فيلم شهير، قامت ببطولته نبيلة عبيد نفسها، حيث تبرز مشاهدته تدخل جهات عليا في إفشال هذا الحب، فما غاب عن عيون الحقيقة، قد كشفته السينما ملا موارية ولا ادعاء.

•• أما اعترافات نبيلة عبيد نفسها فتفجر حقائق غائبة طال انتظارها، حيث وضعت النقاط فوق الحروف وأغلقت الباب أمام الآراء والاجتهادات والشبهات حيث تقول: ربما أتذكر الآن تلك اللحظات الفاصلة التي أدخلتنا معا في قالب واحد لتكون زوجا وزوجة، وهنا أترف بأنني لم أسع إلى هذا الزواج لكونه مستشارًا للرئيس مبارك أو لأنه رجل سلطة ونفوذ، فقط تزوجته لأنني أحببته وأحبني.. فأنا لم أجن من حبه لي ربحا ولم أحقق من حبي له ثروة ولا جاهًا، أحببته واكتفيت وأحبني وكان حبه لي هو أجمل حب في حياتي.. أعود بالسنين إلى الوراء فأتذكر فواصل ومشاهد شهدت على قصة حب جمعتنا على مدار تسع سنوات، فأذكر كيف كان معلمي في الحياة والذي تعلمت منه أشياء كثيرة وأذكر أنه كان أستاذي الأول، وكنت أنا أولى تلميذاته، أتذكر كيف علمني أن أدير شؤون حياتي بطريقة صحيحة وكيف أفكر لأصل لحلول مباشرة لأي مشكلة تواجهني في الحياة أو في عملي وكيف أواجه الصعاب والأزمات، أذكر أنني تعلمت منه الالتزام والدقة في الاختيارات أذكر كيف جعلني ملكة متوجة حين علم الرئيس مبارك بأمر زواجنا، واتصل بالدكتور مصطفى الفقي، وسأله: هل تزوج أسامة بالفعل من نبيلة عبيد؟ فأجابه الفقي: بأننا تزوجنا بالفعل، وعندما أنني مقابله مع مبارك اتصل بأسامة وكنت في هذه الأثناء أجلس إلى جواره . فحكى له ما دار وإذا بأسامة يرد عليه حسنا فعلت فلو لم تقل له الحقيقة لغضبت منك طوال حياتي، وبعد ثوان عاد ليؤكد عليه إنها

(*) إحسان عبد القدوس انتقل إلى رحمه ربه قبل وجود هذه العلاقة بين أسامة الباز ونبيلة عبيد، ووفاته كانت يوم ١١ يناير ١٩٩٠، والقصة كتبها قبل وفاته بسنوات...!!

المرأة الوحيدة التي أحببتها ، وهنا انتابني شعور غامر بالسعادة ، وبدأت أشعر بأنني أملك هذا الكون ، فأنا المرأة الوحيدة التي أحبها هذا الرجل ، الذي كان هو الآخر الوحيد الذي أحبته .

إلى هنا انتهت شهادة نبيلة عبيد ، لكن القصة لم تنته فقد كان السياسي والفنانة على موعد مع صراع درامي كبير وتحالف أكبر من إجهاض حب وزواج استمر لأكثر من تسعة أعوام بدءاً من مناورات إعلامية تلوح بكشف المستور ، ومروراً برسائل موجهة نقلها أحد المسؤولين البارزين إلى نبيلة عبيد ، والذي قال لها: حاولي أن تقنعي أسامة بالانفصال عنك لأن استمرار زواجه بك سوف يؤثر على مستقبله السياسي.



مستشار الرئيس في بيت جمعة مصر الأول

أسامة الباز ونبيلة عبيد ..

أسرار

تنشر لأول مرة عن الزواج

الأسطوري

في رحلة الشهرة أو الأضواء أحاط بالنجمة نبيلة عبيد معجبون بلا حصر.. رجال ذو حيثة في كل المجالات أثرياء وسياسيون ورجال أعمال وأصحاب مناصب تمنوا رضاها، وعرضوا ثرواتهم ونفوذهم عليها، وكثير منهم عرض عليها الزواج رسمياً، وكانت الإغراءات تدير الرؤس، وتطير العقول، لكن من بين كل الرجال الذين مروا في حياة نبيلة ، إعجابا وزواجا.. لا يوجد إلا رجل واحد ترك بصمته على قلبها.. أحبته بصدق، ورات فيه نموذج الرجولة التي طالما حلمت به، ومنحته أجمل سنوات عمرها ، وعاشت معه تجربة الحب الحقيقية في مشوارها ، ولذلك كان حزنها عليه عميقاً ، ولا تكاد تصدق أنه رحل عن عالمنا وعالمها!

جاءت نبيلة عبيد من بيروت قبل ساعات ، لتقطع رحلتها وتعتذر عن كل ارتباطاتها ، لتشارك في وداع حبيب العمر... أسامة الباز عميد وأمير الدبلوماسية المصرية المتوج والرجل الذي لعب دورا مهما في سنوات حكم مبارك!

نبيلة في حالة حداد صامت موجوعة .. حزنها مضاعف ، لأن أسامة رحل في ظرف قاس والوطن في محنة ، والبلد تعيش تجربة مرة في مقاومة جماعات الظلام وعصابات الإرهاب .. منذ أكثر من عامين وهي تعيش على أعصابها، تتابع المشهد السياسي ، وتراقب في مرارة وإحباط بلدها المختطف ، وشعبها المغلوب على أمره .. حكمت لي بصوت مشروخ أن حارس العقار الذي تسكن فيه طلب مساعدتها لتوصية على ابنه المطلوب لأداء الخدمة العسكرية ، فانفجرت فيه : ابنك لازم يدخل ويؤدى واجبه .. محتاجين رجاله تروح تحارب الإرهاب .. الوطن أهم .. كلنا لازم نبقى جنود.. ورغم حالتها النفسية فإنها تحاملت على نفسها ونزلت إلى الشارع مع الحشود التي نزلت ملية دعوة الفريق السيسى .. وما إن شعرت بقليل من الارتياح بعد زوال كابوس الإخوان ، حتى جاء رحيل أسامة الباز ليجدد حزنها ويضاعف آلامها.. شعرت كأن يدا غليظة امتدت إليها لتنزع قلبها .

في شجن تحكى نبيلة عن الرجل الرائع الذي أحبته وتزوجته وتعلمت منه الكثير.. عن أسامة الإنسان حبيب البسطاء، الذي لم يشعر يوما بغرور في منصبه ولا نفوذه السياسي، وكانت أجمل لحظاته هي تلك التي يقضيها بين الناس ومعهم ، يركب المترو، وينصت لأحاديث البسطاء، وأجمل طعامه هو ذلك الذي يتناوله في مطاعم الفول والطعمية الشعبية ولم يكن ينجل من أن يعزم أصدقاءه من كبار المسؤولين في مطعم (التابعي).. كان نموذجا فريدا من البساطة والرقى لن يتكرر.

تزوجته نبيلة لتسع سنوات متصلة في سنوات التسعينات .. كان كثيرون يعرفون بأمر هذا الزواج بها فيهم الرئيس مبارك نفسه .. الثابت أن أسامة الباز اتخذ قراره بالزواج من

• لم يتعرف الدكتور أسامة الباز على نبيلة عبيد وحسب المنطق سوى عدة سنوات هي التي تقول عنها نبيلة

عبيد وبالتالي لا يمكن القول أن أسامة الباز كان حبيب عمر نبيلة عبيد...!!

نبيلة دون أن يستأذن أحداً ، أسامة ماكانش من النوع اللي بيستأذن حد في حياته الشخصية كما وصفته نبيلة . . أو أنه الرجل الوحيد الذي عمل مع مبارك بشروطه هو وليس بشروط الرئيس كما وصفه تلميذه مصطفى الفقي، ولما وصلت لمبارك معلومات متناثرة عن علاقة أسامة ونبيلة ، فإن مبارك سأل مصطفى عن الحقيقة ، فأخبره بأنها علاقة زواج ، ولما عرف الباز بها دار قال : لو كنت قلت حاجة ثانية كنت هزعل منك ، ولذلك فليس صحيحاً ما يشاع من أن مبارك غضب من زواج أسامة ونبيلة ، وأن هذا الغضب كان سبباً في خروج أسامة من مؤسسة الرئاسة وتقليص صلاحياته ونفوذه ومكانته لدى مبارك . . فالحقيقة أن مبارك لم يناع في الزواج ، وكانت مؤسسة الرئاسة تتصل بأسامة في منزل نبيلة وقد كان يقضى لديها عندها ثلاثة أيام من كل أسبوع . . أما خروج أسامة من نظام مبارك وتحويله إلى منصب شرفي كمستشار للرئيس ، فكان سببه أن الباز لم يكن متحمساً لفكرة توريث الحكم لجمال مبارك . . صحيح أن الباز تولى لفترة مسؤولية التقيف السياسى لجمال ، قطع شوطاً في إعداده وتجهيزه فكرياً وسياسياً ، إلا أن السيدة سوزان لم تكن مرتاحة ، وترى أن الباز غير مقتنع بما يقوم به ، وأبدت أكثر من مرة اعتراضات علنية على الطريقة التي يتعامل بها الباز مع الوريث ، فقد كان يتبسط معه بحكم فارق السن والخبرة ويناديه باسم التليل (جيمى) ، هى أمور كانت كفيلة باستبعاد الباز ، والاستعانة بمن رأت فيه الهانم أنه أكثر استعداداً وحماساً واقتناعاً بالمهمة الحساسة . . "د. على الدين هلال!"

احترمت نبيلة حساسية وضع ومكانة وظروف أسامة ، رغبتة في عدم إعلان زواجه منها . . حبها الخالص له جعلها تقبل هذا الوضع . . كان يكفيها أن يكون بجانبها ، تتعلم منه الحياة وتنهل من ثقافته وعلمه . . تجربة شبيهة مع بعض الفروق بما حدثت بين النجمة الأسطورية الهوليوودية الساحرة مارلين مونرو والكاتب المسرحى والمفكر الأمريكى الأشهر آرثر ميللر . . قصة الزواج بين الجمال والفكر . . قصة ارتباط الفتنة بالعقل . . قصة الحب الناضر بين الفن والثقافة !

كانت تناديه (بابى) وكان يناديها (كتكوت بابى)، وكان يسعد بهذا التليل . . في الحقيقة لم يكن مجرد تليل أثوى من باب الغواية . . كانت نبيلة صادقة في اختيار لقب تحس به . . فقد فقدت والدها في سن مبكرة ، وافقدت معه حنان الأب . . حنان لم تعرفه

إلا بعد ارتباطها بأسامة الباز.. كان لها الزوج والأب.. ومنه تعلمت وتفتحت مداركها على أمور وثقافات لم تكن لتعرفها بدونها.. كان أسامة موسوعة ثقافية متحركة، حتى إن كثيرين كانوا يعتبرونه وزير الثقافة الحقيقي، ومنهم من كان يداعبه ويرشحه لتولى وزارة الثقافة المصرية.. وربما لا يعرف كثيرون أن الباز في عز ارتباطاته ومشاغله لم يكن يترك معرضا للفن التشكيلي إلا ويذهب إليه.. أو فيلما سينمائيا إلا ويذهب لمشاهدته مع الناس في صالات العرض.. وربطته صداقات واسعة بالوسط الفني، وكان الزعيم عادل إمام من أقرب أصدقائه.

عاشت نبيلة معه ٩ سنوات.. لكن يبدو أنه كان هناك من يدبر ويخطط لإفصال وإفساد تلك العلاقة ويسعى بإصرار إلى تدميرها.. حدث الانفصال.. تعددت الأسباب والروايات.. من الصعب أن تحصل من نبيلة على إجابة محددة واضحة شافية لأسباب انفصالها عن أسامة الباز.. هي أصلا لا تعترف بهذا الانفصال.. ظلت جذوة المحبة في قلبها لم تنطفئ.. وهو كذلك.. كادت دموعها تخونها عندما حكى لي عن اللقاء الأخير الذي جمعها.. كان قبل رحيله بفترة وجيزة وبعد أن تمكن منه المرض وضربه الزهايمر.. فوجئت نبيلة بمن يتصل بها راجيا منها أن تسمح للدكتور أسامة أن يزورها بناء على طلبه قال لهم بدون مقدمات: ودوني عند نبيلة.. جاء.. كطفل وديع وجلس معها في الصالون.. كانت آخر أمنياته أن يراها.. لما سألت طبيبا متخصصا فيها بعد شرح لها أن مريض الزهايمر يشعر أحيانا بحنين ورغبة عارمة في زيارة الأماكن التي ارتبط بها وعاش فيها لحظات سعادته.. دخل بعدها أسامة إلى دار الفؤاد، ليرقد فيه نحو أسبوعين لتتفاقم حالته ويودع الحياة.

لا تصدق نبيلة أنه رحل.. صحيح أنه ابتعد في السنوات الأخيرة، وأصبحت له حياة أخرى وزوجة جديدة.. لكن العلاقة الروحية لم تنقطع كانت تتابع أخباره عن بعد وتطمئن على صحته عبر أصدقاء مشتركين ولما سقط نظام مبارك، وذهب رموزه إلى السجن، وكانت هناك هوجة بمحاكمة الجميع، العاطل بالباطل، المسميء والبريء كانت تضع يدها على قلبها أن يزجوا باسم أسامة في القضية، هي تعلم تماما أنه لن يتحمل ليلة

* الزوجة لم تكن جديدة بل هي شريكة حياته وجه الحقيقي وهي المذيعة التلفزيونية الشهيرة السيدة أميمة تمام.

واحدة من الاعتقال .. يمكن أن يطب ساكتا لو وضعوا يده في الكلابشات أو شوها سمعته .. لقد عاش عمره زاهداً مخلصاً لهذا البلد وخدمه بعمره ، وخرج من السلطة بلا ثروة بلا جاه .. فقط سمعته .. وما كان يسمح لأحد أن يلوث هذه السمعة التي عاش حياته محافظاً عليها.. هي كل حيلته من الحياة وليس لديه غيرها!

يعرف تاريخ الدبلوماسية المصرية رجلاً نابغاً اسمه أسامة الباز.. لعب أدواراً مهمة خلال عهدي السادات ومبارك .. وكان أحد مهندسي عملية السلام مع إسرائيل .. وكان أحد الذين ساهموا بقوة في إعادة العلاقات العربية مع مصر بعد أن ضربتها كامب ديفيد.. تاريخ سياسي حافل لواحد من أشهر الدبلوماسيين .. لكن هناك أسامة آخر.. أسامة الإنسان الذي لا يعرفه إلا من عاشه عن قرب قرب كنييلة عيد!

ككل الجميلات تزوجت نييلة مبكراً.. تزوجت بلا حب .. وربما تكون عاشت قصص حب .. لكن يبقى أسامة الباز هو الحب الكبير.. ربما يكون قد رحل جسداً.. ولكنه حي في قلب من عرفت قيمته وعظمته! (*)



(*) أيمن الحكيم : الإذاعة والتلفزيون - العدد ٤٠٩٧ - السبت ٢١ سبتمبر ٢٠١٣ م.

نبيلة عبيد في «الراقصة والسياسي» بعد «الراقصة والطبال»

▪ المكان أحد الفنادق المظلة على نيل القاهرة.. الزمن بعد غروب الشمس، وأضواء النيون تملأ المكان.

حركة هنا - وهناك .. الكل يستعد لدوران الكاميرا ، والمخرج سمير سيف يلقي بتوجيهاته للعاملين حتى يبدأ تصوير أحد مشاهد فيلم «الراقصة والسياسي».

الفيلم يشترك في تجسيد أحداثه الفنانة «نبيلة عبيد» في دور البطولة، ومعها صلاح قابيل ومصطفى متولى ، وفاروق فلوكس، وآخرون.

انتحى جانبًا .. في ركن بعيد، حتى ينتهى التصوير، والتقى بالمخرج في حوار سريع حيث تحدث عن الفيلم قائلاً:

- الفيلم من نوعية الأفلام الاجتماعية، وتدور أحداثه في الثمانينات، ويتناول قصة صراع بين «الراقصة والسياسي» ، وفيه يستخدم كل منهما أسلحته هو كسياسي، وهى كراقصة ، ومن خلال هذا الصراع نلقى الضوء على العلاقة بين السلطة وأهل الفن، ولماذا يتقرب الفنان من السلطة؟ وكل هذا بطريق غير مباشر من خلال رواية وأحداث بين رجل وامرأة.

▪ وهل للفيلم أبعاد سياسية؟

- نعم، فالسياسى فى الفيلم ذو منصب مرموق ، وقد استخدم الراقصة لتنفيذ أغراض معينة فى فترة ما من حياته بناء على أوامر عليا ، بينما لا يلبي هو رغباتها عندما تريد أن تستفيد منه .. بمعنى تقريبي - أن السياسى يطلب من أهل الفن أن يخدموه فى أهدافه السياسية، فى نفس الوقت يستعملهم فى الترفيه، وأهل الفن يطلبون من السياسى الحماية والنفوذ ، وقضاء المصالح.

▪ هل تتوقع لهذه النوعية أن تنال إعجاب الجمهور؟

- بصفة عامة أنا لا أقدم على فيم أشك فى شعبيته وجاهيرته وهذا ليس تحدياً لأننى أريد للناس أن يستمتعوا بأى عمل أقدمه.

• معنى هذا أنه ليست هناك أزمة سينما، لكن الأزمة في المخرج الذى لا يعرف كيف يقدم موضوعه؟

- الناس دائماً لا يرفضون الاستمتاع واذكرى لى فيلما لم يستمتع به الناس، أن الأزمة في اعتقادى تكمن في انخفاض عنصر التشويق في العمل.

• هذه أول مرة تعمل فيها مع نبيلة عبيد، فهل وجدت صعوبة في التعامل معها؟

- إطلاقاً.. فهى فنانة مطيعة جداً، ولديها اهتمام بالفيلم ككل وليس بدورها فقط، واهتمامها الدائم بأن تتوافر للفيلم كل عناصر النجاح، وهذا كله يأتى من أن هناك ثقة واحتراماً متبادلاً الهدف منه في النهاية مصلحة الفيلم.

• وماذا عن الجديد في أعمالك؟

- فيلم «سد الخطر» قصة وسيناريو وحوار وحيد حامد وإنتاج واصف فايز، وفيلم آخر مرشح لبطولته أحمد زكى وليلى علوي، وهناك فيلماً «إثارة» أحدهما قمت أنا بكتابته وهو بعنوان «ملوك الجريمة»، وجاهز للتصوير والآخر لكتاب جديد أعتقد أنه سوف يكون مفاجأة لأنه من نوعية أفلام سلفستر ستالوني.

وكانت الفنانة نبيلة عبيد قد انتهت من ترتيب حاجياتها - بعد انتهاء التصوير - فالتقيت بها ودار هذا الحوار:

قلت:

• هل تمثل نبيلة عبيد قطاعاً كبيراً من السيدات المصريات أم قطاعاً خاصاً جداً؟

- كل الأنماط التى قدمتها حقيقية وشخصيات موجودة في الحياة شخصية الفتاة المعقدة الخائنة، في العذراء والشعر الأبيض.. المرأة ترى نفسها في اغتيال مدرسة تلك «المدرسة» التى أرادت أن تفعل خيراً فارتكبت أخطاء وهذا موجود في الحياة وأنا نفسى مررت بظلم واقع على في فترة من الفترات.. فيلم «التخشبية» نفس الحكاية حدثت في الحياة.. هذا على سبيل المثال، الشخصيات حية وموجودة وليست مفتعلة، وإذا حدث وجاءتني شخصية ليست طبيعية ولا يمكن أن تحدث في الحياة فإننى أرفضها.

• قدمت قبل ذلك «الراقصة والطبال» كانت شخصية الطبال لا يمكن أن تستغنى عنه «الراقصة والطبال»، وقد أراد الطبال أن يثبت للراقصة أنه أهم منها، والراقصة كانت

تعب عملها من أجل العيش وعندما طرق حياتها الطبال، كانت فقط تريد أن تزوجه لكن طموحه كان أكبر، كان يريد السيطرة عليها، فتمردت عليه بينما انطلقت هي «كراقصة»

- وفي الراقصة والسياسي، أقول: إن المجتمعات فيها الجديد وفيها الرديء، والراقصة هناك امرأة لها أخلاقها وأحاسيسها وقلبها وتلجأ لعمل مشروع إنساني حتى يتذكرها الناس بالخير، وهو إثبات لأن الراقصة إنسانة قبل أي شيء آخر، والرقص أصبح الآن له أصوله وقواعده.

▪ ما هو تقييمك لأعمالك الفنية الأخيرة مثل «اغتيال مدرسة» و«التحدي» و«حارة برجوان»

- من أحلى الأفلام التي قدمتها «حارة برجوان» وكل الأفلام فيها جهدًا شديدًا جدًا، وفيها تعب، وإذا كان هناك من يفضل فيلمًا على آخر، فإن هذا يعود إلى اختلاف الآراء والأذواق.

▪ وهل تعتقد أن النقاد ينصفونك أم يقسون عليك؟

- حتى الآن أشعر أنهم يرون العمل الجيد ويشجعونني عليه، وعمومًا أنا لا أحب أن تكون آرائهم مديحًا، أريد أن يقول كل ناقد رأيه، حتى أعرفه وإذا كان هناك خطأ أستفيد منه.

- عندما أرى فيلمًا جيدًا أكون سعيدة لأنني أنتمى لهذه المهنة، وأحب الخير للمهنة نفسها، لكنني عندما أقدم فيلمًا جيدًا، وأرى غيري يقدم فيلمًا هزليًا، فإنني أكون حزينة لأن هذا يضر بصناعة السينما، فلا يكفي أن أكون أنا فقط جيدة، بل يجب أن يكون الجميع قدر المسؤولية.

▪ وهل هناك جديد غير هذا الفيلم؟

- عندي موضوع عن أطفال الأنابيب في فيلم باسم «عتبة لستات» وفيلم «القربان».. قصة حسن شاه وسوف تكون مفاجأة للجمهور إن شاء الله^(*).

(*) ماري غضبان.







إحسان عبد القدوس



الرائفة والسياسة

الراقصة والسياسي

كانت الراقصة دلال المصرية تسير في شارع سليمان باشا وبين شفيتها ابتسامة صغيرة هادئة ترد بها على أفراد الجمهور الذين يلاحقونها بنظراتهم وابتساماتهم .. ولم تكن دلال وهي تسير في الشارع تحمل أى مظهر من مظاهر فنها كراقصة : فخطواتها سليمة معتدلة لا يهتز معها جسدها، وثوبها عادى لا يكشف عن شيء مثير منها وينزل حتى يغطي كل ساقيها ويرتفع حتى يغطي كل صدرها، والألوان التي تغطي بها وجهها كلها ألوان هادئة .. أحمر شفاه هادى وكحل هادىء، وبودرة وردية هادئة .. وشعرها ملفوف فوق رأسها في جمال متحفظ كأنها عروس لا تطلق شعرها الطويل إلا للعريس ..

وكانت هذه هي طبيعة دلال .. لا تقدم نفسها كراقصة إلا عندما ترقص ، وبعدها تحفظ لنفسها بشخصية عادية أقرب إلى التحفظ .

وبلا تردد اتجهت دلال إلى مقهى «الأونيون» ودخلت بين الموائد .. وانبهرت زبائن المقهى، وعلقوا أنظارهم بها في دهشة ، ثم انطلقت ابتساماتهم ، ومالت الرءوس وتهاوس وارتفعت همسات خافتة .. أهلا.. يا مرحب .. نورت المقهى .. وارتفعت خبطات الزهر وأحجار الطاولة كأنها تزغرد ترحيبا بدلال.

والسيد عبد الحميد رأفت جالس إلى مائدته في ركن من المقهى وقد جحظت عيناه من دهشة المفاجأة ، وتعلقت أنفاسه في زوره حتى أحس كأنه يحتنق ومد أصابعه يشد رباط عنقه ويفتح ياقة قميصه ..

ماذا جاء بدلال إلى هنا.. ليس هذا المقهى خاصا بأهل الفن حتى تنجراً عليه لتلقى بصديق أو بمتعهد حفلات .. وهو صديقها ولكنها صداقة لا تتيح لها أن تبحث عنه في المقهى .. ربما كانت لا تبحث عنه .. سبب آخر لا يعرفه دفع بها إلى هنا.. وأدار رأسه إلى الناحية الأخرى حتى لا تراه دلال .

ولكن دلال واقفة أمامه وصوتها الهادىء الجميل يهتف به :

- صباح الخير يا عبد الحميد به .

ولم يقم واقفًا ، وتركها تجلس على مقعد بجانبه دون أن يرد عليها، ثم قال وهو يدير عينيه بين بقية الزبائن ، كان يحاول ان يكتشف وقع الصدمة عليهم ، وصدمة ابتسامات خبيثة تحيط به .. وقال دون أن ينظر إليها :

- ما الذى جاء بك ؟ ..

قالت فى بساطة :

-جئت لألقاك .

قال وصوته يرتعش :

- ليس هذا مكان لقاء .

قالت فى دهشة صادقة :

- لماذا ؟

وأجاب فى حدة :

-إننا فى مقهى .

قالت مبتسمة :

- تقصد أن المقاهى خاصة بالرجال محرمة على النساء .. إن تفكيرك رجعى يا عبد الحميد .. يجب أن تعترف بالتطور الاجتماعى .. لقد كان المكان الوحيد الذى يمكن أن تجتمع فيه المرأة بالرجل هو الفراش .. غرفة النوم .. ثم حدث تطور وأصبحت المرأة تشارك الرجل فى كل غرف البيت .. ثم اتسع التطور وأصبحت المرأة تشارك الرجل فى كل مكان خارج البيت .. ساد المجتمع المختلط حتى ألغيت أماكن الحريم فى الترام والأتوبيس وألغيت رغم احتجاج المرأة .. فلماذا تبقى المقاهى مخصصة للرجال وحدهم رغم انه لم تقم مقاه مخصصة للنساء .

وقال عبد الحميد وهو لا يزال متعففا عن النظر إليها :

- هذا كلام الجهلة .. المقاهى هى نواد.. نواد تجمع بين أناس لهم صفة مشتركة .. كل مقهى له زبائن يتميزون بطابع معين ومصالح معينة .. ولاشك أن الطابع الذى يجمع الرجال غير الطابع الذى يجمع النساء.. والاهتمامات مختلفة بين الرجال والنساء.. إنك لا تسمعين فى هذا المقهى حديثاً عن آخر الأزياء أو عن اختراع جديد فى طبخة الملوخية .

قالت دلال وهى متجهة إليه بكل وجهها متجاهلة تعففه عن النظر إليها :

- ولكنى جئت لأتحدث إليك فى موضوع مشترك بينى وبينك له طبيعة المقهى..

ونظر إليها نظرة سريعة وهو يلوى شفتيه فى قرف وقال :

- ماذا تقصدين ؟

قالت فى هدوء :

- أقصد المشروع الذى عرضته على عندما التقينا أول أمس .. مشروع افتتاح مطعم باسمى تقوم أنت بتمويله .. مطعم الكلاب الساخنة .. أقصد «الهوت دوجز» ، لقد درست المشروع .. إنه فعلاً مشروع ناجح .. أتدرى.. لقد اكتشفت أن أنواع الأطعمة هى مظهر من مظاهر الحضارة .. وكلما ارتفعت حضارة شعب فرض أطعمته على الشعوب الأخرى.. وعندما كانت الحضارة التركية أيام السلطنة مفروضة على مصر كنا نأكل الشركسية والبلاج ضولمه وكنا نشرب السوبيا.. ثم عندما دخلت الحضارة الفرنسية أصبحنا نأكل فيليه منيو، ويكانا أو شمينيون ، وسكالوب ميزون ، ونشرب الشمبانيا والنيذ، وبعد أن تسللت الحضارة البريطانية أصبحنا نأكل الروزيف ، وتناول الشاي الساعة الخامسة ونشرب الويسكى.. وبعدها جاءت الحضارة الأمريكية فأصبحنا نأكل كتاكى فراى تشيكن ، وهامبورجر، وبقى أن نقيم مطعماً للهوت دوجز أقصد «الكلاب الساخنة»، إن الأطعمة كالموسيقى تنتشر مع ارتفاع مستوى الحضارة .. وسينتشر الهوت دوجز كما انتشرت موسيقى الروك أندرول.

والفتت إليها عبد الحميد ، وقال وهو يضغط على حافة المائدة بأطراف أصابعه حتى

يكمم ثورته :

- اسمعى .. لم أعد أطيق كلمة واحدة منك .. ليس هذا مكانا نتكلم فيه .. بل لم أعد أطيق وجودك .. أرجوك اتركى المقهى وأعدك أن أتصل بك بالتليفون .

وقالت فى دهشة بريئة :

- لماذا ؟

قال فى حدة :

بصراحة لأن وجودك يشوه سمعتى كرجل سياسى وسيء إلى مركزى .. أنت تعرفين ما يمكن أن يقال .

قالت فى براءة :

- لأنى امرأة ؟

وصرخ :

لا .. لست مجرد امرأة .. إنك راقصة .. راقصة معروفة .. ليس هناك مخلوق فى هذا المقهى لا يعرف أنك راقصة .

وركزت عينها فوق عينيه وقالت فى صوت جاد :

- وماذا لو كنت راقصة ؟ ..

وهذا صوته وقال كأنه يتوسل إليها :

- يا دلال .. إنك تعرفين أنى رجل سياسى، وليس من صالح الرجل السياسى أن

يجلس علناً مع راقصات .

قالت وهى تبسم ابتسامة ساخرة :

- بالعكس .. ليس هناك ما يجمع بين اثنين أقوى مما يجمع بين السياسى والراقصة .

وقال عبد الحميد فى حدة :

- هذه قلة أدب.

وردت بسرعة :

- لو كان وصفك بأنك سياسى يعتبر قلة أدب فوصفك بأنك راقص يعتبر قلة أدب.

ويح صوت عبد الحميد وهو يحاول ان يكتم صرخته :

- لولا أننا فى مقهى لألقيت بك فى الشارع .

قالت فى هدوء :

-إن بعض ما يجمعنا هو حرصنا على رأى الجمهور.. انت لا تستطيع أن تطردنى

خوفا من رأى الجمهور وأنا لن أطرد نفسى خوفا أيضا من رأى الجمهور.. عبد الحميد..

اعترف معى أننا أبناء مهنة واحدة .. أنت راقص وأنا راقصة .. وهذا ما جعلنا نتفاهم

سريعا منذ أن التقينا.

وسكت عبد الحميد ولم يرد.

وعادت دلال تقول من خلال ابتسامة حلوة :

- ما هو الرقص .. إنه فن التعبير.. كل من يعبر عن نفسه بـرقص حتى لو اختلفت

وسيلة التعبير.. أنا أعبر عن نفسى بهزات جسدى.. وأنت تعبر عن نفسك بهزات

لسانك.. أى أنى أرقص بجسدى ، وأنت عندما تلقى خطابًا بين الناخبين أو تلقى كلمة

فى مجلس الشعب فأنت فى الواقع ترقص بلسانك ..

قال عبد الحميد ساخرًا :

- الهدف مختلف ..

قالت دلال بسرعة :

- الهدف واحد.. أنت تريد اكتساب الجماهير وأنا أريد اكتساب الجماهير..

قال عبد الحميد وهو يتهادى في سخريته :

- ماذا تفعلين بالجماهير بعد اكتسابهم .. وماذا أفعل أنا ؟

قالت دلال في حماس :

- نفس الشيء .. إسعادهم .. أنا أسعدتهم بأن أرتفع بهم الى سماء الفن فوق متاعبهم ، وأنت تسعدهم بالعودة .. كلانا يرتفع بهم فوق الواقع المضى .. ولكن الجماهير تثق في الرقصات أكثر مما تثق في السياسيين .. لأن الراقصة لا تقدم ما يحتمل الكذب ولا الخديعة ولا التضليل .. إنها تقدم صورة إما تقبل وإما ترفض ، أما السياسى فإن وعوده تحتمل دائما الكذب ..

وقال عبد الحميد مع ضحكة مرة :

- والله عال .. يكفى أن ترقصى ساعة لتقارنى نفسك بسياسى مثلى يحرق دمه ليحقق

مصالح الناس ..

وقالت دلال :

- الرقص ليس مجرد الساعة التى أرقص فيها .. أنا أيضا أحرق دمي في إعداد هذه الرقصة .. تجديد اللحن ، تجديد الثوب ، تجديد المنظر .. تجديد كل شيء .. تماما كالسياسى الناجح ، إنه يقضى أياما وشهورا قبل أن يلقي خطابه .. إعداد المناسبة ، وإعداد الأنصار وإعداد الانطلاقات والوقفات والمفاجآت ... إن السياسى الناجح هو الذى يعد رقصته قبل أن يبدأ فى الرقص بلسانه .. هل قرأت ماذا قال الرئيس الأمريكى كارتر أخيرا .. قال: إن الانتخابات هى رقصات استرbitz .. وأنت تعرف طبعما ما هى الرقصة الاسترbitz .. هى أن تلحق الراقصة ثوبها إلى أن تصبح عارية ، وكذلك السياسى مطلوب منه وهو يرقص رقصته السياسية أن يخلع ثيابه الاجتماعية قطعة قطعة حتى يراه الناس عاريا على حقيقته ..

مطلوب منك أن تكشف عن أبيك وأمك وزوجتك وأولادك وحسابك في البنك وتصرفاتك .. والسياسى الذى لا يرقص استريبتيز ويعرى نفسه يعريه خصومه أو يعريه الجمهور .. جمهور المتفرجين .. وربما كان هذا هو الفرق بينى وبينك .. فرق في نوع الرقصة التى يقدمها كل منا .. أنت مطلوب منك أن ترقص استريبتيز .. ترقص عاريا .. أما أنا فتخصصى لا يفرض على أن أظهر عارية .. ما أكشف عنه يكفى ..

وقال عبد الحميد ساخرا :

- يكفى للإثارة .

وقالت دلال بسرعة :

- ماهى الإثارة .. إنها إطلاق الأحلام .. أحلام الجنس وأحلام المتعة وأحلام الرخاء وأحلام الحرية وأحلام القوة وأحلام الجنة .. وأنت وأنا عندما نرقص نتعمد الإثارة .. وصدقنى أن رقصاتك أخطر .. انك لا تكفى بالإثارة ولكنك تتعمد التأثير كأنك تطلق من لسانك مخدرات توزعها على الجمهور .. مخدرات مهدئة أو مخدرات منشطة .. مخدرات تتعمد أن يبقى مفعولها إلى أن تلتقى بجمهورك مرة ثانية لتسقيه جرعة أخرى من المخدر الذى تختاره .. اما أنا فعندما أرقص أقدم للجمهور قصة .. مجرد قصة حلوة تريجه من متاعبه كأنها قصة فى كتاب يقرأه ، وتنتهى القصة بمجرد ان تنتهى الرقصة ، وأترك بعدها الجمهور حراً دون أن أسعى للسيطرة عليه .

وقال عبد الحميد متأففا :

- إن رقصتك هى دعوة للجمهور إلى الفراش ..

وقالت دلال وهى تضحك :

- وأنت .. أنت أيضا تدعو الجمهور إلى فراشك .. والفرق هو أن فراشى فراش

خاص ، أما أنت فقد جعلت من فراشك فراشا عاما ..

ويعلم الله ما يجرى فوق الفراش .. إنى فوق فراشى امرأة ، أما أنت فإنك فوق فراشك السياسى يمكن ان تكون أى شيء وكل شيء .. هذه متطلبات السياسة .. أو هى فن الفراش السياسى .. ثم لا تنس إن زبائن فراشى وفراشك لا يختلفون .. أصدقاؤنا العرب وأصدقاؤنا من الدول العالمية الصديقة ..

واحتقن صوت عبد الحميد غيظا ، وقال فى صوت مبحوح :

- هذه قلة أدب .. إنك تستغلين وجودنا فى المقهى وتطلقين لسانك .

وقالت دلال ساخرة :

- إنى أستغل خوفك من جمهور المقهى ووجودى فى حماية جمهور المقهى ... وقال عبد

الحميد فى قرف :

- إن هذا الجمهور يعرف عنك كل شيء .. يعرف أنك لا تعيشين من مجرد الرقص له فى الحفلات العامة .. يعلم أن لك حياة اخرى .

وقالت دلال فى برود :

- يعلم عنى بقدر ما يعلم عنك .. يعلم أن لى رقصات عامة فى المسارح أو فى أفلام السينما ، ورقصات خاصة فى الأفراح أو فى الحفلات الخاصة ، ثم لى رقصات شخصية أى أرقص لفلان أو إعلان .. وأنت .. أنت أيضا لك اجتماعات عامة فى البرلمان أو فى احتفالات المناسبات الوطنية ترقص فيها بلسانك للجمهور الواسع .. ثم لك رقصات خاصة داخل اجتماع سرى للحزب أو للهيئة ، ثم ترقص بلسانك رقصة شخصية لفلان أو إعلان عندما تجتمع به على انفراد .. الجمهور يعلم كل شيء عنى وعنك ..

وقال عبد الحميد فى خبث :

- والأعمال الأخرى ؟

وقالت دلال ضاحكة:

- كله .. رقص كرقصة الكلاب الساخنة التي نرقصها الآن أنا وأنت .. أنا أرقص لك

وأنت ترقص لي حتى نتفق على رقصة واحدة نفتح بها المطعم ..

وتنهذ عبد الحميد في يأس وقال :

- تاب الله عليك من الرقص .

وقال دلال مبتسمة:

- ابصقها من فمك .. لن يجرمنى الله أبداً من شخصيتي كراقصة .. الناجح يظل

محتفظاً بصورة نجاحه العمر كله .. الراقصة الناجحة أو السياسي الناجح .. إن تحية

كاريوكا توقفت عن الرقص منذ سنوات واشتغلت بالتمثيل وأعمال أخرى ورغم ذلك

فشخصيتها لا تزال شخصية الراقصة تحية كاريوكا .. لا يعرفها الناس كممثلة .. وفؤاد

سراج الدين ترك العمل السياسي أكثر من عشرين عاما واشتغل بالتجارة والزراعة

والسمرة ، ورغم هذا لم يعرفه أحد كتاجر أو مزارع أو سمسار ، إنما يعرفونه السياسية

.. وزكريا يحيى الدين مضى عليه أكثر من خمسة عشر عاما وهو متفرغ للزراعة وتربية

الدواجن . ولكنه لا يعرف أبداً كمزارع إنما يعرف دائما كعضو مجلس قيادة الثورة .. هكذا

دائما تبقى الشخصية الناجحة .. كاريوكا كانت راقصة ناجحة وفؤاد سراج الدين كان

سياسياً ناجحاً.

وقال عبد الحميد في سخط :

- والله عال .. وصلنا أن نقارن تحية كاريوكا بفؤاد سراج الدين .

وقالت دلال كأنها تلقي عليه درساً :

- إنه التاريخ .. تاريخ مصر .. التاريخ الذى ترتفع فيه أسماء بمبة كشر وشفيفة القبطية والمظ وبديعة مصابنى وعبد الحامولى وسيد درويش وسلامة حجازى .. وبجانب أسماء الشيخ محمد عبده والأفغانى وعرابى وسعد زغلول ولطفى السيد ومصطفى النحاس .. بل ربما كان التاريخ قد أنصف الراقصات ولم ينصف السياسيين ، وقد ظهرت أفلام تمثل حياة بمبة وشفيفة والمظ وبديعة ، ولم يظهر حتى الآن فيلم يمثل حياة الأفغانى أو سعد زغلول أو النحاس أو جمال عبد الناصر .
وتنهدت دلال واستطردت قائلة :

- إن ما أتمناه بعد أن أموت أن يظهر فيلم يسجل تاريخ حياتى ألا أنسى كما نسى سعد زغلول .

وقال عبد الحميد ساخرا :

- وأنا .

قالت ضاحكة :

- أنت ستلقى فى سلة مهملات التاريخ .. رقصاتك ليس فيها ما يستحق التسجيل .
وشهق عبد الحميد فجأة شهقة مكتومة ، وقال فى صوت مبسوح ممزق :
- يا خبر .. إنه عبد الله رفعت سكرتير الحزب .. ما الذى جاء به إلى هنا .. لعله جاء يبحث عن محسن فرحات ، إنى أعلم أن محس مرشح للوزارة الجديدة .

والتفت عبد الحميد إلى دلال ، وقال فى توسل وعيناه ترتعشان كأنه يهيم أن يبكي :
- فى عرضك .. وحياة أبوك الغالى .. قومى من جانبي .. لو رآك الأستاذ عبد الله جالسة معى فى المقهى فسيفضى على مستقبلى السياسى .. إن بينى وبينه ضغائن كثيرة وستكونين أنت المصيبة التى يحطمنى بها .. فى عرضك .

وقالت دلال فى برود :

- اطمئن .. اصبر لترى .

وازداد صوت عبد الحميد ارتعاشاً قائلاً:

- كيف أطمئن .. هذه مسائل لا تفهمين فيها.. قومي واخرجي من الباب الخلفي حتى لا يراك عبد الله.

وقالت دلال في حسم كانها لا تقبل المناقشة:

- قم انت واتركني وحدي.

وقام عبد الحميد مهرولاً يحمل رأسه من إقناع دلال ودخل دورة المياه واختبأ فيها حوالي ربع ساعة ثم خرج ودخل غرفة التليفون وتعمد محادثه طويلة استمرت ربع ساعة، أخرى، ثم خرج إلى صالة المقهى مطمئناً إلى أن دلال انصرفت .. ووقف مصعوقاً..

إن دلال جالسة في مكانها وبجانبها يجلس السيد عبد الله سكرتير عام الحزب .. يجلس على نفس المقعد الذي كان يجلس عليه هو .. واختار كيف يتصرف .. ليس أمامه إلا أن يتقدم .. وقال وهو يمد يده مصافحاً السيد عبد الله:

- شرفت المقهى يا عبد الله بيه ..

وقال عبد الله وهو ينظر إلى عبد الحميد نظرة ضاحكة:

- المقهى شرفني بلقاء الأنسة دلال .. ثم قام واقفاً مستطرداً:

- سأترككم الآن .. مضطرباً .. أعمال ..

وانحنى وهو يصافح دلال قائلاً:

- لا تنسى .

وقالت دلال في دلال:

- هذا شيء لا ينسى.

ومد عبد الله يده يصافح عبد الحميد في حرارة وهو يتسم ابتسامة كبيرة قائلاً:

- جئت أبحث عن محسن فرحات .. لعل تاخرت عن مواعده ، إذا رأيتك قل له: إنى

في انتظاره في المكتب ..

وعاد وهز يد عبد الحميد وابتعد خارج المقهى يقفز بخطواته مرحاً..

وتعجب عبد الحميد من هذه الحرارة التي صافحه بها عبد الله، وهذه الابتسامة

الواسعة التي قدمها له كأنه يعرض عليه معاهدة جديدة تلغى ما فات بينهما من خصام ..

وأسقط نفسه على المقعد بجانب دلال ومد رأسه كله إليها وقال دون أن يتعمد الهمس

وكانه لم يعد يعانى حربًا من جلوسه بجانبها:

- ماذا دار بينكما من كلام .

وقالت دلال في برود وهى تبسم ابتسامة ساخرة :

- إنه لم يتردد بمجرد أن رأتى من الجلوس بجانبى رغم أن كل الزبائن كانوا

يلاحقونه.

وقال عبد الحميد فى عجلة :

- لا يهم .. ماذا قال لك .

وعادت دلال تقول :

- إنه ليس مثلك . لم يتردد فى الجلوس بجانب امرأة راقصة فى مقهى .

وقال عبد الحميد فى زهق :

- ياست دلال .. إن عبد الله ليس مثلى إنه فوق .. فوق .. إنه فى مركز يعطيه الحق فى

أن يدعى أن كل تصرفاته فى خدمة المصلحة العامة .. إن من حقه أن يجلس بجانبك فى

مقهى لأنه يستطيع أن يدعى أنه يعمل على الارتقاء بالفن وإزالة الفوارق بين الفنانين

والسياسيين .. أما أنا فليس من حقى أن أعلن قرارات تخص المصلحة العامة ، وكل

تصرفاتى عرضة لأن تفسر على أنها مصلحة خاصة .. إن المصلحة العامة حكر لطبقة

معينة من الحكام وأصحاب المراكز .. بل إنك تستطيعين أن تغريه بأن يمنحك وسام

الدولة وستكونين أول راقصة تمنح وسام ، ولن يكون من حق أحد أن يجاسبه على الثمن

الذى أخذه نظير هذا الوسام .. حاولى أن تحصلى على وسام .

وقالت دلال فى دلال :

- لست فى حاجة إلى وسام .. إنى أعتبر نفسى وسامًا وأعلق نفسى على صدر من

يستحقنى .

وقال عبد الحميد فى عجلة :

- المهم ماذا كان يقول لك ؟

وقالت دلال فى خبث :

- اتفق معى على المساهمة فى حفلات العيد الوطنى وأقدم رقصة شعبية جديدة .

وقال عبد الحميد فى غيظ :

- هل هذا كل شيء .

وقالت دلال في حسم كأنها توقفه عند حده :

- اعتبر أن هذا هو كل شيء... والمهم ماذا قررت بخصوص مشروع مطعم الكلاب الساخنة .

وقال عبد الحميد في استسلام :

- أمرك .

وقالت في جدية :

- إنك ستقدم رأس المال وتحتج وراء اسمي.. اسمي سيكون أكبر من رأس المال.. نصيبي خمسة وسبعون في المائة من الأرباح .

وقال عبد الحميد :

- أمرك .

وقالت في لهجة تهديد :

- تذكر أنك منذ سنوات عرضت على مشروع إنشاء مطعم كافيار وفودكا، ثم عدلت عن المشروع وهربت .. كنا أيامها نرقص رقصة البلايكا.. أحذرك أن تعدل عن مشروع الكلاب الساخنة ايضاً..

وقال في تأكيد :

- أبداً.. وحياتك لن أعدل أبداً.. المستقبل كله كلاب ساخنة.

قالت وهي تهب واقفة:

- سأرسل لك زكريا الطبال ليتفق على كل شيء .

وقال عبد الحميد وهو يقفز واقفا بجانبها:

- ألم تأت سيرة الوزارة الجديدة في حديثك مع عبد الله؟

ولم ترد دلال وسارت في خطواتها التي لا تهتز معها ، خارجة من المقهى .

والتفت زبائن المقهى إلى عبد الحميد يسألونه في ضحكات عن هذا الحديث الطويل بينه وبين دلال .

وقال عبد الحميد وهو يفتعل تنهيدة كأنه يستريح بها من متاعبه:

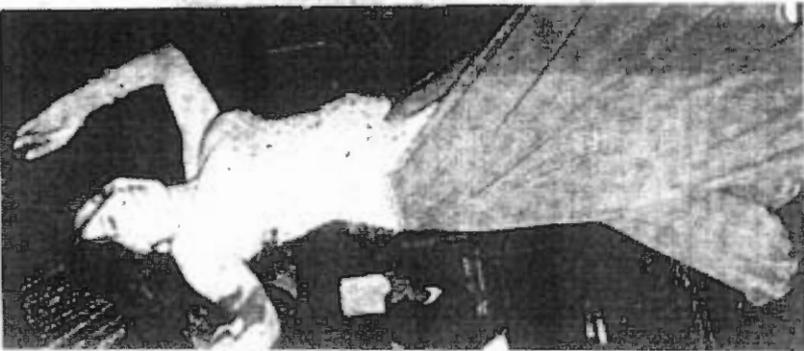
- أخيراً أقتنعها أن تشارك في حفلات العيد الوطني مجاناً.. تبرعاً.. كانت تصر على

أنت تنال أجراً مضاعفاً، إنهن في النهاية راقصات .

وهز زبائن المقهى رؤوسهم حسرة على حال البلد .

من نبيلة عبید إلى صوفینار
السیاسة تحت أقدام الراقصات!





بين يوم وليلة ، أو ليلة وضحاها، تحولت الرقصات إلى حديث الساعة ، من أغاني سما المصرى السياسية وأفلام العيد التى تروج لها راقصات جدد مثل صوفينار وشمس ، إلى المغنيتين الراقصتين مى سليم وحرورية فرغلى وحتى المعلمة الكبيرة دينا، ودون أن تنتهى عند اعترافات الممثلة الراقصة نبيلة عبيد بعلاقتها بالسياسى الراحل أسامة الباز .

الراقصات صرن حديث المدينة ، والمقاهى التى تبث قنوات الرقص الشرقى وكليات أفلام العيد، وصفحات العامة والمثقفين على الفيسبوك .

الناس تعبت من السياسة ، والعنف ، وشبح الإرهاب الجاثم فوق البلاد، وحظر التجول ، والإقبال الهائل على أفلام الرقص والنكات الجنسية أكبر دليل على أن الناس تبحث عن متنفس للاكتئاب والخوف وأخبار الموت .

الجنس ، الذى تمثله الراقصات ، هاجس يسيطر على مجتمعنا طوال الوقت ، ولكنه هاجس تزداد حدته مع تزايد القلق السياسى . «دخلى بالك من زوزو» ظل أنجح أفلام السينما المصرية لعقود طويلة ، ولم يكن ينافس سوى أبى فوق الشجرة والاثنان ظهرا عقب النكسة و وفاة عبدالناصر عندما كانت الروح المعنوية فى أدنى انخفاضها .

أحاديث الناس لا تقتصر على الأفلام وأسماء الراقصات الجدد وعلاقات الزواج العرفى بين الراقصات والسياسيين . المتطرفون أثاروا المزيد من زوابعهم حول فتوى مزعومة للشيخ سعد الدين الهلالى قال فيها: إن الراقصة التى تقتل أثناء ذهابها لعملها شهيدة ، الرجل وضح أنه كان يجيب على أسئلة مذيع لحوح حول فكرة الاستشهاد ، وكان يقول ، معتمدا على نصوص دينية : إن أى شخص يموت أثناء توجهه لعمل شيء حلال فهو شهيد، ولكن خصومه السياسيين وضعوا على لسانه ما لم يقل ، وذلك لتشويه الأزهر ولجنة الدستور وكل من ليس متطرفا مثلهم .

خصوم الإخوان يزعمون من ناحيتهم أن سنة حكم مرسى شهدت العصر الذهبى للكباريات والراقصات وفتيات الليل .

الاستخدام السياسى للراقصات واحد فى الحالتين ، لا أحد يكف عن الإساءة للراقصات ، ولا أحد يكف عن استغلالهن أو التحديق فى أجسادهن العارية .

طالما أنك لا تستطيع التوقف عن التفكير والحديث في أمر ما، فلا يهم إن كنت تتغزل أو تشتتم، هكذا يقول علماء النفس، في كل الأحوال هذا دليل على أنك مهووس بالأمر.

لا حديث لأهل هذه المدينة سوى السياسة والراقصات هذه الأيام!

والمال أكثر من أن تحصى، لعل أشهرها زواج المشير عبد الحكيم عامر بالفنانة برلتى عبد الحميد، وزواج الراقصة دينا برجل الأعمال حسام أبو الفتوح، وأكثرها دموية زواج ومقتل الفنانة سوزان تميم على يد رجل الأعمال هشام مصطفى، وزواج ومقتل المغنية ذكرى على يد رجل الأعمال أيمن السويدي.

هناك مغناطيس يجذب الجميلات المغريات نحو أصحاب المال والجاه، والعكس صحيح ليس فقط في الواقع، ولكن في الخيال الشعبي الذى نسج عشرات القصص حول ابن الأثرياء، السياسى، الذى يقع في حب غانية لعوب أو طيبة القلب، وما تؤدى إليه هذه العلاقة من دمار لكليهما، ولعلنا لا نبالغ حين نقول: إن هذه العلاقة كانت واحدة من التيمات الأساسية للميلودراما المصرية ولا تزال، من «ليلي» لليلي مراد الذى أنتج عام ١٩٤٢، والمأخوذ عن رواية غادة الكاميليا، وحتى «رمضان أبو العلمين حمودة» لمحمد هندي المأخوذ عن «عالم وعالمة» لنادية الجندي والمأخوذ بدوره عن فيلم «الملاك الأزرق» للألمانية مارلين ديتريش..

لماذا يجذب أصحاب السلطة للراقصات والغواني؟ ولماذا تنجذب الراقصات لأصحاب السلطة؟ الإجابات كثيرة، ولكن يكفى أن نقول: إن كلا منهما يبحث عما ينقصه في الآخر، السياسى يبحث عن تنفيس الغرائز والمتع الحسية المحروم منها، بينما الراقصة تبحث عن المال والاحترام اللذين يجميانها في مجتمع يحتقر مهنتها ويحتقرها.

في الخيال الشعبي، كما في الأفلام، يمثل كل من الراقصة والسياسى قطبين على طرفي النقيض من السلم الاجتماعى، الراقصة رمز الغريزة المنفلتة والتحرر من جميع التقاليد والأعراف، والسياسى، كبير القوم ورمز العقل المنضبط وحامى الأخلاق والتقاليد، الأثوثة في صورتها البدائية أمام الذكورة في أعلى درجاتها.. وفي هذا اللقاء الدامى دائما ما تدور أنواع الدراما الكاشفة، والفاضحة، لخواء وغباء هذه الصور المعلبة.

شرف الرقص وكذب السياسة:

في فيلم "الراقصة والسياسي" للمخرج سمير سيف والمؤلف وحيد حامد، والمأخوذ عن قصة لإحسان عبدالقدوس، يدور الحوار التالي بين الراقصة سونيا - نبيلة عبيد - والسياسي عبدالحميد - صلاح قابيل - عقب رفض السياسي التوسط لتسهيل حصول الراقصة على تصريح ببناء دار للأعمال الخيرية :

- أنت كذاب ، علشان بتكذب على نفسك قبل ما تكذب على الناس ، كل واحد فينا بيرقص بطريقته .. أنا باهر وسطى .. وأنت بتلعب لسانك .

- الفرق شاسع يا عالمة .

- أقول لك الفرق ، إحنا الاتنين بنطلع في التلفزيون ، أنا الناس بتفرج عليا .. وأنت أول ما بتظهر الناس بتقفل ائتليفزيون ، لأن رقصك مالوش جمهور ، إنما أنا رقصي - له جمهور ، عارف ليه ؟

- لأن بضاعتك رخيصة ، هدفك تشعللي الغرايز المكبوتة عند الناس . انتى شغلك الإثارة .

- اسم الله على مقامك الرفيع ، وانت شغلك يبقى إيه لا لما توعد الناس بمستقبل مشرق ويبجي بكرة ما يطلعوش شمس .

الغريب أن الفنانة التي رفضت الإعلان عن هذا الزواج في حياة الباز كتبت ما يشبه البيان أو الرسالة المفتوحة في إحدى الصحف لم تكتف فيه بالاعتراف بحقيقة زواجها الذي امتد - حسب قولها - لمدة تسع سنوات ، ولكنها ذكرت الكثير من التفاصيل حوار علاقتها به وموقف الرئيس السابق حسنى مبارك من هذا الزواج وأسباب الطلاق بينهما .

علاقة نبيلة عبيد وأسامة الباز ليست القصة الوحيدة التي خرجت على الناس مؤخرًا حول الراقصات والسياسيين ، من علاقة الراقصة المغنية سما المصرى ونائب البرلمان السابق أنور البلكيمى ، صاحب الأنف الصناعية ، إلى طلاق المغنية والراقصة هيفاء وهبى برجل الأعمال المتطفل على السياسة أحمد أبو هشيمة ، عندما كان يتقرب من الإخوان قبل

سقوطهم ، ونهاية بزواج الراقصة شمس بالمغنى سعد الصغير، المرشح السابق لرئاسة الجمهورية ، الذى صدق نفسه وأنكر هذا الزواج رغم الشواهد الكثيرة التى نشرتها وسائل الإعلام !!

قصص زواج الراقصات والفنانات بالسياسيين وأصحاب السلطة العلاقة بين السياسى والراقصة غالبا ما تدفع إلى الدمار فى الدراما وفى الواقع أيضا . سالومى التى أغرت الملك هيروودس ودفعته إلى قتل النبى يحيى - أو يوحنا المعمدان - ليست مجرد أسطورة .

لدينا فى تاريخنا القريب سالومى أمريكية اسمها كارول شانون أغرت قائد الجيش المصرى المشير عبد الحليم أبو غزالة لاقناعه بصفقة سياسية مرعبة غيرت تاريخ العالم كله وليس مصر فقط .

هذه الصفقة التى كانت جزءا من خطة السياسى الأمريكى تشارلى ويلسون فى بداية الثمانينيات لدعم الحركات الانفصالية عن الاتحاد السوفيتى، أو «امبراطورية الشر»، كما كان يصفها الرئيس الأمريكى ريجان، بداية من أفغانستان، التى شهدت بداية ظهور التنظيمات الإرهابية المتأسلمة التى ارتدت إلى صدر أمريكا ومصر بعد ذلك بعشر سنوات.

قصة شانون وأبو غزالة كانت محور كتابين شهيرين: الأول هو مذكرات كارول شانون، والثانى هو «حرب تشارلى ويلسون» للكاتب جورج كريل الذى يروى فيه قصة دعم أمريكا للقاعدة، كما أنها أصبحت محورًا لفيلم بنفس الاسم قام ببطولته توم هانكس وجوليا روبرتس .

إذا كانت شانون الأمريكية قد أوقعت السياسى المصرى برقصة شرقية، فمن المدهش أو غير المدهش، أن العكس لم يحدث، فمثلا لما رقصت نجوى فؤاد لوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر وغيره من زوار مصر دون أن تحصل منهم على صفقة، واضح أن الرقص خطر على المحرومين جنسيا فقط!

الدمار الناتج عن العلاقة مع غانية أصاب مسؤولا كبيرا آخر في مصر منذ نحو

عامين، كما أصاب المشير عبدالحكيم عامر قبل نحو ٤٦ عاما، ولكن الدمار لا يقتصر على السياسيين فأحيانا تكون المرأة هي الضحية، ولعل أشهر ضحايا الاقتراب الخطر من عالم السياسة كانت كاميليا في مصر ومارلين مونرو في أمريكا، كما تقول الشائعات .

الدمار يكون أكبر عندما لا تكون الراقصة مجرد راقصة، ولكن جاسوسة، ولعل أشهر الراقصات الجواسيس هي ماتا هاري التي كادت تغير مجرى الحرب العالمية الأولى بالمعلومات التي كانت تحصل عليها ضد الحلفاء، قبل أن تعدم رميا بالرصاص بتهمة التجسس عام ١٩١٧ م.

لم يعد للراقصات الجاسوسات كثير من الاستخدام في عصر الحرية الجنسية الذي نعيشه، لو استئينا هذه البقعة التعيسة التي نعيش عليها، والتي تشغل بأخبار الراقصات أكثر مما تهتم بأخبار القضاء على السرطان أو غزو الفضاء!^(*)

(*) / عصام زكريا ، الخميس الفجر - العدد ٤٢٨ - ٢٠١٣/١٠/١٧ .

عادت نبيلة عبيد من بيروت محملة بمزيد من الأسرار، وأكدت أنها كانت على علم بمرور أسامة الباز بأزمة صحية، أدت إلى نقله للمستشفى، وكشفت عن تأجيلها لزيارته بسبب وجودها في لبنان، لكنها لم تكن تتصور أن القدر سوف يسبقها إليه وتحدث الوفاة.

نبيلة عبيد تزوجت أسامة الباز في تسعينيات القرن الماضي، واستمر الزواج تسع سنوات عندما قابلها صدفة في إحدى المناسبات القليلة، فقد كان حريصا على أن يحضر العروض الخاصة للأفلام والمسرحيات ومتابعة عروض فرق الموسيقى العربية في الأوبرا، ويبدو أن كيوييد قد لعب دوره في التآليف بين الأرواح، ويؤكد البعض أن الزواج تم بعقد عرفي وأنه كان حريصا على إعلان هذا الزواج في الوقت القريب من الفنانة ولم يكن الأمر سرا دفيناً، ولعل ذلك ما أثار العديد من المشاكل على الأقل داخل مؤسسة الرئاسة، فالرئيس مبارك لم يكن راضياً عن هذا الزواج.

وبناء على هذا كتب إحسان عبدالقدوس قصة «الراقصة والسياسي»^(*) وتم نشرها على حلقات في جريدة الأهرام وتعرض الباز ونبيلة عبيد لضغوط اجتماعية كبيرة، فلم يكن أحداً من أقاربه يتقبل هذا الزواج لدرجة أن أحد الشخصيات البارزة في مؤسسة الرئاسة قال لنبيلة عبيد: حاولي أن تقنعي أسامة ليطلقك لأن استمرار هذا الزواج سوف يؤثر على مستقبله السياسي.

ومن ناحية أخرى، نقلت إحدى قريبات أسامة الباز الى سوزان مبارك رغبتها في أن يتعد مستشار الرئيس مبارك عن نبيلة عبيد، وتمنت أن تتدخل سيدة مصر الأولى لإخراج الأسرة من هذا المأزق، وبالفعل تجمعت الضغوط لتصب في نتيجة واحدة وهي ضرورة الانفصال حيث تم الطلاق في أجواء تراجمدية وظهر من خلال الفيلم مشهد دخول صلاح قاييل مكتب أحد المسؤولين وانتهاء المقابلة بطلب قطع علاقته بالفنانة ولم يكن الطلاق في الحقيقة كافياً لإنهاء الصداقة بين الطرفين لأنها ظلا يصلان مشاعر الود وغم تغير الظروف، وكثيراً ما كانت نبيلة عبيد تفكر في مقابلة أسامة الباز وزيارته، وخاصة في السنوات الأخيرة، إلا أنها كانت تواجه صعوبات في ذلك، لأن زوجته

(*) مرة أخرى الأستاذ إحسان عبد القدوس كتب قصة الراقصة والسياسي قبل هذه العلاقة أو الصلة بين الفنانة نبيلة عبيد والدكتور أسامة الباز وتوفى أيضاً قبلها رحمه الله.

الإعلامية ، كانت تفرض حوله سياجا من الخصوصية لا يمكن أحداً من رؤيته أو مقابلته أو الحديث معه حتى إن هناك من أكد أنه ربما يكون مريضاً جداً بصورة لا تسمح بإزعاج أحده ، بينما قال البعض : إن الباز كان يعاني من الزهايمر في عاميه الأخيرين ، إلا أنه رغم ذلك رفض إغراءات مادية كبيرة لكتابة مذكراته أو تسجيلها في حلقات تلفزيونية ، وكان يعتبر أن كل ما عرفه قد جاء بحكم وظيفته وأنه لن يبوح بسر أبداً .

وعندما سئل الباز عن اختفائه قال : كل شيء في الدنيا تغير ، والعالم لم يعد كما كان ، والتصورات الجديدة تحتاج إلى وجوه جديدة^(*) .



(*) مها متبولي





النساء يحكمن العالم !! حقيقة..

قالت مارجریت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة :

«في السياسة إذا أردت شيئاً يقال : اسأل رجلاً، وإذا أردت شيئاً يعمل اسأل امرأة»
فالرجل في عالم السياسة يقول: أما المرأة فإنها تنفذ.. وقد يقتصر دورها على التحريض أو التخطيط لكن في نهاية الأمر تتحول رغبتها إلى أوامر.

وأذكر أن عضوات في إحدى الجمعيات النسائية في إنجلترا خلال فترة حكومة «ونستون تشرشل» قد ذهبن إليه وطلبن منه المزيد من الحقوق والامتيازات الضرورية للمرأة لكي يصبح لها صوت مسموع .. فضحك تشرشل، وقال لأعضاء هذه الجمعية : «إن المرأة تحكم بالفعل وليست بحاجة إلى قرارات أو امتيازات فالمرأة تدفع الرجل إلى الطريق الذي تريده».

ثم استطرد «تشرشل» ساخراً وهو يقول : «إن ابني هو الذي يحكم الإمبراطورية البريطانية .. فابني يحكم أمه، وأمه والتي هي زوجتي هي أيضاً صاحبة الكلمة العيا في البيت والحكم .. ما الذي تحتاجه المرأة بعد ذلك ؟ ...».

حقاً.. ما الذي تحتاجه المرأة بعد ذلك ؟ .. هل يستطيع رجل أنا يصمد أمام ما تتمتع به المرأة من أسلحة، بداية من دموع التماسيح وحتى شهوة الجنس مروراً بالكلمة الناعمة والهمسة الحاملة.

قديماً كنا نتبادل نكتة كثيراً ما أضحكتنا وكانت النكتة، إن إحدى الشركات الكبرى أقامت مسابقة لاختيار رجل للعلاقات العامة، وطلبت في المتقدم شرطاً واحداً أن يكون قوى الشخصية، وفي المقابل طلبت من كل متقدم أن يأتي ومعه زوجته، وبالفعل تقدم للعمل كثيرون، وكان مع كل منهم زوجته كطلب الشركة، وعندما تجمع كل هؤلاء وقف مدير الشركة، وطلب من الجميع طلباً واحداً، وهو أن يقف كل الرجال الذين يأتمرون بأمر زوجاتهم في الجانب الأيمن، بينما يتجه إلى الجانب الأيسر- هؤلاء الذين لا يأتمرون بأمر زوجاتهم.

ودهش مدير الشركة عندما وجد أن كل الرجال ما عدا واحد فقط قد اتجهوا إلى الجانب الأيمن ، فهم لا ينكرون أنهم يسرون كيفما تريد منهم الزوجات ما عدا واحدًا توجه إلى الجانب الأيسر .. فسّر المدير وقال : أنت بلا شك رجل قوى الشخصية وهذا ما نبحت عنه .. ثم سأله :

لكن لماذا اتجهت إلى هذا الجانب؟ ألا تخشى زوجتك؟

فأجاب الرجل بجدية شديدة : إن زوجتي يا سيدى هى التى طلبت منى أن أقف فى هذا الجانب .

ربما كان هذا واقعًا لا مهرب منه ، فالمرأة تحكم العالم فعلا سواء كان هذا مباشرة من خلال وجودها فى سدة الحكم أو من خلال رجل تحركه بأناملها وكأنه أحد دميات مسرح العرائس .

لقد قال «سوفوكليس» أحد كتاب الدراما الإغريقية القديمة: «إذا جعلت المرأة مساوية للرجل فإنها تصبح أفضل منه» ، وبالفعل تحولت هذه المقولة إلى واقع ملموس على يد نساء فى العصر القديم والحديث مثل شجرة الدر، وزنوبيا ، ومارجريت تاتشر، وسيرينا فو باندرانايكه، ومنيوليتارى شامورو.

وكثيرًا ما كان الزعيم الصينى الراحل «ماوسى تونج» يقول: «إن النساء يملكن نصف السماء» .. أى أنهن يملكن النصف فى كل شيء حتى فى قرار الحكم ، لكن زوجته «جيانج كينج» كان لها رأى آخر.

لقد كانت هذه السيدة الشريرة تؤمن بأن المرأة تملك كل السماء أما الرجل فهو تابع لها أو فى أحسن الأحوال هو واجهة لكل ما يصدر عن مؤسسة الحكم، ليس أكثر من ذلك .

كانت «جيانج كينج» ممثلة سينائية ومسرحية وكانت ابنة امرأة غانية يعرفها الرجال خاصة الأثرياء منهم ، ولقد التحقت «جيانج» بالحزب الشيوعى ، ودرست ماركس ولينين وتدرت تدريبًا عسكريًا ، لكنها وضعت عينيها صوب هدف واحد «ماوتسى تونج» نفسه ومن ثم السلطة ، وحتى تتمكن من تحقيق ذلك نقلت نفسها إلى معسكره، ثم أجبرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى على التوقيع لها حتى يمكنها من الزواج من الزعيم وذلك على أساس أنها هجرت السياسة إلى الأبد.

لكنها ما لبثت أن تسللت إلى السياسة من جديد، لكن هذه المرة كان تسللها من الأبواب الخلفية، فقد بدأت تهتم بالفن والأدب، ومن ثم أصبحت المستشار الثقافي لجيش التحرير الشعبى فى عام ١٩٦٦م.

ومن خلال مركزها الجديد أخذت فى ممارسة دور جديد فى السلطة من خلال فكرة ما يجب وما لا يجب - وهو ما عرفت بـ «الثورة الثقافية» - وهذا مكنها من الحصول على سلطة شخصية واسعة، فقد أصبحت المتحدث الرسمى باسم «ماوتسى تونج» باعتبارها الحارسة على فكرة الشورى، ثم أكدت سلطتها بالتحاقها بالمكتب السياسى للحزب الشيوعى، وأصبحت تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة تخص الدولة.

لكن بعد أن توفى «ماوتسى تونج» عام ١٩٧٦م، وكان لم يمر على وفاته سوى عشرة أيام حتى تم القبض على الأرملة الشريرة «جيانج كينج»، وأودعت السجن فيما عرف بقبضة عصاة الأربعة حيث تم اتهامها بتهم متعددة تتراوح بين تحطيم سلطة الحكومة واستخدام العنف ضد الأفراد، وكامرأة شريرة مدمرة، فقد استغلت سلطة ليست ملكها ولا تصلح لها، وقد أصدرت المحكمة حكمها بإعدام «جولينج كينج»، لقد فقدت هذه المرأة كل مقومات بقائها فى السلطة لأن الزعيم كانت تستمد قوتها واستمرارها من خلاله قد مات، وقبل رحيل الزعيم رحلت المعادلة التى اعتمدت عليها «جيانج كينج» وهى مبادلة الجنس بالسلطة.

تقول الدكتور «روزليند ميلز» فى كتابها «المرأة والسلطة»: إن القوة والسلطة حقيقة من حقائق الحياة، لكنها حقيقة ينكرها الرجل عن المرأة، فهم يتصورون أن السلطة تتعارض مع المرأة ولا تناسب طبيعتها، لذلك حرموها منها طويلاً، وأصبح على النساء أن يكتشفن هذه المنطقة المجهولة.

لقد أظهرت الأيام تجارب عديدة مع نساء حكمن العالم من شرقه إلى غربه، وما أكثر الأسماء، «أنديرا غاندي» فى الهند، و«سيرىافو باندراناكيه» فى سيلان، و«جيهان السادات» فى مصر، و«مارجريت تاتشر» فى بريطانيا، و«إيزابيل بيرون» فى الأرجنتين، و«فيولتياى شامورو» فى نيكاراغوا، و«بنازير بوتو» فى باكستان، و«كورازون أكينو» فى الفلبين.

هذه عينة من سيدات تسلطن بالفعل على مقدرات الحكم في العالم، منهن من تغلغلن في شؤون الحكم ومن خلفهن حزب مؤيد يعمل جاهداً على تجميع كل الأوراق في أيديهن، ومنهن من كن يحكمن من خلال رجال الحكم وكن يعتمدن في سلطتهن على مؤسسة الرئاسة نفسها.

ولا نستطيع القول بأن نساء الحكم أو السلطة قد سيطن على مقاليد الأمور سواء كانت سياسية أو غير ذلك من الأنشطة الأخرى، لم يسيطن بها يتمتعن به من جاذبية جنسية فحسب بل إن بعضهن كان يملك قوة الشخصية والقدرة على الحسم. ويمكن أن نصف امرأة مثل «جولدا مائير» أو «مارجريت تاتشر» أو «جيهان السادات» بأنهن من هؤلاء اللاتي اعتمدن على طموههن الشديد للسلطة مع ما يتمتعن به من عزيمة وشخصية مسيطرة.

وبنفس النظرة يمكن النظر إلى امرأة مثل «إيزابيل بيرون» أو «إميليدا ماركوس» أو الشهبانو «فرح ديبا» كذلك سوزان مبارك بأنهن حكمن ما لديهن من طموح للسيطرة والسلطة ليس له حدود، لقد قالت الشهبانو «فرح ديبا» بعد أن فقد شاه إيران الحكم وتم نفيه خارج البلاد، قالت: «عيب زوجي الشاه أنه لم تكن أذنه صاغية في الفراش إلى نصائحي، فقد كنت الوحيدة القادرة على الإبقاء على كرسي الطاووس»!!.



فرح ديبا



نيسرة حبيب

تزوجت أسامة الباز

9 سنوات «حب» بلا سياسة

الأهرام

الأهرام

AL AHRAM AL ARABI

مجلة كل العرب





حكايات «مستشار الرئيس» تخصه هو ولا تخصنى ونادرا

ما تحدثنا فى أمور سياسية وكان بيننا «الجب فقط»

أكتب مذكراتى ولن تتناول أى شخصية من رجال مبارك

أسواء شىء فى الدنيا عدم إحساسك بالأمان فى بلدك

مشوار طويل من أجل إعلاء قيمة الفن والإبداع عبرت من خلاله الفنانة نبيلة عبيد إلى جمهورها، وما زالت تحمل معها وحضورها أينما حلت.

منحت نبيلة عبيد عمرها للفن بدءاً من أول دور لها - رابعة العدوية - وحتى مسلسلها الأخير، ديدنها الحرص والإخلاص وثقل الموهبة وانتقاء الفكرة والبحث عن الرواية التي تنام شخصيتها بين أوراقها.

كما أنها لم تكن بعيدة عن السياسة ولكن في إطار الفن، فقدت أعمالاً لها أبعاد سياسية واضحة ودلالات - كشف المستور والراقصة والسياسى مثال - فهي دائماً مهمومة بقضية وبفكرة وبموهبة يؤرقها حضورها .. وقد جمعني بها مهرجان الدوحة للمسرح في قطر لعشرة أيام، فاستعدت معرفتي بها التي بدأت على أعتاب المرحلة الأولى من دراستي الجامعية حين كنت أتدرب في بلاط صاحبة الجلالة، وفتحت لي باب تاريخها عبر حوار امتد طويلاً، لكن المدى امتد أيضاً والرؤى اتسعت والتجربة صارت مساحتها أوسع.

▪ نبيلة عبيد في الدوحة وفي مهرجان مسرحي؟

حضرت كضيف شرف ومكرمة في مهرجان الدوحة المسرحي، ولأتابع المسرحيات الخليجية، يشغلني كثيراً المسرح وأهتم به، كما أنني من خلال المسرح الخليجي أتعرف على المجتمع بشكل جيد وأحله، فهم جزء من جمهوري.

▪ تأتي إلى قطر وهناك صراع محتدم وهجوم دائم؟

الحقيقة هنا تختلف تماماً عما أقرأه في صحافتنا المصرية، وما أتابعه في برامج التوشو المصرية، فمن خلال هذه البرامج عرفت أن قطر تلعب دوراً يسىء إلينا. وأنها تهدف إلى شراء مصر والاستيلاء عليها بأموالها، وحين جئت إلى هنا والتقيت وزير الثقافة القطري الدكتور حمد بن عبد العزيز الكواري وعدداً من المسؤولين عن الثقافة - لأن وزارة الثقافة هي الجهة المنظمة لمهرجان المسرح - وجدتهم يذوبون عشقاً في مصر ولا يتمنون لها إلا كل خير، وأن تنهض من عثرتها وتعود إلى طريقها الصحيح وألا تقع في أزمة اقتصادية لا تقوم لها بعدها قائمة، أهل قطر يقولون لي إن نهضة مصر من نهضة الدول العربية، وثبات مصر يعني ثبات كل الدول العربية، وأنه على مر التاريخ ثبت لنا أن مصر إذا مالت كل

الدول العربية معها .. يتحدث القطريون عن ذكرياتهم في مصر وكيف تعلموا فيها واستفادوا من جامعاتها ومكانتها بين الأمم .

• تردد كثيرا في الصحف أنك تنوين كتابة مذكراتك وتحدثين فيها عن رجال مبارك وعلاقتك بهم ؟

لا توجد علاقة لي بأحد من ساسة مبارك، لذا لن يكون هناك حديث في مذكراتي عن أحد من عصر مبارك من هؤلاء الساسة، عن مشوارى وفنى فقط وكيف بقيت نبيلة عبيد حتى الآن، ولأقول إن الفن ليس حاجة سهلة، وأتناول الأثر الجيد الذى تركته .

• الزواج من سياسى قريب من مبارك شىء لا ينسى أيضا؟

لا يقال كذلك لكن الموضوع فقط هناك رجل أجبني وأحبيته بصدق وتزوجنا لتسع سنوات، وعشت معه حياة سعيدة أفخر بها وأسعدتني، وهى تجربة محترمة من رجل محترم، ولا علاقة لي بأحد سواه . تعلمت من هذا الرجل الكثير واستفدت منه في الحياة لأنه بحق قيمة كبيرة . وشخص بسيط للغاية ونظيف إنسانيا وماليا .

• لكن بالتأكيد كان أسامة الباز يحكى لك أسرازا وحكايا القربه من مبارك ؟

حكاياه تخصه هو لا تخصنى أنا، ونادرا ما تحدثنا في أمور سياسية . كان بيننا الحب فقط . أتحدث في مذكراتي عن تجربتي، أى ما يخصنى، وأذكر أن مصطفى محرم هاتفنى مرة وقال لي إنه كتب في مذكراته عنى وقال إننى ” قدوة ” وهو ما أحرص عليه، وأن أقدم تجربتي للآخرين ليستفيدوا من نجاحاتها وعثراتها .. من كيف يستطيع الفنان أن يحفر له المكانة التى تليق به، وأن يفصل بين حياته الشخصية وتجاربه الفنية، كما استطاع كاتب مثل إحسان عبد القدوس أن يفصل بين تجربته السياسية والروائية وحياته مع زوجته وأولاده

• تعاطيت مع أعمال إحسان عبد القدوس وقدمت للسينما عددا كبيرا منها بدءا بـ ” سقطت في بحر العسل ” وحتى ” ولا يزال التحقيق مستمرا ” إخراج أشرف فهمى .. ما الاختلاف لدى إحسان عن غيره من الكتاب ؟

إحسان كان كاتباً عظيماً، اقتربت منه وعرفته جيدا، وكنت أشتري حق إنتاج أغلب

رواياته التي قدمتها للسينما، كنت أشتري القصة من إحسان ثم أولى أشرف فهمى مسألة إخراجها، لأنى أو من بأن إحسان استطاع أن يقدم تشريحا حقيقيا لمجتمعه، وأن يعبر عن الطبقة التي كان يكتب عنها بشكل رائع وراصد، وما كان ينجح الأفلام التي قدمتها الصدق والعمق في الكتابة والأداء، كما أن مصطفى محرم كسينارست كان يضع لمسائه عبر سيناريو متميز وجرىء يفهم المعنى الرئيسى للقصة وي طرحه في سيناريو وحوار مرئى

▪ لكن إحسان قصصه كانت تباع أعلى من أى كاتب وقتها، حيث كان يبيعها بـ ٧٥٠٠ جنيه، بينما نجيب محفوظ كان يبيع القصة بـ ٤٥٠٠ جنيه وكنت تشتريها رغم ذلك؟

هذا الرقم كبير، إحسان عبد القدوس كان يبيع القصة بـ ٢٥٠٠ جنيه، وظل هذا المبلغ ثابتاً.. كان يقول لى إن سعره ثابت مثل ورقة البوستة.

ونجيب محفوظ كاتب عظيم أيضاً ولا يضاهيه أحد، لكن بطلات إحسان عبد القدوس كن الأقرب لى ولطبعتى وللأدوار التي كنت أود أن أقدمها وللرسالة التي كنت أحملها للفن المصرى، فإحسان هو أقدر كاتب كتب عن المرأة وشرحها بشكل رائع يليق بها.

▪ كنت فى العديد من أدوارك ناصفة للمرأة ولل قضايا الإنسانية والفساد فى المجتمع المصرى .. كيف ترين هذه القضايا الآن؟

بالتأكيد الأمر تغير الآن وحصلت المرأة على العديد من حقوقها، وقد أسهمت السينما المصرية بدور كبير فى هذا الأمر، لكن المجتمع المصرى مثله مثل كل المجتمعات به الصالح والطالح، لكن للأسف الأمر تفسى كثيراً وزاد على حدة .. أسوأ شيء فى العالم عدم إحساسك بالأمان فى بلدك، وأنا لم أعد أحس بالأمان والفوضى وعدم الوجود الأمنى والخوف من المجهول القادم لهذا البلد، وأتمنى لمصر أن تحقق مكائنها ويعود لها أمانها وسلامها .. لا بد أن ترجع مصر للاستقرار حتى نحس نحن كمصريين باستقرارنا الداخلى^(٢).

(٢) أجرى الحوار فى النوبة سامى كمال الدين، الأهرام العربى - العدد ٨٤٠-٢٧ أبريل ٢٠١٣.

صفحات مجهولة من حياة الدكتور أسامة الباز
آخر ما نشر عنه قبيل صدور الكتاب

وفي دمياط المدينة الساحلية الجميلة عاش أزهى فترة في حياته الاجتماعية والعاطفية وكاد أن يتزوج من فتاة دمياطية رائعة الجمال وتتمتع بدمائة الخلق ومن أرقى عائلات دمياط من الأعيان كما كان يطلق على الصفوة في ذلك التاريخ الجميل من الماضى الجميل . . وتعتبر هذه الفتاة التي كانت طالبة في مدرسة اللوزى الثانوية للبنات بدمياط هي التي ملكت قلب وعقل هذا الطالب النابغة المؤدب «أسامة الباز» هذا كله ستتعرف عليه من خلال الكتاب الجديد : قطوف من أوراق . . أسامة الباز . . الاجتماعية والسياسية . . والعاطفية . قبل نشره مباشرة وصدور الطبعة الأولى منه الذي سيصدر عن دار نشر جزيرة الورد.

كان الدكتور أسامة الباز يعتبر نفسه واحدًا من أبناء دمياط . . حيث قضى فيها أحلى أوقات عمره - كما قال لى شخصيا عندما كان والده يعمل بالأزهر بدمياط ، حصل أسامة الباز على الثقافة والتوجيهية من مدرسة دمياط الثانوية للبنين والمعروف أن كلامنا يتعلق بموطنه الأول ، ويشهد نحوه بالحنين ، ويحفظ له الذكريات ويدين له بالفضل ، ويود أن يرد ويوفي له بعض الجميل ، من هذا المعنى ورغم أن مولد أسامة الباز كان خارج دمياط، إلا أن فترة المراهقة والشباب كانت في دمياط . . ولذلك كان كثيرًا ما يتحدث عن دمياط وكأنها مسقط رأسه الحقيقي مثله مثل الكاتب الكبير الدكتور يوسف إدريس، والكاتب الكبير صلاح منتصر وكذلك مصطفى أمين وعلى أمين.

في مدينة وجدت قبل الإسكندرية والقاهرة وبغداد بقرون وأجيال . . ومن أبنائها المشاهير الكبار الدكتور على مشرفة والدكتور زكى نجيب محمود والدكتور عبدالرحمن البدوى والدكتورة بنت الشاطىء والدكتور شوقى ضيف والدكتور محمود حافظ والدكتور محمد حسن الزيات وإبراهيم عبد الهادى والدكتور رفعت المحجوب . . ورأفت الهجان . . «رفعت على سليمان الجمال» في هذد المدينة عاش أسامة الباز أحلى فترة في حياته كما كان يؤكد.

أسامة الباز . الطالب بمدرسة دمياط الثانوية :

عاشت أسرة الطالب أسامة الباز في دمياط حيث كان يعمل رب هذه الأسرة والد أسامة الباز في الأزهر - وكانت الأسرة تظن أحد المنازل القديمة في المنطقة الأثرية التي

تسمى سوق القلل - نهاية شارع سوق الخضار - والتي تقترب تماما من جامع البحر . .
الذي كان يجلس فيه دائما المشاهير من العلماء بدمياط ومنهم والد أسامة الباز . . والشيخ
إبراهيم الدمهوجى شيخ الأزهر الأسبق وجد الدكتورة عائشة عبدالرحمن - ووالدهما
الشيخ محمد على عبدالرحمن . . والشيخ محمد عمر أستاذ الخط العربى بالمعهد الدينى
وغيرهم من كبار العلماء الذين لهم فى المدينة مكانة كبيرة ومحطة طيبة ومنزلة رفيعة فى ذلك
الوقت كان الطالب أسامة الباز ينتقل بين مدارس دمياط فى المرحلة الابتدائية والثانوية . .
زميلا لحسب الله الكفراوى وزير الإسكان الأسبق وعبد الرؤف الريدى فى مدرسة
دمياط الثانوية الذى أصبح سفيرا لمصر بعد ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل هذا
كان أسامة الباز طالبا جيدا فى مدرسة دمياط الأميرية زميلا لمجموعة من التلاميذ على
رأسهم الأصدقاء الذين ارتبطوا معه بصداقة حميمة . . منهم عبدالمنعم البهائى والسيد
المصرى وليب الجمال الشقيق الأكبر لرأفت الهجان الذى كان فى نفس الوقت رغم أنه
أكبر من أسامة الباز بأربع سنوات كاملة حيث ولد أسامة عام ١٩٣١ وولد رأفت الهجان
عام ١٩٢٧ يرتبط بصداقة مع أسامة الباز . . كان أسامة الباز دبلوما مسيا منذ صغره . .
يتسم بالحكمة فى أقواله ومقتصد فيها كثيرا ، والكلمة عنده بحساب ، رغم ما كان شائعا
فى دمياط أيامها .

الكلام ليس عليه جمرك . . !

حيث طبيعة الناس فى هذه المدينة تقتضى فى أغلب الأحيان الكلام الكثير لأنها بلد
صناعية وتجارية وزراعية والجدل فيها على نطاق واسع فى إطار حركة البيع والشراء
خاصة فى صناعات الأحذية والأثاث والحلويات التى تشتهر بها دمياط . . يأخذ الباعة
والذين يشترون بضاعتهم فى الكلام حتى يستى لكل طرف الفوز بانغنيمة من حيث
الأسعار المناسبة وجودة المعروض من بضاعة . . ومن الطريف أن تجار دمياط كانوا
يقولون لكل من يحاول الاستخفاف بالبضاعة من أجل الشراء بسعر رخيص:

قولوا زى ما ، أنتم عايزين .. !

هو الكلام .. عليه جمرك .. !

هذه الجملة الكلام عليه جمرک ولا .. لا .. لا كان يتذكرها دائما أسامة الباز ويعلق عليها في مؤتمراته فيقول : هو الكلام عليه جمرک . ! هكذا يقول أهل دمياط كما كنت أسمعهم .. وكان أسامة الباز يستفيد من هذه الجملة فيما بعد في عمله الدبلوماسي والسياسي . . وكثيرا ما علق عليها الرئيس الراحل السادات أيضا : سيهيم يتكلموا في أي شيء . . هو الكلام يا أسامة عليه جمرک ..؟! سمعها السادات من الباز وأعجب بها كثيرا وكان أسامة الباز يستخدمها كثيرا في العمل الدبلوماسي والسياسي ..!

ارتبط أسامة الباز بدمياط والمجتمع بدمياط وصدقاته المتعددة مع أبنائها منذ الصغر وفي مرحلة الطفولة والصبا في المدارس الابتدائية الأميرية . . ثم في مرحلة الشباب بمدرسة دمياط الثانوية التي له فيها ذكريات كثيرة متعددة .

مشادة بين أسامة الباز ورأفت الهجان في رأس البر ..!

في فتوات شبابه كان أسامة الباز شديد الحب والعشق لرأس البر والمصيف المفضل له ولأسرته ولكل الأسر الأرستقراطية في مصر . . وأسامة الباز لا يذهب لرأس البر إلا عن طريق البواخر النيلية المتعددة التي تشق طويتها عبر مياه النيل من دمياط لرأس البر والمسافة من منزل الأسرة في قلب دمياط إلى شارع النيل قصيرة جدًا وبالتالي كان النيل وبواخره وسفنه في دمياط الوسيلة المفضلة لأسامة الباز وأصدقاء شبابه ، وذات مرة كان رفعت الجمال الذي هو رأفت الهجان فيها بعد البطل المصري الذي لعب دورًا كبيرًا لصالح المخابرات المصرية العظيمة ضد إسرائيل - كان في طريقه لرأس البر هو الآخر مع شقيقه الأكبر لييب الجمال وظاهر الجمال ابن عمهما الذي أصبح فيما بعد نقيب التطبيقين في دمياط والفنان البارع الموهوب وكان على نفس الباخرة أسامة الباز ومجموعة الأصدقاء الكل في طريقه إلى المصيف الساحر - رأس البر - والمسافة لا تزيد على ساعة واحدة من الزمن وحينما استقرت الباخرة على شاطئ النيل في رأس البر - حاول رأفت الهجان وكان شديد الشقاوة أن يكون أول الصاعدين للشاطئ - فنهرو أسامة الباز الأصغر سنا منه - طالبا ألا يسبق غيره الأقرب إلى الرصيف منه خاصة أن بالباخرة بعض السيدات والإناث ويجب أن يكون السابق لمن في مغادرة الباخرة إلى الرصيف - إلا أن رفعت الجمال أو رأفت الهجان وبخ أسامة الباز ونهره بصوت عال : و انت مالك يا أخي . .

خليك في حالك .. و هذا لم يعجب لبيب الجمال واعتذر لأسامة الباز . الذى أصر على مقولته : عيب يا رفعت ، وتحول الموقف إلى صدام عنيف بين رفعت الجمال وأسامة الباز الذى كان الأصغر، والأكثر حكمة واتزاناً وتمسكاً بالواجب والنظام . . لكن فى النهاية الكل أصدقاء، ويا دار مادخلك شر .

نجاهة الصغيرة تدافع عن أسامة الباز وأفت الهجان يغلى :

ومن المواقف الطريفة والمثيرة والشائعة فى محطات أسامة الباز فى دمياط هذا الذى حدث فى منطقة الهوم برأس البر . وهى منطقة كانت تزدهم باليهود - معروفة بأنها خاصة باليهود . . ولها جماها الخاص أيضا ومعروف أن الفنانة نجاهة الغفيرة فى مطلع شبابها ومنها كانت معشوقة المصطافين برأس البر - وتغنى فى كازينو الجندول المطل على منطقة اللسان الساحرة فى رأس البر، وكان رفعت الجمال من المعجبين جدا بنجاهة الصغيرة وهام بها عشقا ، وذات ليلة كانت فيها نجاهة تغنى والباز والهجان يستمعان ضمن رواد كازينو الجندول الشهير المطل على البحر والنيل معا فى لسان رأس البر وأسامة الباز يجلس فى هدوء مع الأصدقاء يستمع لنجاهة الصغيرة بينما رفعت الجمال أو أفت الهجان الولد الشقى يرفع صوته مشجعا أكثر لنجاهة الصغيرة التى استاءت من الزعيق .. ولم تتقبل صخب رفعت الجمال الدائم حتى لتشجيعها .. وتوقفت عن الغناء عندما اشتد غضبها وأشدت بهذا الشاب الهادىء ولم تعرف اسمه وهو أسامة الباز.. عندما ويخ رفعت وطلب منه الهدوء .

أن ينصت للغناء معهم :

أراد رافت الهجان أن يعتدى على أسامة الباز بالضرب وتحول الموقف إلى ما يهدد الحفل بالإلغاء . . واستاء الناس من المصطافين على فعل الهجان . . وتعاطفوا مع الباز . . وألقت الفنانة نجاهة الصغيرة كلمة قصيرة عبرت فيها عن تعاطفها مع هذا الشاب المهذب تقصد أسامة الباز وهذا جعل رافت الهجان تغلى الدماء فى عروقه ، ولولا تدخل الأصدقاء وعبدالمنعم عبده الذى أصبح بطلا للمانش وأعظم سباح فى العالم وكان ضمن الموجودين لحدث مالا يحمد عقباه بين الطالب المهذب أسامة الباز والشاب الشقى

رفعت الجمال «رأفت الهجان» . . ولم يكن أحدهما يدرك أنه فيما بعد سيصبح هو والآخر من مشاهير انسياسة في مصر والعالم رفعت الجمال أصبح كما أسلفنا رأفت الهجان البطل القومي المصري وجاسوس المخابرات المصرية العريقة في قلب تل أبيب بإسرائيل وأسامة الباز المستشار السياسي لرئيس الجمهورية والشخصية السياسية البارزة على مستوى العالم العربي كله والمشهود عالميًا أيضًا . . هذه الحادثة رواها لي الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الأسبق وأنا اكتب قصة حياته وذكرياته في مسقط رأسه بدمياط وأضاف عليها: كان والد هذا الشاب أسامة الباز صديقًا لعائلات دمياط كلها وارتبط بصداقة خاصة مع شقيقى الأكبر المستشار إبراهيم الزيات الذى كان يحبه كثيرًا ، ويتجادبان معا أطراف الحديث . . خاصة في مصيف رأس البر المفضل لهما . . ولكل أهل دمياط.

ليلى الفتاة الدمياطية الحسنة التي أحبها أسامة الباز وأحبته :

الخوض في حياة الدكتور أسامة الباز العاطفية لا تتوقف عند ثلاث نساء هن : زوجته الأولى السفيرة الاستاذة مها فهمى . . وزوجته الثانية المذيعة التلفزيونية الشهيرة أميمة تمام . . وزواجه العرفي كما أعلنت الفنانة نبيلة عبيد أنه تزوجها لمدة تسع سنوات بالتمام والكمال!..

والواقع يقول: إن هناك من سبق وأحب أسامة الباز وكانت الفتاة الدمياطية الحسنة الرائعة الجمال «ليلى» الطالبة بمدرسة اللوزى الثانوية للبنات ، كانت ساحرة من أسرة عريقة بدمياط هي أسرة العلايلي . . قرية لأسرة محمد عبدالسلام الزيات نائب رئيس الوزراء الأسبق والكاتبة الكبيرة الدكتورة لطيفة الزيات . . وسمير العلايلي زوج أخت الراحل ضياء الدين داود رئيس الحزب الناصرى وعضو اللجنة التنفيذية العليا والوزير الأسبق في عهد عبدالناصر، لكن كيف بدأت وتكونت العلاقة والصلة بين الطالب الثانوى أسامة الباز والطالبة الجميلة في المرحلة الثانوية أيضًا «ليلى العلايلي» ؟ وكيف كان الحب والهيام والغرام بين أجمل شابين ليلي العلايلي وأسامة الباز؟ تتراقص هنا علامات الاستفهام كثيرا . . ! كانت مدرسة اللوزى الثانوية للبنات بدمياط تجاورها مباشرة مدرسة دمياط الثانوية للبنين ، وكانت الطالبة ليلي العلايلي تلفت الأنظار كثيرًا إليها فهى ملكة

متوجة على عرش جمال فتيات رأس البر في المسابقة السنوية التي تجرى في مصيف رأس البر لاختيار ملكة جمال مصيف رأس البر.. التي كانت تفوز بها الطالبة ليلي العلايلي حيث تجمع بين الجمال والثقافة والعلم ودماثة الخلق فهي من بنات الأعيان «الأسر العريقة» . وكان يتهافت على رؤيتها وهي تدخل المدرسة او تغادرها شباب الطلاب في مدرسة الثانوية للبنين ، ولم تكن هي تهتم من قريب أو بعيد بمثل هذه الامور وربما كانت تستمتع بهذا دون ان تفصح لأحد عن مشاعرها ، على كل حال كانت تهتم بدراستها أكثر من أى شيء آخر . ولفت ذلك الطالب المتفوق النابغة أسامة الباز الذى كان هو الآخر حديث الفتيات الطالبات فقد كان يشارك في المسابقات التي تجرى بين الطلاب والطالبات المتفوقين ويطلق عليها : مسابقات أوائل الطلبة .. وكان أسامة الباز وليلي العلايلي من الأسماء البارزة وثقافتها تلفت الانظار .. بالإضافة إلى الأدب الجم ، وكان أسامة يعجب بالطالبة ليلي العلايلي وثقافتها وهي كذلك تبادل ذلك لكن في حدود الزمالة ولا يخرج الإعجاب المتبادل عن الحدود ..

لقاء في الجندول على لسان رأس البر:

ذات أمسية لعبت الأقدار لعبتها فقد كانت أسرة ليلي العلايلي مدعوة لحضور إحدى مسرحيات يوسف بك وهبي على مسرح الجندول وفي نفس الوقت كانت أسرة أسامة الباز مدعوة هي الأخرى مع العديد من العائلات ذات المكانة الرفيعة .. وشاءت الأقدار أن تجلس عائلة الباز بجوار عائلة العلايلي وأن تجمع المائدة العائلتين ومن بين الأفراد أسامة الباز وليلي العلايلي وكان الاستلطف لاشك موجودًا بينهما لكن لم يفصح أحدهما للآخر . (لكن هذه المرة كانت الفرصة متاحة لتبادل النظرات وتبادل المشاعر لكن في حرص شديد .. احترامًا لأفراد الأسرتين من الكبار وكذلك الأسر الأخرى .. !

حسين رياض : ليلي العلايلي نجمة سينمائية 1

ولاحظ الفنان حسين رياض الذى كان من رواد مصيف رأس البر هذه المشاعرين أسامة وليلي فأفضى لأمينة رزق التي كانت بجواره أثناء الاستراحة بين فصل وآخر من المسرحية بأن هذه الفتاة الساحرة تستحق أن تكون نجمة سينمائية كبيرة .. ملاحظها .. جمالها .. حضورها .. أنوثتها .. شخصيتها القوية بالإضافة إلى أن حسين رياض نفسه كان

عضوًا في لجنة اختيارها ملكة جمال المصيف التي كان يرأسها يوسف بك وهبي وأمانة رزق ومحمد عبد الوهاب، انتهت المسرحية وفصول الاستراحة أثناء عرضها بالفرص التي كانت متاحة لليل وأسامة لتبادل النظرات خلسة في احترام شديد للموجودين من كل الناس .

ماذا يفعل طالب المدرسة الثانوية بأمر الحب؟!

لاشك أن الحب جمع بين أسامة الباز وليلى العلايلي . . لكن ماذا يفعل كلاهما في أمر هذا الحب؟ أسامة أصبح طالبًا في التوجيهية وسيقتل إلى الجامعة العام التالي ويترك دمياط كلها . وهي كذلك في نفس السنة الدراسية لكن لن تذهب للجامعة كعادة أهل دمياط ، ستكفى الأسرة بهذا القدر من تعليم البنت - خاصة وهي تتمتع بهذا الجمال الرباني الذي يلفت الأنظار والزواج في هذه الحالة هو الحل سترًا للفتاة . .! ولم ينفذ أسامة الباز أمر الحب . .!

لم يستطع أن يخبر والده وأسرته بهذا الحب الهائل في قلبه لملكة جمال مصيف رأس البر الفتاة ليلى العلايلي - الطالبة بالتوجيهية في مدرسة اللوزي الثانوية للبنات بدمياط - وجمع بينه وبين ليل لقاء خاصًا جدًا هو الأول والأخير أخبر كلاهما الآخر باستحالة أن يجمع بينهما البيت الواحد ويتم الزواج خاصة وأسامة ظروفه لا تسمح على الإطلاق ووالده لن يوافق على مجرد قراءة الفاتحة وإعلان الخطوبة لأنه يعرف أن ابنه أسامة «نابغة» ومتفوق والمستقبل أمامه عريض جدًا ليس من أجل المؤهل العالي ولكن الاستمرار في طلب العلم والوصول إلى درجة رفيعة فيه ، وهو ما حدث بالفعل حيث حصل الدكتور أسامة الباز على الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية وتزوجت ليلى العلايلي شخصية بارزة بعد حصولها على التوجيهية وقد حزن أسامة الباز على ضياع هذا الحب الذي جمع بينه وبين هذه الفتاة التي قال عنها في مناسبات كثيرة : إنه لم يحب في حياته بعد أمه سوى هذه الفتاة الرائعة « ليلي » ، وكل أصدقاء وزملاء الدراسة في دمياط يعرفون قصة حب أسامة وليلى العلايلي، وهكذا كانت النهاية بين الاثنين وانقطعت أخبار ليلى تمامًا عن أسامة الباز أما هو فقد كانت هي تتابع أخباره بعد الشهرة الواسعة العريضة التي حظى بها وأصبح المستشار السياي لرئيس الجمهورية - ولاشك كانت تحتفظ بحبها الدفين في أعماقها لهذا الرجل الجميل المحترم أسامة الباز.



بجاءة الصغيرة النصف «البار» عبد تشاجر مع «الهجان» في كازينو الجندول



عزل أسامة الباز على ساحة
وتمنع من أداء عمله في
سائر المؤسسات التي كان يترأسها
تحت إشراف لجنة من
بجاءة «الهجان» في كازينو الجندول





خديجة هي حبة الكينوا،
الباذ الخاضعة لا ينوقف
عند ثلاث نساء هن:
روحته الأولة الشهيرة
الابتداء معا فعمى



.. وزوجته
الثانية المدبحة
التليفزيونية
الشهيرة
أميمة تمام



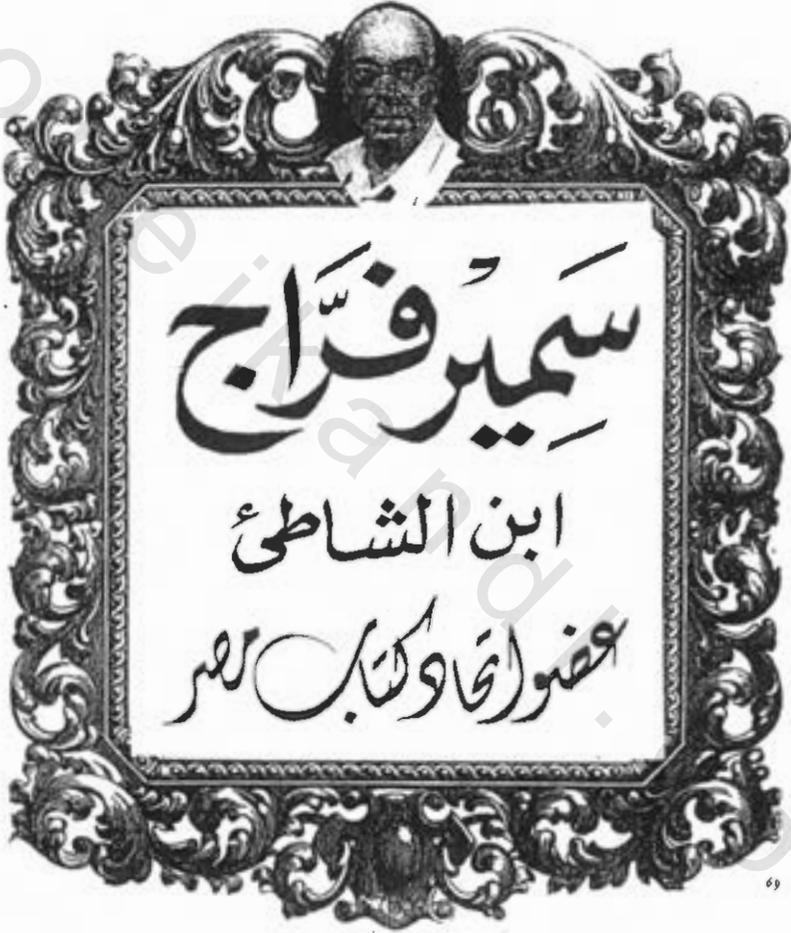


عاشق الباز
عند ظهره يمشي
بالخفة على قلوبك
ومعه يمشي كثيرا
والخفة على حجابك



هناك من سبق واحب الباز وكانت الفتاة الدمياطية الحسنة الرائعة الجمال « ليلي »
الطالبة بمدرسة اللوزي الثانوية للبنات كانت ساحرة من اسرة العلايلي بدمياط

المؤلف في سطور





نبذة قصيرة عن المؤلف سمير فراج «ابن الشاطي»

دمياط مسقط رأس المؤلف سمير فراج «ابن الشاطي» ومسرح طفولته وصباه، ورفات آبائه وتراب أجداده إلى أجيال عدة، تضل في ليل الزمن، والمعروف أن كلامنا يتعلق بموطنه الأول، ويشعر نحوه بالحنين، ويحفظ له الذكريات، ويدين له بالفضل، ويود أن يرد ويوفى له بعض الجميل، وتاريخ هذه المدينة التاريخية القديمة «الشاطي» الذي تمتزج فيه الحقائق بالأساطير ويتراعى إلى عصور سحيقة يجتجأ أقدمها بالغيوم، فمدينة هكذا، امتازت بالقدم، ومسيرة العصور، ومعاصرة الأديان والحضارات وبذلك التاريخ المديد الزاخر بالأحداث، وبهذه الشهرة القديمة والحديثة في دنيا الصناعة والتجارة، وبهذا العدد الوافر من الأعلام الذين نشؤوا فيها وبما لم تزل تحويه من آثار وشواهد، ثم ذلك المستقبل الباهر الذي تتطلع إليه وتسير نحوه حثيثا، وهي تقع على مقربة من مصب النيل الشرقي في البحر الأبيض وعلى قمة فرعه المعروف بفرع دمياط، مدينة لم تزل جاثمة في مكانها منذ أكثر من عشرين قرناً من الزمان، لم تزل أيضاً على صلة قوية بالعالم.. بحرًا ونهرًا وبرًا، وهي لموقعها بين البحر والنهر أثرت في نشأة وفكر وعقل ووجدان المؤلف، إنها دمياط المدينة القديمة التي لها من العمر نحو ألفين أو ثلاثة آلاف سنة أو يزيد، وهذا التاريخ القديم استلهم منه المؤلف حبه للتاريخ بشكل عام ودءوب.

تلقى المؤلف تعليمه الأولى في منتصف القرن العشرين في مدرسة الهداية - الشهيرة بمدرسة فراج - ويمتلكها جده ثم والده، وهي من المدارس الخاصة التي أسست في القرن التاسع عشر. ولها رسالتها الرفيعة.

المؤلف حفيد العالم الإسلامي الجليل الشيخ الإمام محمد محمد فراج المتوفي بدمياط عام ١٩٥٠، ونجل الكاتب الصحفي والمربي الجليل والشاعر الأستاذ طاهر محمد فراج المتوفي عام ١٩٦٣ بدمياط.. ولها في المدينة سمعة مرموقة ومكانة كبيرة.

اختير المؤلف سمير فراج «ابن الشاطي» الطالب المثالي الأول في السلوك والأخلاق والثقافة في دمياط كلها وعلى مستوى المدارس الثانوية، ثم على مستوى الجمهورية العربية المتحدة أثناء الوحدة مع سوريا في ذلك الوقت.

- حصل على شهادة معهد المعلمين التربوي العام ثم على ليسانس الآداب جامعة القاهرة، وعمل كمشرف في الصحافة المدرسية ثم احترف العمل الصحفي على مستوى مصر والعالم العربي، وعمل في بعض الصحف والمجلات العربية التي تصدر في بعض الدول الأجنبية،

واستقر به الحال في مؤسسة دار الهلال بالقاهرة، فعمل ككاتب صحفي بمجلتي المصور والكواكب معاً وهما من إصدارات الدار، واستمر لعدة سنوات حتى انتقل ككاتب صحفي في جريدة «الأنباء» الكويتية، وهي واحدة من كبريات الصحف السياسية العربية اليومية وتصدر في الكويت، واستمر بها من عام ١٩٨٢ حتى الآن.

- عمل رئيساً لقسم المراجعة العربية بمؤسسة الشرق الأوسط للعلاقات العامة، وشارك في العمل الصحفي بها تحت إشراف الرائد الإعلامي الكبير الدكتور زين العابدين ماضي نجاتي الرئيس الأسبق لووكالة أبناء الشرق الأوسط.

- رشحه مع الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ جلال الدين الحماصي صديق والده للدراسة بالجامعة الأمريكية في إطار تفوقه الإعلامي الواضح والبارز.

- عمل مديراً لإدارة العلاقات العامة والإعلام والعلاقات الخارجية وذلك بمؤسسة الزهراء للإعلام العربي وهي دار نشر كبرى بالقاهرة ومؤسسة تليفزيونية وإذاعية ضخمة قدمت أعظم الأعمال الدرامية للإعلام المرئي الدرامي والإذاعي المسموع بتفوق هائل.

- عمل مديراً للإعلام والاتصالات الخارجية بمؤسسة هناء للإنتاج الإعلامي بالرياض - المملكة العربية السعودية - «الإنتاج الدرامي التليفزيوني».

- عمل بالعديد من الصحف المصرية والعربية وكذلك المجالات في مصر ولبنان والأردن وسوريا والكويت وله فيها مئات المقالات والتحقيقات الصحفية وأبرزها كان في المملكة العربية السعودية في جريدة الندوة بمكة المكرمة عن حريق المسجد الأقصى وجريدة الاتحاد بدولة الإمارات العربية وجريدة الأنباء بالكويت التي انتظم بها، وبعد الثورة المصرية المجيدة في ٢٥ يناير ٢٠١١ نشرت له جريدة صوت الأمة وهي من الصحف الشهيرة بمصر أهم التحقيقات الصحفية الجريئة، كذلك في جريدة الأنباء الدولية، ويعتبر من أنصار الثورة.

- يشارك في العديد من الندوات والصالونات الأدبية والثقافية في مصر، وترأس صالون مصر الجديدة الثقافي ويحضره لفيف ضخم من المثقفين والأدباء.

- محاضر مركزي لوزارة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة على مستوى الجمهورية .
- استضافه التليفزيون المصري والعربي في الكثير من البرامج في مناسبات هامة، وكذلك الإذاعة في برامج ثقافية واجتماعية وسياسية متنوعة.

- له العديد من المؤلفات التاريخية والاجتماعية والسياسية وخاصة في مجال السير الذاتية وأبرزها عن: الملكة فريدة، والملك فاروق، والدكتور محمد حسن الزياد وزير الخارجية الراحل، والدكتورة بنت الشاطئ والوزير حسب الله الكفراوي، والدكتور أسامة الباز.

- له ما يقرب عن مائة كتاب مؤلفاته، ومرشح للدكتوراه الفخرية عن موسوعة الحضارة الإسلامية من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض المملكة العربية السعودية
- تم تكريمه في كلية الآداب جامعة الزقازيق، وفي جامعة المنصورة وكلية التربية بدمياط، ونال الجائزة عن فن كتابة التاريخ الحديث بمنهج جدي «المبدع سمير فراج»
- مرشح لجائزة الدولة التقديرية عن كافة أعماله ومؤلفاته.
- نال العديد من الجوائز وشهادات التقدير الكبرى في مصر والعالم العربي.
- اتجه إلى كتابة السيناريو والحوار لأعماله ومؤلفاته وأبرزها عن كتاب قطوف من حياة سيادة نساء العصر الدكتور بنت الشاطي، وتم الاتفاق بينه وبين صوت القاهرة على تقديم العمل كإنتاج درامي على مستوى رفيع بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، ويجري تنفيذ العمل الآن.
- نال العضوية الشرفية مدى الحياة من أكاديمية الخط العربي لاهتمامه به.
- نال العضوية الفخرية مدى الحياة من أغلب الصالونات الأدبية والثقافية في مصر.
- عضو جمعية أصدقاء السائح ومنح العضوية الفخرية مدى الحياة.
- حصل على درع الغرفة التجارية بدمياط تقديرًا لمساهماته معها.
- حصل على درع محافظة دمياط في الملتقى الثقافي الأول عام ٢٠٠٣.
- صاحب الصالون الأدبي والثقافي «لابن الشاطي» بدمياط والقاهرة.
- عضو مجلس أمناء مكتبة مبارك بدمياط وقدم استقالته منها قبل أن تُسمى مكتبة دمياط العامة، وله أفكاره لتطويرها بما يناسب المرحلة لصالح المدينة التاريخية الكبيرة بدمياط.
- عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية ونال العضوية الفخرية بها مدى الحياة تقديرًا لمكانته الثقافية، وتسلم هذه العضوية في اتحاد كتاب مصر بالقاهرة.
- كرمته الكويت رسميًا لدوره الكبير في مساندة الحق ووقوفه معها أثناء الغزو الغاشم العراقي، وذلك من خلال مقالاته ومؤلفاته وتحقيقاته الصحفية المساندة للكويت، ونال تقدير وزارة الإعلام بالكويت.
- حصل على شهادة رفيعة من جريدة الأنباء الكويتية بتوقيع رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير اعترافًا بلوره الصحفي الكبير بها.
- تحظى مؤلفاته باهتمام كبير بمكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة.
- تحتوي مكتبته التاريخية بدمياط ورأس البر والقاهرة على أكثر من خمسين ألف كتاب في الأدب والفكر والثقافة والسياسة وغيرها.
- عضو عامل في اتحاد كتاب مصر.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	مقدمة الكتاب للمؤلف
٣١	مشيخة العلماء بدمياط منذ أقدم العصور
٤٣	ديوان الشاعر والأديب عبد الحق شرف الدين
٤٨	ذكرى الأربعين.. دمة وفاء
٥٤	مدرسة دمياط الثانوية للبنين التي درس بها الدكتور أسامة الباز
٦٤	تحية واجبة
٦٥	الحب هو الدستور
٦٧	الاحتفال بالعيد الخمسيني لمدرسة دمياط الثانوية.. حكاية التعليم في دمياط
٦٩	أول دفعة تخرجت في المدرسة
٧٢	الدكتور أسامة الباز في زيارة لمدرسة دمياط الثانوية يوم ١/٣/٢٠٠٩ بدمياط
٨٢	الدكتور أسامة الباز عاشق الزمن الماضي الجميل
٨٣	أعلام دمياط الذين أعجب بهم الدكتور أسامة الباز
٩١	رأفت المهجان البطل المصري ابن دمياط الذي نال إعجاب وتقدير واحترام الدكتور أسامة الباز
١٠٠	النكت على الدمياطة
١٠٤	الصالونات الأدبية والمقاهي الثقافية التي كان يحضرها الدكتور أسامة الباز في دمياط
١٠٩	أسامة الباز.. المفاوضات العنيد في كامب دافيد

الموضوع	الصفحة
السياسي الخطاط الدكتور أسامة الباز من رواد الخط العربي	١١١
رحلة العمر .. مصر وأمريكا .. معارك الحرب والسلام	١٦١
چيمى يتسبب فى أفول نجم الدكتور أسامة الباز وچيچى تتسبب فى موت كوكب الشرق أم كلثوم ..! قصة چيمى وأبو الأنوار ..! فى عهدي السادات ومبارك ..!	١٣٢
الرئيس الأمريكى «بيل كليتون» يتلقى «علقة» ساخنة من زوجته «هيلارى»!	١٤١
أسامة الباز .. ملف شخصى جدًا	١٥٠
أسامة الباز مع السادات فى القدس وكامب دافيد!	١٥٧
فى كتابه القيم رحلة العمر	١٥٧
الزلازال الرئيس السادات فى القدس ١٩٧٧	١٥٩
المايسترو الذى لا يتكرر	٢٠١
كل يوم .. أسامة الباز .. شخصية فريدة وأسطورة نجاح!	٢٠٣
أسامة الباز .. كان بسيطاً فى التعامل .. ومترفعاً شريفاً	٢٠٤
أسامة الباز .. أيقونة الدبلوماسية والمحبة الشعبية	٢٠٧
كان اسمه يكفيه وأعماله تحميه	٢١٠
رحيل الداهية	٢١٢
الباز .. الموت اكتئاباً	٢١٤
أسامة الباز .. صانع الملوك وراكب المترو	٢١٦
مذكرات مبارك .. زكريا عزمي تعمد إخفاء الكثير من الحقائق عني	
وأسامة الباز .. افتقدت حكمته وتوجيهه بعد اعتزاله السياسة	٢٢٩

الصفحة	الموضوع
٢٣٥	وداعاً أسامة الباز
٢٣٧	أسامة الباز
٢٤١	راهب الدبلوماسية
٢٤٢	الباز وهيكل وذاكرة مصر
٢٤٥	أسامة الباز رمز الوطنية
٢٤٦	وداعاً أيها الصديق
٢٤٨	أسامة الباز
٢٥١	بالصور.. مشاهير السياسة والييزنس والإعلام في عزاء أسامة الباز
٢٥٨	السياسيون في الوداع الأخير لأسامة الباز
٢٦٣	نماذج من برقيات العزاء
	زوجة الدكتور أسامة الباز تفتح خزائن أسرارها.. الإعلامية أميمة تمام:
٢٧١	رفضه للتوريث تسبب في استبعاده من الرئاسة
٢٧٤	بالصور تكشف أسرار ١٧ عاماً في حياة أسامة الباز
	ذهب إلى الانتخابات الرئاسية الأخيرة ووقف في الطابور وأمام الصندوق
٢٩٧	قرر ألا ينلي بصوته في آخر لحظة حتى لا يتحمل مسؤولية فشل الرئيس
٣٠٣	الجزء الثاني
٣٠٥	قبل أن تقرأ «الجزء الثاني»
٣٠٨	امراتان وفتاة أحبهن أسامة الباز
٣٠٨	شجرة الدر
٣١٥	كليبواترا.. الحكمة والجمال
٣٣٠	كريستين كيلر فتاة الليل اللعوب التي أطاحت بوزير الحرب البريطاني!.. -

الصفحة	الموضوع
٣٣١	مذكرات نبيلة عبيد
٣٣٢	المرأة في حياة نابليون
٣٣٦	أم كلثوم النغم الساحر في حياة الشاعر أحمد رامي
٣٣٧	المرأة في حياة بيتهوفن
٣٤٠	برلتي .. لماذا اختارت أن تتزوج من المشير عبد الحكيم عامر..؟!
٣٤١	أحلام برلتي
٣٤٩	قصص وحكايات زواج نبيلة عبيد المتكررة في الصحف والمجلات
٣٥٢	الكواكب.. زواج نبيلة عبيد.. التفاصيل الكاملة
٣٥٩	سمير فراج يكتب: نبيلة عبيد وعشاقها!
٣٧٢	لأول مرة نبيلة عبيد تعترف: أتجوزت أسامة الباز بموافقة مبارك
٣٧٩	نبيلة عبيد وأسامة الباز «القصة الكاملة»
	مستشار الرئيس في بيت نجمة مصر أسرار تنشر لأول مرة عن الزواج
٣٨٥	الأسطوري
٣٩٠	نبيلة عبيد في «الراقصة والسياسي» بعد «الراقصة والطبال»
٣٩٥	إحسان عبد القدوس.. الراقصة والسياسي
٤٠٩	من نبيلة عبيد إلى صوفينار.. السياسة تحت أقدام الراقصات!
٤٢٠	النساء يحكمن العالم! حقيقة
٤٢٤	نبيلة عبيد: تزوجت أسامة الباز ٩ سنوات حب بلا سياسة
	صفحات مجهولة من حياة الدكتور أسامة الباز.. آخر ما نشر عنه قبيل
٤٣١	صدور الكتاب
٤٤٣	المؤلف في سطور
٤٤٩	الفهرس

نفر بجمك الله

